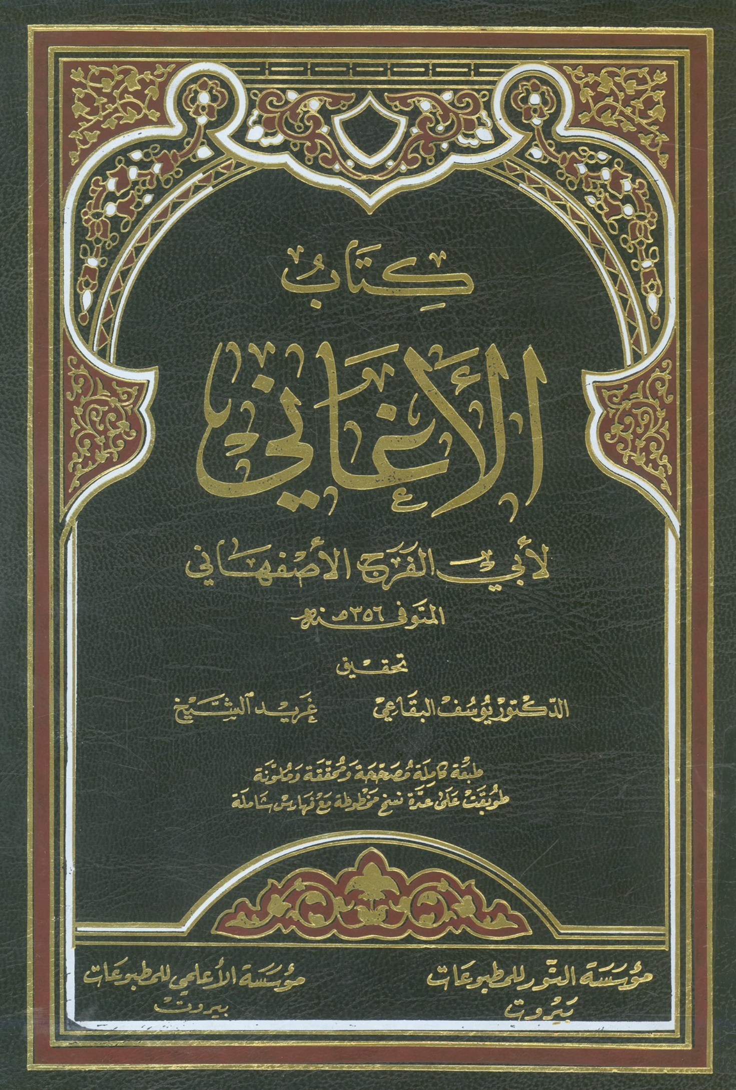
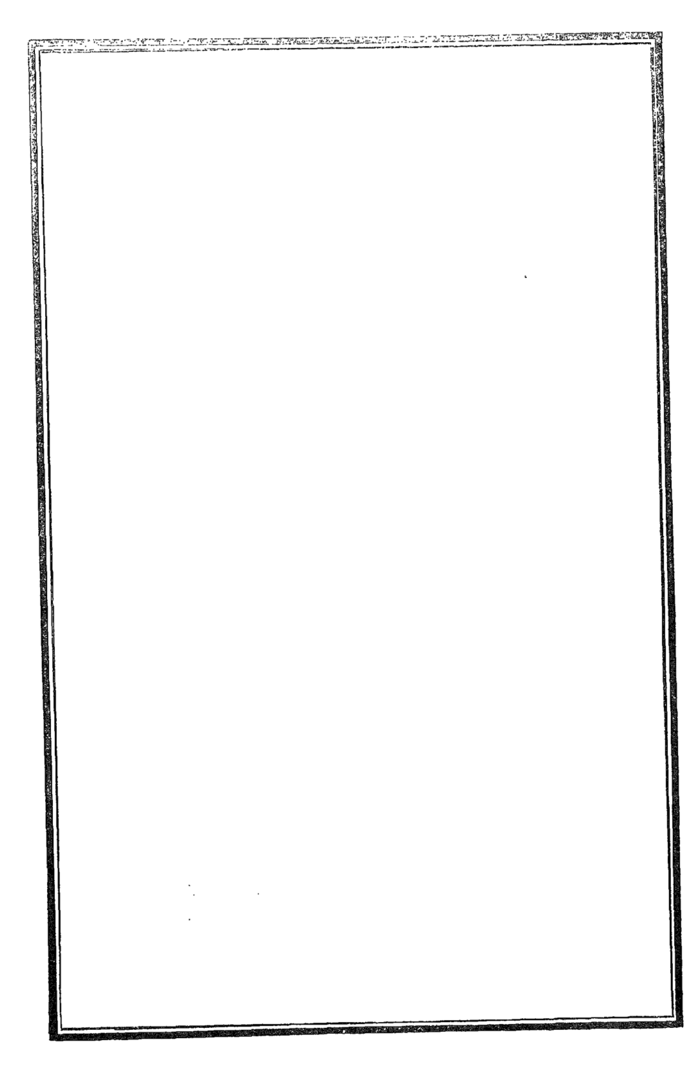


كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت


كتاب

الأغاني



كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦هـ

تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الثامن عشر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعـة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذكر ذي الرمة وخبره

[٧٧ ـ ١١٧ هـ/ ٦٩٦ ـ ٧٣٥ م]

[اسمه ولقبه ونسبه وبعض أخباره]

اسمه غَيْلان بن عُقْبة بن مسعود بن حارثة بن عمْرو بن ربيعة بن مِلْكان بن عديّ بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر.

وقال ابن سلاّم: هو غيلان بن عقبة بن بُهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مِلْكان. ويكنى أبا الحارث، وذو الرمة لقبٌ. يقال: لقَّبته به ميَّة؛ وكان اجتاز بخبائها وهي جالسةٌ إلى جَنْب أمها فاستسقاها ماءً، فقالت لها أمها: قومِي فاسقيه. وقيل: بل خرق إداوته لمّا رآها، وقال لها: اخرُزِي لي هذه، فقالت: والله ما أُحْسِنُ ذلك، فإني لخرقاء. قال: والخَرقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قَوْمها، فقال لأمها: مُرِيها أن تسقِيَني ماء، فقالت لها: قومي يا خَرْقاء فاسقيه ماءً، فقامت فأتَتْه بماءٍ، وكانت على كتفه رُمَّة؛ وهي قطعة من حَبْل، فقالت: اشرب يا ذا الرُّمَّة؛ فلُقِّب بذلك. وحكى ابنُ قُتَيْبة أن هذه القصة جرت بينه وبين خَرْقاء العامريَّة.

وقال ابن حبيب: لُقِّبَ ذا الرمة لقوله:

أشـعَـث بـاقِـي رُمَّـةِ الـتَّـقْـلِـيـدِ

وقيل: بل كان يُصيبه في صِغَره فَزَعٌ، فكُتِبت له تميمة، فعلّقها بحَبْل، فلُقِّب بذلك ذا الرُّمَّة.

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات، عن محمد بن صالح العدويّ، عن أبيه، وعن أشياخه، وعِدّة من أهل البادية من بني عديّ، منهم زُرْعة بن أذبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم، أنَّ أمَّ ذي الرّمة جاءت إلى الحُصين بن عبدة بن نُعيم العدويّ وهو يقرىء الأعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاتَهم، فقالت له: يا أبا الخليل؛ إن ابْني هذا يُرَوَّع[1] بالليل، فاكتب لي مَعَاذةً أُعلِّقها على عنقه، فقال لها: ائتيني برَقّ أكتب فيه، قالت: فإن لم يكن، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له؟ قال: فجيئيني بجلد، فأتته بقطعة جِلد غليظ، فكتب له مُعاذة فيه، فعلّقته في عنقه، فمكث دَهْراً. ثم إنها مرّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصَين وهو جالس في ملإٍ من أصحابه ومَوَالِيه، فدنت منه، فسلّمت عليه، وقالت: يا أبا الخليل، ألا تسمع قولَ غَيْلان وشِعْرَه؟ قال: بلى. فتقدّم فأنشده، وكانت المَعاذةُ مشدودةً على يساره في حبل أسود، فقال الحصين: أحسن ذو الرمة؛ فغلبت عليه.

وقال الأصمعيّ: أُمُّ ذي الرمة امرأة من بني أسد يُقال لها ظبية، وكان له إخوة لأبيه وأُمّه شعراء منهم مسعود، وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرمّة ويذكر ليلى بنته: [الطويل]

إلى اللَّهِ أَشْكُو لا إلى النَّاسِ أنَّنِي ... وَلَيْلَى كِلانا مُوجَعٌ ماتَ وافِدُهْ

ولمسعود يقول ذو الرمة:

صوت

[الطويل]

أقُولُ لِمَسْعود بِجَرْعاءِ مالِكٍ ... وَقَدْ هَمَّ دَمْعِي أَنْ تَسِحَّ أوائِلُهْ[2]

ألا هَلْ تَرى الأَظْعانَ جاوَزْنَ مُشرِفاً ... مِنَ الرَّمْلِ أوْ سالَتْ بِهِنَّ سلاسِلُهْ[3]

غنّى فيه يحيى بن المكيّ ثاني ثقيل بالوسطى، على مذهب إسحاق من رواية عَمرو.

---

(١) يُروَّع بالليل: يخاف.

(٢) جرعاء مالك: هي بالدهناء قرب حُزوى. وقيل: جرعاء مالك رملة (معجم البلدان ٢/ ١٢٧).

(٣) مُشرِف: اسم لعدة مواضع (انظر معجم البلدان ٥/ ١٣٢). وسلاسل الرمل: ما انعقد واتصل منه.

ومسعود الذي يقول يرثي أخاه أيضاً ذا الرمّة، ويرثي أَوْفَى بن دَلْهَم ابن عَمه، وأوفى هذا أحدُ مَنْ يُرْوَى عنه الحديث.

وقال هارون بن الزيَّات: أخبرني ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، قال: كان لذي الرمّة إخوة ثلاثة: مسعود، وجِرْفاس، وهشام، كلّهم شعراء، وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرمة أبياتاً أُخر، فينشدها الناس، فيغلب عليها لشهرته وتُنْسب إليه: [الطويل]

نَعَى الرَّكْبُ أوفَى حِينَ آبَتْ رِكابُهُم ... لَعَمْري لَقَدْ جاءُوا بِشَرٍّ فأوْجَعُوا
نَعَوْا باسِقَ الأَخْلاقِ لا يُخْلِفُونَهُ ... تكادُ الجِبالُ الصُّمُّ مِنهُ تَصَدَّعُ
خَوَى المَسْجِدُ المَعْمُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهَمٍ ... فَأَضْحَى بأوْفَى قَوْمُهُ قد تَضَعْضَعُوا
تَعَزَّيتُ عن أوْفَى بغَيْلانَ بَعْدَهُ ... عَزاءً وجَفْنُ العَيْنِ مَلآنُ مُتْرَعُ
وَلَمْ تُنْسِني أوفَى المُصيباتُ بَعْدَهُ ... ولكنْ نِكاءُ القَرْحِ بِالقَرْحِ أوْجَعُ[1]

وأخوه الآخر هشام، وهو رَبّاه، وكان شاعراً. ولذي الرمّة يقول: [الطويل]

أَغَيْلانُ إن تَرْجِعْ قُوى الوُدِّ بَيْنَنا ... فَكُلُّ الَّذِي وَلَّى من العَيْشِ رَاجِعُ
فَكُنْ مثلَ أقصَى النَّاسِ عِنْدِي فَإنَّني ... بِطُولِ التَّنَائِي مِنْ أخِي السَّوءِ قانِعُ

وقال ذو الرمّة لهشام أخيه: [الطويل]

أَغَرَّ هشاماً من أخِيهِ ابْنِ أُمِّهِ ... قَوادِمُ ضَأنٍ أقْبَلَتْ ورَبِيعُ؟
وهل تُخلِفُ الضأنُ الغزَارُ أخَا النَّدى ... إذا حَلَّ أمْرٌ في الصُّدُورِ فَظِيعُ؟

فأجابه هشام فقال: [الطويل]

إذا بانَ مالِي مِنْ سَوامِكَ لم يكُنْ ... إليكَ ورَبِّ العالَمِينَ رُجُوعُ
فأنْتَ الفتى ما اهْتَزَّ في الزَّهَرِ النَّدى ... وأنْتَ إذا اشْتَدَّ الزَّمانُ مَنُوعُ

وذكر المهلّبيّ عن أبي كَرِيمة النحويّ، قال: خرج ذو الرمّة يسير مع أخيه مسعود بأرضِ الدَّهناء، فسنحت لهما ظَبيةٌ فقال ذو الرمة: [الطويل]

---

(١) القَرْحُ: الجرح.

أَقُولُ لِدَهْناوِيَّةٍ عَوْهَجٍ جَرَتْ لَنا بَيْنَ أعلَى بُرْقةٍ بالصَّرائِمِ[1]
أيا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بَيْنَ جُلاجِلٍ وبينَ النَّقا آأنْتِ أمْ أُمُّ سالِمِ[2]

وقال مسعود: [الطويل]

فَلَوْ تُحسِنُ التَّشْبِيهَ والنعْتَ لم تقُلْ لِشاةِ النَّقا آأنْتِ أمْ أُمُّ سالِمِ[3]
جَعَلْتَ لها قَرْنَيْنِ فوقَ قُصاصِها وَظِلْفَيْنِ مُسوَدَّيْنِ تَحتَ القَوائِمِ

وقال ذو الرمة: [الطويل]

هِيَ الشِّبْهُ لَوْلا مِذْرَواها وَأُذْنُها سواء ولولا مَشْقَةٌ في القَوَائِمِ[4]

وكان ذو الرمّة كثيراً ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة، وكان طُفيليًّا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن سعيد الكِنديّ، قال: سمعت ابن عيّاش يقول: حدثني مَنْ رأى ذا الرمّة طفيليًّا يأتي العُرُسات[5].

[بعض سماته]

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني هارون بن الزيّات، قال: أخبرني محمد بن صالح العدويّ، قال: قال زُرعة بن أذبول: كان ذو الرمَّة مدوَّر الوجه، حسن الشَّعرة جَعْدها، أقنى، أنزع، خفيف العارضين، أكحل، حسن الضحك، مُفَوَّهاً، إذا كلمك كلَّمك أبلغ الناس، يضع لسانَه حيث يشاء.

وقال حمّاد بن إسحاق: حدثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة،

---

(١) دهناوية: ظبية من ظباء الدهناء. وعَوْهج: طويلة. وبُرْقة: اسم لعدة مواضع. (انظر معجم البلدان ١/ ٣٨٨). والصَّرائم: الرمال.

(٢) الوعساء: الرمل الذي تسوخ فيه الأقدام. وعساءُ الرمل: ما اندكَّ منه وسَهُلَ. وجلاجل: جبل من جبال الدهناء. (معجم البلدان ٢/ ١٤٨). والنقا: اسم لعدة مواضع (انظر معجم ما استعجم ١/ ٣١٤).

(٣) قصاص الشعر: حيث تنتهي نبتته من مقدمه أو مؤخره.

(٤) مِذْرواها: ناحيتا رأسها. والمذرى: القرن. والمشقة: فرجة في قوائمها.

(٥) العرسات: جمع عرس: بالضم والضمتين: وهو طعام الوليمة.

عن عمته عافية وغيرها من أهله: أنهم رأوا ذا الرمّة باليمامة عند المُهاجِر بن عبد الله شيخاً أَجْنَأ[١] سِناطاً[٢] متساقطاً.

وقال هارون بن الزَّيَّات: حدثني عليّ بن أحمد الباهليّ، قال: حدثني ربيح النميريّ، قال: اجتمع الناس مرةً وتحلَّقوا على ذي الرمَّة، وهو ينشدهم، فجاءت أمه فاطّلعت من بينهم فإذا رجل قاعد وهو ذو الرمَّة. وكان دميماً شختاً[٣] أَجْنَأ فقالت أمه: استمعوا إلى شِعْره، ولا تنظروا إلى وجهِه.

قال هارون: وأخبرني يعقوب بن السكِّيت، عن أبي عدنان، قال: أخبرني أسيد الغنويّ، قال: سمعتُ ببادِيتنا من قوم هَضَبوا في الحديث[٤] أنَّ ذَا الرُّمَّة كان تِرْعِيَّةً[٥]، وكان كِنازَ اللحم مربوعاً قصيراً، وكان أنفه ليس بالحسن.

أخبرني ابن عمّار، عن سليمان بن أبي شيخ، عن أبيه، عن صالح بن سليمان قال: كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمَّة، وأهلُ البادية يُعجبهم شعرُه. قال: وكان صالح بن سليمان راويةً لشعر ذي الرمّة، فأنشد يوماً قصيدةً له، وأعرابيّ من بني عديّ يسمع، فقال: أشهد عَنَّك ـ أي أنَّك ـ لفقيهٌ تُحْسِنُ ما تتلوه، وكان يحسبه قرآناً.

نسخت من كتاب محمد بن داود: وحدثني هارون بن الزيات، عن محمد بن صالح العدويّ، قال: قال حمّاد الراوية: قال الكُميت حين سمع قول ذي الرمة:

[الطويل]

أعـاذِلُ قَـدْ أَكْـثَـرْتِ مِـنْ قَـوْلِ قـائِـلٍ   وَعَـيْـبٌ عَـلَـى ذي الـوُدِّ لَـوْمُ الـعَـوَاذِلِ

هذا والله مُلهم، وما عِلْم بَدوي بدقائق الفطنة وذخائر كَنْز العقل المعَدّ لذوي الألباب! أحسنَ ثم أحسن.

قال محمد بن صالح: وحدثني محمد بن كُناسة بذلك عن الكميت، وقال:

(١) الأجنأ: الذي يشرف كاهله على صدره.
(٢) السناط: الذي لا لحية له، أي لا شعر في وجهه البتّة.
(٣) الشخت: الدقيق الضامر.
(٤) هضب في الحديث: أفاض فيه.
(٥) ترعيَّة: يجيد رعية الإبل.

لما أنشده قولَه في هذه القصيدة: [الطويل]

دعانِي وما دَاعِي الهَوَى مِنْ بلادِها إذا ما نأتْ خَرْقَاءُ عَنِّي بِغافِلِ

فقال الكميت: لله بلادُ هذا الغلام! ما أحسن قوله! وما أجود وصفه! ولقد شفع البيتَ الأول بمثله في جودة الفهم والفطنة، وقال قولَ مُستسلم.

قال ابن كُناسة: وقال لي حمّاد الراوية: ما أخرّ القومُ ذِكْرَه إلاّ لحداثة سنّه، وأنهم حسدوه.

[شعره ورأي الناس فيه]

قال محمد بن صالح: وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو: قال أبو حزام وأبو المُطَرِّف: لم يكن أحدٌ من القوم في زمانه أبلغَ من ذي الرُّمة، ولا أحسن جواباً؛ كان كلامه أكثر من شعره.

وقال الأصمعيّ: ما أعلم أحداً من العُشّاق الحضريِّين وغيرهم شكا حُبًّا أحسن من شكوى ذِي الرمّة، مع عِفَّةٍ وعَقْلٍ رَصِين.

قال: وقال أبو عبيدة: ذو الرمّة يخبر فيُحسن الخبر، ثم يردّ على نفسه الحجةَ من صاحبه فيحسن الردّ، ثم يعتذر فيحسن التخلص، مع حُسْنِ إنصافٍ وعفاف في الحكم.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أبو أيوب المدينيّ، قال: حدثنا الفضل بن إسحاق الهاشميّ، عن مولًى لجدّه، قال: رأيتُ ذا الرمّة بسوق المِرْبَد، وقد عارضه رجلٌ يهزأُ به، فقال له: يا أعرابيّ، أتشهد بما لم تَرَ؟ قال: نعم، قال: بماذا؟ قال: أشهد أنَّ أباك ناك أمّك.

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدثني عمّي عُبيد اللّه، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل، قال: كان جرير عند بعض الخلفاء، فسأله عن ذي الرمّة، فقال: أخذ من طريف الشعر وحسنِه ما لم يسبقه إليه أحد غيره.

أخبرني وكيع، عن حماد بن إسحاق، قال: قال حماد الراوية: قدم علينا ذو الرمة الكوفة، فلم أَرَ أفصح ولا أعلم بغريب منه.

نسخت من كتاب ابن النَّطاح: حدثني أبو عبيدة، عن أبي عمرو، قال: خُتِم

الشِّعْر بذي الرمة، وخُتم الرَّجَز برُؤبة[١]. قال: فما تقول في هؤلاء الذين يقولون؟ قال: كَلٌّ على غيرهم؛ إنْ قالوا حسناً فقد سُبِقوا إليه، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز، عن المدائنيّ، عن أبعض أصحابه، عن حمّاد الرّاوية، قال: أحسنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وذو الرمَّة أحسنُ أهل الإسلام تشبيهاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، عن عمه عبيد الله، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل: أنَّ جريراً والفرزدق اتّفقا عند خليفة من خلفاء بني أُميَّة، فسأل كلَّ واحد منهما على انفراد عن ذي الرمّة، فكلاهما قال: أخَذ من طريف الشعر وحَسنِه ما لم يسبقه إليه غيره، فقال الخليفة: أشهد لاتفاقكما فيه أنه أشْعَرُ منكما جميعاً.

أخبرني جَحظةُ[٢]، عن حماد بن إسحاق، قال: حدثني أبي قال: أُنشِد الصيْقَلُ شعْرَ ذي الرَّمة فاستحسنه، وقال: ما له قاتَله الله! ما كان إلاّ ربيقَة[٣]، هَلاَّ عاشَ قَلِيلاً!.

وقال هارون بن محمد: أخبرني عليّ بن أحمد الباهليّ، قال: حدثني محمد بن إسحاق البلخيّ، عن سفيان بن عُيَيْنة، عن ابن شُبرمة، قال: سمعت ذا الرمَّة يقول: إذا قلتُ: كأنّه، ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لساني. قال هارون: وحدثني العباس بن ميمون طائع، قال: قال الأصمعيّ: كان ذو الرمَّة أشعرَ الناس إذا شبَّه، ولم يكن بالمُفْلِق[٤].

وحدثني أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: كان لذي الرُّمَّة حظٌّ في حُسْنِ التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين، كان علماؤنا يقولون: أحسَنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤُ القيس، وأحسَنُ أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرُّمة.

[ذو الرمّة والحبّ]

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد، عن أبيه، عن أبي عقيل عمارة بن

---

(١) رؤبة: هو رُؤْبة بن عبد الله العجاج بن رُؤْبة التميمي. أبو الجحّاف، أو أبو محمد، راجز من الفصحاء المشهورين. (توفي سنة ١٤٥ هـ) وترجمته في: (البداية والنهاية ١٠/٩٦ ووفيات الأعيان ١/١٨٧).

(٢) جحظة هو أحمد بن جعفر.

(٣) الربيقة: تصغير الربقة، وهي العروة من الحبل.

(٤) الشاعر المفلق: المبدع.

عقيل، عن عمته أم القاسم ابنة بلال بن جرير، عن جارية كانت لأم ميّ، قالت: كنا نازلين بأسفل الدهناء، وكان رهط ذي الرُّمة مجاورين لنا، فجلست ميَّة ـ وهي حينئذ فتاة حين نهد ثدياها أحسن من رأيته ـ تغسل ثياباً لها ولأمها في بيت منفرد، وكان بيتاً رثّاً قد أخلق[١]، ففيه خروق، فلما فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أُمها، فأقبل ذو الرُّمة حتى دخل إلينا، ثم سلّم، ونشد ضالَّةً وجلس ساعةً ثم خرج. فقالت ميَّة: إني لأرى هذا العدويّ قد رآني منكشفة واطلع عليّ من حيث لا أدري؛ فإنَّ بني عديّ أخبث قوم في الأرض، فاذهبي فقُصّي أثره، فخرجت فوجدته ما يثبتُ مُقامه، فقصصتُ أثره ثانية حتى رأيته وقد تردد أكثر من ثلاثين طرقة[٢]، كل ذلك يدنو فيطّلع إليها، ثم يرجع على عَقِبيه، ثم يعود فيطلع إليها، فأخبرتها بذلك، ثم لم ننشب أن جاءنا شِعْرُه فيها من كل وَجهٍ ومكان.

وذكر عليّ بن سعيد بن بشر الرازيّ: أن هارون بن مسلم بن سَعد حدّثه عن حسين بن براق الأسديّ، عن عمارة بن ثقيف، قال: حدثني ذو الرمّة أنَّ أول ما قاد المودّةَ بينه وبين ميَّة أنه خرج هو وأخوه وابن عمه في بِغاءِ إبلٍ لهم، قال: بينا نحن نسير إذ ورِدْنا على ماءٍ وقد أَجهدنا العطش، فعدلنا إلى حِوَاء[٣] عظيم، فقال لي أخي وابن عمي: ائت الحِوَاء فاستَسْقِ لنا، فأتيتُه وبَيْنَ يَدَيْه في رواقه عجوزٌ جالسة. قال: فاستسقيتُ، فالتفتَتْ وراءَها فقالت: يا ميّ، اسْقِي هذا الغلام، فدخلتُ عليها فإذا هي تنسج عِلْقَةً[٤] لها، وهي تقول: [الرجز]

يـا مَـنْ يَـرَى بَـرْقـاً يَـمُـرُّ حِـيـنـا ... زَمْـزَمَ رَعْـداً وَانْـتَـحَـى يَـمِـيـنـا
كـأنَّ فِـي حـافـاتِـهِ حَـنِـيـنـا ... أوْ صَـوْتَ خَـيْـلٍ ضُـمَّـرٍ يَـرْدِيـنَـا[٥]

قال: ثم قامت تصبُّ في شَكْوَتِي[٦] ماءً، وعليها شَوْذب[٧] لها، فلما انحطّتْ على القِرْبة رأَيْتُ مُوَلًّى لم أر أَحْسنَ منه، قال: فلهَوْتُ بالنظر إليها، وأقبلَتْ تصبُّ

(١) أخلق: بَلِي.
(٢) طَرْقَة: مرّة من الطَّرْق.
(٣) الحِوَاء: جماعة البيوت المتدانية.
(٤) العلقة: ثوب صغير يتخذ للصبي، وقيل قميص بلا كمين.
(٥) ردى الفرس: إذا عدا فرجم الأرض رجماً.
(٦) الشكوة: وعاء من أدم للماء واللبن.
(٧) الشوذب: الثوب الطويل.

الماء في شَكْوتي والماء يذهبُ يميناً وشمالاً. قال: فأقبلت عليّ العجوز وقالت: يا بنيّ ألهتْك ميّ عما بعثك أهلُك له، أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً! فقلتُ: أما والله ليطولنَّ هُيامي بها.

قال: وملأتُ شَكْوتي، وأتيتُ أخي وابْنَ عمي، ولففتُ رأسي، فانتبذتُ ناحيةً، وقد كانت ميّ قالت: لقد كلّفك أهلُك السَّفَر علَى ما أرى من صغرك وحداثة سنك، فأنشأتُ أقول: [الرجز]

قَد سَخِرَتْ أُختُ بَنِي لَبِيدِ ... مِنِّي ومِنْ سَلْم ومِنْ وَلِيدِ
رأتْ غُلامَيْ سَفَرٍ بَعِيدِ ... يَدَّرِعانِ اللَّيلَ ذا السُّدودِ[1]
مِثْلَ ادِّرَاعِ اليَلْمَقِ الجَدِيدِ[2]

قال: وهي أول قصيدة قلتها ثم أتممتها:

هَلْ تَعْرِفُ المَنْزِلَ بالوَحِيدِ[3]

ثم مكثتُ أَهِيمُ بها في دِيارها عشرين سنة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن النوفليّ، قال: سمعْتُ أبي يقول: ضاف ذو الرمّة زَوْجَ ميّ في ليلةٍ ظلماء، وهو طامع في ألاَّ يعرفه زَوْجُها، فيدخله بَيْتَه، فيراها ويكلِّمُها، ففطن له الزَّوْجُ وعرفَه فلم يُدْخِلْه، وأخرج إليه قِرَاه، وتركه بالعَراء، وقد عرفته مَيَّةُ؛ فلما كان في جَوْفِ الليل تَغَنَّى غناءَ الرُّكبان قال:

[الطويل]

أراجِعَةٌ يا مَيُّ أيامُنا الأُلَى ... بذِي الأثْل أم لاَ، ما لَهُنَّ رُجُوعُ![4]

فغضب زوجُها، وقال: قُومِي فصِيحي به: يابْنَ الزانية، وأَيُّ أيامٍ كانت لي معك بذي الأثل! فقالت: يا سبحان الله، ضَيْفٌ، والشاعر يقول! فانتضى السيفَ، وقال: والله لأضربنَّكِ به حتى آتِي عليك أو تقولِي، فصاحت به كما أمرها زَوْجُها، فنهض على راحلته، فركبها وانصرف عنها مُغْضباً يُريد أن يصرفَ مودَّتَه عنها إلى

---

(١) يدَّرعان: يلبسان. والسدود: الظلمات.

(٢) اليلمق: القباء، فارسي معرب.

(٣) الوحيد: ماء في بلاد قيس. (معجم البلدان ٥/ ٣٦٤).

(٤) ذات الأثل: في بلاد تيم الله بن ثعلبة، كانت لهم بها وقعة مع بني أسد. (معجم البلدان ١/ ٩١).

غيرها. فمرَّ بفَلْج[١] في رَكْبٍ، وبعضُ أصحابه يريد أن يرقع خُفَّه، فإذا هو بجوارٍ خارجات مِنْ بيت يُرِدْنَ آخر، وإذا خرقاء فيهنّ ـ وهي امرأةٌ من بني عامر ـ فإذا جاريةٌ حُلْوَةٌ شَهْلاَءَ[٢]، فوقعت عَيْنُ ذِي الرُّمة عليها، فقال لها: يا جارية، أترقَعِين لهذا الرجل خُفَّه؟ فقالت تهزَأ به: أنا خَرْقاء لا أُحسِن أن أعمل؛ فسمَّاها خرقاء، وترك ذكر ميّ؛ يُريد أن يغيظ بذلك ميًّا. فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً، ثم لم يلبث أن مات.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حمّاد، عن الأصمعيّ، عن عمارة بن عقيل، قال: قال جرير: خرجتُ مع المُهاجِر بن عبد اللّه إلى حَجَّةٍ، فلقينا ذا الرُّمة، فاستنشده المهاجر فأنشده: [الطويل]

ومِنْ حاجتي لَوْلاَ التَّنَائي وَرُبَّما مَنَحْتُ الهَوَى مَنْ لَيْسَ بِالمُتَقَارِبِ
عطابيلُ بِيضٌ مِنْ رَبِيعَةِ عامِرٍ عِذابُ الثَّنايا مُثقَلاتُ الحَقائِبِ[٣]
يَقِظْنَ الحِمَى وَالرَّمْلُ مِنْهُنَّ محْضَرٌ ويَشْرَبْنَ أَلْبَانَ الهِجانِ النَّجائبِ[٤]

فالتفت إليّ المهاجر، وقال: أتراه مجنوناً!.

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: أخبرنا أبو البَيْدَاء الرّياحيّ، قال: قال جرير: قاتل اللَّهُ ذا الرمّة حيث يقول: [الطويل]

ومُنْتَزِعٍ مِنْ بَيْنِ نِسْعَيْهِ جِرَّةً نَشِيجَ الشَّجَا جاءَتْ إلى ضِرْسِه نَزْرَا[٥]

أما واللَّهِ لو قال: «ما بين جَنْبَيهِ» لما كان عليه مِنْ سبيل.

أخبرني الطوسيّ وحبيب المهلبيّ، عن ابن شبّة، عن أبي غزالة، عن هشام بن محمد الكلبيّ، عن رجل من كندة، قال: سئل جرير عن شِعْرِ ذي الرُّمة فقال: بَعْرُ ظِبَاءٍ، ونُقَطُ عَرُوسٍ، يَضْمَحِلُّ عن قليل.

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: كان أبو عَمْرو بن العلاء يقول: إنما

(١) فَلْج: اسم لعدة مواضع. انظر (معجم البلدان ٤/ ٢٧٢).
(٢) الشهل: أقل من الزرق في الحدقة وأحسن منه.
(٣) عَطَابيل: طوال حسان.
(٤) يقظن الحمى: ينزلنه في القيظ. والهجان: الكرام. والنَّجائب: الكرام من الإبل.
(٥) النِّسع: سيرٌ أو حبلٌ عريض طويل تشدُّ به الرحال. وجرَّة البعير: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه. والنشيج: الصوت.

شعر ذي الرمّة نُقَط عروس يضمحلّ عن قليل. وأبعار لها مَشَمٌّ في أول شمّة، ثم تعودُ إلى أرواح البَعَر.

[رأي الفرزدق بذي الرُّمة]

قال أبو زيد بن شبّة: قال أبو عبيدة: وقف الفرزدقُ على ذي الرمّة وهو ينشد قصيدته الحائية التي يقول فيها: [الطويل]

إذا ارْفَضَّ أطْرافُ السِّياطِ وهُلِّلَتْ جُرُومُ المَطايا عَذَّبَتْهُنَّ صَيْدَحُ[1]

فقال ذو الرُّمَّة: كيف تسمعُ يا أبا فِراس؟ قال: أسمعُ حَسناً، قال: فما لي لا أُعَدُّ في الفحول من الشعراء؟ قال: يمنعك من ذلك ويُباعدك ذِكرُك الأبعار وبكاؤُك الديار، ثم قال: [الطويل]

وَدَوِّيَّةٍ لَوْ ذُو الرُّمَيْمةِ رَامَها لَقَصَّرَ عَنْها ذو الرُّمَيْم وصَيْدَحُ[2]
قَطَعْتُ إلى مَعْرُوفِها مُنْكَراتِها إذا اشْتَدَّ آلُ الأمْعَزِ المُتَوَضِّحُ[3]

وقال عمر بن شبّة في هذا الخبر: فقام إليه ذو الرمَّة فقال: أنشدك الله أبا فِراس أن تزيد عليهما شيئاً، فقال: إنهما بيتان، ولن أزيد عليهما شيئاً.

قال: وكان عمر بن شبّة يقول عمن أخبره عن أبي عمرو: إنما شعره نقط عروس تضمحل عَمَّا قليل، وأبعار ظباء لها مشمّ في أول شمها، ثم تعود إلى أرواح الأبعار.

وكان هوَى ذِي الرُّمَّة مع الفرزدق على جَرِير؛ وذلك لِمَا كان بين جرير وابن لجأ التَّيْميّ، وتَيْمٌ وعديٌّ أخوَان من الرِّباب، وعُكْل أخوهم، ولذلك يقول جَرير لعُكل: [الطويل]

فلا يَضْغَمَنَّ اللَّيْثُ عُكْلاً بِغِرَّةٍ وعُكْلٌ يَشمُّونَ الفَرِيسَ المُنَيَّبا

الفَرِيس ها هنا ابن لجأ، وكذلك يفعل السبع إذا ضغم[4] شاةً ثم طُرد عنها،

---

(١) ارفضّ: تفرق من العرق. وهلّلت جرومها: صارت كالأهلة من الهزال. والجرم: الجسد. وصيدح: اسم ناقة ذي الرُّمَّة.

(٢) الدوّيّة: المفازة، الصحراء الواسعة. ورامها: ابتغى قطعها. وذو الرميمة: تصغير ذي الرمّة.

(٣) الأمعز: المكان الصلب الكثير الحصى. والمتوضح: المستبين.

(٤) ضغم: عضّ.

أو سبقته، أقبلت الغنمُ تشمُّ موضع الضَّغْم، فيفترسها السبع، وهي تشم، ولذلك قال جرير لبني عديّ:

وقُلْتُ نَضَاحَةً لِبَنِي عَدِيٍّ ثِيابَكُمُ وَنَضْحَ دَمِ القَتِيلِ[١]

يحذّر عَدِيًّا ما لَقِي ابنُ لَجأ.

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلام أنّ أبا يحيى الضبيّ قال: قال ذو الرمّة يَوْماً: لقد قلتُ أبياتاً إنّ لها لعُروضاً وإن لها لمراداً ومعنى بعيداً. قال له الفرزدق: ما هي؟ قال: قلت: [الطويل]

أحِينَ أعاذَتْ بي تَمِيمٌ نِساءَها وجُرِّدْتُ تَجْرِيدَ اليمانِي من الغِمْدِ
ومَدَّت بضَبْعَيَّ الرِّبابُ ومالِكٌ وعَمْرٌو وشالتْ مِنْ ورائي بَنُو سَعْدِ
ومن آلِ يَرْبُوعٍ زُهَاءٌ كأنَّهُ زُهَا اللَّيْلِ مَحْمُودُ النِّكايَةِ والرِّفْدِ

فقال له الفرزدق: لا تعودَنَّ فيها، فأنا أحقُّ بها منكَ، قال: والله لا أعودُ ولا أنشدها أبداً إلاَّ لك، فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها: [الطويل]

وكُنَّا إذا القَيْسِيُّ نَبَّ عَتُودُهُ ضَرَبْنَاهُ فَوْقَ الأُنْثَيَيْنِ على الكَرْدِ[٢]

ـ الأُنثيان: الأذنان. والكَرْد: العنُق ـ.

وروَى هذا الخبر حمَّاد عن أبيه، عن أبي عبيدة، عن الضحاك الفقيميّ قال: بينا أنَا بكاظمة وذو الرمّة يُنْشِدُ قصيدته التي يقول فيها:

أحِينَ أعاذَتْ بي تَمِيمٌ نساءَها

إذا راكبان قد تدلَّيا مَنْ نَقْب كاظمة مُقنَّعان فوقفا، فلما فرغ ذو الرمّة حسر الفرزدقُ عن وَجْهه وقال لراويته: يا عُبيد، اضمم إليك هذه الأبيات. قال له ذو الرمَّة: نشدتُك الله يا أبا فراس! فقال له: أنا أحقُّ بها منك، وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات.

---

(١) النضيح: جمع نُضُوح وأنْضِحة: رشاش الماء ونحوه يصيب الثوب.

(٢) العتود: الجدي القويّ.

[ذو الرمّة وهشام المرئي]

حدَّثنا محمد، قال: حدثنا أبو الغرّاف، قال: مَرّ ذو الرمّة بمنزل لامرىء القَيْس بن زيد منَاة يُقال له: مَرْأة، به نَخْل، فلم ينزلوه ولم يقروه، فقال: [الطويل]

نَـزَلْـنَـا وقـد طـالَ الـنَّـهـارُ وأوْقَـدَتْ ... علينا حَصَى المَعْزاءِ شَمْسٌ تَنالُها[١]
أَنَـخْـنـا فَـظُـلِّـلْـنـا بـأَبْـرَادِ يُـمْـنَـةٍ ... عِتـاقٍ وأسْيـافٍ قَـدِيـم صِـقـالُـهـا[٢]
فَـلَـمَّـا رآنـا أهْـلُ مَـرْأَةَ أغْـلَـقُـوا ... مَـخـادِعَ لـم تُـرْفَـعْ لِـخَـيْـرٍ ظِـلالُـهـا
وقد سُمِّيَتْ باسْمِ امْرِىء القَيْسِ قَرْيَةٌ ... كِـرامٌ صَـوَادِيـهـا لِـئـامٌ رِجـالُـهـا[٣]

فلجَّ الهجاءُ بين ذِي الرُّمة وبين هشام المرئيّ، فمرَّ الفرزدق بذي الرُّمة وهو ينشد:

صوت

[الطويل]

وَقَـفْـتُ عـلـى رَبْـعٍ لِـمَـيَّـةَ نـاقَـتِـي ... فـمـا زِلْـتُ أبْـكِـي عِـنْـدَهُ وأُخَـاطِـبُـهْ
وَأَسْـقِـيـهِ حَـتَّـى كَـادَ مـمـا أَبُـثُّـهُ ... تُـكَـلِّـمُـنِـي أحْـجَـارُه وَمَـلاَعِـبُـهْ

غنّى فيه إبراهيم ثاني ثقيل مُطلق في مجرى البنصر، وسيأتي خبره بعد، لئلا ينقطع هذا الخبر.

فقال له الفرزدق: ألهاك البكاء في الديار، والعبْدُ يرتجز بك في المقابر، يعني هشاماً.

وكان ذو الرُّمَّةِ مُستعْلِياً هشاماً حتى لقي جَرِيرٌ هشاماً، فقال: غلبك العبدُ، يعني ذا الرمّة، قال: فما أصْنَع يا أبا حَزْرَة، وأنا راجز وهو يُقَصِّدُ، والرَّجَزُ لا يقوم للقَصيد في الهِجَاء؟ ولو رَفَدْتَني[٤]، فقال جرير - لتُهمَتِه ذا الرُّمَّة بالميل إلى الفرزدق - : قل له: [الطويل]

غَـضِـبْـتُ لِـرَجْـلٍ مِـنْ عَـدِيٍّ تَـشَـمَّـسُـوا ... وفـي أيِّ يَـوْمٍ لَـمْ تَـشَـمَّـسْ رجـالُـهـا

(١) المعزاء: الأرض الصلبة الكثيرة الحصى.
(٢) اليمنة: ضرب من برود اليمن.
(٣) الصوادي: جمع صادية: وهي النخل التي بلغت عروقها الماء وطالت. فهي لا تحتاج إلى سقي.
(٤) رفدتني: أعنتني.

وفِيمَ عَديٌّ عندَ تَيْم من العُلاَ | وأيامُنا اللاتي تُعَدُّ فَعَالُها
وَضَبَّةُ عَمِّي يابْنَ جُلٍّ فلا تَرُمْ | مَسَاعِيَ قَوْمٍ ليسَ منكَ سِجالُها[1]
يُمَاشِي عَدِيّاً لُؤمُها، لا تُجِنُّهُ | منَ النّاسِ ما مَسَّتْ عَدِيّاً ظِلالُها
فَقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعِنْ بنسائِها | عليَّ فَقَدْ أعْيا عَدِيّاً رِجالُها
أذا الرُّمِّ قد قَلَّدْتَ قَوْمَكَ رُمَّةً | بَطِيئاً بأَمْرِ المُطْلقين انحلالُها

قال أبو عبد الله: فحدثني أبو الغَرَّاف، قال: لمّا بلغت الأبياتُ ذا الرُّمة قال: والله ما هذا بكلام هشام، ولكنه كلامُ ابن الأتان[2].

أخبرنا أبو خليفة، قال: حدثنا ابن سلاّم، قال: وحدثني أبو البَيْدَاء قال: لما سمعها قال: هوَ والله يتتمي شِعْرَ حنظليٍّ عُذريّ، وغلب هشام على ذي الرمّة بها.

نسخت من كتاب ابن النطّاح: حدثني أبو عبيدة، قال: حدثني فلان المرئيّ، قال: أتانا جرير على حمار، وأنا لا أعرفه، فأُتي بنبيذ فشرب، فلما أخذ فيه قال: أين هشام؟ فدُعِي، فقال له: أنشدني ما قلتَ في ذي الرمّة، فأنشده، فجعل كلما أنشده قصيدةً قال: لم تصنع شيئاً، ثم قال له: قد دَنَا رَوَاحِي فارْدُدْ هذه الأبيات ومُر شُبّانكم برِوَايتها، وذكر الأبيات التي أولها قوله:

غَضِبْتَ لرَجْلٍ مِنْ تَمِيمٍ تَشَمَّسُوا

[ذو الرمّة يعاتب جريراً]

قال: فغلبه هشام بها، فلما كان بعد ذلك لقي ذو الرمّة جريراً فقال: تعصَّبتَ على خالك للمرئيّ. فقال جرير: حيث فعلتُ ماذا؟ قال: حين تقولُ للمرئيّ كذا وكذا، فقال جرير: لأنك ألهاكَ البكاءُ في دار ميّة حتى استقبَحتُه محارمك.

قال: وقول ذِي الرمَّة: تعصَّبْتَ على خالك، أنّ النَّوار بنت جُلّ أُمّ حَنْظَلة بن مالك، وهي من رَهْط ذي الرمّة، وكذلك عنى جرير بقوله: [الوافر]

وَلَوْلا أنْ تَقُولَ بَنُو عَدِيٍّ | أَلَمْ تَكُ أُمَّ حَنْظَلَةَ النَّوارُ
أتتْكُمْ يا بَنِي مِلْكانَ مِنّي | قَصائِدُ لا تعاوَرُها البِحارُ

---

(١) بنو جلّ بن عديّ بن عبد مناة بن ود. والسِجال: المساجلة والمباراة والمفاخرة.
(٢) ابن الأتان: يعني جريراً.

فقال ذو الرمّة: لا، ولكن اتهمْتَني بالمَيْل مع الفرزدق عليك، قال: كذلك هو، قال: فوالله ما فعلتُ، وحلف له بما يُرضيه، قال: فأنشدني ما هجوتَ به المرئيّ، فأنشده قوله: [الوافر]

نَبَتْ عَيْنَاكَ عن طَلَلٍ بِحُزْوَى ... عَفَتْهُ الرِّيحُ وَامتَضَحَ القِطَارا[1]

فأطال جدّاً، فقال له جرير: ما صنعتَ شيئاً، أفأُرفدك؟ قال: نعم، قال: قل: [الوافر]

يَعُدُّ النّاسِبُون إلى تَمِيم ... بُيوتَ المَجْدِ أربعةً كبارا
يَعُدُّون الرِّبابَ وآلَ سَعْدٍ ... وعَمْراً ثم حَنْظَلَةَ الخِيارا
وَيَهْلِكُ بَيْنَها المَرَئيُّ لَغْواً ... كما أُلْغَيْتَ في الدِّيَةِ الحُوَارا[2]

ويروى: ويذهب بينها. فغلبه ذو الرمّة بها.

قال: حدثني محمد بن عمر الجرجانيّ، قال: حدثني جماعة من أهل العلم أنَّ ذا الرُّمَّة مرّ بالفرزدق فقال له: أنشدني أحْدَث ما قلت في المرئيّ، فأنشده هذه الأبيات، فأطرق الفرزدق ساعة، ثم قال: أعِد، فأعاد، فقال. كذبت وايم الله، ما هذا لك، ولقد قاله أشدُّ لَحْيَينِ منك، وما هذا إلاّ شعرُ ابن الأتان.

فلما سمعها المرئيّ جعل يلطم رَأْسَه، ويصرخ ويَدعو بِوَيْله، ويقول: قتلني جرير، قتله الله! هذا والله شعره الذي لو نقطت منه نقطةٌ في البحر لكدّرته، قتلَني، وفضحَني.

فلما استعلَى ذو الرُّمَّة على هشام أتَى هشامٌ وقومُه جريراً فقالوا: يا أبا حَزْرة، عادتُك الحسنى، فقال: هيهات، ظلمتُ أخوالي، قد أتاني ذو الرمّة، فاعتذر إليّ، وحَلف فلستُ أُعِينُ عليهم.

فلما يئسوا من عنده أتوا لهذا المُكاتَب وقد طلع بمكاتبته، فأعطوه عشرة أعنز، وأعانوه على مكاتبته، فقال أبياتاً عَيْنيّة يفضّل فيها بني امرىء القيس على بني

(١) حُزوى: موضع بنجد في ديار تميم، وقيل غير ذلك. (انظر معجم البلدان ٢/ ٢٥٥) ومضح عرضه: شانه.

(٢) الحُوار: ولد الناقة قبل أن يفصل عنها.

عديّ، وهشاماً على ذي الرّمة، ومات ذو الرمّة في تلك الأيام، فقال الناس: غَلَبه هشام.

قال ابنُ النّطاح: إنما مات ذو الرُّمَّة بعقب إرفاد جرير إيّاه على المرئيّ، فقال الناس: غلبه، ولم يغلبه؛ إنما مات قبل الجواب.

أخبرني اليزيديّ، عن محمد بن الحسن الأحول، عن بعض أصحابه، عن الشَّبْو بن قُسيم العُذْريّ، قال: سمعتُ ذا الرمّة يقول: مِنْ شعري ما طاوعني فيه القولُ وساعدني، ومنه ما أجهدْتُ نفسي فيه، ومنه ما جُننت به جُنوناً؛ فأما ما طاوعني القول فيه فقولي:

خَلِيلَيَّ عُوجا مِنْ صُدورِ الرَّواحِلِ

وأما ما أجهدتُ نفسي فيه فقولي:

أأنْ تَوَسَّمْتَ من خَرْقاءَ مَنْزِلَةً

أما ما جُننت به جنوناً فقولي:

ما بالُ عَيْنِكَ منها الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ

أخبرني عليُّ بن سليمان، عن محمد بن يزيد، عن عمارة بن عقيل، قال: كانَ جرِير يقول: ما أحببتُ أن يُنسب إليّ مِن شعر ذي الرُّمَّة إلا قوله:

ما بَالُ عَيْنِكَ مِنها الماءُ يَنْسَكِبُ

فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: قال حمّاد[1] الراوية: ما تمم ذو الرمَّة قصيدته التي يقول فيها:

ما بالُ عَيْنكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ

حتى مات، كان يَزِيد فيها منذ قالها حتى تُوفّي.

(١) حمّاد: هو حمّاد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم، أول من لقّب بالراوية. كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأنسابها ولغاتها. (توفي سنة ١٥٥ هـ) وترجمته في: (تهذيب ابن عساكر ٤/ ٤٢٧).

[ذو الرمَّة في سوق المربد مع الخياط]

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حمّاد، عن أبي عدنان، قال: أخبرنا جابر بن عبد اللّه بن جامع بن جرموز الباهليّ، عن كثيِّر بن ناجية، قال: بينا ذو الرمَّة ينشد بالمِرْبَد[1] والناسُ مجتمعون إليه، إذا هو بخيّاط يطالعُه، ويقول: يا غيلان **[الطويل]**

أأنْتَ الَّذِي تَسْتَنْطِقُ الدّارَ واقفاً ... مِنَ الجَهْلِ هَلْ كانَتْ بِكُنَّ حُلولُ؟

فقام ذو الرمّة وفكّر زماناً، ثم عاد فقعد في المِرْبد ينشد، فإذا الخياط قد وقف عليه، ثم قال: **[الطويل]**

أأنْتَ الَّذِي شبَّهت عَنْزاً بِقَفْرَةٍ ... لها ذَنَبٌ فَوْقَ اسْتِها أُمّ سالمِ؟
وَقَرْنانِ إمَّا يَلْزَقا بِكَ يَتْرُكا ... بجَنْبَيْك يَا غيلاَنُ مِثلَ المَواسِمِ
جَعَلْتَ لها قَرْنَيْنِ فَوْقَ شَوَاتِها ... وَرَابَكَ مِنْها مَشْقَةٌ في القَوَائِمِ[2]

فقام ذو الرمَّة فذهب، ولم يُنشد بعدها في المِرْبد حتى مات الخياط. قال: وأراد الخياط بقوله هذا قولَ ذي الرمَّة: **[الطويل]**

أقولُ لِدَهْناوِيّةٍ عَوْهَجٍ جَرَتْ ... لَنَا بَيْنَ أعْلَى بُرقَةٍ في الصَّرائمِ
أيا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلاَجلٍ ... وَبينَ النَّقَا آأنْتِ أم أُمُّ سالِمِ؟
هي الشِّبْهُ لَوْلا مِدْرياها وأذْنها ... سواء وإلاَّ مشْقَةٌ في القَوَائم

فانتبه ذو الرُّمة لذلك، فقال: **[الطويل]**

أقُولُ بِذِي الأرْطَى عَشِيَّةَ أرْشَقَتْ ... إلى الرَّكْبِ أعْناقُ الظِّباءِ الخَواذِلِ[3]
لأدماءَ مِنْ آرام بينَ سُوَيْقَةٍ ... وَبَيْنَ الجِبالِ العُفْرِ ذاتِ السَّلاَسِلِ[4]
أرى فِيكِ مِنْ خَرْقاءَ يا ظَبْيَةَ اللِّوَى ... مَشابِهَ جُنِّبْتِ اعْتلاقَ الحَبائِلِ

(١) المربد: من أشهر محالّ البصرة، به كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء. (معجم البلدان ٥/ ٩٨).

(٢) الشواة: قحف الرأس.

(٣) ذو الأرْطَى: ويقال أراط أيضاً: وهو ماء على ستة أميال من الهاشمية. (معجم البلدان ١/ ١٣٤). وخذلت الظَّبية: تخلفت عن صواحبها وانفردت.

(٤) آرام: اسم علم لجبل من جبال جِسْمَى من ديار جذام. وإرَم: بالكسر والفتح: حجارة تُنصب في المفازة علماً. (معجم البلدان ١/ ١٥٤) والسويقة: اسم لعدة مواضع (انظر معجم البلدان ٣/ ٢٨٨). والجبال: يعني جبال الرمل. والعفر: الحمر. والسلاسل من الرمل: ما تعقد منه.

فعيناكِ عيناها وجِيدُك جِيدُها ... وَلَوْنُكِ لَوْلا أنَّها غَيْرُ عاطِلِ[1]

في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكريّ، عن يعقوب بن السكّيت، عن محمد بن سلاّم، عن أبي الغرّاف، قال: قال ذو الرمَّة لرؤبة: ما عَنَى الراعي بقوله: [الطويل]

أناخا بأَسْوَإِ الظَّنّ ثُمَّتَ عرَّسَا ... قَلِيلاً وَقَدْ أبْقَى سُهَيْلٌ فعَرَّدا[2]

فجعل رُؤبة يقول: هي كذا هي كذا، لأشياء لا يقبلها ذو الرمّة، فقال له: رؤبة: فمهْ؟ وَيْحَك! قال: هي الأرض بين المُكلئة وبين المُجْدِبة.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبي عَدْنان، عن إبراهيم بن نافع أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره، فقال له: مَنْ أشعر الناس؟ قال أنا، قال: أفتعلم أحداً أشعر منك؟ قال: لا، إلاّ أن غلاماً من بني عديّ بن كعب يركبُ أعجازَ الإبل، وينعت الفَلَوات. ثم أتاه جرير فسأله، فقال له مثل ذلك. ثم أتاه ذو الرمَّة فقال له: ويحك! أنتَ أشعر الناس، قال: لا، ولكنْ غلام من بني عقيل يُقال له مُزاحم يسكن الرَّوضات يقول وحشيّاً من الشعر لا نقدر على أن نقول مثله.

قال: وكان ذو الرمَّة يتشبّب بميّ بنت طُلبَة بن قيس بن عاصم المنقريّ، وكانت كثيرةُ أمةٌ مُولّدة لآل قيس بن عاصم، وهي أم سَهْم بن بُرْدة اللص الذي قتله سِنَان بن مُخَيَّس القشيريّ أيام محمد بن سليمان، فقالت كثيرة: [الطويل]

عَلى وَجْه مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلاَحَةٍ ... وَتَحْتَ الثِّيابِ الخِزْيُ لو كانَ بَادِيا

ألم تَرَ أنَّ الماءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ ... ولو كانَ لَوْنُ الماءِ في العَيْنِ صَافيا

ونحلتْها ذا الرّمة، فامتعض من ذلك، وحلف بجهد أيمانه ما قالها. قال: وكيف أقول هذا وقد قطعتُ دَهْري، وأفنيتُ شبابي أُشبِّب بها وأمْدَحُها، ثم أقول هذا! ثم اطَّلع على أنَّ كثيرة قالتهما، ونحلتهما إياه.

---

(١) العاطِل: التي لا حلي عليها.

(٢) عرّد: طلع وارتفع.

[أخباره وشعره مع ميّة]

وقال هارون بن محمد: حدثني عبد الرحمن بن عَبْد اللّه، قال: حدثني هارون بن سعيد، قال: حدثني أبو المسافر الفقعسيّ، عن أبي بكر بن جَبَلة الفقعسيّ، قال: وقف ذو الرمَّة في رَكْبٍ معه على مَيّة، فسلّموا عليها، فقالت: وعليكم إلاّ ذا الرمَّة، فأحفظه ذلك وغمَّه ما سمع منها بحضرة القوم؛ فغضب وانصرف وهو يقول: [الطويل]

أيا مَيَّ قد أشْمَتِّ بي وَيْحَكِ العِدَا … وَقَطَّعْتِ حَبْلاً كانَ يا مَيَّ باقِيا
فيا مَيَّ لا مَرْجُوعَ لِلْوَصْلِ بَيْنَنَا … وَلٰكِنَّ هَجْراً بَيْنَنا وتَقالِيا
أَلَمْ تَرَ أنَّ الماءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ … وإنْ كانَ لَوْنُ الماءِ في العَيْنِ صافِيا

أخبرني الحسن بن عليّ الأدميّ، عن ابن مَهْرُويه، عن ابن النطّاح، عن محمد بن الحجاج الأسيديِّ من بني أسيد بن عمرو بن تميم، قال: مررتُ على ميّة وقد أسنّت، فوقفت عليها وأنا يومئذ شابّ فقلت: يا ميّة؛ ما أرى ذا الرمَّة إلاّ قد ضيّع فيك قوله حيث يقول:

صوت

[الطويل]

أَما أَنْتَ عن ذِكراكَ مَيَّةَ مُقْصِرُ … ولا أنْت ناسِي العَهْدِ منها فَتَذْكُرُ
تَهِيمُ بها ما تَسْتَفِيقُ ودُونَها … حِجابٌ وأَبْوابٌ وَسِتْرٌ مُسَتَّرُ

قال: فضحكت وقالت: رأيتَنِي يابنَ أخي وقد ولّيتُ وذهبَتْ محاسني، ويرحم الله غَيْلان؛ فلقد قال هذا فيَّ وأنا أَحسَنُ من النارِ الموقدة في الليلة القَرَّة في عَيْن المقرور، ولن تبرحَ حتى أُقيمَ عندك عُذره، ثم صاحت: يا أسماء، اخرجي؛ فخرجت جاريةٌ كالمَهَاةِ ما رأيتُ مثلها، فقالت: أمَا لمن شبّب بهذه وهويَها عُذر؟ فقلت: بلى، فقالت: والله لقد كنت أزمان كنتُ مثلها أحسنَ منها، ولو رأيتني يومئذ لازْدَرَيْتَ هذه ازدراءك إياي اليوم، انصرف راشداً.

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبرني أبو خليفة، قال: قال محمد بن سلام: قال أبو سوَّار الغنويّ: رأيت مَيّة وإذا معها بَنُون لها صغار، فقلت: صِفْها لي، فقال: مسنونةُ الوجه، طويلة

الخد، شمّاء الأنف، عليها وَسْم جمال، فقالت: ما تلقَّيْتُ[١] بأحدٍ من بَنِيَّ هؤلاء إلاّ في الإبل، قلت: أفكانت تنشدك شيئاً مما قاله ذو الرمّة فيها؟ قال: نعم، كانت تسحّ سحّاً، ما رأى أبوك مثله.

فأمّا ابن قتيبة فقال في خبره: مكثت ميَّة زماناً لا ترى ذا الرمّة وهي تسمع مع ذلك شِعْرَه، فجعلت لله عليها أنْ تنحرَ بدَنة يوم تراه، فلما رأته رجلاً دميماً أسود، وكانت من أجمل الناس قالت: وا سوأتاه، وا بؤساه وا ضيعة بدَنتاه! فقال ذو الرمَّة: [الطويل]

عـلـى وَجْـه مَـيٍّ مَـسْـحَـةٌ من مَـلاحَـةٍ وَتَحْتَ الثِّيابِ الشَّيْنُ لو كانَ بادِيا[٢]

قال: فكشفت ثوبَها عن جسدها، ثم قالت: أشيناً ترى لا أُمّ لك! فقال:

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الـمـاءَ يَـخْـبُـثُ طَـعْـمُـهُ وَإِنْ كـانَ لَـوْنُ الـمـاءِ أبـيـضَ صـافـيـا

فقالت: أمّا ما تحت الثياب فقد رأيتَه وعلمتَ أن لا شينَ فيه، ولم يبق إلا أنْ أقول لك: هلمَّ، حتى تذوق ما وراءه، ووالله لا ذقْتَ ذاك أبداً، فقال:

فيا ضَيْعَةَ الشِّعْرِ الَّذِي لَجَّ فَانْقَضَى بِـمَـيَّ وَلَـمْ أمْـلِـكْ ضَـلالَ فُـؤادِيـا

قال: ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك، فعاد لما كان عليه من حُبِّها.

وذكر محمد بن عليّ بن حَفْص الجُبَيريّ الحنفيّ ـ من ولد أبي جُبيرة ـ أنَّ النَّوار بنت عاصم المنقرية ـ وأمّها ميّة صاحبة ذي الرمَّة ـ أخبرته، وقد ذكر عندها ذا الرمّة، وأنشدها قوله في أمها: [الطويل]

هي البُرْءُ والأسْقامُ وَالهَمُّ وَالمُنَى وَموتُ الهَوَى في القَلْبِ مِنِّي المُبَرِّحُ
وكان الهَوَى بالنأي يُمْحَى فيمَّحي وحُبُّكِ عندي يَستَجِدُّ ويربح

يربح، أي يزيد الربح. هكذا ذكره الأصمعيّ.

إذا غَيَّرَ النَّأيُ المُحِبِّينَ لم أجِدْ رَسِيسَ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[٣]

فلما سمعت قوله:

---

(١) تلقّت المرأة: حبلت.

(٢) الشَّيْنُ: الخزي.

(٣) رسّ الهوى ورسيسه: بقيته وآثاره.

إذا غَـيَّـرَ الـنَّـأيُ الـمُـحِـبِّـيـن...

قالت: قبَّحه الله، هو الذي يقول أيضاً: [الطويل]

عـلـى وَجْـهِ مَـيٍّ مَـسْـحَـةٌ مِـنْ مَـلاحَـةٍ ... وتـحـتَ الـثيـابِ الـشَّـيْـنُ لـو كـانَ بـادِيـا

فقلت لها: أكانت ميَّة جَدتك؟ قالت: لا، بل أُمِّي، فقلت لها: كم تَعُدِّين؟ قالت: ستين سنة.

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حمّاد: قرأتُ على أبي، عن محمد بن سلام، قال: كانت ميّ صاحبة ذي الرمَّة من وَلد طلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ، وكانت لها بنت عم من ولد قيس يقال لها: كثيرة أُم سلهمة، فقالت على لسان ذي الرمَّة:

عَـلـى وَجْـهِ مَـيٍّ مَـسْـحَـةٌ مـن مَـلاَحَـةٍ

الأبيات. فكان ذو الرمَّة إذا ذُكر له ذلك يمتعض منه، ويحلفُ أنه ما قالها قطّ.

أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي الغرّاف الضبيّ بمثله، وقال فيه: إن كثيرة مولاة لهم، وهي أُمّ سلهمة اللص الذي قتلته خَيْلُ محمد بن سليمان، والله أعلم.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب المهلبيّ، عن ابن شبَّة، عن المدائنيّ، عن سلمة عن محارب، قال: كان ذو الرمّة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك، فقيل له: كيف تقول: عُزَير ابن الله أو عزير بن الله؟ فقال: أكثرهما حروفاً.

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب، عن عبد اللّه بن مسلم، قال: قال عيسى بن عمر: قال لي ذو الرمّة: ارفع هذا الحَرْفَ، فقلتُ له: أتكتب؟ فقال بيده[(١)] على فيه: اكتم عليّ فإنه عندنا عَيْب.

أخبرني ابْنُ دُريد، عن أبي حاتم، عن الأصمعيّ، عن محمد بن أبي بكر المخزوميّ، قال: قال رؤبة: كلما قلتُ شعراً سرقه ذو الرمّة، فقيل له: وما ذاك؟ قال: قلت:

---

(١) قال بيده على فيه: أي أشار بيده إلى فيه.

حَـيُّ الـشَّـهِـيـقِ مَـيِّـتُ الأنْـفـاسِ

فقال هو: [الرجز]

يَـطْـرَحْـنَ بـالـمـهـارقِ الأَغْـفـالِ كُـلَّ جَـهِـيـضٍ لَـثِـقِ الـسِّـرْبـالِ[١]

حَـيِّ الـشَّـهِـيـقِ مَـيِّـتِ الأوْصـالِ

فقلت له: فقوله واللَّهِ أجودُ من قولك، وإن كان سرقه منك، فقال: ذلك أغمّ لي.

أخبرني ابن عبد العزيز عن ابن شبّة قال: قيل لذي الرمّة: إنما أنت راوية الراعي. فقال: أما والله لئن قيل ذاك ما مَثَلي ومَثَله إلاَّ شابٌّ صحِب شيخاً، فسلك به طرقاً ثم فارقه، فسلك الشابُّ بعده شعاباً[٢] وأودية لم يسلكها الشيخ قطّ.

أخبرني محمد بن أحمد بن الطَّلاَّس، عن الخراز عن المدائنيّ، وأخبرني به إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، عن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، دخل حديثُ بعضِهم في حديث بعض قال: إنما وضع من ذي الرمَّة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح، وقد مدح بلال بن أبي بردة[٣] فقال:

رَأَيْـتُ الـنَّـاسَ يَـنْـتَـجِـعُـون غَـيْـثاً فَـقُـلْـتُ لِـصَـيْـدحَ: انـتَـجِـعِـي بِـلالاَ

فلما أنشده قال له: أو لم ينتجعني غير صَيْدح؟ يا غلام، أعْطِهِ حَبْلَ قَتٍّ[٤] لصَيْدَح، فأخجله.

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم قال: حدثني أبو الغرّاف قال: عاب الحكم بن عَوانة الكلبيّ ذا الرمَّة في بعض قوله فقال فيه: [الطويل]

فَلَوْ كُنْتَ مِنْ كَلْبٍ صَمِيماً هَجَوْتُكُمْ جَـمِـيـعـاً وَلْـكِـنْ لا إخـالُـكَ مِـنْ كَـلْـبِ

(١) المهارق: الصحف. والأغفال: اللواتي لا علم بها. الجهيض: الولد السِّقط الذي لم يتم خلقه. والسِّربال: أي جلده.

(٢) الشعاب: جمع شعب. وهو الطريق في الجبل.

(٣) هو بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري. كان راوية فصيحاً أديباً. (توفي سنة ١٢٦ هـ) وترجمته في: (تهذيب التهذيب ١/ ٥٠٠ وجمهرة الأنساب لابن حزم ٢٧٣).

(٤) القتّ: نوع من العلف اليابس.

وَلَـكِـنَّـمَـا أُخْـبِـرْتُ أَنَّـكَ مُـلْـصَـقٌ كما أُلصِقَتْ مِنْ غَيْرِها ثُلْمَةُ القَعْبِ[١]
تَدَهْـدَى فَخَـرَّتْ ثُـلْـمَـةٌ مِـنْ صَـمِـيـمِهِ فَكَيْفَ بأُخْرَى بالغِراءِ وَبالشَّعْبِ

[أخباره مع بلال بن أبي بردة]

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم قال: وحدثني أبو الغرّاف قال: دخل ذو الرمّة على بلال بن أبي بُردة، وكان بلال راويةً فصيحاً أديباً، فأنشده بلال أبياتَ حاتم طيِّء قال: [الطويل]

لَحَى اللَّهُ صُعْلُوكاً مُناهُ وَهَمُّهُ مِنَ العَيْشِ أنْ يَلْقَى لَبُوساً ومَطْعَما
يَرَى الخِمْسَ تَعْذِيباً وإنْ نالَ شَبْعَةً يَبِتْ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّة الهَمِّ مُبْهَما

هكذا أنشد بلال، فقال ذو الرمَّة: يرى الخَمْص تعذيباً، وإنما الخِمْسُ للإبل، وإنما هو خَمْص[٢] البطن، فمحكَ[٣] بلال ـ وكان مَحِكاً ـ وقال: هكذا أنشدنيه رُوَاة طيِّء، فردّ عليه ذو الرمَّة، فضحك، ودخل أبو عمرو بن العلاء، فقال له بلال: كيف تنشدهما؟ وعرف أبو عمرو الذي به فقال: كِلاَ الوَجْهَيْنِ جائز، فقال: أتأخذون عن ذي الرمَّة؟ فقال: إنه لفصيح وإنا لنَأْخذُ عنه بتمريضٍ. وخرجا من عنده، فقال ذو الرمَّة لأبي عَمْرو: واللَّهِ لولا أني أعلم أنك حطبْتَ في حَبْلِه وملت مع هواه لهجوتُك هِجاءً لا يقعُد إليك اثنان بعده.

نسختُ من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني هارون بن محمد الزيّات، قال: حدثني حمّاد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل، قال: قيل لبلال بن جرير: أيّ شعر ذي الرمّة أجود؟ فقال:

هَـلْ حَـبْـلُ خَـرْقـاءَ بَـعْـدَ الـيَـوْمِ مَـرْمُـومُ

إنها مدينة الشعر.

حدثنا أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: كان ذو الرمَّة من جرير والفرزدق بمنزلة قَتادة من الحسن وابن سيرين، كان يَرْوِي عنهما ويروي عن الصحابة، وكذلك ذو الرمّة، هو دونَهما ويساويهما في بَعْضِ شعره.

(١) المُلصق: الدعيّ. وثلمة الإناء: موضع الكسر من شفته. والقعب: القدح.
(٢) خمص البطن: ضامره.
(٣) محك: نازع في الكلام وتمادى في اللجاجة.

أخبرني الجوهريّ قال: حدثنا ابن شبّة، عن ابن معاوية، قال: قال حمّاد الراوية: قدم علينا ذو الرمَّة الكوفة فلم نَرَ أحسنَ ولا أفصحَ ولا أعلم بغريبٍ منه؛ فغمَّ ذلك كثيراً من أهل المدينة، فصنعوا له أبياتاً وهي قوله: [الطويل]

رَأى جَمَلاً يَوْماً ولم يَكُ قَبْلَها مِنَ الدَّهْرِ يَدْرِي، كيفَ خَلْقُ الأباعِرِ
فقالَ: شظايا مَعْ ظبايا ألا لنا وَأَجْفَلَ إجفالَ الظَّلِيمِ المُبادِرِ[1]
فَقُلْتُ لَهُ: لا ذَهْلَ مِلْكَيْل بعدَ ما مَلا نَيْفَق التُّبَّانِ مَنهُ بعاذر

قال: فاستعادها مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: ما أحسب هذا من كلام العرب.

أخبرني أبو الحسن الأسديّ، عن العباس بن ميمون طائع، قال: حدثنا أبو عثمان المازنيّ، عن الأصمعيّ، عن عنبسة النحويّ، قال: قلت لذي الرمّة وسمِعْتُه ينشد ويقول: [الطويل]

وَعَيْنانِ قالَ الله كُونا فكانَتا فَعُولَيْنِ بالألْبَابِ ما تَفْعَلُ الخَمْرُ

قال: فقلت له: فهلاّ قلتَ: فَعُولان؟ فقال: لو قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كان خيراً لك؛ أي أنك أردْتَ القدر، وأراد ذو الرمّة كونا فعولين بالألباب، وأراد عنبسة: وعينان فَعولان.

وروى هذا الخبرَ ابنُ الزيَّات، عن محمد بن عبادة، عن الأصمعيّ، عن العلاء بن أسلم، فذكر مِثلَه. وحكي أن إسحاقَ بن سُوَيد المعارِضَ له قال: وأخبرني الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد النحويّ، قال: حدثني عبد الصمد بن المعذَّل قال: حدثني أبي، عن أبيه قال: قدم ذو الرمّة الكوفة فوقف يُنشِد الناس بالكُناسة[2] قصيدتَه الحائيّة، حتى أتى على قوله: [الطويل]

إذا غَيَّر النَّأيُ المُحِبِّينَ لم يَكَدْ رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

فناداه ابنُ شُبْرُمة: يا غَيْلان، أراهُ قد برَّح. فشنق[3] ناقته، وجعل يتأخّر بها ويفكر. ثم عاد فأنشد قوله:

إذا غَيَّرَ النَّأيُ المُحِبِّينَ لم أجِدْ

(١) الظَّليم: ذكر النعام.
(٢) الكُناسة: محلة بالكوفة (انظر معجم البلدان ٤/ ٤٨١).
(٣) شنق البعير: كفه بزمامه حتى ألزق ذفراه بقادمة الرحل أو رفع رأسه وهو راكبه.

قال: فلما انصرفت حدّثتُ أبي، فقال: أخطأ ابن شُبْرُمة حين أنكر على ذي الرُّمّة ما أنشد، وأخطأ ذو الرُّمَّة حين غيّر شِعْرَه لقول ابن شُبْرُمة، إنما هذا مثل قول اللّهِ عز وجل: ﴿ظُلماتٌ بَعْضُها فوق بعض إذا أخرج يدَه لم يَكَدْ يَراها﴾[١] وإنما معناه لم يرها ولم يكد.

أخبرني الجوهريّ، عن ابن شُبرمة، عن يحيى بن نجيم قال: قال رؤبة لبلال بن أبي بُردة: علام تعطي ذا الرمَّة؟ فوالله إنه ليَعْمِد إلى مقطّعاتنا[٢] فيصلها فيمدحك بها، فقال: والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبّة: حدثنا إسحاق الموصليّ، عن الأصمعيّ، قال: قال رجل: رأيت ذا الرمّة بمِربَد البصرة وعليه جماعة مُجتَمعة وهو قائم، وعليه بُرْد قيمته مائتا دينار، وهو ينشد ودموعُه تجري على لحيته:

ما بالُ عَيْنِك منها الماءُ يَنْسَكِبُ

فلما انتهى إلى قوله: [البسيط]

حتى إذا ما اسْتَوى في غرْزِها تَثِبُ ... تُصْغِي إذَا شَدَّها بالكُورِ جانِحَةً[٣]

قلتُ: يا أخا بني تميم، ما هكذا قال عَمُّك، قال: وأيّ أعمامي يرحمك الله؟ قلتُ: الراعي، قال: وما قال؟ قلت: قوله: [المتقارب]

ولا تُعْجِلِ المَرْءَ قَبْلَ الوُرو ... كِ وَهْيَ بِرُكْبَتِهِ أبْصَرُ
وهِيَ إذَا قَامَ في غَرْزِها ... كَمِثْلِ السَّفِينَةِ إذ تُوقَرُ
ومُصْغِيَةٍ خَدَّها بالزِّما ... مِ فالرَّأس مِنْها لَهُ أصْعَرُ[٤]
حَتَّى إذا ما اسْتَوَى طَبَّقَتْ ... كَما طَبَّقَ المِسْحَلُ الأغْبَرُ[٥]

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.
(٢) المقطعات: الأراجيز القصيرة.
(٣) الكُور: الرّحل. والغرز: ركاب من جلد توضع فيه الرجل عند الركوب.
(٤) الأصعر: المائل.
(٥) المسحل: الحمار الوحشي.

قال: فأُرتج عليه ساعة، ثم قال: إنه نَعَتَ ناقةَ مَلِكٍ ونَعتُّ ناقة سُوقةٍ. فخرج منها على رؤوس الناس.

[أخباره مع خرقاء]

فأما السبَبُ بين ذي الرمّة وخرقاء فقد اختلف فيه الرواة فقيل: إنه كان يَهْواها، وقيل: بل كاد بها ميّة، وقيل: بل كانت كَحّالة فداوَت عينه فشبّب بها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن النوفليّ، عن أبيه: أن زوج ميّة أمرها أن تَسُبَّ ذا الرمّة غَيْرةً عليها فامتنعت، فتوعّدها بالقتل، فسبَّته فغضب، وشبّب بخرقاء العامريّة، يَكيدُ ميّة بذلك، فما قال فيها إلاّ قصيدتين أو ثلاثاً حتى مات.

أخبرني حبيب بن نصر، عن ابن شبَّة، عن العُتبيّ، عن هارون بن عتبة قال: شبّب ذو الرمّة بخرقاء العامرية بغير هَوًى؛ وإنما كانت كحّالة فداوَتْ عَيْنه من رمَد كان بها فزال، فقال لها: ما تحبّين حتى أُعطيك؟ فقالت: عشرة أبيات تشبّب بي؛ ليرغبَ الناس فيّ إذا سمعوا أنّ فيّ بقية للتشبيب، ففعل.

أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: كان ذو الرمّة شبّب بخَرْقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة، وكانت تحُلُّ فَلْجاً[١]، ويمرّ بها الحاجّ، فتقعد لهم وتحادثهم وتهادِيهم، وكانت تجلس معها فاطمة بنتها ـ فحدثني مَنْ رآهما ـ فلم تكن فاطمة مثلها، وكانت تقول: أنا مَنْسَكٌ من مَنَاسِك الحج؛ لقول ذي الرمّة فيها:

[الوافر]

تَمامُ الحَجِّ أنْ تقِفَ المَطايَا على خَرْقَاءَ واضِعَةَ اللِّثَامِ

قال ابن سلاّم في خبره: وأرسلت خرقاء إلى القُحَيْف العقيليّ[٢] تسأله أن يشبب بها فقال:

---

(١) فَلْجُ: اسم لعدة مواضع. (انظر معجم البلدان ٤/ ٢٧٢).

(٢) هو القحيف بن خمير بن سليم العقيلي: شاعر. عده الجمحي في الطبقة العاشرة من الإسلاميين (توفي سنة ١٣٠ هـ) وترجمته في: (جمهرة الأنساب ٤٢١، ٤٢٢ ونهاية الأرب ٣٢١).

صوت

[الوافر]

لقد أَرْسَلَتْ خَرْقاءُ نَحْوي جَرِيَّها لِتَجْعَلَني خَرْقاءُ فِيمن أضَلَّتِ[١]
وَخَرْقاءُ لا تزدادُ إلاّ مَلاحَةً وَلَوْ عُمِّرَتْ تَعْمِيرَ نُوحٍ وَجَلَّتِ

حدثني حبيبُ بن نصر، عن الزبير، عن موهوب بن رشيد عَمَّن حدثه، قال: نزل ركب بأبي خرقاء العامِريَّة، فأمر لهم بلبن فسُقُوه، وقصَّر عن شابّ منهم، فأعطته خرقاءُ صَبوحَها[٢] وهي لا تعرِفهُ، فشربه، ومضَوا فركبوا فقال لها أبوها: أتعرفين الرجلَ الذي سقيتِه صَبوحك؟ قالت: لا والله، قال: هو ذو الرمَّة القائل فيكِ الأقاويل، فوضعت يدَها على رأسها، وقالت: وا سوأتاه وا بُؤساه! ودخلت بيتها، فما رآها أبوها ثلاثاً.

حدثني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قتيبة قال: قال الضبيّ: كنتُ أنزل على بعض الأعراب إذا حجَجْتُ، فقال لي يوماً: هل لك إلى أن أُرِيكَ خَرْقاء صاحبة ذي الرمّة؟ فقلت: إن فعلتَ فقد بررت. فتوجهنا جميعاً نريدها. فَعَدَل بي عن الطريق قَدْر ميل، ثم أتينا أبيات شَعر، فاستفتح بيتاً ففتح له، وخرجت امرأةٌ طويلة حسنة بها قوّة، فسلّمَتْ وجلَستْ، فتحدثنا ساعة، ثم قالت لي: هل حججتَ قطّ؟ قلت: غير مرة. قالت: فما منعك من زِيارتي؟ أما علمت أنّي منْسَك من مناسك الحج؟ قلت: وكيف ذاك؟ قالت: أما سمعتَ قول ذي الرمَّة: [الوافر]

تَمامُ الحَجِّ أن تقِفَ المَطايا على خَرْقَاءَ واضِعَةَ اللِّثامِ

أخبرني وكيع، عن أبي أيوب المدائنيّ عن مصعب الزبيريّ، قال: شبَّب ذو الرمَّة بخرقاء ولها ثمانون سنة.

قال هارون بن الزيَّات: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم، عن محمد بن يعقوب، عن أبيه قال: رأيت خرقاء بالبصرة وقد ذهبت أسنانُها، وإنّ في ديباجة[٣] وجهها لبقيّة، فقلت: أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرّمة، فقالت: اجتاز بنا في رَكْبٍ ونحن عدّة جوارٍ على بعض المياه، فقال: أسفِرن، فسفرن

---

(١) جريّها: رسولها.
(٢) الصبوح: شراب الصباح.
(٣) ديباجة الوجه: حسن البشرة.

غَيري، فقال: لئن لم تُسْفِري لأفضَحنّك، فسفرت، فلم يزل يقول حتى أزيد، ثم لم أرَه بعد ذلك.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزّبير بن بكار قال: حدثني موهوب بن رشيد، قال: حدثني جدِّي، قال: كنتُ مع خرقاء ذي الرمّة إذ نزل ببابها ركب من بني تميم فأُمر لهم بلبن فسُقوه، وقصُر اللبن عن شاب منهم، فأمرت له خرقاء بغَبوقها[١]، فلما أن رحل عنهم الركب قال لها أبوها: يا خرقاء أتعرفين مَنْ سقيت غَبوقَك اليوم؟ قالت: لا والله ما أعرفه، قال: ذاك ذو الرمَّة، فوضَعت يدها على رأسها وقالت: وا سوأتاه! ودخلت خدرها.

قال الزبير: وحدثني عبد اللّه بن إبراهيم الجمحيّ، قال: حدثنا أبو الشّبل المعديّ قال: كانت خَرْقاء البَكائية أصْبحَ من القَبَس، وبَقِيَتْ بقاءً طويلاً حتى شَبَّب بها القُحَيف العقيليّ.

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ، عن أحمد بن سليمان، عن أبي شَيْخ، عن أبيه عن عليّ بن صالح بن سليمان عن صباح بن الهذيل أخي زُفَر بن الهذيل، قال: خرجتُ أريدُ الحجّ، فمررتُ بالمنزل الذي تنزله خرقاء، فأتيتُها، فإذا امرأة جَزْلة، عندها سماطان[٢] من الأعراب تحدّثهم وتُنَاشدُهم، فسلّمتُ فردّتْ، ونَسَبَتْنِي، فانتسبتُ لها وهي تُنزِلني، حتى انتسبت إلى أبي، فقالت: حسبك أكرمتَ ما شئت، ما اسمك؟ قلت: صباح، قالت: وأبُو من؟ قلت: أبو المُغلِّس، قالت: أخذت أول الليل وآخره، قال: فما كان لي هِمَّة إلاّ الذّهاب عنها.

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطّاح: حدثني محمد بن الحجاج الأسديّ التميميّ - وما رأيت تميمياً أعلم منه - قال: حججتُ فلما صرت بمُرَّان[٣] منصرفاً، فإذا أنا بغلام أشعث الذُّؤابة قد أورد غُنَيْمات له فجئته فاستنشدتُه، فقال لي: إليك عنّي، فإني مشغول عنك. وألححتُ عليه فقال: أُرشدك إلى بعض ما تحبّ، انظر إلى ذلك البيت الذي يَلْقَاكَ فإن فيه حاجتك، هذا بيت خرقاء ذي الرمّة؛ فمضيتُ نحوه فطوّحت بالسلام من بعيد، فقالت: ادْنُه، فدنوت، فقالت:

---

(١) الغبوق: شراب العشي، وهو خلاف الصبوح.
(٢) السماط: الصف.
(٣) مَرّان: هو على أربع مراحل من مكة إلى البصرة، وقيل غير ذلك. (انظر معجم البلدان ٥/ ٩٥).

إنك لحضريّ، فمن أنت؟ قلت: من بني تميم ـ وأنا أحسب أنها لا معرفةَ لها بالناس ـ قالت: مِن أيّ تميم، فأعلمتُها، فلم تزل تنزلني حتى انتسبتُ إلى أبي، فقالت: الحجاجُ بن عُمَيرِ بن يزيد؟ قلت: نعم، قالت: رحم الله أبا المثنّى! قد كنَّا نَرْجُو أن يكونَ خلفاً من عمير بن يزيد، قلت: نعم، فعاجَلَتْه المنيَّةُ شابًّا، قالت: حيَّاك الله يا بنيّ وقرَّبَك، مِنْ أين أقبلت؟ قلتُ: من الحج. قالت: فما لكَ لم تمرّ بي وأنا أحَدُ مناسك الحج؟ إنَّ حجَّك ناقص، فأقم حتى تحجّ أو تكفِّر بعِتْق. قلت: وكيف ذلك؟ قالت: أما سمعتَ قول غَيْلان عمِّك: [الوافر]

تَـمَـامُ الـحَـجِّ أنْ تـقِـفَ الـمَـطَـايَـا ... عـلـى خَـرْقَـاءَ واضِـعَـةَ الـلِّـثـامِ

قال: وكانت وهي قاعدة بفناء البيت كأنها قائمةٌ من طولها، بَيْضاء شهلاء، فخمة الوجه. قال: فسألتُها عن سنّها، فقالت: لا أدري إلاّ أني كنْتُ أذكر شَمِر بن ذي الجَوْشن حين قتل الحُسينَ عليه السلام، مرّ بنا وأنا جاريةٌ ومعه كسوة فقسَّمها في قومه، قالت: وكان أبي قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حَمالات[1]، قال: ولما أنشدتني خرقاء بَيتَ ذي الرّمة فيها قلت: هيهات يا عمّة، قد ذهب ذلك منك، قالت: لا تقل يا بنيّ، أما سمعتَ قول قُحَيف فيّ: [الطويل]

وخَـرْقـاء لا تَـزْدادُ إلاَّ مـلاحَـةً ... وَلَـوْ عُـمِّـرَتْ تَـعْـمِـيرَ نُـوحٍ وَجَـلَّـتِ

ثم قالت: رحم الله ذا الرمَّة؛ فقد كان رَقِيقَ البَشرة، عَذْبَ المنطِق، حَسَن الوصف، مُقارِبَ الرَّصف، عفيف الطَّرْف، فقلت لها: لقد أحسنت الوصف، فقالت: هيهات أن يدركه وصْفٌ، رحمه الله، ورحم مَنْ سمّاه اسمه. فقلت: ومَن سمّاه؟ قالت: سيد بني عديّ الحُصَيْن بن عَبدة بن نُعيم، ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرمَّة: [الوافر]

لَـقَـدْ أَصْـبَـحْـتَ فـي فَـرْعـيْ مَـعَـدٍّ ... مـكـانَ الـنَّـجْـم في فَـلَـكِ الـسَّـمَـاءِ
إذا ذُكِـرَتْ مَـحَـاسِـنُـهُ تَـدَرَّتْ ... بِـحَـارُ الـجُـودِ مـن نَـحْـوِ الـسَّـمـاءِ
حُـصَـيـنٌ شـادَ بـاسْـمِـكَ غَـيْـرَ شَـكٍّ ... فَـأَنْـتَ غِـيـاثُ مَـحْـلٍ بـالـفِـنـاءِ
إذا ضَـنَّـتْ سَـحَـابَـةُ مـاءِ مُـزْنٍ ... تَـثُـجُّ بـحَـارُ جُـودِكَ بـارتـواءِ[2]
لَـقَـدْ نُـصِـرَتْ بـاسْـمِـكَ أرْضُ قَـحْـطٍ ... كـمـا نُـشِـرَتْ عَـدِيٌّ بـالـثَّـراءِ

(١) الحَمالة: الدّية والغرامة.

(٢) الثجّ: الصبّ الكثير.

فقلت: أحسنتِ يا خرقاء، فهل سمع ذلك منك ذو الرمّة؟ قالت: إي وربي، قلت: فماذا قال؟ قالت: قال: شكر الله لك يا خرقاء نعمةً ربَّيتِ شُكْرَها من ذكرها، فقالت: أثقلنا حقُّها، ثم قالت: اللهم غَفْراً، هذا في اللفظ، ونحتاج إلى العمل.

أخبرني جحظة، عن حمَّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن ابن كُناسة، عن خيثم بن حِجِّيَّة العِجليّ، قال: حدثني رجل من بني النجار، قال: خرجتُ أمشي في ناحية البادية، فمررتُ على فتاة قائمة على باب بَيْتٍ فقمت أُكلِّمها فنادتني عجوز من ناحية الخِباء: ما يقيمك على هذا الغزال النَّجديّ؟ فوالله ما تنالُ خَيْراً منه ولا ينفعك، قال: وتقول هي: دَعيه يا أمّاه يكن كما قال ذو الرمّة: [الطويل]

وإنْ لَمْ يَكُنْ إلاَّ مُعَرَّسُ ساعَةٍ قَليلاً فَإنِّي نافِعٌ لِي قَلِيلُها

فسألتُ عنهما، فقيل لي: العجوز خرقاء ذي الرمَّة والفتاة بِنتها.

[وفاته وقبره]

وتوفي ذو الرمَّة في خلافة هشام بن عبد الملك، وله أربعون سنة. وقد اختلفت الرواةُ في سبب وفاته.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السُّكريّ، عن يعقوب بن السُّكيت: أنه بلغ أربعين سنة، وفيها توفي وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك، ودفن بحُزْوَى، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني ابن أبي عديّ قال: قال ذو الرمة: بلغت نصف الهَرَم وأنا ابن أربعين [سنة][1].

قال ابنُ سلاّم: وحدثني أبو الغرَّاف أنه مات وهو يريد هشاماً، وقال في طريقه في ذلك: [الطويل]

بلادٌ بِها أهْلُونَ لَسْتُ ابْنَ أهْلِها وَأُخْرَى بِها أهْلُونَ لَيْسَ بِها أَهْلُ

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك: حدثني القاسم بن محمد الأسديّ، قال: حدثني جبرُ بن رِياط قال: أنشد ذو الرمة الناس شعراً له، وصف فيه الفلاة

(١) زيادة ليست في الأصل.

بالثَّعلبية[١]، فقال له حَلْبَسٌ الأسديّ: إنك لتنعتُ الفلاة نَعْتاً لا تكون مَنِيَّتُكَ إلا بها.

قال: وَصَدَر ذو الرمة على أحد جَفْرَيْ بني تميم وهما على طريق الحاجّ من البصرة، فلما أشرف على البصرة قال: [الطويل]

وإنِّي لعالِيها وإنِّي لَخائِفٌ   لِما قالَ يَوْمَ الثَّعْلَبِيَّةِ حَلْبَسُ

قال: ويقال إن هذا آخر شعر قاله. فلما توسّط الفلاة نزل عن راحلته فنفَرَتْ منه، ولم تكن تنفر منه، وعليها شرابُه وطعامُه، فلما دنا منها نفرت حتى مات، فيقال إنه قال عند ذلك: [الطويل]

ألاَ أبْلِغ الفِتيانَ عَنِّي رِسالَةً   أهِينوا المَطايا هُنَّ أهْلُ هَوانِ
فَقَدْ تَرَكَتْنِي صَيْدَحٌ بِمَضَلَّةٍ   لِسَانِيَ مُلْتَاثٌ مِنَ الطلْوَانِ[٢]

قال هارون: وأخبرني أحمد بن محمد الكلابيّ بهذه القصة، وذكر أن ناقته وردت على أهله في مياههم، فركبها أخوه، وقصّ أثره، حتى وجده ميّتاً وعليه خِلَعُ الخليفة، ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن الرياشيّ، عن الأصمعيّ، عن أبي الوَجِيه، قال: دخلتُ على ذي الرمَّة وهو يجود بنفسه، فقلت له: كيف تجدك؟ قال: أجدني والله أجد ما لا أجد أيام أزعم أني أجد ما لم أجد حيث أقول: [الطويل]

كأنّي غَداة الزُّرْقِ يا مَيُّ مُدْنَفٌ   يَجُودُ بِنَفْسٍ قَدْ أَحَمَّ حِمَامُها[٣]
حِذارَ اجْتِذامِ البَيْنِ أقْرَانَ نِيَّةٍ   مُصَابٌ وَلَوْعَاتُ الفؤادِ انْجِذامُها

قال: وكان آخر ما قاله: [البسيط]

يا رَبِّ قد أشْرَفَتْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمَتْ   عِلْماً يَقِيناً لَقَدْ أحْصَيْتَ آثارِي
يا مُخْرِجَ الرّوحِ من جِسْمِي إذا احْتُضِرَت   وَفَارِجَ الكَرْبِ زَحْزِحْنِي عَنِ النَّارِ

قال أبو الوجيه: وكانت مَنِيَّته هذه في الجُدَريّ، وفي ذلك يقول: [الطويل]

ألَمْ يَأْتِها أنّي تَلَبَّسْتُ بَعْدَها   مُفَوَّقَةً صَوَّاغُها غَيْرُ أخْرَقِ

---

(١) الثعلبيّة: من منازل طريق مكة من الكوفة (معجم البلدان ٢/٧٨).
(٢) الطلوان: بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش.
(٣) أحمَّ: دنا وقرب. والحمام: الموت.

نسخت من كتاب هارون بن الزيَّات: حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم الأزديّ، قال: حدثني جَهْم بنَ مَسْعدة، قال: حدثني محمد بن الحجاج الأسديّ، عن أبيه، قال: وردت حَجْراً وذو الرمَّة به، فاشتكى شكايته التي كانت منها منيَّتُه، وكرهتُ أن أخرج حتى أعلم بما يكون في شكاته، وكنت أتعهّده، وأعوده في اليوم واليومين، فأتيته يوماً وقد ثَقُل، فقلت: يا غيلان، كيف تَجِدُك؟ فقال: أجدني والله يا أبا المثنى اليوم في الموت، لا غداة أقول: [الطويل]

كـأنِّـي غـداةَ الـزُّرْقِ يـا مَـيُّ مُـدْنَـفٌ ... يَـكِـيـدُ بِـنَـفْـسٍ قَـدْ أحَـمَّ حِـمـامُـهـا

فأنا والله الغداة في ذلك، لا تلك الغداة.

قال هارون بن الزيَّات: حدثني موسى بن عيسى الجعفريّ، قال: أخبرني أبي قال: أخبرني رجل من بني تميم، قال: كانت ميتة ذي الرمَّة أنه اشتكى النَّوْطة[١] فوَجِعَها دَهراً، فقال في ذلك: [الطويل]

أَلِفْتُ كلابَ الحَيِّ حَتَّى عَرَفْنَنِي ... وَمُدَّتْ نِساجُ العَنْكَبُوتِ على رَحْلِي

قال: ثم قال لمسعود أخيه: يا مسعود، قد أجدني تماثلتُ وخفّت الأشياء عندنا، واحتجنا إلى زيارة بني مروان، فهل لك بنا فيهم؟ فقال: نعم، فأرسله إلى إبله يأتيه منها بلبن يتزوده، وواعده مكاناً، وركب ذو الرمة ناقته فقَمَصت[٢] به، وكانت قد أُعفِيت من الركوب، وانفجرت النَّوْطة التي كانت به. قال: وبلغ موعد صاحبه وجُهِد وقال: أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً، وإن العلّة التي كانت بي انفجرت. فأرسل إلى أهله فَصَلُّوا عليه، ودفن برأس حُزْوَى، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

[قبره بالدهناء]

نسخت من كتاب عبيد اللّه بن محمد اليزيديّ: قال أبو عبيدة وذكر هارون بن الزيّات، عن محمد بن عليّ بن المغيرة، عن أبيه عن أبي عبيدة، عن المنتجع بن نبهان قال: لما احتُضِر ذو الرمَّة قال: إني لست ممن يدفن في الغموض والوِهاد، قالوا: فكيف نصنع بك ونحن في رمال الدهناء؟ قال: فأين أنتم من كُثبان حُزْوَى؟

(١) النَّوطة: ورم في الصدر، أو غدّة في البطن مهلكة، أو الحوصلة. (معجم الوسيط مادة النَّوطة).
(٢) قَمَص الفرسُ: هو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً، ويعجن الأرض برجليه.

ـ قال: وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال ـ قالوا: فكيف نحفر لك في الرمل وهو هائل؟ قال: فأين الشجرُ والمدَرُ والأعواد؟ قال: فصلَّينا عليه في بطن الماء، ثم حملنا له الشجر والمدر على الكِباش، وهي أقوى على الصُّعود في الرمل من الإبل. فجعلوا قبره هناك وزبَّروه[١] بذلك الشجر والمدر، ودلُّوه في قبره، فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء، وأنت بالدَّوِّ[٢] على مسيرة ثلاث.

قال هارون: وحدثني محمد بن صالح العدويّ، قال: ذكر أبو عمرو المراديّ: إن قبر ذي الرمَّة بأطراف عَناق من وسط الدّهناء مقابل الأواعس، وهي أجبُل شوارعُ يقابلن الصَّريمة[٣] صريمة النَّعام، وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرِّباب.

قال هارون: وحدثني هارون بن مسلم، عن الزِّياديّ، عن العلاء بن بُرْد، قال: ما كان شيءٌ أحب إلى ذي الرمَّة إذا ما ورد ماء من أن يَطْوِي ولا يَسْقِيَ، فأخبرني مخبر أنه مر بالجَفْر[٤] وقد جَهَده العطش، قال: فسمعته يقول: [البسيط]

يا مُخْرِجَ الرّوحِ من جِسْمِي إذا احْتُضِرَتْ ... وَفارِجَ الكَرْبِ زَحْزِحْنِي عن النّارِ

ثم قضى.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، عن عيسى بن عمر، قال: كان ذو الرمَّة ينشد الشعر، فإذا فرغ قال: والله لأكسعنَّك[٥] بشيءٍ ليس في حسابك: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، ووكيعٌ، عن أبي أيوب، قال: حدثني أبو معاوية الغلابيّ، قال: كان ذو الرمّة حسنَ الصلاة، حسنَ الخشوع، فقيل له: ما أحسن صلاتك! فقال: إن العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يخشع.

---

(١) زبّروا القبر: ردموه بالحجارة.
(٢) الدوُّ: أرض ملساء بين مكة والبصرة. (معجم البلدان ٢/ ٤٩٠).
(٣) الصَّريمة: أودية ذات طلح، تنحدر من الخشبة. (معجم ما استعجم للبكري ٨٢٠).
(٤) الجَفْر: موضع بناحية ضريّة من نواحي المدينة. وقيل غير ذلك. (انظر معجم البلدان ٢/ ١٤٦).
(٥) كسعه: ضرب دبره بيده، أو بصدر قدمه.

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيديّ قال: حدثني عبد الرحمن، عن عمّه، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كان مسعود أخو ذي الرمَّة يمشي معي كثيراً إلى منزلي فقال لي يوماً، وقد بلغ قريباً من منزلي: أنا الذي أقول في أخي ذي الرمَّة:

[الطويل]

إلى الله أشْكُو لا إلى النَّاسِ أنَّنِي ... وَلَيْلى كلانا مُوجَعٌ ماتَ وافِدُهْ

فقلتُ له: مَن ليلى؟ فقال: بنت أخي ذي الرمَّة.

ذكر خبر إبراهيم
في هذه الأصوات الماخوريّة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبّة، عن إسحاقَ الموصليّ، عن أبيه، قال: صنعت لحناً فأعجبني، وجعلت أطلب له شعراً، فعَسَر ذلك عليّ، فأُريتُ في المنام كأن رجلاً لقيني، فقال لي: يا إبراهيم، أوقد أعياك شِعرٌ لغنائك هذا الذي تُعجَب به؟ قلت: نعم. قال: فأين أنت من قول ذي الرمَّة: [الطويل]

ألا يا اسْلَمِي يا دارَ مَيٍّ على البِلَى ... ولا زالَ مُنْهَلاً بِجَرْعائكِ القَطْرُ

قال: فانتبهتُ فرحاً بالشعر؛ فدعوت من ضرب عليّ فغنيتُه، فإذا هو أوفق ما خلق الله، فلما عملت هذا الغناء في شعر ذي الرمَّة نبّهت عليه وعلى شعره، فصنعت فيه ألحاناً ماخورية منها: [الطويل]

أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ سَلامٌ عَلَيْكُما ... هَلِ الأزمُن اللائي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ!

وغنّيت بها الهادي فاستحسنها، وكاد يطير فرحاً، وأمر لكل صوت بألف دينار.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

٧صوت

ألا يا اسْلَمِي يا دارَ مَيٍّ على البِلَى ... ولا زالَ مُنْهَلاً بِجَرْعائِكِ القَطْرُ
وَلَوْ لَمْ تكوني غَيْرَ شامٍ بِقَفْرَةٍ ... تَجُرُّ بها الأذيالَ صَيْفِيَّةٌ كُدْرُ

عروضه من الطويل. وقوله: يا اسلمي ها هنا نداء؛ كأنه قال: يا دار ميّ اسلمي، ويا هذه اسلمي، يدعو لها بالسلامة. ومثله قول الله عزّ وجلّ: ﴿ألاَ يسجدوا لله الذي يُخرج الخَبْءَ في السّموات والأرض﴾[1]، فسّره أهلُ اللغة هكذا، كأنه قال: يا قوم اسجدوا لله. وميّ ترخيم ميّة إلا أنه أقامه ها هنا مقام الاسم الذي لم يرخّم فَنوَّنه. وقوله: على البِلَى، أي اسلمي وإن كنتِ قد بَلِيت. والمنهلُّ: الجاري، يقال: انهلّ المطرُ انهلالاً، إذا سال. والجرعاءُ والأجرع من الرمل: الكثير الممتد. والشام: موضع يخالف لون الأرض، وهو جمع، واحدته شامة. والقفر، ما لم يكن فيه نبات ولا ماء، تجر بها الأذيال صيفية يعني الرياح الصيفية الحارة. وأذيالها: مآخيرها التي تسفي التراب على وجه الأرض، شبهها بذيل المرأة، وعنى بها أوائلَها. والكُدْر: التي فيها الغبرة من القتام والفِجاج؛ فهي تُعفِّي الآثار وتدفنها. غنّاه إبراهيم الموصليّ ماخوريّاً بالوسطى. ومنها:

صوت

أَمَـنْـزِلَـتَـيْ مَـيٍّ سَـلامٌ عَـلَـيْـكُـمـا ... هَلِ الأَزْمُنُ اللائي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ!
وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ العَمى ... ثلاثُ الأثافِي وَالدِّيارُ البَلاقِعُ!
تَوَهَّمْتُها يَوْماً فَقُلْتُ لِصَاحِبي ... وليسَ لها إلاَّ الظِّباءُ الخَواضِعُ
وَمَوْشِيَّةٌ سُحْمُ الصَّياصِي كأنَّها ... مُجَلَّلَةٌ حُوٌّ عَلَيْها البَراقِعُ

عروضه من الطويل. غنَّاه إبراهيم ماخوريًّا بالوسطى. والأزمن والأزمان جمع زمان. والعمى: الجهالة. والأثافيّ الثلاث هي الحجارة التي تنصب عليها القِدْر، واحدتها أُثفيَّة. والخواضع من الظباء: اللاتي قد طأطأت رؤوسها. والموشيّة: يعني البقر. والصَّياصي: القرون واحدتها صيصية. والمجلَّلَة: التي كأن عليها جِلالاً سوداً. والحُوَّة: حمرة في سواد. ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله:

صوت

[الطويل]

قِفِ العَنْسَ نَنْظُرْ نَظْرَةً فِي دِيارِها ... وهَلْ ذاكَ من دَاءِ الصَّبَابَةِ نافِعُ!
فقالَ: أما تَغْشَى لِمَيَّةَ مَنْزِلاً ... من الأرْضِ إلا قُلتَ: هَلْ أنا رابِعُ!

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٥.

وَقَــلَّ لأَطْــلالٍ لِــمَــيٍّ تَــحِــيَّــةٌ تُـحيًّـا بـهـا أو أنْ تُـرِشَّ الـمَـدامِـعُ

العَنْس: الناقة. والرابع: المقيم. وقلّ لأطلال: أي ما أقل لهذه الأطلال مما أفعله. وتُرِش المدامع: أي تكثر نضحَها الدموعَ. غناه إبراهيم الموصليّ ماخوريًّا.

وذكر ابن الزيَّات، عن محمد بن صالح العذريّ، عن الحرمازيّ، قال: مرَّ الفرزدق على ذي الرمَّة وهو ينشد:

أمَــنْـزِلَـتَـيْ مَـيٍّ سـلامٌ عَـلَـيْـكُـمـا

فلمَّا فرغ قال له: يا أبا فراس، كيف ترى؟ قال: أراك شاعراً. قال: فما أقعدني عن غاية الشعراء؟ قال: بكاؤك على الدِّمن، ووصفُك القطا وأبوالَ الإبل.

حدثني ابنُ عمار والجوهريّ، وحبيب المهلَّبيّ، عن ابن شبّة، عن إسحاق الموصليّ عن مسعود بن قند، قال: تذاكرنا ذا الرمَّة يوماً فقال عصمة بن مالك: إياي فاسألوا عنه، قال: كان حُلْوَ العينين، حَسَنَ النغمة، إذا حدَّث لم تسأم حديثه، وإذا أنشدك بَرْبَرَ[1] وجَشَّ صوته، جمعني وإيَّاه مَرْبع مرَّة، فقال لي: هيا عِصْمة، إن ميّة من مِنْقر، ومِنْقر أخبث حيّ وأقفاه لأثرٍ وأثبته في نظر، وأعلمه بشرّ، وقد عرفوا آثار إبلي؛ فهل عندك من ناقة نَزْدَارُ[2] عليها ميّة؟ قلت: إي والله عندي الجؤذَر بنت يمانية الجدَليّ، قال: فعليَّ بها. فأتيته بها، فركب وردفتُه فأتينا محلّة ميّة، والقوم خُلوف والنساء في الرحال، فلمَّا رأين ذا الرمَّة اجتمعن إلى ميّ، وأنخنا قريباً وأتيناهنَّ، فجلسنا إليهنَّ، فقالت ظريفة منهنَّ: أنْشِدْنا يا ذا الرمَّة. فقال لي: أنشِدْهنَّ يا عصمة. فأنشدتُ قصيدتَه التي يقول فيها: [الطويل]

نَـظَـرْتُ إلـى أظْـعـانِ مَـيٍّ كـأنَّـهـا ذُرا الـنَّـخْـلِ أو أثْـلٌ تَـمِـيـلُ ذوائـبُـهْ
فـأسْبَلَـتِ الـعَـيـنـانِ وَالـقَـلْـبُ كـاتِـمٌ بِـمُـغْـرَوْرِقٍ نَـمَّـتْ عَـلَـيْـهِ سَـوَاكِـبُـهْ
بـكـاء فتًى خـافَ الـفِـراقَ وَلَـمْ تُـجِـلْ جَـوَائِـلَـهـا أسْـرارُهُ وَمَـعَـاتِـبُـهْ

قالت الظريفة: فالآن فلتُجِلْ، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله:

وَقَـدْ حَـلَـفَـتْ بِـالـلَّـهِ مَـيَّـةُ مـا الَّـذِي أُحَـدِّثُـهـا إلاَّ الَّـذِي أنـا كـاذِبُـهْ

(١) بربر في كلامه: أكثر منه. والبربرة: الجلبة والصياح.
(٢) ازداره: زاره.

إذاً فَرَمانِي الله من حَيْثُ لا أرَى ولا زالَ في أَرْضِي عَدُوٌّ أُحارِبُهْ

فقالت ميّة: ويحك يا ذا الرُّمة! خفِ الله وعواقبَه. ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله:

إذا سَرَحَتْ مِنْ حُبِّ مَيٍّ سَوَارِحٌ على القَلْبِ أَبَّتْهُ جَمِيعاً عوازِبُهْ

فقالت الظريفة: قتلتِه قتلك الله! فقالت ميّة: ما أصحَّه وهنيئاً له! فتنفّس ذو الرُّمة تنفيسةً كادَ حرُّها يطير بلحيتي، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله:

إذا نازَعَتْكَ القَوْلَ مَيَّةُ أو بدَا لَكَ الوَجْهُ منها أوْ نضا الدِّرْعَ سالبُهْ[1]

فما شِئْتَ مِنْ خَدٍّ أسِيلٍ وَمَنْطِقٍ رَخِيمٍ وَمِنْ خَلْقٍ تَعَلَّلَ جادبُهْ[2]

فقالت الظريفة: فقد بدا لك الوجه وتُنوزع القولُ، فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه؟ فقالت لها ميّة: قاتلك الله! فماذا تأتين به! فتضاحكت الظريفة وقالت: إن لهذين لشأناً فقوموا بنا عنهما، فقامت وقمن معها، وقمت فخرجت، وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلاميهما، فوالله ما رأيتُه تحرك من مكانه الذي خلَّفته فيه حتى ثاب أوائل الرجال، فأتيته فقلت: انهض بنا فقد ثاب[3] القوم فودَّعها فركب وردفته وانصرفنا. ومنها:

صوت

[الطويل]

إذا هَبَّتِ الأَرْواحُ مِنْ أيِّ جانِبٍ بِهِ أهلُ مَيٍّ هاجَ قَلْبِي هُبُوبُها

هَوًى تَذْرِفُ العَيْنانِ مِنْهُ وإنَّما هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كانَ حَبِيبُها

الغناء لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن الهِشاميّ.

صوت

[الكامل]

إنِّي تُذَكِّرني الزُّبَيْرَ حَمامَةٌ تَدْعُو بِمَجْمَعِ نَخْلَتَيْنِ هَدِيلا[4]

(١) نضا السيف: سلّه.
(٢) جادبُه: عاتبه.
(٣) ثاب: رجع.
(٤) نخلتان: عن يمين بستان ابن عامر وشماله نخلتان يقال لهما النخلة اليمانية والنخلة الشامية. (انظر معجم البلدان ٥/ ٢٧٦).

أَفَتى النَّدَى وَفَتَى الطِّعانِ قَتَلْتُمُ ... وَفَتَى الرِّياح إذا تَهُبُّ بَلِيلا
لَوْ كُنْتَ حُرًّا يابْنَ قَيْنِ مُجاشِعٍ ... شَيَّعْتُ ضَيْفَكَ فَرْسخاً أو مِيلا

وفي أخرى: فرسخين وميلا.

قالَتْ قُرَيْشٌ: ما أذلَّ مُجاشِعاً ... جاراً وَأَكْرم ذا القَتِيلِ قَتِيلا!

الشعر لجرير، يهجو الفرزدق ويعيّره بقتل عشيرته الزُّبيرَ بن العوّام يوم الجمل. والغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

ذكر مقتل الزبير وخبره

[٢٨ ق.هـ - ٣٦ هـ/ ٥٩٦ - ٦٥٦ م]

[خبره مع عليّ بن أبي طالب]

حدّثنا أحمد بن عُبَيْد اللّهِ بن عمّار، وأحمدُ بن عبد العزيز، عن ابن شبَّة قالا: حدثنا المدائنيّ، عن أبي بكر الهُذَلِيّ، عن قتادَة قال: سار أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه من الزّاوية[١] يريد طَلْحة والزُّبيرَ وعائشةَ، وصاروا من الفُرْضة[٢] يريدونه، فالتَقَوْا عند قصر عُبَيْد اللّه بن زياد يوم الخميس النصف من جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين، فلما تَراءَى الجَمْعان خرج الزُّبير على فرسٍ وعليه سلاحُه، فقيل لعليٍّ صلوات الله عليه: هذا الزُّبير، فقال: أمَا والله إنه أَحرَى الرجلين إن ذُكِّر بالله أن يَذْكُره، وخرج طلحة، وخرج عليٌّ عليه السلام إليهما، فدَنَا منهما حتى اختلفَت أعناقُ دَوابِّهم، فقال لهما: لعمري لقد أعدَدْتما خَيْلاً ورجالاً، إن كنتُما أعددتما عند اللّهِ عُذْراً فاتّقيَا اللّهَ ولا تَكُونَا ﴿**كالّتِي نَقَضَت غَزْلَها من بعد قُوَّةٍ أَنْكَاثاً**﴾[٣] ألم أكُن أخاكُما في دينِكما تحرِّمانِ دمي وأُحرِّم دماءكما؟ فهلْ من حدَثٍ أَحَلَّ لكما دمي؟ فقال له طلحة: أَلَّبتَ الناس على عثمان، فقال: يا طلحةُ، أتطلبُني بدم عثمان؟ فلعنَ الله قَتَلَة عثمان، يا زبير، أتذكر يوم مررتُ مع رسول الله ﷺ في بَنِي غَنْم، فنظر إليَّ وضحك، وضحكتُ إليه، فقلتَ: لا يدعُ ابنُ أبي طالب زَهْوَه[٤]، فقال: مَهْ ليس بمزهوٍّ،

---

(١) الزاوية: اسم لعدة مواضع. (انظر معجم البلدان ٣/ ١٢٨).
(٢) الفرضة: بشط الفرات، وقيل: قرية بالبحرين. (معجم البلدان ٤/ ٢٥١).
(٣) سورة النحل، الآية: ٩٢.
(٤) الزَهْو: الفخر.

ولتقاتلنّه وأنتَ له ظالم، فقال: اللهمَّ نعم، ولو ذُكِّرتُ ما سِرتُ مسيري هذا، والله لا أُقاتلك أبداً. وانصرف عليٌّ صلواتُ الله عليه إلى أصحابه وقال: أما الزُّبير فقد أعطى الله عهداً ألاّ يُقاتِلَنِي.

قال: ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنتُ في موطن مُذْ عَقَلْتُ إلاَّ وأنا أعرِف فيه أمرِي غيرَ موطني هذا، قالت: وما تُريد أن تصنع؟ قال: أدعُهم وأذهب، فقال له ابنه عبدُ اللّه: أجمعْتَ بين هذين الغارَين[1] حتى إذا حدَّد بعضُهم لبعض أردتَ أن تذهب وتَتْرُكَهم؟ أَخَشِيتَ رايات ابن أبي طالب وعلمتَ أنّها تحملها فِتيةٌ أنجاد. فأحفظه، فقال: إني حَلَفْتُ ألاَّ أُقاتله. قال: كفِّر عن يمِينك وقاتلْه، فدعا غلاماً له يُدعَى مَكْحولاً فأعتقه، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيميّ: [الرجز]

لَمْ أرَ كاليَوْمِ أخا إخْوانِ　　أعْجَبَ مِنْ مُكَفِّرِ الأيْمانِ
بالعِتقِ في مَعْصِيَةِ الرَّحمنِ

وقال بعضُ شُعرائِهم: [الرجز]

يُعْتِقُ مَكْحُولاً لِصَوْنِ دِينِهْ　　كَفّارةً لِلّه عَنْ يَمِينِهْ
والنَّكْثُ قد لاحَ على جَبِينِهْ

حدثني ابنُ عمَّار والجوهريّ قال: حدثنا ابن شبّة عن عليّ بن محمد النوفليّ عن الهذليّ، عن قَتادة، قال: وقف الزبير على مسجد بني مُجاشِع فسأل عن عِياضِ بن حمّاد، فقال له النعمانُ بن زمام: هو بوادي السِّباع فمضى يريده.

حدثني ابن عمَّار والجوهريّ، عن عُمر، قال: حدّثني المدائنيّ، عن أبي مِخْنَف، عمّن حدَّثه عن الشعبيّ، قال: خرج النعمان مع الزبير حتى بلغ النَّجيب، ثم رجع. قال: وحدثنا عن مسْلَمة بن مُحارب، عن عَوف، وعن أبي اليقظان، قالا: مرّ الزُّبير ببني حمّاد فدعَوْه إلى أنفسهم فقال: اكفُوني خيركم وشرَّكم، فوالله ما كَفَوْه خيرَهم وشرَّهم. ومضى ابنُ فَرْتَنَى إلى الأحنف وهو بِعِرْق سُوَيقة، فقال: هذا الزُّبَير قد مَرَّ، فقال الأحنف: ما أصنع به! جمع بين غارين من المسلمين، فقتل بعضهم بعضاً. ثم مرَّ يريد أن يلحق بأهله، فقام عَمْرُو بن جُرمُوز وفُضالةُ بن

(١) الغار: الجيش الكثير.

حابس ونُفيع بن كعب أحدُ بني عوف ـ ويقال نُفَيع بن عُمَير ـ فلحقوه بالعِرق، فقُتِل قبل أن ينتهي إلى عِياض، قتله عَمرو بن جُرموز.

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجْلِيُّ الكوفيّ، وجعفرُ بن محمد بن الحسن العلويّ الحسنيّ، والعباسُ بن عليّ بن العبّاس وأبو عبيد الصَّيْرفيّ، قالوا: حدثنا محمد بن عليّ بن خلَف العطّار، قال: حدّثنا عمرو بن عبد الغفار، عن سفيان الثوريّ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: حدثني ابنُ عباس قال: قال لي عليّ صلوات الله عليه: ائتِ الزبير فقل له: يقولُ لك عليُّ بن أبي طالب نشدتُك الله، ألستَ قد بايَعتني طائعاً غيرَ مُكْرَه. فما الذي أحدثتُ فاستحللتَ به قِتالي؟

وقال أحمد بن يحيى في حديثه: قل لهما: إن أخاكما يقرأُ عليكما السلام ويقول: هل نَقِمْتُما عليَّ جَوْراً في حكم أو استئثاراً بفَيْء؟ فقالا: لا، ولا واحدةً منهما، ولكن الخوْف وشدَّة الطمع.

وقال محمد بن خلف في خبره: فقال الزبير: مع الخوف شدَّة المطامع. فأتيتُ عليًّا عليه السلام فأخبرتُه بما قال الزبير، فدعا بالبَغْلة فركِبَها وركِبْتُ معه، فدَنَوا حتى اختلفت أعناقُ دابَّتَيْهما فسمِعْتُ عليًّا صلوات الله عليه يقول: نشدتُك الله يا زبير، أتعلم أني كنتُ أنا وأنتَ في سَقيفة بني فلان تُعالجني وأُعالجك فمرَّ بي ـ يعني النبيَّ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: كأنَّك تُحِبُّه! فقلت: وما يمنَعُني! قال: أما إنه ليُقاتِلنَّك وهو لك ظالم. فقال الزبير: اللهمَّ نعم، ذكَّرتَني ما نسيت، وولَّى راجعاً. ونادى منادي عليّ: ألا لا تقاتِلوا القومَ حتى يستشهِدوا منكم رجلاً، فما لبثَ أن أُتي برجل يَتَشَحَّط[1] في دمه، فقال عليٌّ عليه السلام: اللهمّ اشهد، اللهمَّ اشهد، اللهمّ اشهد. وأمر الناسَ فشدُّوا عليهم، وأمر الصُّرَّاخَ فصرخوا: لا تُذَفِّفوا[2] على جريح ولا تَتْبعوا مُدبِراً، ولا تَقْتُلوا أسيراً.

حدثنا إبراهيمُ بن عبد اللّه بن محمد بن أيوب المخزوميّ، عن سعيد بن محمد الجرميّ، عن أبي الأحوص، عن عاصم بن بهدلةَ، عن زِرّ بن حُبيش، ولا أحسبه إلا قال: كنت قاعداً عند عليٍّ عليه السلام، فأتاه آتٍ فقال: هذا ابن جُرموز قاتلُ الزبير بن العوّام يستأذن على البابِ، قال: ليدخُلَنَّ قاتلُ ابن صفيَّة النَّار، إني

(١) يتشحّط في دمه: يتضرّج.
(٢) ذفّف عليه: أجهز عليه.

سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إنَّ لِكُلِّ نَبيٍّ حَوارِيًّا وإنّ حَوارِيَّ الزُّبَيْر»(١).

أخبرني الطُّوسيّ وحَرَمِيّ، عن الزُّبير، عن عليّ بن صالح، عن سالم بن عبد اللّه بن عروة، عن أبيه: أن عَمْراً أو عُوَيْمر بنَ جُرْمُوز قاتل الزبير أتى مُصْعباً حتى وضع يده في يده، فقذفه في السِّجْن، وكتب إلى عبد اللّه بن الزبير يذكر له أمره، فكتب إليه عبدُ اللّه: بئس ما صنعت، أظننتَ أنّي أقتل أعرابيًّا من بني تَمِيم بالزُّبير! خَلِّ سبيلَه، فخَلاَّه.

[عاتكة ترثي الزبير]

أخبرني الطوسيّ والحَرَمِيّ، عن الزُّبير، عن عمه قال: قُتِل الزبيرُ وهو ابنُ سبعٍ وستين أو ستٍ وستين سنة، فقالت عاتِكةُ بنت زَيْد بن عمرو بن نُفَيْل ترثيه:

[الكامل]

غَدَرَ ابنُ جُرمُوزٍ بفارس بُهْمَةٍ ... يومَ اللقاءِ وكانَ غيرَ مُعَرِّدِ(٢)
يا عَمْرُو لو نَبَّهتَهُ لَوَجَدْتَهُ ... لا طائشاً رَعِشَ اللِّسانِ ولا اليَدِ
شَلَّتْ يَمِينُكَ إنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً ... حَلَّتْ عليكَ عُقُوبَةُ المُسْتَشْهِدِ
إنَّ الزُّبيرَ لَذُو بلاءٍ صادقٍ ... سَمْحٌ سَجِيَّته كريمُ المَشْهَدِ
كَمْ غَمْرَةٍ قد خاضَها لم يَثْنِهِ ... عنها طِرادُكَ يابْنَ فَقْعِ القَرْدَدِ(٣)
فاذْهَبْ فما ظَفِرَتْ يداكَ بِمِثْلِهِ ... فِيمَنْ مَضَى مِمَّنْ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي

وكانت عاتكةُ قبل الزبير عند عُمرَ، وقبل عمَر عند عبد اللّه بن أبي بكر.

أخبرني بخبرها محمد بن خَلَف وكيع، عن أحمد بن عمرو بن بكر، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الهَيْثَمُ بن عَدِيّ، عن محمد بن عمرو، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن. وأخبرنا وَكيع، قال: حدثني إسماعيل بن مجمِّع عن المدائنيّ. وأخبرني الطوسيّ والحَرَميّ، قالا: حدثنا الزبير، عن عمّه، عن أبيه، وأخبرني اليَزيديّ، عن الخليل بن أسَد، عن عمرو بن سعيد، عن الوَليد بن هشام بن يحيى الغَسّانيّ.

---

(١) خرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١/٨٩، ١٠٢، ٣/٣٤٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/٣٦٨ و ٩/١٤٨.

(٢) البهمة: الشجاع، ويريد بالبهمة هنا: الجيش. والمعرّد: الهارب.

(٣) الفَقْع: النوع الرديء من الكمأة. والقردد: المستوي.

وأخبرني الجوهريّ، عن ابن شَبَّة، قال: حدثنا محمد بن موسى الهُذَليّ، وكل واحد منهم يَزيدُ في الرواية ويَنقُص منها، وقد جَمعت رواياتهم قالوا: تزوج عبدُ اللّه بن أبي بكر الصِّدِّيق عاتِكةَ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل، وكانت امرأةً لها جمالٌ وكمالٌ وتَمَامٌ في عقلها ومنظرها وجزالةِ رأيها، وكانت قد غلبته على رأيِه فمرّ عليه أبو بكر أبوه وهو في عِلِّيّة[1] يناغيها في يوم جمعة، وأبو بكر متوجه إلى الجمعة، ثم رجع وهو يُناغِيها، فقال: يا عبد اللّه أجَمَّعْتَ[2]؟ قال: أوَصَلَّى الناس؟ قال: نعم - قال: وقد كانت شغلتْه عن سُوق وتجارة كان فيها - فقال له أبو بكر: قد شغلتْك عاتِكَةُ عن المعاش والتجارة، وقد ألهتك عن فرائض الصلاة طلِّقها، فطلَّقها تطليقة، وتحولت إلى ناحية، فبَيْنا أبو بكر يصلِّي على سطح له في الليل إذْ سمِعه وهو يقول: [الطويل]

أعـاتِـكُ لا أنْـسـاكِ مـا ذَرَّ شـارِقٌ ... وما ناحَ قُمْرِيُّ الحَمامِ المُطَوَّقُ[3]
أعـاتِـكُ قَـلْـبِـي كُـلَّ يَـوْمٍ وَلَـيْـلَـةٍ ... لَـدَيْـكِ بِـمَـا تُخْفِـي النُّفُـوسُ مُـعلَّـقُ
لَـهـا خُـلُـقٌ جَـزْلٌ وَرأيٌ وَمَـنْـطِـقٌ ... وخَـلْـقٌ مَـصُـونٌ فـي حَـيـاءٍ وَمَـصْـدَقُ
فَـلَـمْ أرَ مِـثْـلِـي طَـلَّـقَ الـيَـوْمَ مِـثْـلَـهـا ... ولا مِـثْـلَـهـا فـي غَـيْـرِ شَـيْءٍ تُـطَـلَّـقُ

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رَقّ له، فقال: يا عبد اللّه، راجع عاتكة، فقال: أُشهِدك أني قد راجعتُها. وأشرف على غلام له يقال له أيْمَن، فقال له: يا أيْمن، أنت حُرٌّ لوجه الله تعالى، أُشهِدُك أني قد راجعت عاتكَةَ، ثم خرج إليها يجري إلى مؤخَّر الدار وهو يقول: [الطويل]

أعـاتِـكُ قَـدْ طُـلِّـقْـتِ فـي غَـيْـرِ رِيـبَـةٍ ... ورُوجِـعْـتِ لـلأمْـرِ الَّـذِي هـو كـائِـنُ
كـذلـكَ أمْـرُ الله غـادٍ ورائـحٌ ... عـلـى الـنّـاسِ فـيـهِ أُلْـفَـةٌ وَتَـبَـايُـنُ
ومـا زالَ قـلـبِـي لِـلـتَّـفَـرُّق طـائـراً ... وَقَـلْـبِـي لِـمَـا قَـدْ قَـرَّبَ الـلَّـهُ سـاكِـنُ
لِـيَـهْـنِـكِ أنِّـي لا أرَى فِـيـكِ سَـخْـطـةً ... وأنَّـكِ قـد تَـمَّـتْ عَـلَـيْـكِ الـمَـحـاسِـنُ
فَـإنَّـكِ مِـمَّـنْ زَيَّـنَ الـلَّـهُ وَجْـهَـهُ ... وَلَـيْـسَ لِـوَجْـهٍ زَانَـهُ الـلَّـهُ شـائِـنُ

قال: وأعطاها حديقةً له حين راجعها على ألاَّ تَتزَوَّج بعده، فلما مات من

(١) العلّية: بيت فوق البيت الأول الذي على الأرض (طابق فوق الطابق الأول).
(٢) جمّع: شهد الجمعة.
(٣) ما ذرّ شارق: ما طلعت الشمس حين تشرق.

السهم الذي أصابه بالطائف، أنشأت تقول: [الطويل]

فلِلّه عَيْنا مَنْ رأى مِثْلَه فَتًى ... أكَرَّ وأحْمَى في الهياج وأصْبَرا
إذا شُرِعتْ فيهِ الأسِنَّةُ خاضَها ... إلى المَوْتِ حتى يَتْرُكَ الرُّمح أحْمَرَا
فأقْسَمْتُ لا تَنْفَكُّ عَيْنِي سَخِينَةً ... عَلَيْكَ ولا يَنْفَكُّ جِلْدِيَ أغْبَرَا
مَدَى الدَّهْرِ ما غَنَّت حَمامَةُ أيْكَةٍ ... وما طَرَدَ اللَّيلُ الصَّباحَ المُنَوَّرا

[زواجات عاتكة]

فخطبها عمر بن الخطاب، فقالت: قد كان أعطاني حديقةً على ألا أتزوجَ بعده، قال: فاستفتي، فاستفْتَت عليَّ بن أبي طالبﷺ، فقال: رُدِّي الحديقةَ على أهله وتزوَّجِي. فتزوجت عمر فسَرّح عمر إلى عِدّة من أصحاب رسول اللهﷺ، فيهم عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ـ يعني دعاهم ـ لما بَنَى بها، فقال له عليّ: إنَّ لي إلى عاتِكَةَ حاجةً أريد أن أُذكِّرَها إياها، فقل لها تَسْتتر حتى أُكلّمها، فقال لها عمر: استَتِري يا عاتكة فإنّ ابن أبي طالب يريد أن يكلمك، فأخذت عليها مِرْطها[1] فلم يظهر منها إلا ما بدا من بَراجمها[2]، فقال: يا عاتِكة: [الطويل]

فأقسمتُ لا تنفكُّ عينِي سخِينةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جِلديَ أغبَرَا

فقال له عمرُ: ما أردتَ إلى هذا؟ فقال: وما أرادتْ إلى أن تقول ما لا تفعل؛ وقد قال الله تعالى: **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعلُونَ﴾**[3] وهذا شيء كان في نفسي أحببتُ والله أن يَخرُج. فقال عمر: ما حَسَّنَ الله فهو حَسَنٌ، فلما قُتِل عمر، قالت ترثيه: [الخفيف]

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرةٍ وَنَحِيبِ ... لا تَمَلِّي على الإمام النَّجِيبِ
فَجَعَتْنا المَنُونُ بالفارِسِ المُعْـ ... ـلَمِ يومَ الهِياجِ والتَّلْبِيبِ
عِصْمَةِ اللَّهِ والمُعِينِ على الدَّهْـ ... ـرِ غِياثِ المُنْتابِ والمَحْرُوبِ
قُلْ لأهْلِ الضَّرَّاءِ والبُؤْسِ مُوتُوا ... قد سَقتْه المَنُونُ كأسَ شَعُوبِ[4]

---

(١) المرط: كساء من صوف أو خزّ.
(٢) البراجم: مفاصل الأصابع إذا قبض الشخص كفّه نشزت.
(٣) سورة الصف، الآية: ٣.
(٤) شَعُوب: المنية.

وقالت ترثيه أيضاً:

صوت

[الكامل]

مُنِع الرُّقادُ فَعادَ عَيْنِيَ عِيدُ ... مِمَّا تَضَمَّنَ قَلْبِيَ المَعْمُودُ[1]
يا لَيْلَةً حُبِسَتْ عَلَيَّ نُجُومُها ... فَسَهِرْتُها والشَّامِتُون هُجُودُ
قد كانَ يُسهِرُني حِذارُكَ مَرَّةً ... فاليومَ حقَّ لِعَيْنِيَ التَّسْهِيدُ
أبْكِي أمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ ... لِلزَّائِرِينَ صَفائِحٌ وصَعِيدُ

غنى فيه طُويَس خَفِيف رمل عن حمَّاد والهشاميّ.

فلما انقضت عِدَّتُها خطبها الزُّبَيْر بن العَوَّام فتزوَّجها، فلما مَلَكها قال: يا عاتِكَة، لا تَخْرُجِي إلى المسجد ـ وكانت امرأة عَجْزاء بادِنة ـ فقالت: يابن العَوّام، أتريد أن أدَع لغَيْرتك مُصَلًّى صَلَّيتُ مع رسول اللهﷺ وأبي بكر وعمر فيه؟ قال: فإني لا أمنعك، فلما سَمِع النداءَ لصلاة الصبح توضَّأ وخرج، فقام لها في سَقِيفة بني ساعِدَة، فلما مَرَّت به ضَرَب بيده على عجيزتها، فقالت: ما لك قطع اللّهُ يدك! ورجعتْ، فلما رَجِع من المسجد قال: يا عاتِكَة، ما لِي لم أَرَك في مُصلاّك؟ قالت: يرحمُك الله أبا عبد الله، فسَد الناسُ بعدَك، الصلاة اليوم في القَيْطُون[2] أفضلُ منها في البَيْت، وفي البيت أفضل منها في الحُجْرة. فلما قُتِل عنها الزُّبير بوادي السِّباع رثَته فقالت: [الكامل]

غَدَرَ ابنُ جُرمُوزٍ بِفارِسِ بُهْمَة ... يومَ اللقاءِ وكانَ غيرَ مُعَرِّدِ
يا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ ... لا طائِشاً رَعِشَ اللِّسانِ ولا اليَدِ
هَبِلَتْكَ أُمُّكَ إنْ قَتلْت لَمُسْلِماً ... حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبةُ المُتَعَمِّدِ

فلما انقضت عِدَّتُها تزوَّجها الحُسينُ بنُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكانت أوّل من رفع خدَّه من التراب ـ صلى الله عليه وآله ولَعَن قاتِلَه والرَّاضي به يوم قُتِل ـ وقالت ترثيه: [الخفيف]

وَحُسَيْناً فلا نَسِيتُ حُسَيْناً ... أقْصَدَتْهُ أسِنَّةُ الأعداءِ[3]

---

(١) عيد: ما اعتاد من مرض أو حزن.
(٢) القيطون: المخدع.
(٣) أقصدته: أصابته.

غَـادَرُوهُ بِـكَـرْبَـلاءَ صَـرِيـعـاً جـادَتِ الـمُـزنُ فـي ذَرَى كَـرْبَـلاء

ثم تأيَّمَت[١] بعده، فكان عبد اللّه بن عمر يقول: من أراد الشَّهادة فليتزوَّج بعاتكة. ويقال: إن مروان خَطَبها بعد الحُسَين عليه السلام فامتنعت عليه، وقالت: ما كنت لأتَّخِذ حَماً بعد رسول الله ﷺ.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثني العمريّ قال: حدثنا أُسامة بن زيد، عن القاسم بن محمد قال: لم يزل السهم الذي أصاب عبد اللّه بن أبي بكر عند أبي بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجه إليهم، فقال: من يعرف هذا منكم؟ فقال سعيد بن عبيد من بني علاج: هذا سهمي وأنا بريتُه، وأنا رشتُه، وأنا عقبته، وأنا رميت به يوم الطائف فقال أبو بكر: فهذا السهم الذي قتل عبد اللّه، والحمد لله الذي أكرمه بيدك، ولم يهنك بيده.

[طويس يغني شعراً لعاتكة]

أخبرني اليزيديُّ، عن الزُّبير، عن أحمد بن عُبَيْد اللّه بن عاصم بن المُنْذِر بن الزبير، قال: لما قُتِل الزبير وخلتْ عاتكة بنتُ زَيْد، خطَبها عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فقالت له: إني لأضَنُّ بك على القتل يابنَ عمِّ رسول الله.

أخبرني الحُسَيْن بنُ يَحْيى، عن حمّاد، عن أبيه، عن محمد بن سَلاّم قال: حدثني أبي قال: بينا فِتية من قريش ببطن مُحَسِّر[٢] يتذاكرون الأحاديثَ ويتناشدون الأشعارَ إذ أقبل طُوَيس وعليه قميص قُوهِيٌّ[٣] وحبَرة قد ارتدَى بها، وهو يَخطُر في مِشْيته، فسلّم ثم جلس، فقال له القوم: يا أبا عبد اللّه غَنِّنا شِعْراً مليحاً له حديث ظريف، فغنّاهم بشعر عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطاب: [الكامل]

مُـنِـعَ الـرُّقـادُ فَـعـادَ عَـيْـنِـيَ عِـيـدُ مِـمَّـا تَـضَـمَّـنَ قَـلْـبِـي الـمَـعْـمُـودُ

الأبيات، فقال القوم: لِمَنْ هذه الأبيات يا طُوَيس؟ قال لأجْمَل خلق الله وأشأمهم، فقالوا: بأنفُسنا أنت، من هذه؟ قال: هي والله من لا يُجهَل نَسبُها ولا يُدفع شرفُها، تزوّجت بابن خليفة نبي الله، وثَنّت بخليفة خليفة نبيّ الله، وثَلَّثت

(١) تأيمت: فقدت زوجها ولم تتزوج غيره.
(٢) محسّر: اسم لعدة مواضع. (انظر معجم البلدان ٥/ ٦٢).
(٣) قميص قوهيٌّ: نوع من الثياب البيض.

بحَوارِيّ نبيّ الله، وربَّعت بابن نبي الله وكُلاًّ قَتَلتْ. قالوا جميعاً: جُعِلْنا فداك، إنّ أمر هذه لعجيب، بآبائنا أنت من هذه؟ قال: عاتكةُ بنتُ زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيل. فقالوا: نعم، هي على ما وصَفْتَ، قوموا بنا لا يُدرِك مجلسَنا شؤمُها. قال طُوَيس: إن شُؤْمَها قد مات معها، قالوا: أنت والله أعلم مِنّا.

صوت [الخفيف]

يـا دَنـانِـيـرُ قـد تَـنَـكَّـرَ عَـقْـلِـي ... وتَـحَـيَّـرتُ بـيـنَ وَعْـدٍ ومَـطْـل[1]

شَـغَـفِـي شـافِـعِـي إلـيـكِ وإلاّ ... فـاقْـتُـلِـيـنـي إنْ كُـنْـتِ تَـهْـوَيـن قَـتْـلِـي

الشعرُ والغِناء لعَقِيد مولى صالح بن الرشيد، خفيف ثقيل، وفيه لعريب رمل بالوسطى، وهذا الشعر يقوله في دنانير مَوْلاة البرامكة، وكان خَطَبها فلم تُجِبه، وقيل: بل قاله أحدُ اليزيديّين ونَحَلَه إيّاه.

(١) مطله حقّه: سوّفه بوعد الوفاء مرةً بعد أخرى.

ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد

[صفاتها وبعض أخبارها]

كانت دنانيرُ مولاة يحيى بن خالد البرمكيّ وكانت صفراء مولَّدة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وأظرفهنّ وأكملهنّ أدباً وأكثرهنّ رِواية للغناء والشعر، وكان الرشيد لشغفه بها يُكثِر مصيرَه إلى مولاها ويقيم عندها ويَبرّها ويفرِط، حتى شكته زبيدةُ إلى أهله وعُمومته، فعاتبوه على ذلك.

ولها كتابٌ مجرَّد في الأغاني مشهور، وكان اعتمادُها في غنائها على ما أخذته من بذْل وهي خَرَّجَتْها، وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بذْل عنهم مثل فُلَيح، وإبراهيم، وابن جامع، وإسحاق، ونُظرائهم.

أخبرني جحظة، قال: حدَّثني المكّيُّ عن أبيه قال: كنتُ أنا وابنُ جامع نُعايِي[1] دنانيرَ جارية البرامكة، فكثيراً ما كانت تَغلِبنا.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ، عن ابن شبّة، قال: حدثني إسحاق الموصليّ، قال: قال لي أبي: قال لي يحيى بن خالد: إن ابنتك دنانير قد عمِلت صوتاً اختارتْه وأُعْجِبت به، فقلت لها: لا يشتدُّ إعجابُك حتى تعرضِيه على شَيخك، فإن رضِيَه فارضيْه لنفسك، وإن كرهه فاكرهيه، فامضِ حتى تعرضَه عليك. قال: فقال لي أبي: فقلت له: أيها الوزير فكيف إعجابُك أنت به؟ فإنك والله ثاقب الفِطنة صحيحُ التَّمْييز، قال: أكرهُ أن أقولَ لك: أعجبني فيكون عندك غَير مُعجِب؛ إذ كنت عندي رئيس صناعتك، تَعرِف منها ما لا أعرف، وتقف من لطائفها على ما لا

(١) عاياه: ألقى عليه كلاماً لا يهتدى لوجهه.

أِقف، وأكرهُ أن أقول لك: لا يُعجِبُني، وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً، وإنما يتمُّ السرور به إذا صادف ذلك منك استجادَةً وتصويباً. قال: فمضَيْت إليها، وقد تقدم إلى خَدمه يعلمهم أنه سيرسل بي إلى داره، وقال لدنانير، إذا جاءك إبراهيمُ فاعْرِضي عليه الصوتَ الذي صنعتِه واستحسنْتِه، فإن قال لك: أصبتِ سَررتِني بذلك، وإن كَرِه فلا تُعلميني لئلا يزول سُرورِي بما صنعتِ. قال إسحاق: قال أبي: فحضَرْتُ الباب فأُدخِلتُ، وإذا الستارة قد نُصِبت، فسلّمت على الجارية من وراء الستارة، فردَّت السلام، وقالت: يا أبتِ أعرِضُ عليك صوتاً قد تقدّم لا شكّ إليك خبرُه، وقد سمعتُ الوزيرَ يقول: إن الناس يُفتنون بغنائهم، فيُعجبهم منه ما لا يُعجب غيرهم، وكذلك يُفتنون بأولادهم، فيحْسُنُ في أعينهم منهم ما ليس يحسن، وقد خشِيت على الصوت أن يكون كذلك، فقُلت: هاتِ فأخذت عودَها وتَغنَّت تقول:

صوت

[الكامل]

نَـفْـسِـي أكُـنْـتُ عَـلَـيْـكِ مُـدَّعِـيـاً	أمْ حِـيـنَ أزْمَـعَ بـيْـنَـهُـمْ خُـنْـتِ!
إن كُـنْـتِ مُـولَـعَـةً بِـذِكْـرِهِـمُ	فَـعَـلَـى فِـراقِـهِـمُ ألا مُـتِّ!

قال: فأعجبني والله غاية العجب واستخفَّني الطرب، حتى قلت لها: أعيديه، فأعادته وأنا أطلب لها فيه موضعاً أُصلحه وأُغيّره عليها لتأخذَه عنّي، فلا والله ما قَدرتُ على ذلك، ثم قلتُ لها: أعيديه الثالثة فأعادته، فإذا هو كالذهب المصفَّى، فقلت: أحسنتِ يا بنيّة وأصبت، وقد قطعت عليك بحُسن إحسانك وجودة إصابتك أنك قائدة للمعلمين؛ إذ قد صرت تُحسنين الاختيار وتُجيدين الصنعة، قال: ثم خرج فلقيه يحيى بنُ خالد، فقال: كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير؟ قال: أعزَّ الله الوزير، والله ما يُحْسِن كثيرٌ من حُذَّاق المغنِّين مثلَ هذه الصنعة، ولقد قلتُ لها: أعيديه وأعادته عليَّ مرات، كلُّ ذلك أُريد إعناتها، لأجتلِبَ لنفسي مدخلاً يؤخذ عنّي ويُنسب إليّ، فلا والله ما وجدته؛ فقال لي يحيى: وصفُك لها يقوم مقام تعليمك إيّاها، وقد ـ والله ـ سررتني وسأسرُّك، فوجّه إليّ بمال عظيم.

[يحيى بن خالد يشتريها والرشيد يعجب بها]

وذكر محمدُ بنُ الحَسَن الكاتب، قال: حدَّثني ابن المكيّ، قال: كانت دنانير

لرجل من أهل المدينة، وكان خرّجها وأدَّبها، وكانت أروى الناسِ للغِناء القديم، وكانت صفراء صادقةَ الملاحة، فلما رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها. وكان الرشيد يسير إلى منزله فيسمعُها، حتى ألفها واشتد عَجَبُه بها فوهب لها هِبات سنيةً، منها أنه وهب لها في ليلة عِيد عِقْداً، قيمته ثلاثون ألف دينار، فَرُدّ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك. وعلمت أمّ جعفر خبرَه فشكته إلى عُمُومته، فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه، فقال: ما لِي في هذه الجارية من أرَبٍ في نفسها. وإنما أرَبي في غنائها، فاسمعوها، فإن استحقت أن يُؤلَف غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم، فأقاموا عنده، ونقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذروه، وعادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها ألا تُلحّ في أمرها فقَبلت ذلك، وأهدت إلى الرَّشيد عَشْر جوارٍ، منهن ماردة أم المعتصم، ومراجل أم المأمون، وفارِدَة أم صالح.

وقال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزيّات: أخبرني محمد بن عبد اللّه الخُزاعِيّ قال: حدَّثني عَبَّاد البشريّ قال: مررتُ بمَنْزِل من منازل طريق مَكَّة يقال له النِّبَاج[1]، فإذا كِتابٌ على حائط في المنزل، فقرأتُه فإذا هو: النّيْكُ أربعة؛ فالأول شَهْوة، والثاني لَذَّة، والثالث شِفاء، والرابع دَاءٌ، وحِرٌ إلى أَيْرَيْن أحوجُ من أيْرٍ إلى حِرَيْن، وكتبَتْ دَنانيرُ مولاة البرامكة بخَطّها.

أخبرني إسماعيل بن يونس، عن ابن شَبَّة: أن دنانير أخذت عن إبراهيم الموصليّ حتى كانت تُغنِّي غِناءه، فتَحْكِيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق، وكان إبراهيم يقول ليحيى: متى فقدتَني ودنانيرُ باقية فما فقدتني.

قال: وأصابتها العِلّة الكَلْبِيَّة فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدةً، فكان يحيى يتصدَّق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار، لأنها كانت لا تصومه، وبقيت عند البرامكة مدة طويلة.

[الرشيد يأمر بصفعها بسبب رفضها الغناء]

أخبرني ابنُ عَمَّار، وابن عبد العزيز، وابن يونس، عن ابن شبّة، عن إسحاق. وأخبرني جَحْظةُ، عن أحمد بن الطّيب: أنّ الرشيد دعا بدنانيرَ البرمكيّة بعد قتلِه إيَّاهم، فأمرها أن تُغَنِّي، فقالت: يا أمير المؤمنين، إني آليتُ ألاّ أُغَنِّي بعد

---

(١) النِّباج: اسم لعدة أماكن (انظر معجم البلدان ٥/ ٢٥٥).

سَيِّدي أبداً، فغضب، وأمر بصَفْعِها، فصُفِعت، وأُقيمت على رجليها، وأعطيت العُود، وأخذته وهي تبكي أحرَّ بكاء، واندفعت فغنّت:

صوت

[المنسرح]

يـا دارَ سَـلْـمَـى بـنـازِحِ الـسَّـنَـدِ   بـيـنَ الـثَّـنـايـا ومَـسْـقَـطِ الـلُّـبَـدِ

لَـمَّـا رَأَيْـتُ الـدِّيـارَ قَـد دَرَسَـتْ   أيْـقَـنْـتُ أنَّ الـنَّـعِـيـمَ لـم يَـعُـدِ

الغناء للهُذَليّ خفيف ثقيل أول مطلق في مَجْرى الوُسْطى، وذكر عليّ بن يحيى المُنَجّم وعمرو أنه لسياط في هذه الطريقة.

قال: فَرقّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت، ثم التفت إلى إبراهيم بن المَهْديّ فقال له: كيف رأيتَها؟ قال: رأيتها تَخْتِله برفق، وتَقْهَرُه بحِذْق.

قال عليّ بن محمد الهِشاميّ: حدثني أبو عبد اللّه بن حَمْدون أن عَقِيداً مولى صالح بن الرشيد خَطَب دَنانير البرمكيّة، وكان هَوِيَها وشُغِفَ بذكرها، فردّته، واستشْفَع عليها مولاه صالح بن الرشيد، ويَذْل، والحُسَين بن محرز، فلم تُجِبه وأقامت على الوفاء لمولاها، فكتب إليها عَقِيد قوله: [الخفيف]

يـا دَنـانِـيـرُ قـد تَـنَـكَّـرَ عَـقْـلِـي   وتَـحَـيَّـرْتُ بـيـنَ وَعْـدٍ ومَـطْـلِ

شَـفِّـعِـي شـافِـعـي إلـيـكِ وإلاَّ   فـاقـتُـلِـيـنـي إنْ كُـنْـتِ تَـهْـوَيْـنَ قَـتْـلِـي

أنَـا بِـالله والأمِـيـر ومـا آ   مُـلُ مـن مَـوْعِـدِ الـحُـسَـيْـنِ وبَـذْلِ

مـا أُحِـبُّ الـحَـيـاةَ يـا حِـبُّ إنْ لَـمْ   يَـجْـمَـعِ الله عـاجـلاً بـكِ شَـمْـلِـي[1]

فلم يعطِفْها ذلك على ما يُحِبّ، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت. وكان عَقِيدٌ حَسَن الغِناء والضرب قليلَ الصَّنْعة، ما سمِعنا منه بكبِير صَنْعة، ولكنه كان بمَوضِع من الحِذْق والتّقدُّم.

قال محمد بن الحَسَن: حدثني أبو حارثة عن أخيه أبي معاوية قال: شهدتُ إسحاق يوماً وعَقِيدٌ يُغنّيه:

---

(١) الحِبّ: الحبيب.

صوت [البسيط]

هَلاَّ سَأَلْتِ ابْنَةَ العَبْسِيِّ ما حَسَبي عِندَ الطِّعانِ إذا ما احْمَرَّتِ الحَدَقُ
وجالَتِ الخَيْلُ بالأبطالِ عابِسَةً شُعْثَ النَّواصِي عليها البِيضُ تَأْتَلِقُ

الشعر يقال إنه لعَنْتَرة ولم يصحَّ له، والغِناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى. قال: فجعل إسحاق يستعيده ويشرب ويُصفِّق حتى والَى بين أربعة أرطال، وسأله بعضُ مَنْ حضر: مَنْ أحسَنُ الناسِ غناءً؟ قال: مَنْ سقاني أربعةَ أرطال.

وفي دنانير يقول أبو حَفْص الشِّطْرَنْجِيّ:

صوت [السريع]

أشْبَهَكِ المِسْكُ وَأشْبَهْتِهِ قائِمَةً في لَوْنِهِ قاعِدَهْ
لا شَكَّ إذْ لونُكُما واحِدٌ أنَّكُما من طِينَةٍ واحِدَهْ

غنّاه ابن جامع هزَجاً بالبِنصر وقيل إنه لأبي فارة.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن عليّ بن محمد النوفليّ، عن مَوْلاة ابن جامع أنّ مولاها كان يهوى جارية صفراء. فقال فيها هذا الشعر وغنّى فيه، وأظن هذا وهماً؛ لأنا لم نسمع لابن جامع بشعر قط، ولعله غنّاه في شعر أبي حَفْص الشِّطْرنجيّ فظنته له.

ومما غنّاه عَقِيد في دنانيره والشعر للموصليّ إلا البيت الأول فليس له:

صوت [البسيط]

هَذِي دَنانيرُ تَنْسانِي فأذْكُرُها وكيفَ تَنْسَى مُحِبًّا ليسَ يَنْساها!
واللّهِ واللّهِ لو كانَتْ إذا بَرَزَت نَفسُ المُتَيَّمِ في كَفَّيْهِ ألْقاها

والشعر والغناء لعقيد، ولحنه من الرَّمل المطلق في مجرى الوسطى، وفيه هزج خفيف مُحدَث.

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني عليُّ بن محمد قال: حدثني جابر بن مُصْعَب، عن مُخارِق، قال: مرَّت بي ليلةٌ ما مَرَّ بي قطّ مثلُها. جاءني رسولُ محمد الأمين وهو خليفة، فأخذني وركضَ بي إليه ركْضاً، فحين وافَيْتُ أُتِيَ بإبراهيم بن

المهدي على مثل حالي، فنزلنا، وإذا هو في صحن لم أرَ مثله قد مُلِيء شمعاً من شمع محمد الأمين الكِبار، وإذا به واقف ثم دخل في الكِرح[١]، والدار مملوءة بالوصائف يُغنِّين على الطبول والسّرنايات[٢] ومحمد في وسطهنّ يرتكِض في الكِرْح، فجاءنا رسولُه، فقال: قُوما في هذا الباب مما يَلِي الصَّحْن، فارفعا أصواتكما مع السرناي أين بَلَغ. وإيّاكما أن أسمَع في أصواتكما تقصيراً عنه، قال: فأصغَيْنا فإذا الجَوارِي والمُخَنَّثون يزمُرون ويضربون: [البسيط]

هَـذِي دنـانـيـرُ تَـنْـسـانـي وأذكُـرُهـا ... وكيفَ تَنْسَى مُحِبًّا ليسَ ينساها!
أعـوذُ بـالله مـن هِـجْـرانِ جـارِيَـةٍ ... أصْبَحْتُ مِن حُبِّها أهذِي بذكراها
قد أُكْمِلَ الحُسْنُ في تَرْكِيبِ صُورَتِهَا ... فـارْتَـجَّ أسـفـلُـهـا واهْـتَـزَّ أعْـلاهـا
قـامَـتْ تَـمَـشَّـى فَـلَـيْـتَ الله صَـيَّـرَنـي ... ذاكَ الـتُّـرابَ الـذي مَـسَّـتْـهُ رِجْـلاهـا
والـلَّـهِ والـلَّـهِ لـو كـانَـتْ إذا بَـرَزَتْ ... نَـفْـسُ الـمُـتَـيَّـمِ فـي كَـفَّـيْـهِ ألـقـاهـا

فما زلنا نشقُّ حلوقَنا مع السرناي ونَتْبَعه حذراً من أن نخرج عن طبقته، أو نقصر عنه إلى الغداة، ومحمد يجولُ في الكِرْح ما يسأمه، يدنو إلينا مرة في جولانه ويتباعد مرَّة، وتحولُ الجوارِي بيننا وبينه حتى أصبحنا.

صوت

ألا طَـرَقَـتْ أسْـمـاءُ لا حِـيـنَ مَـطْـرَقِ ... وَأنَّـى إذا حَـلَّـتْ بِـنَـجْـرانَ نَـلْـتَـقِـي
بِـوَجٍّ ومـا بـالِـي بِـوَجٍّ وبـالُـهـا ... ومَن يلْقَ يَوْماً جِدَّةَ الحُبِّ يُخْلَقِ[٣]

عَرُوضه من الطويل، الشعر لخُفاف بن نُدْبة، والغناء لابن محْرز خفيف ثقيل أول بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالسبابة في مَجرى البِنصرِ عن إسحاق أيضاً، وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحناً لِمَعْبَد ثاني ثقيل بالوسطى، وفيه لعلُّويه خفيف رمل بالوسطى، وفيه للقاسم بن زُرْزُور خفيف رمل آخر صحيح في غنائه، وفيه لابن مِسْجَح ثقيل أول، عن إبراهيم، ويحيى المكيّ، والهِشاميّ، وفيه لمخارق رمل بالبِنصر.

---

(١) الكِرْح: بيت الراهب.
(٢) السرنايات: من آلات الصفير.
(٣) وَجٌّ: الطائف (انظر معجم البلدان ٥/ ٣٦١).

أخبار خفاف ونسبه

[توفي نحو ٢٠ هـ/ نحو ٦٤٠ م]

[نسبه وأخباره]

هو خُفاف بن عُمَيْر بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيلان بن مضر بن نِزار، ونُدْبة أُمه وهي أمةٌ سوداءُ، وكان خفاف أسودَ أيضاً، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فرسانهم، وجعله ابنُ سَلاّم في الطبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نُوَيْرة، ومع ابني عَمِّه صَخْر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد، ومالك بن حِمار الشَّمْخيّ.

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال: كان خُفاف بن نُدْبة ـ وهي أمه ـ فارساً شجاعاً شاعراً، وهو أحدُ أغربة العرب، وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشَّريد أغار على بَني ذُبيان يوم حَوْزة، فلما قتلوا معاوية بن عمرو قال خُفاف: والله لا أريم اليوم أو أُقِيدُ به سَيِّدَهم، فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذ فارسُ بني فَزارة وسيِّدهم فطعنه فقتله، وقال: [الطويل]

فَإِنْ تَكُ خَيْلِي قد أُصِيبَ صَمِيمُها ... فَعَمْداً على عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مالِكَا
رَفَعْتُ لَهُ ما جَرَّ إذ جَرَّ مَوْتَه ... لأبْنِيَ مَجْداً أوْ لأثأر هالِكا
أقولُ له والرُّمحُ يأطِرُ مَتْنَهُ: ... تأمَّلْ خُفافاً إنَّنِي أنا ذَلِكا[1]

(١) يأطر: يثني. والمتن: الظهر، وهنا أراد ظهر مالك.

قال ابن سلاّم: وهو الذي يقول: [السريع]

يـا هِـنـدُ يـا أُخْـتَ بـنـي الـصّـارِدِ مـا أنـا بـالـبـاقـي ولا الـخـالِـدِ
إن أُمْـسِ لا أمْـلِـكُ شَـيْـئـاً فَـقَـدْ أَمْـلِـكُ أَمْـرَ الـمَـنْـسِـرِ الـحـارِدِ[١]

في هذين البيتين لعُبَيْد اللّه بن أبي غَسَّان خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشاميّ.

[بينه وبين العباس بن مرداس وقيام الحرب وموقف دريد بن الصمة]

أخبرني عَمِّي، عن عبد اللّه بن أبي سعد، عن أحمد بن عمرَ، عن عُمَر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن الحجاج السُّلَميّ قال: كان بَدءُ ما كان بين خُفاف بن نُدْبة والعباس بن مرداس أنَّ خُفافاً كان في مَلإٍ من بني سُلَيم فقال لهم: إن عباس بن مِرْداس يريد أن يبلُغ فينا ما بلغَ عباس بن أَنس، ويأْبَى ذلك عليه خصالٌ قَعَدْن به. فقال له فتى من رهط العبّاس: وما تلك الخصالُ يا خُفاف؟ قال: اتّقاؤُه بخَيله عند الموت، واستهانَتُه بسبَايا العَرب، وقتلُه الأَسرى، ومُكالَبَتُه للصعاليك على الأسلاب، ولقد طالت حياته حتى تَمَنَّيْنا موتَه. فانطلق الفتى إلى العبَّاس فأخبره الخبر، فقال العبَّاس: يابن أخي، إن لم أكن كالأصمّ في فضله فلستُ كخُفافٍ في جهْله، وقد مضى الأصمُّ بما في أمس وخَلَّفَنِي بما في غَدٍ، فلما أَمسى تَغَنَّى، وقال: [الوافر]

خُـفـافٌ مـا تَـزالُ تَـجُـرُّ ذَيْـلاً إلـى الأمْـرِ الـمُـفـارِق لـلـرَّشـادِ
إذا مـا عـايَـنَـتْـكَ بَـنُـو سُـلَـيـمٍ ثَـنَـيْـتَ لَـهُـمْ بِـداهِـيَـةٍ نـآدِ[٢]
وقـد عَـلِـمَ الـمَـعـاشِـرُ مـن سُـلَـيْـمٍ بِـأنّـي فِـيـهِـمُ حَـسَـنُ الأيـادي
فـأورِدْ يـا خُـفـافُ فَـقَـدْ بُـلِـيـتُـمْ بَـنِـي عَـوْفٍ بِـحَـيَّـةِ بَـطْـنِ وادِي

قال: ثم أصبح فأتى خُفافاً. وهو في مَلإٍ من بني سُلَيْم، فقال: قد بلغني مقالتُك يا خُفاف، والله لا أشتُم عِرضَك ولا أسُبُّ أباكَ وأمَّك، ولكنّي رامٍ سوادك

(١) المنسر: الخيل ما بين الثلاثين والأربعين أو من الأربعين إلى الخمسين، أو إلى الستين، أو من المائة إلى المائتين. والحارد: المجتمع الخلق، الشديد.

(٢) الداهية النآد: الشديدة.

بما فِيك وإنك لتعلم أنّي أحمِي المصافَّ[1] وأتكرَّمُ على السَّلَب وأُطلق الأسيرَ وأصونُ السَّبِيَّةَ. وأما زعمُك أني أتَّقِي بخَيْلي الموتَ فهاتِ من قومِك رجلاً اتَّقيتُ به. وأما استهانتي بسبَايا العرب فإني أحذُو القوم في نسائهم بفعال هم في نسائِنا، وأما قتلي الأسرى فإني قتلتُ الزُّبيديّ بخالك؛ إذ عجزت عن ثأرك. وأما مُكالبتي الصعاليكَ على الأسلاب، فوالله ما أتيتُ على مسلُوب قطّ إلا لُمتُ سالبه. وأما تَمَنِّيك موتي، فإن مُتُّ قبلك فأغْنِ غَنائي، وإن سُلَيماً لتعلم أني أخفُّ عليهم مَؤونة، وأثقلُ على عدوِّهم وطأةً منك، وإنّك لتعلم أنّي أبحْتُ حِمَى بني زُبيد، وكسرتُ قَرْنَي الحارث وأطفأتُ جَمْرةَ خَثعم، وقلّدت بني كِنانة قلائِدَ العار. ثم انصرف، فقالَ خُفافٌ أبياتاً لم يحفظ الشيخُ منها إلا قوله: [الوافر]

وَلَمْ تَقْتُلْ أَسِيرَكَ مِنْ زُبيدٍ ... بخالي بَلْ غَدَرْتَ بمُسْتَقادِ
فَزَنْدُكَ في سُلَيْمٍ شَرُّ زَنْدٍ ... وزادُك في سُلَيْمٍ شَرُّ زادِ

فأجابه العباس بقوله: [الوافر]

أَلا مَنْ مُبْلغٌ عنِّي خُفافاً ... فإنِّي لا أُحاشِي مِنْ خُفافِ
نَكَحْتَ وَلِيدةً وَرَضَعْتَ أُخْرَى ... وكانَ أَبُوكَ تحْمِلُهُ قَطافِ
فَلَسْتُ لِحاصِنٍ إن لَمْ نَزُرْها ... تُثيرُ النَّقْعَ مِنْ ظَهْرِ النِّعافِ[2]
سِراعاً قَدْ طَواها الأَيْنُ دُهْماً ... وَكُمْتاً لَوْنُها كالوَرْسِ صافِ

قال: ثم كف العباس وخُفاف حتى أتى ابنُ عم للعباس يُكنى أبا عَمْرو بن بدر، وكان غائباً، فقال: يا عباس، ما نقولُ فيك خيراً إلاّ وهو باطل، قال: وكيف ذلك، ويحك! قال: أخبرْني عنك، أكُلُّ الذي أقررتَ به من خُفاف في نفيه أباك وتهجينه عرضك، ليأس من نصر قومك أو ضعف من نفسك؟ قال: لا، ولا واحدة منهما، ولكني أحببت البُقْيا، قال: فاسمع ما قلتُه، قال: هات، فأنشأ يقول:

أَرَى العَبَّاسَ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ ... دَهِينَ الرَّأسِ تَقْلِيهِ النِّساءُ[3]
وَقَدْ أَزْرَى بِوالِدِهِ خُفافٌ ... ويُحْسَبُ مِثْلُهُ الدَّاءُ العَياءُ
فلا تُهْدِ السِّبابَ إلى خُفافٍ ... فإنَّ السَّبَّ تُحسِنُهُ الإماءُ

---

(١) المصاف: مواقف القتال.
(٢) الحاصن: العفيفة. والنِّعاف: جمع نعف وهو المكان المرتفع في اعتراض.
(٣) المذروان: طرفا الألية. ودهين الرأس: مدهون الرأس. وتقليه النساء: تبغضه.

ولا تـكْـذِبْ وَأَهْـدِ إليـه حَـرْبـاً مُـعَـجَّـلَـةً فـإن الـحَـرْبَ داءُ
أَذَلَّ الله شـرَّكُـمـا قَـبِـيـلاً ولا سَـقَّـتْ لَـهُ رَسْـمـاً سَـمـاءُ

قال العباس: قد آذنتُ خُفافا بحرب، ثم أصبحا فالتقيا بقومهما، فاقتتلوا قتالاً شديداً يوماً إلى الليل، وكان الفضل للعباس على خفاف، فركب إليه مالك بن عوف ودُرَيْد بن الصِّمَّة الجُشَميّ في وجوه هَوازن، فقام دُرَيد خطيباً فقال: يا معشر بني سُلَيم، إنه أعجلني إليكم صدرٌ وادٌّ ورَأيٌ جامع، وقد ركب صاحباكم شرَّ مطيّة، وأوضعا إلى أصعب غاية، فالآن قبل أن يندم الغالب ويذِلَّ المغلوب. ثم جلس، فقام مالِكُ بن عوف فقال: يا معشر بني سُلَيم، إنكم نزلتم منزلاً بَعُدت فيه هَوازن، وشَبِعت منكم فيه بنو تميم، وصالت عليكم فيه بكر بن وائِل، ونالت فيه منكم بنو كنانة، فانزِعوا وفيكم بقية قبل أن تلقوا عدوَّكم بقَرْنٍ أَعْضَبَ وكفٍّ جَذْمَاءَ[١]. قال: فلما أمسينا تغنى دُرَيد بن الصِّمَّة فقال: [الطويل]

سُلَيـمُ بـنَ مَنْـصـورٍ أَلَـمَّـا تُـخَـبَّـرُوا بـمـا كـان مِـنْ حَـرْبَـيْ كُـلَـيْـبٍ وداحِـسِ
ومـا كـان فـي حَـرْبِ الـيَـحـابِـرِ مِـنْ دَمٍ مـبـاحٍ وجَـدْعٍ مُـؤلـم لـلـمَـعـاطِـسِ[٢]
ومـا كـان فـي حَـرْبَـيْ سُـلَـيْـم وَقَـبْـلَـهـم بِـحَـرْبِ بُـعـاثٍ مِـنْ هـلاكِ الـفَـوارِسِ
تَـسـافَـهَـتِ الأحْـلامُ فـيـهـا جـهَـالَـةً وأُضـرِم فـيـهـا كُـلُّ رَطْـبٍ ويـابِـسِ
فـكُـفُّـوا خُـفـافـاً عَـنْ سـفـاهَـةِ رَأْيِـهِ وَصـاحِـبَـهُ الـعـبّـاسَ قَـبْـلَ الـدَّهـارسِ[٣]
وإلاّ فـأنـتـم مِـثْـلُ مَـنْ كـان قَـبْـلَـكـم ومَـنْ يَـعْـقِـلُ الأَمْـثـالَ غَـيْـرُ الأكـايـسِ[٤]

وقال مالكُ بن عوف النَّصْريّ: [الطويل]

سُلَيْـمُ بـنَ مَنْـصـورٍ دَعوا الـحَرْبَ إنـمـا هي الـهُـلْـكُ لـلأَقْـصَـيْـنِ أو لِـلأَقـارِبِ[٥]
أَلَـمْ تَـعْـلَـمُـوا مـا كـانَ فـي حَـرْبِ وائِـلٍ وَحَـرْبِ مُـرادٍ أَوْ لُـؤَيّ بـن غـالِـبِ[٦]
تَـفَـرَّقَـتِ الأحـيـاءُ مِـنْـهـم لَـجـاجَـةً وَهُـمْ بَـيْـنَ مَـغْـلـوبٍ ذَلـيـلٍ وغـالِـبِ
فـمـا لِـسُـلَـيْـمٍ نـاصِـرٌ مِـنْ هَـوازِنٍ وَلَـوْ نُـصِـرُوا لَـمْ تُـغْـنِ نُـصْـرَةُ غـائِـبِ

---

(١) الجذماء: المقطوعة.
(٢) الجدع: القطع. والمعاطس: الأنوف، واحده: معطس.
(٣) الدهارس: الدواهي.
(٤) الأكايس: العقلاء.
(٥) الأقصين: الأبعدين.
(٦) وائل ومراد ولؤي بن غالب: قبائل.

قال: ثم أصبحنا، فاجتمعت بنو سُلَيم، وجاء العبّاس وخُفافٌ، فقال لهما دُريد بن الصمَّة ولمن حضر من قومهما: يا هؤلاء، إن أوَّلكم كان خيرَ أوَّل، وكل حيٍّ سَلَف خيرٌ من الخلَف، فكُفُّوا صاحبيكم عن لَجاجِ الحرب وتهاجِي الشعر، قال: فاستحيا العباس فقال: فإنا نكف عن الحرب، ونتهادَى الشعر، قال: فقال دُريد: فإن كنتما لا بد فاعلين فاذكرا ما شئتما ودَعا الشتّم، فإن الشتْم طريقُ الحرب، فانصرَفا على ذلك. فقال العباسُ بن مِرْداس: [المتقارب]

فَأَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي مالِكٍ ... فَأَنْتُم بِأَنْبائِنا أَخْبَرُ
فأما النَّخِيلُ فَلَيْسَتْ لنا ... نَخِيلٌ تُسَقَّى ولا تُؤْبَرُ
ولكنَّ جَمْعاً كجِذْلِ الحِكا ... كِ فِيهِ المُقَنَّعُ والحُسَّرُ[1]
مَغاويرُ تَحْمِلُ أَبْطالَنا ... إلى المَوْتِ ساهِمَةٌ ضُمَّرُ
وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ خَيْفانَةً ... تُدِيمُ الجِراءَ إذا تَخْطِرُ[2]
صَنِيعاً كَقارورةِ الزَّعْفرا ... نِ مِمَّا تُصانُ ولا تُؤثَرُ

ويقال: صَبِيغاً. قال: فأجابه خُفافٌ فقال: [المتقارب]

أَعَبَّاسُ إنَّ اسْتِعارَ القَصِيـ ... ـدِ في غَيْرِ مَعْشَرِهِ مُنْكَرُ
عَلامَ تَناوَلُ ما لا تَنالُ ... فَتَقْطَعُ نَفْسَك أو تَخْسَرُ
فإنَّ الرِّهانَ إذا ما أُرِيدَ ... فَصاحِبُهُ الشَّامِخُ المُخْطِر
تَخاوَصُ لَمْ تَسْتَطِعْ عُدَّةً ... كَأَنَّكَ مِنْ بُغْضِنا أعْوَرُ[3]
فَقَصْرُكَ مَأْثورةٌ إنْ بَقِيـ ... ـتُ أَصْحو بِها لَكَ أَوْ أَسْكَرُ
لِساني وَسَيْفِي مَعاً فَانْظُرَنْ ... إلى تِلْكَ أَيُّهُما تُبْدَرُ

قال: فلما طال الأمر بينهما من الحرب والتَّهاجي، قال عباس: إني واللّهِ ما رأيت لخُفافٍ مثلاً إلا شِبام بني زُبَيد فإنه كان يَلقَى من ابن عمه ثَرْوَانَ بنِ مُرَّة من الشتم والأذى ما ألقى من خُفاف، فلما لَجَّ في شتمه تركه وما هو فيه، فقال:

[الطويل]

وَهَبْتُ لِثَروانَ بنِ مُرَّةَ نَفْسَه ... وقد أَمْكَنَتْني مِنْ ذُؤَابَتِه يَدِي

(١) الجذل: عود ينصب للإبل الجربى لتحتكّ به.
(٢) الخيفانة: الشديدة السريعة.
(٣) تخاوصُ: أي تتخاوص، تغضّ من بصرك شيئاً.

وَأَحْمِلُ ما في اليَوْمِ مِنْ سُوءِ رَأْيِهِ ... رَجاءَ التي يَأْتي بها الله في غَدِ

فقال خُفاف: إني والله ما وجدتُ لعباس مثلاً إلا ثَرْوَان بني زُبَيد، فإنه كان يَلقى من شِبام ما ألقى من العباس من الأذى، فقال ثَرْوَان: [الطويل]

رَأَيْتُ شِباماً لا يَزالُ يَعيبُني ... فَلِلَّهِ ما بالي وبالُ شِبام!
فَقَصْرُك مِنّي ضربةٌ مازِنِيَّةٌ ... بكفِّ فَتًى في القَوْمِ غَيْرِ كَهامِ
فتُقْصِرُ عَنّي يا شِبامُ بنَ مالكٍ ... وما عَضَّ سَيْفي شاتِمي بِحرَامِ

فقال عباس: جزاك الله عني يا خُفاف شرّاً، فقد كنتُ أخفَّ بني سُلَيم من دمائها ظَهْرَاً، وأخمصها بطناً، فأصبحتِ العرب تُعَيِّرني بما كنت أعيب عليها من الاحتِمال وأكْل الأموال، وصرت ثَقيلَ الظّهر من دمائها مُنْتَفِجَ[1] البطن من أموالها، وأنشأ يقول: [المتقارب]

أَلَمْ تَرَ أني تَرَكْتُ الحُروبَ ... وأنّي نَدِمتُ على ما مَضَى
نَدامةَ زارٍ على نَفْسِهِ ... لتِلك التي عارُها يُتَّقى
فَلَمْ أُوقِدِ الحَرْبَ حتى رَمَى ... خُفافٌ بِأَسْهُمِهِ مَنْ رَمَى
فإن تَعْطِفِ القَوْمَ أحلامُهُمْ ... فَيَرْجِعَ مِنْ وُدِّهم ما نَأَى
فَلَسْتُ فَقِيراً إلى حَرْبِهِم ... وما بيَ عن سَلْمِهِم مِنْ غِنَى

فقال خُفاف: [المتقارب]

أعبَّاسُ إمَّا كَرِهْتَ الحُروبَ ... فَقَدْ ذُقْتَ مِنْ عَضِّها ما كَفَى
أأَلْقَحْتَ حَرْباً لها شِدَّة ... زَماناً تُسعِّرُها باللَّظَى
فلمّا تَرَقَّيْتَ في غَيِّها ... دَحَضْتَ وزَلَّ بكَ المُرْتَقَى
فلا زلتَ تَبْكي على زَلَّةٍ ... وماذا يَرُدُّ عَلَيْكَ البُكَا
فإن كُنْتَ أَخْطَأْتَ في حَرْبِنا ... فلَسْنا نُقيلُك هذا الخَطَا
وإنْ كُنْتَ تَطْمَعُ في سَلْمِنا ... فزاوِلْ ثَبِيراً ورُكْنَيْ حِرَا[2]

أخبرني حبيبُ بن نصر المُهَلّبي قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني مسعودُ بن عيسى العَبْديّ، عن يحيى بن عبد اللّه بن الفضل الفَزَاريّ، وكان

---

(١) منفضج البطن: منتفخه.
(٢) ثبير: من أعظم جبال مكة. (انظر معجم البلدان ٢/ ٧٣). وحراء: جبل من جبال مكة (معجم البلدان ٢/ ٢٣٣).

علاّمةً بأمرِ قيس، قال: كان خُفاف بن نُدْبةَ في جماعة من قومه، فقال: إنّ عباس بنَ مرداس ليُريد أن يبلغ فينا مبلغ عباس بن أنس، وتأبى عليه خِصالٌ قعَدْن به عن ذلك. فقال فتًى من رَهْط عباس: ما تلك الخِصال يا خفاف؟ فقال: اتّقاؤه بخيله عند الموت، ومكالبةُ الصعاليك على الأسلاب، وقتلهُ الأسرى، واستهانتُه بسبايا العرب، وايم الله، لقد طالت حياتُه حتى تمنَّينا موتَه. فانطلق الفتى إلى العباس فحدّثه الحديث، فقال العباس: يابن أخي إلاَّ أكن كالأصمّ في فضله فلست كخُفافٍ في جهله، وقد مضى الأصمّ بما في أمس، وخلّفني لِمَا في غد. فلما أمْسَى تغنَّى، فقال: [الوافر]

خُـفـافُ أمـا تَـزالُ تَـجُـرُّ ذَيـلاً ... إلـى الأَمْـرِ الـمُـقَـرِّبِ لـلـفـسـادِ
وَقَـدْ عَـلِـمَ الـمَـعـاشِـرُ مِـنْ سُـلَـيْـمٍ ... بـأنّـي فـيـهـمُ حَـسَـنُ الأيـادي
وأنّـي يَـوْمَ جَـمْـعِ بَـنِـي عُـطَـيْـفٍ ... حـمـلـت بـحـالـكٍ وَهِـجِ الـمَـرادِي[1]
وأنّـي لا أُعَـيَّـرُ فـي سُـلَـيْـمٍ ... بِـرَدِّ الـخَـيْـلِ سـالِـمَـةَ الـهـوادِي
وأنّـي فـي مُـلِـمَّـةِ كُـلِّ يَـوْمٍ ... أَقِـي صَـحْـبِـي وفي خَـيْـلِـي تـعـادِي
وَلَـمْ أسـلِـب بـحـمـد الله كَـبْـشـاً ... سِـلاجـاً بَـيْـنَ مُـخْـتَـلَـفِ الـصِّـعـادِ[2]
وَلَـمْ أَحْـلُـلْ لـمُـحْـصَـنَـةٍ نِـطـاقـاً ... وَلَـمْ أَرَ عِـتْـقَـهـا إلا مُـرادِي
فَـأَوْرِدْ يـا خُـفـاف فَـقَـدْ مُـنِـيـتُـمْ ... بَـنِـي عَـوْفٍ بِـحَـيَّـةِ بَـطْـنِ وادي

فلما أصبح أتى خُفافاً وهو في ملأ من قومه، فقال: قد بلغني مقالُك يا خُفاف، وايم الله، إنك لتعلم أني أحمِي المصافّ[3]، وأكره السلَب، وأُطلِق الأسير، وأصون السَّبِيَّة.

فأمّا زعمُك أنّي أتّقي بخيلي عند الموت فهاتِ لي من قومك رجلاً اتّقيتُ به، وأما قَتْلِي الأسرَى فإني قتلتُ الزُّبيديَّ بخالك، وأما سَلْبي الأسير فوالله ما أتيت على مسلوب قطّ إلاّ لُمتُ سالبَه، وأما استهانتي بالسَّبايا فإني أحذو القوم في سباياهم فِعالَهم في سبايانا، وأما تمنّيك موتِي فإن مِتُّ قبلك فأغْنِ غَنائي. ثم

---

(١) المرادي: جمع مَرْدَى، وهو الحجر الذي تكسر به الصخور.
(٢) الكَبْشُ: سيّد القوم. والصعاد: القنا.
(٣) المصاف: مواقف القتال.

انصرف، فقال خُفاف مُجيباً للعباس عن قوله: [الوافر]

لَعَمْرُ أَبيكَ يا عبّاسُ إني لَمُنْقَطِعُ الرِّشاءِ مِنَ الأعادِي
وَإني قَدْ تُعاتِبُني سُلَيْمٌ على جَرِّ الذُّيولِ إلى الفَسادِ
أَكُلَّ الدَّهْرِ لا تَنْفَكُّ تَجْرِي إلى الأَمْرِ المُفارِق للسَّدادِ
إذا ما عايَنَتْكَ بَنُو سُلَيم تَبيتُ لهم بِداهِيةٍ نآدِ
فَزَنْدُكَ في سُلَيْم شَرُّ زَنْدٍ وزادُك في المَعاشِر شَرُّ زادِ
ألا لله دَرُّكَ مِنْ رَئيس إذا عادَيْتَ فانْظُرْ مَنْ تُعادِي
جَرَيْتُ مُبَرِّزاً وَجَرَيْتَ تَكْبُو على تَعَبٍ فَهَلْ لَكَ مِنْ مَعادِ
وَلَمْ تَقْتُلْ أَسيرَكَ مِنْ زُبَيْدٍ بخالي بَلْ غَدَرْتَ بِمُستَقادِ

ومُستقاد: الزُّبيديّ.

وإنّ رهط خُفاف لاموه وقالوا: اكفُف عن الرجل. فقال: كيف أكفّ عن رجل يريد أن يَترنا أمرنا بغير فضل. وقال رهطُ العباس له: أيها الرجل، اكفُف، فقال قولاً جميلاً، وقال العبّاس عند ذلك: [الكامل]

هَلْ تَعْرِفُ الطَّلَلَ القَديمَ كأنّهُ وَشْمٌ بِأَسْفَلِ ذي الخِيام مُرَجَّعُ
بَقِيَتْ مَعارِفُهُ على مَرِّ الصَّبا بَعْدَ الجَميعِ كَأَنَّهُ قَدْ يَمْرَعُ
دارُ التي صادَتْ فُؤادكَ بَعْدَ ما شَمِلَ المَفارِقَ منك شَيْبٌ أَرْوعُ
وَزَعَمْتَ أنّكَ لا تُراحُ إلى الصَّبا وَعَلَتْكَ مِنْهُ شَبِيبةٌ لا تَرْجِعُ
يا أيها المَرْءُ السَّفِيهُ ألاَ ترى أني أضرُّ إذا هَوِيتُ وَأَنْفَعُ
وَأَعِيشُ ما قَدَر الإلٰهُ على القِلَى وأُعِفُّ نَفْسي عَنْ مَطامِعَ تُطْمِعُ
كَرماً على الخطرِ اليَسِيرِ ولا تَرَى نَفْسِي إلى الأَمْرِ الدَّنيِّ تطلَّعُ
وَأَرُدُّ ذا الضِّغْنَ اللَّئيمَ بِرأْيِهِ حَتَّى يَموتَ وَلَيْسَ فينا مَطْمَعُ
لِلَّهِ دَرُّكَ لا تَمَنَّ مماتَنا فَالمَوْتُ وَيْحكَ قصْرُنا والمَرْجِعُ
لَوْ كانَ يَهلِكُ مَنْ تَمَنَّى مَوْتَهُ حَلَّتْ عَلَيْكَ دُهيةٌ لا تُرْفَعُ
وَمَكَثْتَ في دار الهَوانِ مُوَطَّأً بالذُّلِّ لَيْسَ لِدارِكُم مَنْ يَمْنَعُ

فقال خُفافٌ مجيباً له: [الكامل]

عَجِبَتْ أُمامَةُ إذْ رَأَتْنِيَ شاحِباً خَلَق القَميصِ وأنَّ رَأْسيَ أَصْلَعُ
وَتَنَفَّسَتْ صُعُداً فَقُلْتُ لها: اقْصري إنّي امْرُؤ فيما أضِرُّ وَأَنْفَعُ
مَهلاً أبا أَنَسٍ فإِنّي لِلَّذي خلَّى عَلَيْكَ دُهَيَّةٌ لا تُرْفَعُ

وضَـرَبْـتُ أُمَّ شُـؤونِ رَأْسِـكَ ضَـرْبَـةً فَـاسْتَكَّ منـهـا فـي الـلِّـقـاءِ الـمِـسْـمَـعُ
نَـعْـلَـيَّ حَـذْوُ نِـعـالِـهـا وَلَـرُبَّـمـا أَحْـذُو الـعِـدَا وَلِـكُـلِّ عـادٍ مَـصْـرَعُ
لا تَـفْـخَـرَنَّ فـإنَّ عُـودِيَ نَـبْـعَـةٌ أَعْـيَـتْ أبـا كَـرِبٍ وعُـودُك خِـرْوَعُ(١)
وَلَـقَـدْ أَقُـودُ إلـى الـعَـدُوِّ مُـقَـلِّـصاً سَـلِـسَ الـقِـيـادِ لـه تَـلِـيـلٌ أَتْـلَـعُ(٢)
نَـهْـدَ الـمَـراكـل والـدَّسـيـع يَـزِيـنُـهُ شَـنِـجُ الـنَّـسـا وأبـاجِـلٌ لا تُـقْـطَـعُ(٣)
وَعَـلَـيَّ سـابِـغَـةٌ كـأنَّ قَـتِـيـرَهـا حَـدَقُ الجنادبِ لَيْسَ فيها مَطْمَعُ(٤)
زَغَـفٌ مُـضـاعَـفَـةٌ تَـخَـيَّـر سَـرْدَهـا ذو فـائِـشٍ وبـنـو الـمُـرارِ وتُـبَّـعُ(٥)
فـي فِـتْـيَـةٍ بِـيـضِ الـوُجـوهِ كـأنَّـهُـمْ أُسْـدٌ عـلـى لَـحْـمٍ بِـبِـيـشَـةَ طُـلَّـعُ
لا يَـنْـكَـلـونَ إذَا لَـقُـوا أَعْـدَاءَهـم إنّ الـحِـمـامَ هُـوَ الـطَّـرِيـقُ الـمَـهْـيَـعُ(٦)

وكان خُفاف قد كفّ عن العبّاس، حتى أتاه غلام من قومه، فقال: أبَى العباس إلا جُرأة عليك وعَيْباً لك. فغضب خُفاف ثم قال: ما يدعوه إلى ذلك؟ فوالله إن أباه لرابطُ السهم، وإن أمّه لخفيّة الشخص، ولئن طلب مسعاي ليعلمَنَّ أنه قصيرُ الخطوة أجذمُ الكف، وما ذنبنا إليه إلا أنّا استنقذنا أباه من عِصِيّ بني حِزام، وكافحنا دونه يوم بني فِراس، ونصرنا أباه على حرب بن أميّة. وقال خُفاف في ذلك: [البسيط]

لَـنْ يَـتْـرُكَ الـدَّهْـرَ عَـبَّـاسٌ تَـقَـحُّـمَـهُ حـتـى يَـذُوقَ وبـالَ الـبَـغْـيِ عَـبَّـاسُ
أَمْـسَـكْـتُ عَـنْ رَمْـيِـهِ حَـوْلاً ومَـقْـتَـلُـهُ بـادٍ لـتـعـذرنـي فـي حَـرْبِـهِ الـنَّـاسُ
عَـمْـداً أَجُـرُّ لَـهُ ثَـوْبـي لأَخْـدَعَـهُ عَـنْ رَأْيِـهِ وَرَجَـائِـي عِـنْـدَهُ يـاسُ
فَـالآنَ إِذْ صَـرَّحَـتْ مـنـهُ حَـقـيـقَـتُـهُ ظُـلْـمـاً فـليسَ بِشَـتْـمِـي شاتِـمِـي بَـاسُ
أَجُـدُّ يـومـاً بـقـولـي كُـلَّ مـبـتَـدِئٍ كـمـا يَـجُـدُّ بـكـفِّ الـجـازِرِ الـفـاسُ

---

(١) النبع: شجر صلب شديد تتخذ منه القسيّ. الخِرْوَعُ: الليّن، الرَّخو.
(٢) التليلُ: العنق. والأتلع: الطويل.
(٣) نهد المراكل: واسع الجوف. والدَّسيع: مغرز العنق في الكاهل. وشنج النَّسا: صفة محمودة للفرس. والأباجل: جمع أبجل: وهو عرق في جسم البعير والفرس.
(٤) درع سابغة: تامة طويلة. والقتير: رؤوس المسامير في الدرع. والحدق: جمع حدقة: وهي سواد العين. والجنادب: جمع جندب: وهو الجراد الصغير.
(٥) الزَّغَفُ: جمع زغفة، وهي الدرع الواسعة. وسردها: نسجها. وفائش: وادٍ باليمن كان يحميه ذو فائش سلامة بن يزيد اليحصبي. (معجم البلدان ٤/ ٢٣٤).
(٦) المهيع: الواسع البيِّن.

تـأبـى سُـلَـيْـمٌ إذا عَـدَّتْ مَـسـاعِـيَـهـا ... أن يُـحـرِزَ الـسَّـبـقَ عـبّـاسٌ ومِـرداسُ[1]
أودى أبـو عـامِـرٍ عـبّـاسُ مُـعْـتَـرِفـاً ... أنّـا إذا مـا سُـلَـيْـمٌ حَـصَّـلَـتْ راسُ

فبلغ العباسَ أمرُ خفاف، فأتاه، فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصَّلت بن حزام بن عبد اللّه بن حازم بن الصلت، وكان مأموناً في بني سُلَيم، فقال العباس: قد بلغني قولك يا خُفاف، ولعمري لا أشتمُ أباك ولا أُمَّك، ولكنّي رامٍ سوادَك بما فيك. والله ما كنت إلى ذمِّك بالهَيْمان ولا إلى لحمك بالقَرِم، وإن سُلَيْماً لتعلم أني أبحتُ حِمَى بني زُبيد، وأطفأت جمرة خثعم، وكسرتُ قَرْنَيْ بني الحارث بن كعب، وقلّدت بني كنانة قلائدَ العار، وإني يا خُفاف لأخفُّ منك على بني سُلَيْم مؤونةً، وأثقل منك على عدوّهم وطأةً، وقال مُجيباً له: [البسيط]

إنـي رأيـت خُـفـافـاً لَـيْـسَ يُـهْـنِـئُـهُ ... شَـيْءٌ سِـوَى شَـتْـم عَـبّـاسِ بـنِ مـرداسِ
مَـهْـلاً خُـفـافُ فـإن الـحَـقَّ مَـعْـضَـبَـةٌ ... والـحُـمْـقَ لَيْسَ لَهُ في الـنَّـاسِ من آسِي[2]
سـائِـلْ سُـلَـيـمـاً إذا مـا غـارَةٌ لَـحِـقَـتْ ... مـنـهـا فـوارسُ حُـشْـدٌ غـيـرُ أنـكـاسِ
مِـنْ خَـثْـعَـم وزُبَـيْـدٍ أو بَـنِـي قَـطَـنٍ ... أو رَهْـطِ فَـرْوَةَ دهـراً أوْ شـحـا الـنّـاسِ[3]
يُـنْـبُـوا مَـنِ الـفَـارسُ الـحـامِـي حَـقِـيـقَـتَـهُ ... إذا أتَــوْكَ بــحــامٍ غــيــرِ عــبَّــاسِ
لا يـحـسـبِ الـنّـاس قَـوْلَ الـحَـقِّ مُـعـتـرفـاً ... فـانـظر خُـفـافُ فـمـا في الـحقِّ من بـاسِ
مَـنْ زار خـيـلَ بـنـي سَـعْـدٍ مُـسَـوَّمَـةً ... يُـهْـدِي لأوَّلِـهـا لأيُ بـن شَـمّـاسِ
يـوم اعْـتَـرَضْـتُ أبـا بَـدْرٍ بـجـائـفَـةٍ ... تَـغْـوِي بِـعِـرْقٍ مـن الأحْـشـاءِ قَـلاّسِ[4]
أُدْعَـى الـرَّئـيـسَ إذا مـا حربكـم كـشَـفَـت ... عـن سـاقِـهـا لَـكُـم والأمْـرُ لِـلـرَّاسِ
حـتـى إذا انْـكَـشَـفَـتْ عـنـكـم عَـمـايَـتُـهـا ... أنـشـأتَ تَـضْـرِبُ أخـمـاسـاً لأسـداسِ

وسعَى أهلُ الفسادِ إلى خُفاف فقالوا: إنّ عَبَّاساً قد فَضَحك، فقال خُفاف:

[الطويل]

ألاَ أيُّـهـا الـمُـهْـدِي لِـيَ الـشَّـتْـمَ ظـالِـمـاً ... ولـسـتُ بـأهْـلٍ حـيـنَ أُذْكَـر لـلـشَّـتْـمِ
أبَـى الـشَّـتْـمَ أنّـي سَـيِّـدٌ وابْـنُ سـادةٍ ... مطاعِينَ في الهَيْجا مَطاعِيمَ لِلَّحْمِ
هُـمُ مَـنَـحُـوا نَـصْـراً أبـاك وطـاعَـنـوا ... وذَلِـك إذْ تُـرْمَـى ذَلِـيـلاً ولا تَـرْمِـي

---

(١) السَّبَقُ: الرهن. أي من سبق أخذ ما تراهنوا عليه.
(٢) معضبة: مقطعة.
(٣) الشحا: الواسع. ويريد جميع الناس.
(٤) الطعنة الجائفة: التي تصل إلى الجوف. قلاّس: يزخر بالدم.

كمُسْتَلْحِمٍ في ظُلمةِ اللَّيْلِ بَعْدَ ما رأى المَوْتَ صِرْفاً والسُّيوفُ بها تَهْمي
أدِبُّ علىَّ أنماط بيضاءَ حُرَّةٍ مقابَلَةِ الجدَّيْنِ ماجدَةِ العَمِّ[١]
وأنتَ لحَنْفاءِ اليَدَيْن لَوَ انَّها تُباعُ لما جاءتْ بزَنْدٍ ولا سَهْمِ
وإنِّي على ما كانَ أولُ أوّلٍ عليهِ، كذاكَ القَرْم يُنْتَجُ للقَرْمَ
وأُكرِم نَفْسِي عن أمورٍ دَنِيئةٍ أصُونُ بها عِرْضِي وآسُو بها كَلْمي[٢]
وأصْفَحُ عَمَّن لو أشاءُ جَزَيْتُهُ فيمنعني رُشْدِي ويُدركُني حِلْمِي
وأغفر لِلْمَوْلَى وإنْ ذو عَظِيمَةٍ على البَغْيِ منها لا يَضِيقُ بها حَزْمِي
فَهذِي فَعالِي ما بَقِيتُ وإنَّني لمُوصٍ به عَقْبي إذا كُنتُ في رَجْمي[٣]

فقال له قومه: لو كان أوَّلُ قولِك كآخِره يا خفاف لأطفأت النائرة[٤]، وأذهبت سخائم النَّمائِم! فقال العباسُ مُجيباً له: [الطويل]

أَلاَ أيُّها المُهْدِي لَيَ الشَّتْم ظالماً تَبَيَّنْ إذا رَامَيْتَ هَضْبَةَ مَنْ تَرمي
أبى الذَّمَّ عِرضِي إنَّ عِرْضِيَ طاهرٌ وإنِّي أبِيٌّ من أُباةٍ ذوي غَشْمِ
وإنّي من القومِ الَّذِينَ دماؤُهُم شِفاءٌ لطُلاَّبِ التِّراتِ من الوَغْمِ[٥]

وقال أيضاً: [البسيط]

إن تَلْقَني تَلقَ لَيْثاً في عَرِينَتِهِ من أُسْدِ خِفّانَ في أَرْساغِهِ فَدَعُ[٦]
لا يَبْرَحُ الدَّهرَ صَيْداً قد تَقَنَّصَهُ مِنَ الرِّجالِ على أشْداقِهِ القَمَعُ[٧]

وكان العباس وخفاف قد همَّا بالصُّلح، وكرهت بنو سُلَيْم الحَرب، فجاء غويّ من رهط العبَّاس فقال للعبّاس: إنَّ خُفافاً قد أنحى عليك وعلى والدَيْك، فغضب العباس، ثم قال: قد والله هجاني، فكان أعظمُ ما عابني به أصغرَ عيب فيه، ثم هجا والديَّ فما ضرَّهما ولا نَفعه، ثم برزتُ له فأخفى شخصه واتَّقاني بغيره، ولو شئتُ لشتمت أباه وثَلبت عِرضَه، ولكني وإياه كما قال شِبامُ بني زُبيد

(١) الأنماط: جمع نمط، وهو ضرب من البسط.
(٢) كَلْمِي: جرحي.
(٣) رجمي: لحدي، قبري.
(٤) النائرة: العداوة.
(٥) الوغم: الحقد الثابت.
(٦) فَدَعُ: اعوجاج.
(٧) القمع: الاحمرار.

لابن عم له، يقال له ثَرْوَان بن مُرّة، كان أشبه الناس بخُفاف: [الطويل]

وَهَبْتُ لِثَرْوانَ بنِ مُرَّة نَفْسَهُ ... وَقَدْ أَمْكَنَتْنِي مِنْ ذُؤَابَتِهِ يدِي
وَأَحْمِلُ ما في اليَوْمِ مِنْ سُوءِ رَأْيِهِ ... رجاءَ الذي يَأْتِي بِهِ الله في غَدِ
وَلَسْتُ عَلَيْهِ في السِّفاهِ كَنَفْسِهِ ... وَلَسْتُ إذا لَمْ أَهْجُهُ بِمُوعِّدِ

وقال: [الوافر]

أراني كُلما قارَبْتُ قَوْمِي ... نأَوْا عَنِّي وقَطْعُهم شدِيدُ
سَئِمْتُ عِتابَهُمْ فَصَفَحْتُ عَنْهم ... وَقُلْتُ لَعَلَّ حِلْمَهُمُ يَعودُ
وَعَلَّ الله يُمْكِنُ مِنْ خُفافٍ ... فَأَسْقِيَهِ التي عَنْها يَحِيدُ
بما اكْتَسَبَتْ يَداهُ وجَرَّ فينا ... مِنَ الشَّحْنا التي لَيْسَتْ تَبِيدُ
وأنَّى لي يُؤَدِّبُني خُفافٌ ... وَعَوْفٌ والقُلُوبُ لها وَقودُ
وإنِّي لا أزالُ أُرِيدُ خَيْراً ... وَعِنْدَ الله مِنْ نِعَمٍ مَزِيدُ
فَضاقَتْ بي صُدُورُهمُ وَغَصَّتْ ... حُلوقٌ ما يَبِضُّ لها ورِيدُ[1]
مَتَى أَبْعُدْ فَشَرُّهُمُ قَرِيبٌ ... وَإِنْ أَقْرُبْ فَوُدُّهم بَعِيدُ
أَقُولُ لهم وَقَدْ لَهِجُوا بشَتْمِي: ... تَرَقَّوْا يا بَني عَوْفٍ وزِيدُوا
فما شَتْمي بِنافِعِ حَيِّ عَوْفٍ ... أَيَنْقُصُني الهبُوطُ أَمِ الصُّعودُ
أَتَجْعَلُني سَراةُ بَنِي سُلَيْمٍ ... كَكَلْبٍ لا يَهِرُّ ولا يَصِيدُ
كأنِّي لَمْ أَقُدْ خَيْلاً عِتاقاً ... شَوازِبَ ما لها في الأَرْضِ عُودُ[2]
أُجَشِّمُها مَهامِهَ طامِساتٍ ... كأنَّ رِمالَ صَحْصَحِها قُعودُ[3]
عَلَيْها من سَراةِ بَنِي سُلَيْمٍ ... فَوارِسُ نَجْدة في الحَرْبِ صِيدُ
فأُوطِي مَنْ تُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ ... بِكَلْكَلِها وَمَنْ لَيْسَت تُريدُ

فلما بلغ خُفافاً قولُ العباس قال: والله ما عِبتُ العباس إلا بما فيه، وإني لسليمُ العود، صحيح الأَدِيم، ولقد أدنيتُ سوادي من سَواده فلم أُحجِم ولا نَكَصتُ

(١) بضّ الماء: سال قليلاً قليلاً.
(٢) الشوازب: الضوامر.
(٣) المهامه: الصحاري الواسعة، والصّحصح: ما استوى من الأرض وجرد.

عنه، وإني وإيَّاه كما قال ثَرْوان لِشبام بني زَبيد، وكان يَلْقى منه ما ألقى من العباس، قال: [الطويل]

رَأَيْتُ شِباماً لا يَزالُ يَعيبُني ... فَلِلَّهِ ما بالي وبالُ شِبام
فقَصْرُكَ مِنّي ضَرْبةٌ مازِنيَّةٌ ... بِكَفِّ امْرِئٍ في الحَرْبِ غَيْرِ كَهام(١)
مِنَ اليَوْمِ أو مِنْ شَيْعِهِ بِمُهَنَّدٍ ... خَصوم لهاماتِ الرِّجالِ حُسامِ(٢)
فتُقصِر عني يا شِبامُ بنَ مالكٍ ... وما عَضَّ سَيْفِي شاتِمي بِحَرامِ

وقال خفاف: [الوافر]

أَرَى العَبَّاسَ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ ... وَيَزْعُمُ أَنَّهُ جَهْلاً يَزِيدُ
فَلَوْ نُقِصَتْ عزائِمُهُ وزادتْ ... سَلامتُهُ لكانَ كما يُرِيدُ
ولكنَّ المَعالِمَ أَفْسَدَتْهُ ... وَخُلْقٌ في عَشِيرتِهِ زَهيدُ
فعبّاسُ بنُ مِرْداسِ بنِ عَمْرو ... وكِذْبُ المَرْءِ أَقْبَحُ ما يُفِيدُ
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ والمُصلَّى ... وَأَشْياخٍ مُحَلِّقَةٍ تَنُودُ(٣)
بِأَنَّكَ مِنْ مَوَدَّتِنا قَريبٌ ... وَأَنْتَ مِنَ الذي تَهْوَى بَعيدُ
فَأَبْشِرْ أَنْ بَقِيتَ بِيَوْمِ سُوءٍ ... يَشِيبُ لَهُ مِنَ الخَوْفِ الوَليدُ
كَيَوْمِكَ إذْ خَرَجْتَ تَفُوقُ رَكْضاً ... وطارَ القَلْبُ وَانْتَفَخَ الوَرِيدُ
فَدَعْ قَوْلَ السَّفاهةِ لا تَقُلْه ... فَقَدْ طالَ التَّهدُّدُ والوَعيدُ
رَأَيْنا مَنْ نُحارِبُهُ شَقِيّاً ... ومن ذَا في بَنِي عَوْفٍ سَعِيدُ

وقال خُفافٌ أيضاً: [المتقارب]

أعبّاسُ إنّا وما بَيْنَنا ... كَصَدْعِ الزُّجاجَةِ لا يُجْبَرُ
فَلَسْتَ بِكُفءٍ لأَعْراضِنا ... وَأَنْتَ بِشَتْمِكَنا أَجْدَرُ
وَلَسْنا بِأَهْلٍ لما قُلْتُمُ ... وَنَحْنُ بِشَتْمِكُمُ أَعْذَرُ
أراكَ بَصِيراً بِتِلْكَ الَّتي ... تُريدُ وَعَنْ غَيْرِها أَعْوَرُ
فَقَصْرُكَ مِنّي رَقِيقُ الذُّبا ... بِ عَضْبٌ كَرِيهتُه مِبْتَرُ
وَأَزْرَقُ في رَأْسِ خَطِّيَّةٍ ... إذا هُزَّ أَكْعُبُها تَخْطُرُ

---

(١) قصرك: مصدر قصر، أي انتهى وكفّ. وسيف كهام: كليل.
(٢) شيعه: غده. والهامات: الرؤوس. والحسام: السيف.
(٣) تنود: تتمايل من النعاس.

يَلُوحُ السِّنانُ عَلَى مَتْنِها كنارٍ على مَرْقَبٍ تُسْحَرُ
وزَغْفٌ دِلاَصٌ حَباها العَزِيزُ تَوارَثَها قَبْلَهُ حِمْيَرُ(١)
فَتِلْكَ وَجَرْداءُ خَيْفَانَةٌ إذا زُجِر الخَيْلُ لا تُزْجَرُ
إذا أَلْقَتِ الخَيْلُ أذْيالَها فَأَنْتَ على جَرْيِها أَقْدَرُ
مَتَى يَبْلُلِ الماءُ أَعْطافَها تَبُذُّ الجِيادَ وما تُبْهَرُ
أُنَهْنِهُهُ بِالسَّوْطِ مِنْ غَرْبِها وأُقْدِمُها حَيْثُ لا يُنْكَرُ(٢)
وَأَرْحَضُها غَيْرَ مَذْمومةٍ بِلَبَّاتِها العَلَقُ الأَحْمَرُ
أَقُولُ وَقَدْ شَكَّ أَقْرابَها غَدَرْتَ ومِثْلي لا يَغْدِرُ(٣)
وأُشْهِدُها غَمَراتِ الحُروبِ فسِيَّانِ تَسْلَمُ أو تُعْقَرُ

وقال العباس: [المتقارب]

خُفافُ أَلَمْ تَرَ ما بَيْنَنا يَزِيدُ اسْتِعاراً إذا يُسْعَرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُهِينُ التِّلا دَ لِلسَّائِلِينَ وما نُعْذِرُ
لأنا نُكَلَّفُ فَوْقَ الَّتي يُكَلَّفُها النَّاسُ لَوْ تَخْبُرُ
لنا شِيَمٌ غَيْرُ مَجْهولَةٍ تَوارَثَها الأَكْبَرُ الأَكْبَرُ
وَخَيْلٌ تُكَدَّسُ بِالدَّارعيـ ـنَ تُنْحَرُ في الرَّوع أو تُعْقَرُ
عليها فَوارِسُ مَخْبورةٌ كَجِنٍّ مساكِنُها عبقرُ(٤)
ورَجْراجةٌ مِثْلُ لَوْنِ النُّجو مِ لا العُزْلُ فيها ولا الحُسَّرُ(٥)
وبِيضٌ سَوابغُ مَسْرودةٌ مَواريثُ ما أَوْرَثَتْ حِمْيَرُ
فَقَدْ يَعْلَمُ الحَيُّ عِنْدَ الصِّياحِ بِأَنَّ العَقِيلةَ بي تُسْتَرُ
وَقَدْ يَعْلَمُ الحَيُّ عِنْد الرِّها نِ أنّي أنا الشَّامِخُ المُخْطِرُ
وَقَدْ يَعْلَمُ الحَيُّ عِنْدَ السُّؤا لِ أنّي أَجُودُ وأُسْتَمْطَرُ
فَأنَّى تُعَيِّرني بالفخارِ فها أنا هذا هو المُنْكَرُ

---

(١) الدِّلاصُ: الملساء الليّنة.
(٢) أُنَهنهُ: أكفّ. والغرب: النشاط والحدة.
(٣) أقرابها: جمع قرب: وهو الخاصرة.
(٤) عبقر: موضع في البادية زعم العرب أنه كثير الجنّ. (لسان العرب. مادة عبقر/ ٥٣٤).
(٥) الكتيبة الرجراجة: التي تموج من كثرة عددها.

صوت

[الطويل]

أَلا لا أُبالي بَعْدَ رَيّا أَوَافَقَتْ نَوَانا نَوَى الجِيرانِ أَمْ لَمْ تُوافِقِ
هِجانُ المُحَيَّا حُرَّةُ الوَجْهِ سُربِلتْ مِنَ الحُسْنِ سِرْبالاً عَتيقَ البَنائِقِ[1]

الشعر لجَبْهاء الأَشجَعِيّ، والغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) الهجان: الخالص من كل شيء. والبنيقة: رقعة تزاد في نحر القميص لتوسيعه.

أخبار جبهاء ونسبه

[لقبه ونسبه]

جَبْهاء لقب غلَب عليه، يقال جَبْهاء وجُبَيْهاء جميعاً، واسمه يَزيدُ بن عُبَيْد، ويقال: يَزِيد بن حميمة بن عُبيد بن عُقَيلة بن قيس بن رِوَيْبة بن سُحَيم بن عُبَيْد بن هِلال بن زَبِيد بن بَكْر بن أشجع، شاعر بدوِيّ من مَخَالِيفِ الحِجاز، نشأ وتُوفِّيَ في أيام بني أمية! وليس ممّن انْتَجَعَ الخُلفاء بشِعْره ومدحهم فاشتهر، وهو مُقِلٌّ، وليس من مَعْدُودِي الفُحول، ومن الناس من يَرْوِي هذه الأبيات لأبِي رُبَيْس الثعلبي وليس ذلك بصَحيح، وهي في شعر جَبْهاء موجودة.

[لقاؤه بالفرزدق]

أخبرني الحَرمِيّ بن أبي العَلاء قال: حدَّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار، قال: حدثني عمِّي، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا أبو الحَسَن الأحول، عن الطُّوسِيّ، عن أبي عمرو الشَّيْبانِيّ، قال: قدِم جُبَيْهاءُ الأشجعِيُّ البصرة بجَلُوبَة[1] له يريد بَيعَها، فلَقِيه الفرزدقُ بالمِرْبَد، فقال: مِمَّن الرَّجُل؟ قال: مِن أشجَع، قال: أتَعرِفُ شاعِراً منكم يُقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاء؟ قال: نعم. قال: أفترِوي قوله:

[الكامل]

أمِنَ الجَمِيع بذي البقاعِ رُبُوعُ ... هاجَتْ فُؤادَكَ والرُّبوعُ تَروعُ

قال: نعم، قال: فأنشِدْنيها، فأنشدَه قولَه منها:

---

(١) الجلوبة: الإبل يحمل عليها متاع القوم.

مـن بـعـد مـا نَـكِـرت وغَـيَّـرَ آيَـهـا   قَـطْـرٌ ومُـسـبِـلَـةُ الـدّمـوع خَـرِيـعُ
يـا صـاحِـبَـيَّ ألا ارْفَـعـا لـي آيَـةً   تَـشْـفـي الـصُّـداعَ فـيُـذْهَـل الْـمَـرْفُـوعُ
أَلْـواح نـاجِـيَـة كـأنَّ تَـلِـيـلَـهـا   جِـذْعٌ تُـطِـيـف بِـهِ الـرُّقـاةُ مَـنِـيـعُ[1]

حتى أتى على آخرها، فقال الفرزدَق: فأُقسِم بالله إنك لَجَبْهاء، أو إنّك لشَيْطانه.

قال الأخفَشُ في خَبَره عن أصحابه: الخَرِيعُ: الذاهِبَة العَقْل، شَبَّه السحابةَ بها لأنَّها لا تَتَمالك من المطر.

أخبرني الحَسَن بنُ عَلِيّ قال: حَدَّثَنا أحمدُ بنُ عُبَيد المكتب قال: حدثني عَلِيّ بن الصبّاح، عن ابن الكَلْبِيّ، قال: قدِم جُبَيْهاء الأشجَعِيّ المدينة بجَلُوبة له، فبينا هو يبيعها والفَرزْدَقُ يَوْمَئذ بالمَدِينة إذ مَرَّ به، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أشجع، قال: أتعرف شاعراً منكم يقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاء؟ قال: نعم. قال: أتروِي قَصِيدته: [الطويل]

أَلاَ لا أُبـالـي بَـعْـدَ رَيَّـا أَوَافَـقَـتْ   نَـوانَـا نَـوَى الـجِـيـرانِ أَمْ لَـمْ تُـوافِـقِ

قال: نعم. قال: أَنْشِدنيها، فأنشده إيّاها، فقال الفَرزْدَق: أُقسم بالله إنَّك لجُبَيْهاء، أو إنك لَشَيْطانه.

[هجرته إلى المدينة ومجاورته بني تيم]

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدثنا الزُّبير، قال: حدثني عمّي، عن سُلَيمان بن عيَّاش، قال: قالت زوجة جَبْهاء الأشجعِيّ له: لو هاجرتَ بنا إلى المَدِينة وبِعْتَ إبِلكَ وافْتَرَضْت في العطاء كان خَيْراً لك، قال: أفعلُ. فأقبَل بها وبإبلِه حتى إذا كان بحرّة وَاقِمَ[2] من شَرْقيّ المدينة، شَرَّعَها[3] بحوض وَاقِمَ[4] لِيَسْقِيَها، فحَنَّت ناقة منها ثم نَزَعت، وتبِعتها الإبلُ، وطلبها ففاتته، فقال لزوجته: هذه إبِل لا تعقِل، تحنُّ إلى أوطانِها، ونحن أحقُّ بالحَنِين منها، أنتِ طالقٌ إن لم تَرْجِعِي، وفَعَل الله بك وفعلَ وردّها وقال: [الكامل]

قَـالَـتْ أُنَـيْـسَـةُ دعْ بِـلادَكَ وَالْـتَـمِـسْ   دَاراً بِـطَـيْـبَـةِ رَبَّـةِ الآطَـامِ

(١) الناجية: الناقة.
(٢) حرّة واقم: هي إحدى حرتيْ المدينة. (انظر معجم البلدان ٢/ ٢٤٩).
(٣) شرعها: أوردها الماء. وحوض واقم: أُطمٌ من آطام المدينة. (معجم البلدان ٥/ ٣٥٤).

تَكتُب عِيالَكَ في العَطاءِ وتَفْتَرِضُ وكـذاك يَـفْـعَـلُ حـازِمُ الأَقْـوام
فَهَمَمْتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ لَيْلَ لِقاحِنا بِلِوَى عُنَيْزَةَ أو بِقُفِّ بِشَام[١]
إذ هُنَّ عَنْ حَسَبي مَذَاوِد كُلَّما نَزَل الظَّلامُ بِعُصْبةٍ أغْتامِ[٢]
إن المَدِينةَ لا مَدِينَة فالْزمي حِقْفَ السِّناد وقُبَّةَ الأَرْجامِ
يُحْلَب لكِ اللَّبنُ الغَرِيضُ ويُنْتَزعُ بالعِيسِ مِن يَمنٍ إليكِ وشامِ
وتُجاوري النَّفَرَ الذين بِنَبْلِهم أَرْمِي العَدُوَّ إذا نَهَضت أُرامِي
الباذِلين إذا طَلَبت تِلادَهم والمانِعي ظَهْرِي مِنَ الغُرَّامِ

أخبرني محمد بن خلف وَكِيع، قال: حدّثني أحمدُ بنُ زُهير، قال: حدَّثني مُصعَب قال: جاور جَبْهاء الأشجعِيُّ في بني تَيم، بطنٍ من أشجع، فاستمْنَحَه مولى لهم عَنْزاً، فمنحه إيّاها فأمسكَها دَهْراً، فلما طال على جَبْهاء ألاّ يردَّها، قال جبهاء: [الطويل]

أَمَوْلَى بَنِي تَيْمٍ أَلَسْتَ مُؤَدِّياً مَنِيحتَنا فيما تُردُّ المَنائِحُ[٣]
لها شَعَرٌ صافٍ وجِيدٌ مُقَلِّصٌ وَجِسْمٌ زُخارِيٌّ وضِرْسٌ مُجالِحُ[٤]

فأرسل إليه التَّيْمِيّ يقولُ: [الطويل]

بَلَى، سَنُؤدِّيها إليكَ ذَمِيمَةً لِتَنْكحها إن أَعْوَزَتْكَ المَناكِحُ

فعمد به جَبْهاء فنزل، وقال: [الطويل]

لَوْ كُنْتُ شَيْخاً مِنْ سَواةَ نَكَحْتُها نِكاحَ يَسارٍ عَنْزَهُ وهْيَ سارِحُ

قال: وهم يُعيَّرون بنكاح العَنْز.

[جبهاء وموسى بن زياد]

أخبرني وَكيع، قال: حدَّثني أبو أَيّوب المدينيّ، عن مُصْعَب، قال: استطْرق

(١) اللوى: ما التفّ من الرمل. والقف: ما ارتفع من الأرض. وعنيزة: اسم لعدة مواضع انظر: (معجم البلدان ٤/ ١٦٣). وبَشَام: جبل بين اليمامة واليمن، وقيل: وادٍ من نبط من بلاد هذيل. (معجم البلدان ١/ ٤٢٤).

(٢) الأغتام: الذين لا يفصحون.

(٣) المنائح: الهبات والعطية.

(٤) الزخاري: الكثير الشحم واللحم. والمجالح: الذي يقشر الشجر.

جَبْهاءُ الأشجَعِيّ موسى بن زياد الأشجعِيّ كبشاً[1]، فوعده ثم مَطَله، فقال جَبْهاء:

[البسيط]

واعَدَني الكبشَ مُوسَى ثُمَّ أَخْلَفَني ... وما لِمِثْلِيَ تُغْتَلُّ الأكاذِيبُ
يا لَيْتَ كَبشَك يا مُوسَى يُصادِفُهُ ... بَيْنَ الكُراعِ وَبَيْنَ الوَجْنَةِ الذِّيبُ
أَمْسَى بذي الغُصنِ أو أَمْسى بذي سَلَمٍ ... فَقَحَّمَتْه إلى أَبْياتِكَ اللُّوبُ[2]
فجاءَ والحَيُّ أَيْقاظٌ فطافَ بهمْ ... طَوْفَيْنِ ثُمَّ أَقَرَّتْهُ الأحاليبُ
فباتَ يَنْظُرُه حرّانَ مُنْطَوِياً ... كأنَّهُ طالبٌ للوِتْرِ مَكْروبُ[3]
وقامَ يَشْتَدُّ حَتَّى نالَ غِرَّتَهُ ... طَاوِي الحَشَا ذَرِبُ الأنْيابِ مَذْبُوبُ[4]
بِغَفْلَةٍ مِنْ زُرَيقٍ فاسْتَمَرَّ بِهِ ... وَدُونَهُ آكمُ الحِقْفِ الغرابيبُ[5]
سَلْ عَنْهُ أرخمةً بِيضاً وأغربةً ... سُوداً لهنَّ حَتَّى أَطْمَى سَلاهيبُ[6]
يَردينَ رُدْيَ العَذارَى حَوْلَ دِمْنَتِهِ ... كما يَطوفُ على الحَوْضِ المعاقيبُ[7]
فجاءَ يَحْمِلُ قَرْنَيْهِ وَيَنْدُبُهُ ... فكلُّ حيٍّ إذا ما ماتَ مندوبُ

صوت

[مجزوء الكامل]

وَلهَا ولا ذَنْبَ لها ... حُبٌّ كأَطْرافِ الرِّماحِ
في القَلْبِ يَجْرَحُ والحَشا ... فالقَلْبُ مَجْروحُ النَّواحِي

الشعر لِوَالِبَة بنِ الحُباب، والغناء لِيَزيد، رمل بالوسطى عن الهِشاميّ وعمرو، وفيه لسبك الزامر لحن عن ابن خُرداذبه.

---

(١) استطرق كبشاً: طلبه للضراب.
(٢) اللُّوبُ: العطش. وذو سَلَم: موضع بالحجاز ووادي سَلَم: وادٍ ينحدر على الذنائب (انظر معجم البلدان ٣/ ٢٤٠).
(٣) الوِتْر: الثأر.
(٤) ذرب الأنياب: حادّ الأنياب. ومذبوب: مجنون.
(٥) الحِقف: ما اعوج من الرمل. والغرابيب: السود.
(٦) أطمى سلاهيب: مرتفع.
(٧) ردى الفرس: رجم الأرض بحوافره.

أخبار والبة بن الحباب

[توفي نحو ١٧٠ هـ/ نحو ٧٨٦ م]

[نسبه وصفاته]

والِبَة بنُ الحُباب أَسديٌّ صليبةً، كوفيٌّ، شاعر من شعراء الدولة العباسِيَّة، يُكْنَى أبا أُسامة. وهو أُستاذ أبي نُوَاس، وكان ظريفاً شاعراً غزِلاً وَصَّافاً للشراب والغِلمان المُرْد، وشعرُه في غير ذلك مُقارب ليس بالجَيِّد، وقد هَاجى بَشّاراً وأبا العتاهية، فلم يصنع شيئاً وفَضَحاه، فعاد إلى الكوفة كالهارب، وخَمَل ذكرُه بعد.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني محمدُ بن مزيد قال: حدثنا حَمَّاد بن إسحاق، قال: حدثني أبي، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ، والحسن بن علي الأَدَمِيّ جميعاً، عن القاسم بن محمد الأنباريّ قال: حدثنا يعقوب بن عمر، قال: حدثني أحمد بن سلمان، قال: حدثني أبو عدنان السُّلَميّ الشاعر، قال: قال المهدي[1] لعُمارة بنِ حَمْزة: مَنْ أرقُّ الناسِ شعْراً؟ قال: والِبَةُ بنُ الحُباب الأسديّ، وهو الذي يقول:

[مجزوء الكامل]

وَلَـــهـــا ولا ذَنْـــبَ لـــهـــا ... حُـــبٌّ كـــأَطْـــرافِ الـــرِّمـــاحِ
فـي الـقَـلْـبِ يَـقْـدَحُ والـحَـشَـا ... فـالـقَـلْـبُ مَـجْـروحُ الـنَّـواحِـي

قال: صدقتَ والله، قال: فما يمنَعُك عن مُنادَمَته يا أَمِيرَ المؤمنين؟ قال: يَمْنعُني قولُه:

[السريع]

قُـلْـتُ لِـسـاقِـيـنـا عـلـى خَـلْـوةٍ ... أَدْنِ كـــذا رَأْســـكَ مِـــنْ راسِـــي

ونَـمْ عـلـى صَـدْرِكَ لـي سـاعـةً ... إنّـي امْـرُؤٌ أنْـكَـحُ جُـلاَّسِـي

أفتُريدُ أن نكُون من جُلاّسه على هذه الشَّريطة!

أخبرني الحُسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة: حدثني عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتَيْبَة. ووجدتُه في بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتمّ، فجمعتهما، قال: حدَّثني الدغْلجِيّ غلامُ أبي نواس، قال: أنشدتُ يوماً بين يدي أبي نُواس قولَه: [المديد]

يـا شَـقِـيـقَ الـنَّـفْـسِ مِـنْ حَـكَـمِ ... نِـمْـتَ عَـنْ لَـيْـلِـي وَلَـمْ أَنَـمِ

وكان قد سكر، فقال: أُخبرك بشيء على أن تكتمه؟ قلتُ: نعم، قال: أتدري من المَعْنِيّ بقوله: يا شَقيق النَّفس من حَكم؟، قلت: لا، قال: أنا والله المَعْنِيُّ بذلك، والشعر لوالِبَة بنِ الحُباب، قال: وما عَلِم بذلك غيرُك وأنت أعلم، فما حدّثت بهذا حتى مات.

قال: وقال الجاحظ: كان والبةُ بنُ الحُباب، ومُطيعُ بن إياس، ومُنقِذُ بن عبد الرحمن الهلاليّ، وحَفْصُ بن أبي وردة، وابن المُقَفّع، ويونُسُ بن أبي فَرْوة، وحمّادُ عَجْرد، وعليُّ بن الخليل، وحمّاد بن أبي ليلى الراوية، وابن الزِّبرقان وعُمَارة بن حمزة، ويزيدُ بن الفَيض، وجميلُ بن محفوظ، وبشّار المُرَعَّث، وأَبانُ اللاَّحقيّ ندماء، يجتمعون على الشراب وقولِ الشعر ولا يكادون يفترقون، ويهجو بعضُهم بعضاً هزلاً وعَمْداً، وكلهم مُتَّهمٌ في دينه.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حمّاد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني إسحاقُ بنُ إبراهيم بن محمد السالمِيُّ الكوفيّ التّيميّ، قال: حدثني محمد بن عمر الجُرْجانيُّ، قال: رأيت أبا العتاهية جاء إلى أبي، فقال له: إن والِبة بن الحُباب قد هجاني، ومن أنا منه؟ أنا جرَّار مسكين، وجعل يرفع من والِبة ويضع من نفسه، فأُحِبّ أن تكلمه أن يُمسِكَ عنّي. قال: فكلم أبي والبَةَ، وعرَّفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك، فلم يقبل وجعل يَشتم أبا العتاهية، فتركه، ثم جاء أبو العتاهية فسأله عما عمل في حاجته، فأخبره بما رَدّ عليه والبةُ، فقال لأبي: لِيَ الآن إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: لا تكلمني في أمره، قال: قلت له: هذا

أوّل ما يجب لك، قال: فقال أبو العتاهية يهجوه: [مجزوء الوافر]

أوالِـــبُ أَنْـــتَ فـــي الـــعَـــرَبِ كـمِـثْـلِ الـشِّـيـصِ فـي الـرُّطَـبِ[1]
هَـلُـمَّ إلـى الـمَـوالِـي الـصِّـيـ ـدِ فـي سـعَـةٍ وفـي رَحَـبِ[2]
فَـأَنْـتَ بـنـا لـعَـمْـرُ الـلَّـ ـه أَشْـبَـهُ مِـنْـكَ بِـالـعَـرَبِ
غـضِـبْـتُ عَـلَـيْـكَ ثُـمَّ رَأَيْـ ـتُ وَجْـهَـكَ فَـانْـجَـلـى غَـضـبِـي
لِـمَـا ذكَّـرتـنـي مِـنْ لَـوْنِ أَجْـ ـدادي وَلَـوْنِ أبـي
فَـقُـلْ مـا شِـئْـتَ أَقْـبَـلُـهُ وَإِنْ أَطْـنَـبْـتَ فـي الـكَـذِبِ[3]
لَـقَـدْ أُخْـبِـرتُ عَـنْـكَ وَعَـنْ أَبِـيـكَ الـخـالِـصِ الـعـرَبِـي
فَـقـالَ الـعـارِفُـونَ بـه مُـصـاصٌ غَـيْـرُ مُـؤْتَـشِـبِ[4]
أتـانـا مِـنْ بِـلادِ الـرُّو مِ مُـعْـتَـجِـراً عـلـى قَـتَـبِ[5]
خَـفِـيـفَ الـحـاذِ كـالـصّـمْـصـا مِ أَطْـلَـسَ غَـيْـرَ ذي نَـشَـبِ[6]
أوالِـبُ مـا دَهـاكَ وَأَنْـ ـتَ فـي الأعْـرابِ ذو نَـسَـبِ
أَراكَ وُلِـدْتَ بِـالـمِـرِّيـ ـخ يـابـنَ سَـبـائِـك الـذَّهَـبِ
فَـجِـئْـتَ أُقَـيْـشِـرَ الـخـدَّيْـ ـنِ أَزْرَقَ عـارِمَ الـذَّنَـبِ
لَـقَـدْ أَخْـطَـأْتَ فـي شَـتـمِـي فَـخَـبِّـرْنِـي أَلَـمْ أُصِـبِ

وقال في والِبَة أيضاً: [الكامل]

نَـطَـقَـتْ بَـنُـو أسَـدٍ وَلَـمْ تَـجْـهَـرْ وَتَـكَـلَّـمَـتْ خَـفـيـاً وَلَـمْ تَـظْـهَـرْ
وَأمـا وَرَبِّ الـبَـيْـتِ لَـوْ نَـطَـقَـتْ لَـتَـرَكْـتُـهـا وصـبَـاحُـهـا أَغْـبَـرْ
أَيَـرُومُ شَـتْـمِـي مِـنْـهـمُ رَجُـلٌ فـي وَجْـهِـهِ عِـبَـرٌ لِـمَـنْ فَـكَّـرْ
وابـنُ الـحُـبـابِ صَـلِـيـبَـةٌ زَعَـمـوا وَمِـنَ الـمـحـالِ صَـلـيـبَـةٌ أَشْـقَـرْ[7]

---

(١) الشِّيص: التمر الرديء.
(٢) الصِّيد: جمع الأصيد: وهو الرافع رأسه كبراً.
(٣) أطنبت في الكذب: بالغت فيه.
(٤) المصاص: الخالص من كل شيء. والمؤتشب: المختلط.
(٥) معتجراً: معتمّاً. والقتب: الرحل.
(٦) الحاذ: الظهر. وخفيف الحاذ: قليل المال. والصّمصام: السيف لا ينثني. والنشب: المال الأصيل.
(٧) صليبة: خالص النَّسب.

مــا بــالُ مَــنْ آبــاؤهُ عُــرْبُ الألْــ ـوان يُـحْـسَـبُ مِـنْ بَـنِـي قَـيْـصَـرْ
أَتَـرَوْنَ أَهْـلَ الـبَـدْوِ قَـدْ مُـسِـخـوا شُـقْـراً أمـا هـذا مِـنَ الـمُـنْـكَـرْ

قال: وأول هذه القصيدة:

صَـرِّحْ بِـمَـا قَـدْ قُـلْـتَـهُ وَاجْـهَـرْ لابـن الـحُـبـابِ وَقُـلْ ولا تَـحْـصَـرْ
مـا لـي رَأَيْـتُ أبـاكَ أَسْـودَ غِـرْ بِـيـب الـقَـذَالِ كـأنَّـهُ زُرْزُرْ(١)
وكـأنَّ وَجْـهَـكَ حُـمْـرةً رِئَـةٌ وكـأنَّ رَأْسَـكَ طـائِـرٌ أَصْـفَـرْ

قال: وبلغ الشعرُ والبةَ، فجاء إلى أبي فقال: قد كلمتَني في أبي العتاهية، وقد رغبتُ في الصّلح، قال له أبي: هيهاتَ إنه قد أكّد عليّ إن لم تقبل ما طلب أن أُخَلِّي بينك وبينه، وقد فعلت، فقال له والبة: فما الرأي عندك؟ فإنه فضحني، قال: تنحدر إلى الكوفة، فركب زورقاً ومضى من بغداد إلى الكوفة، وأجودُ ما قاله والِبَةُ في أبي العتاهية قوله: [الخفيف]

كـانَ فِـيـنـا يُـكَـنَّـى أبـا إِسْـحـاقِ وبِـهـا الـرَّكْـبُ سـارَ فـي الآفـاقِ
فَـتَـكَـنَّـى مَـعْـتُـوهُـنـا بـعَـتـاهٍ يـا لَـهـا كُـنْـيـةً أَتَـتْ بـاتِّـفـاقِ
خَـلَـقَ الله لِـحْـيـةً لـكَ لا تَـنْـ فـكُّ مَـعْـقُـودةً لَـدَى الـحَـلاَّقِ

وله فيه، وهو ضعيف سخيف من شعره: [مجزوء الكامل]

قُـلْ لابـنِ بـائِـعـةِ الـقِـصـارِ وابـنِ الـدَّوارِقِ والـجِـرارِ
تَـهْـوَى عُـتَـيْـبَـةَ ظـاهِـراً وهـواكَ فـي أَيْـرِ الـحِـمـارِ
تَـهْـجُـو مَـوالِـيـكَ الأُلَـى فَـكُّـوكَ مِـنْ ذُلِّ الإِسـارِ

[والبة وعلي بن ثابت]

أخبرني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني ابن أبي فَنَن، قال: كان والبةُ بن الحُباب خليلاً لعليّ بن ثابت، وصديقاً ودوداً، وفيه يقول:

[السريع]

حَـيٌّ بـهـا والِـبَـةَ الـمُـصْـطَـفَـى حَـيٌّ كَـريـمـاً وابـن حُـرٌّ هِـجـانِ
وقـاسِـمـاً نَـفْـسِـي فَـدَتْ قـاسِـمـاً مِـنْ حَـدَثِ الـمَـوْتِ ورَيْـبِ الـزَّمـانِ

(١) الغربيب: الأسود، والقذال: جماع مؤخّر الرأس. والزرزر: طائر يشبه العصفور، سمي بهذا الاسم لزرزرته أي تصويته.

قال: وَلَمَّا ماتَ والِبَةُ رثاه، فقال: [مجزوء الكامل]

بَكَتِ البَرِيَّةُ قاطِبَهْ جَزَعاً لِمَصْرع والِبَهْ
قامَتْ لِمَوْتِ أبي أسا مةَ في الرِّفاقِ النَّادِبَهْ

قال: وكان والبةُ أستاذَ أَبِي نُواس، وعنه أَخَذ ومنه اقْتَبَس. قال: وكان والبةُ قد قَصَد أبا بُجَيْر الأَسَدِيّ وهو يَتولَّى للمَنْصور الأهوازَ، فمدَحَه وأقام عنده، فألفى أبا نُواسٍ هناك وهو أمرد، فصَحِبه وكان حسنَ الوَجْه، فلم يزل معه، فيقال: إنه كشَف ثوبه لَيلةً فرأى حُمرةَ أَلْيَتَيه وبياضَهما، فقَبَّلَهما فضَرَط عليه أبو نُواس، فقال له: لِمَ فَعلتَ هذا وَيْلَك، قال: لِئَلاَّ يَضِيعَ قَولُ القائِل: ما جزاءُ مَنْ يُقبِّل الإستَ إلا ضَرْطة.

أخبرَنِي مُحمَّد بنُ العَبَّاس اليَزِيدِيّ، قال: حَدَّثَنِي عَمِّي الفَضْل، قال: حَدَّثَنِي أبو سَلْهَب الشاعِر، قال: كان والِبَةُ بنُ الحُباب صَدِيقِي، وكان ماجِناً طَبْعاً، خَفِيفَ الرُّوح، خَبِيثَ الدِّين، وكنا ذات يوم نَشرَب بغُمَّى[1]، فانْتَبَه يوماً من سُكْره، فقال لي: يا أبا سَلْهَب، اسمع، ثم أنْشَدني، قال: [الوافر]

شَرِبْتُ وفاتِكٌ مِثْلي جَمُوحٌ بِغُمَّى بالكُؤوسِ وبالبَواطِي
يُعاطِيني الزُّجَاجَةَ أرْيَحِيٌّ رَخِيمُ الدلِّ بُورِك مِنْ مُعاطِي
أَقُولُ لَهُ على طَرَبٍ: أَلِطْنِي وَلَوْ بِمُؤاجِرٍ عِلْجٍ نَباطِي
فما خَيْرُ الشَّرابِ بِغَيْر فِسْقٍ يُتابَعُ بالزِّناءِ وبِاللِّواطِ
جَعَلْتُ الحَجَّ في غُمَّى وبِنَّا وفي قُطْربُّلٍ أَبَداً رِباطِي[2]
فَقُل لِلخَمْسِ آخِرُ مُلتَقانا إذا ما كانَ ذاكَ على الصِّراطِ

يعني الصَّلَوات.

قال: وحدثني أنه كان ليلة نائماً وأبو نُواس غُلامه إلى جانبه نائِم إذ أتاه آتٍ في منامه، فقال له: أَتَدْرِي مَنْ هذا النائم إلى جانبك؟ قال: لا، قال: هذا أشعر منك وأشْعر من الجنّ والإنْس، أما والله لأفتِنَنَّ بشِعْره الثَّقَلَين[3] ولأُغرِيَنَّ به أهلَ

---

(١) غُمَّى: قرية من نواحي بغداد (معجم البلدان ٤/ ٢٠٨).
(٢) بنّا: قرية على شاطىء دجلة من نواحي بغداد (معجم البلدان ١/ ٤٩٥). وقُطْربّل: قرية بين بغداد وعكبرا. (معجم البلدان ٤/ ٣٧١).
(٣) الثقلان: الإنس والجن.

المَشْرق والمَغْرب، قال: فَعلمتُ أنَّه إبليس، فقلتُ له: فما عِندك؟ قال: عصِيتُ ربِّي في سَجْدة فأَهْلَكَني، ولو أمرني أن أسْجُد له ألْفاً لسَجَدْت.

أخبرني الحُسَيْن بنُ يَحْيى قال: حدثنا حَمّاد بنُ إسْحاق قال: قرأتُ على أبي عن أبِيه أنَّ حَكَمَ الوادِي أخبره أنّه دخل على مُحَمَّد بنِ العَبّاس يوماً بالبَصْرة وهو يَتَمَلْمَل خماراً[1]، وبِيَده كأس وهو يَجْتَهِد في شُرْبها فلا يُطيقه، ونُدماؤُه بين يَدَيْه في أَيْديهم أقداحهُم، وكان يوم نيروز[2]، فقال لي: يا حكم غَنِّني فإن أطْربْتَني فَلكَ كُلّ ما أُهْدِي إليّ اليوم! قال: وبين يَدَيْه من الهَدايا أمر عظيم، فاندَفعتُ أُغنّي في شِعْر والبَةَ بنِ الحُباب:

صوت

قَدْ قابَلَتْنا الكُؤوسُ ودابَرَتْنا النُّحوسُ
واليَوْم هرمزروز قَدْ عَظَّمَتْهُ المَجوسُ
لَمْ نُخْطِهِ في حِسابٍ وذاك مِمّا نَسُوسُ

فطرب واستعاده، فأعدتُه ثَلاثَ مَرّات، فَشُمِّرت قدحُه[3] واستَمَرَّ في شُرْبه، وأمر بحَمْل كل ما كَانَ بَيْنَ يَدَيْه إليّ، فكانت قِيمتُه ثَلاثين ألفَ دِرْهم.

لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشاميّ وإبراهيم وغيرهما.

صوت

[الوافر]

لَقَدْ زادَ الحَياةَ إليَّ حُبّا بناتِي إنَّهُنَّ مِنَ الضِّعافِ
مَخافَةَ أنْ يَذُقْنَ البُؤْسَ بَعْدِي وأن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بَعْدَ صافِ[4]
وَأَن يَعْرَيْنَ إن كُسِيَ الجَوارِي فيُبْدِي الضُّرُّ عَنْ هُزْلٍ عِجافِ
وَلَوْلاهُنَّ قَدْ سَوَّمْتُ مُهْري وفي الرَّحْمٰنِ للضُّعفاءِ كافِ

---

(١) الخمار: وجع الرأس نتيجة شرب الخمر.
(٢) النيروز: أول يوم من أيام السنة الشمسية عند الفرس.
(٣) شمرت قدحه: خففت بالماء.
(٤) رنقاً: كدراً.

الشعر لِعِمران بن حِطان فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ، وذكر المدائنيّ أنَّه لعيسى الحَبطيّ، وكلاهما من الشُّراة[1]، والغِناء لمُحمّد بنِ الأشْعَث الكُوفيّ، خفيف رمل بالوسطى من رواية عَمْرو بنِ بانة.

(١) الشراة: الخوارج.

أخبار عمران بن حطان ونسبه

[توفي ٨٤ هـ/ ٧٠٣ م]

[اسمه ونسبه ومذهبه]

هو عِمْرانُ بنُ حِطّان بن ظَبْيان بن لَوْذان بن عمرو بن الحارث بن سَدُوس بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلبة بن عُكابَة بن صَعْب بن عليّ بن بَكْر بن وائل.

وقال ابنُ الكلبيّ هو عِمران بن حطّان بن ظَبْيان بن معاوية بن الحارِث بن سَدُوس. ويُكْنى أبا شهاب. شاعر فصيح من شعراء الشُّراة ودُعاتهم والمُقَدَّمين في مذهبهم، وكان من القَعَدة[1]؛ لأن عُمرَه طال فضعُف عن الحَرْب وحضورها، فاقتصرَ على الدَّعوة والتحريض بلسانه.

[حياته وشيء من أخباره]

كان قبل أن يُفتن بالشُّراة مشتهراً بطلب العلم والحديث، ثم بُلِي بذلك المذهب فضَلَّ وهلك، لعنه الله، وقد أدرك صَدْراً من الصحابة، وروى عنهم، وروى عنه أصحابُ الحديث. فما رُوِي عنه ما أخبرنا به مُحمد بنُ العباس اليَزِيدِيّ، قال: حدّثنا الرِّياشِيّ، قال: حدثنا أبو الوليد الطَّيالِسِيّ، عن أبي عمرو بن العَلاء، عن أبي صالح بن سَرْح اليَشْكُرِيّ، عن عِمْران بن حِطّانِ قال: كنتُ عند عائشة فتذاكروا القُضاةَ، فقالت: قال رسول اللهﷺ: **«يؤتى بالقاضي العدْل، فلا يزال به ما يَرَى من شِدَّة الحِساب، حتى يتمنى أنّه لم يَقض بَيْنَ اثْنَيْن في تَمْرة»**.

وكان أصلُه من البصرة، فلما اشتَهرَ بهذا المَذْهب طلبه الحَجّاج، فهرب إلى

---

(١) القعدة: في عرف الخوارج هم الذين توقفوا عن القتال واكتفوا بالدعوة.

الشأم، فطلبه عبدُ الملك، فهرب إلى عُمان، وكان يتنقل إلى أن ماتَ في تَواريه.

أخبرني مُحمَّد بن عِمران الصَّيْرفي، قال: حدّثنا الحَسَنُ بن عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدَّثنا مَنِيعُ بن أحمد السَّدُوسِيّ، عن أبيه، عن جده، قال: كان عِمرانُ بنُ حِطّان من أهلِ السّنّة والعلم، فتزوَّج امرأةً من الشُّراة من عشيرته، وقال: أردُّها عن مذهبها إلى الحق، فأضلَّته وذهبت به.

[هربه من الحجاج إلى الشام ونزوله عند روح بن زنباع]

وأخبرني بخبره في هربه من الحجاج عُمَرُ بن عبد اللّه بن جميل العَتَكيّ، ومحمد بن العباس اليزيديّ، قالا: حدثنا الرِّياشيّ، قال: حدثنا الحَكَم بن مروان، قال: حدثنا الهَيْثم بن عديّ قال: طلب الحَجّاج عِمرانَ بن حِطّان السَّدُوسِيّ، وكان من قعَدة الخوارج، فكتب فيه إلى عُمَّاله وإلى عبد الملك.

وأخبرني بهذا الخبر أيضاً الحَسن بن عليّ الخَفّاف، ومحمد بن عِمْران الصيرفيّ، قالا: حدثنا العَنَزيّ، قال: حدّثنا محمد بنُ عبد الرحمن بن عبدِ الصَّمد الدّارع، قال: حدّثنا أبو عُبَيْدة مَعْمَرُ بنُ المُثَنّى، عن أخيه يَزيد بن المُثَنّى أن عِمران بن حِطّان خرج هارباً من الحجاج، فطلبه، وكتب فيه إلى عُمّاله وإلى عبد الملك، فهَرَب ولم يزل يَتَنَقّل في أحياء العرب، وقال في ذلك: [الوافر]

حَلَلْنا في بَني كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو وفي رِغْلٍ وعامِرِ عَوْثبانِ
وفي جَرْمٍ وفي عَمْرو بنِ مُرٍّ وفي زَيْدٍ وحَيِّ بَني الغُدانِ[1]

ثم لحق بالشأم فنزل برَوْح بن زِنباع الجُذَاميّ، فقال له رَوْح: ممّن أنت؟ قال: من الأزد، أزْدِ السّراة، قال: وكان رَوْح يسمُر عند عبد الملك فقال له ليلة: يا أمير المؤمنين إنَّ في أضيافنا رجلاً ما سمعتُ منك حديثاً قط إلا حدَّثني به وزاد فيما ليس عندي قال: ممَّن هو؟ قال: من الأزْد، قال: إني لأسمَعُك تصف صفة عِمران بن حِطّان؛ لأنني سمعتك تذكر لغة نزاريّةً وصلاةً وزهداً ورِواية وحِفْظاً، وهذه صفته، فقال رَوْح: وما أنا وعمران! ثم دعا بكتاب الحجاج فإذا فيه:

أما بعد، فإنّ رجلاً من أهل الشِّقاق والنِّفاق، قد كان أفسد عليَّ أهلَ العِراق

(١) بنو كعب بن عمرو ورعل وعامر عوثبان وجرم وعمرو بن مُرّ وزيد وبنو الغدان: قبائل.

وحَبَّبَهم بالشِّراية[١]، ثم إني طلبته، فلما ضاق عليه عَمَلي تحوَّل إلى الشام، فهو يَنْتَقِل في مدائنها، وهو رجل ضَرْبٌ[٢] طُوالٌ أفوهُ أروقُ[٣]، قال: قال رَوْحٌ: هذه والله صِفَةُ الرجل الذي عندي. ثم أنشدَ عبدُ الملك يوماً قَوْل عمران يمدح عبدَ الرحمن بن مُلجَم ـ لعنه الله ـ بقَتْلِه عليَّ بن أبي طالب، صلوات الله عليه: [البسيط]

يـا ضَـرْبـةً مِـنْ كَـريـم مـا أرادَ بـهـا ... إلا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضوانا
إنِّـي لأُفْـكِـرُ فِـيـهِ ثُـمَّ أَحْـسَـبُـهُ ... أَوْفَـى الـبَـرِيَّـةِ عِـنْـدَ الـلَّـهِ مِـيـزانَـا

ثم قال عبدُ الملك: مَن يعرِفُ منكم قائلها؟ فسكت القوم جميعاً، فقال لِرَوْح: سَلْ ضيفَك عن قائلها، قال: نعم أنا سائِلُه، وما أراه يَخْفى على ضَيفِي ولا سألتُه عن شيء قَطّ فلم أجده إلاّ عالماً به. وراح رَوْح إلى أضْيافه، فقال: إنّ أميرَ المؤمنين سألنا عن الذي يقول:

يـا ضَـرْبَـةً مِـنْ كَـرِيـمٍ مـا أَرادَ بِـهـا ... .

ثم ذكر الشعر، وسألهم عن قائلِه، فلم يكن عند أحَدٍ عِلْم، فقال له عِمرانُ: هذا قَوْلُ عمران بن حِطّان في ابن مُلْجَم قاتِل عليِّ بن أبي طالب، قال: فهَلْ فيها غير هذين البيتين تُفيدنيه؟ قال: نَعَم: [البسيط]

لِـلَّـهِ دَرُّ الـمُـرَادِيِّ الـذي سَـفَـكَـتْ ... كَـفّـاهُ مُـهْـجَـةَ شَـرِّ الـخَـلْـقِ إِنْـسـانـا
أَمْـسَـى عَـشِـيَّـةَ غَـشَّـاهُ بِـضَـرْبَـتِـهِ ... مـمّـا جَـنـاهُ مِـنَ الآثـام عُـرْيـانـا

ـ صلوات الله على أميرِ المؤمنين، ولعَن اللَّهُ عِمرانَ بنَ حِطان وابنَ ملجَم ـ فغدا رَوْحٌ فأخبر عَبد الملك، فقال: مَنْ أخبرَك بذلك، فقال: ضَيْفي، قال: أظنّه عِمرانَ بنَ حِطّان، فأعْلِمه أنّي قد أمرتُك أن تأتِيَنِي به، قال: أفعَلُ، فراح رَوْحٌ إلى أضيافِه فأقبَل على عِمْران، فقال له: إني ذكرتُك لعَبد الملِك، فأمرني أن آتيَه بك، قال: كنت أُحِبّ ذلك منك، وما مَنَعَنِي من ذِكْره إلا الحياءُ منك، وأنا مُتّبعُك، فانطلقْ. فدخل رَوح على عبد الملك، فقال له: أينَ صاحِبُك؟ فقال: قال لي: أنا متّبِعُك قال: أظنُّك والله سترْجع فلا تجِدهُ، فلما رَجعَ رَوْح إلى منزله إذا عِمرانُ قد

(١) الشراية: مذهب الشراة وهم الخوارج.
(٢) الضَّرْب: الخفيف اللحم.
(٣) الأروق: الطويل الأسنان.

مَضَى وإذا هو قد خَلَّف رُقعةً في كوَّةٍ عند فِراشه، وإذا فيها يقول: [البسيط]

يا رَوْحُ كَمْ مِنْ أخِي مَثْوًى نَزَلْتُ به ... قَدْ ظَنَّ ظَنَّكَ مِنْ لَخْمٍ وغسَّانِ
حَتَّى إذا خِفتُهُ فارَقْتُ مَنْزِلَه ... مِنْ بَعْدِ ما قِيلَ: عِمرانُ بْنُ حِطَّانِ
قَدْ كُنْتُ ضَيْفَكَ حَوْلاً لا تروِّعُني ... فيه الطَّوارِقُ مِنْ إنْسٍ ولا جانِ
حَتَّى أَرَدْتَ بِيَ العُظْمى فَأَوْحَشَنِي ... ما أَوْحشَ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ ابنِ مَرْوانِ
فاعْذِرْ أخاكَ ابنَ زِنْباعٍ فإنّ له ... في الحادثاتِ هَناتٍ ذاتَ أَلْوانِ
يَوْماً يَمانٍ إذا لاقَيْتُ ذا يَمنٍ ... وإنْ لَقِيتُ مَعَدِّياً فَعَدْنانِي
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِراً يَوْماً لطاغِيةٍ ... كُنْتَ المُقَدَّم في سِرِّي وإعْلاني
لكن أَبَتْ ذاك آياتٌ مُطَهَّرةٌ ... عِنْدَ التِّلاوةِ في طَهَ وعِمران

[انتقاله إلى قرقيسيا ونزوله عند زفر بن الحارث]

قال: ثم أتى عِمْرانُ بن حِطّان الجزِيرةَ، فنزل بزُفَر بن الحارث الكلابي بقَرْقِيْسيا[1]، فجعل شبابُ بني عامر يتعجَّبون من صَلاتِه وطُولها، وانتسب لزُفَر أوزاعيّاً، فقدم على زفر رجلٌ من أهل الشام قد كان رأى عِمْران بنَ حِطّان بالشام عند رَوْح بن زنباعٍ، فصافحه وسلَّم عليه، فقال زُفَر للشّامي: أتَعرِفه؟ قال: نعم، هذا شيخ من الأَزْد، فقال له زفر: أزديٌّ مرَّة وأوزاعيٌّ أُخرى! إن كُنتَ خائفاً أمّنّاك، وإن كنت عائِلاً أغنَيْناك، فقال: إن الله هو المُغنِي، وخرج من عنده وهو يقول: [البسيط]

إن الَّتي أصبحَتْ يَعْيَا بها زُفَرٌ ... أعْيت عَياءً على رَوْحِ بن زِنباعِ
أمْسَى يُسائِلني حَوْلاً لأُخبِرَهُ ... والنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخدوعٍ وخَدَّاعِ
حَتَّى إذا انْجَذَمَتْ مِنِّي حَبائِلُه ... كَفَّ السُّؤالَ وَلَمْ يُولَعْ بإهْلاعِي[2]
فاكْفُفْ كما كَفَّ رَوْحُ إنَّنِي رجلٌ ... إمّا صريحٌ وإمّا فَقْعَةُ القاعِ[3]
أمَّا الصَّلاةُ فإنِي غَيْرُ تارِكِها ... كُلُّ امْرِىءٍ لِلَّذي يُعنَى بِهِ ساعي
فَاكْفُفْ لِسانَكَ عَنْ هَزِّي ومَسْأَلتي ... ماذا تُريدُ إلى شَيْخٍ لأوزاعِ!
أَكْرِمْ برَوْحِ بنِ زِنباعٍ وأُسرتِهِ ... قَوْماً دَعا أوّليهم للعُلا داعي

---

(١) قرقيسيا: بلد على الخابور قرب رحبة مالك بن طوق (معجم البلدان ٤/٣٢٨).

(٢) انجذمت: انقطعت. والإهلاع: الإفزاع.

(٣) فقعة القاع: أي لا أهل له.

جَاوَرْتُهُم سَنَةً فِيمَا دَعَوْتُ بِهِ عِرضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُ تَهجاعِ
فَاعْمَلْ فَإِنَّكَ مَنْعِيٌّ بِحَادِثَةٍ حَسْبُ اللَّبِيبِ بهذا الشَّيْبِ من ناعِي

[هربه إلى روذميسان ووفاته بها]

ثم خرج فنزل بعُمان بقوم يُكثِرون ذكر أبي بلال مرداس بن أُدَيَّة، ويُثنون عليه ويذكرون فضله، فأظهر فضلَه ويسَّر أمرَه عندهم، وبلغ الحجاجَ مكانُه فطلبه، فهرب فنزل في روذَمْيسان ـ طَسُّوج[1] من طَساسِيج السَّواد[2] إلى جانب الكوفة ـ فلم يزل به حتى مات، وقد كان نازلاً هناك على رجل من الأزْد، فقال في ذلك: [الطويل]

نَزَلْتُ بِحَمْدِ اللهِ فِي خَيْرِ أُسْرَةٍ أُسَرُّ بِمَا فِيهِم مِنَ الإِنْسِ والخَفَرْ
نَزَلْتُ بِقَوْمٍ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُم وما لَهُمُ عُودٌ سِوَى المَجْدُ يُعْتَصَرْ
مِنَ الأَزْدِ إِنَّ الأَزْدَ أَكْرَمُ أُسْرَةٍ يَمَانِيَةٍ قَرْبُوا إذا نُسِبَ البَشَرْ

قال اليزيديُّ: الإِنْس بالكَسْر: الاستِئْناسُ. وقال الرِّياشِي: أراد قَرُبُوا فخفَّف، قال:

وَأَصْبَحْتُ فِيهِم آمِناً لا كَمَعْشَرٍ بَدَوْنِي فَقَالُوا مِنْ رَبِيعَةَ أو مُضَرْ
أَوِ الحَيِّ قَحْطَانٍ وتِلْكَ سَفَاهَةٌ كَمَا قَالَ لِي رَوْحٌ وصَاحِبُهُ زُفَرْ
وما مِنْهُمُ إلا يُسَرُّ بِنِسْبَةٍ تُقَرِّبُنِي مِنْهُم وإنْ كَانَ ذا نَفَرْ
فَنَحْنُ بَنُو الإِسْلامِ واللهُ واحِدٌ وَأَوْلَى عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مَنْ شَكَرْ

[بعض أخباره وشعره]

أخبرنا اليزيديُّ قال: حدثنا الرِّياشيُّ قال: حدّثنا الأصمعيّ عن المُعتَمِر بن سُليمان قال: كان عِمرانُ بنُ حِطّان رجلاً من أهل السنة، فقدم عليه غلام من عُمان كأنه نَصْل، فَقلبه عن مَذْهبه في مجلس واحد.

أخبرني اليَزيديُّ، قال: حدثنا الرّياشيُّ، قال: حدَّثنا مسدَّدُ بن مُسرْهَد، قال: حدَّثنا بِشْرُ بن المُفضَّل، عن سَلَمة بن عَلْقَمةَ، عن محمد بنِ سيرين، وأخبرني الحسن بنُ عليّ، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيُّ، قال: حدثنا عمرو بنُ عليّ القلاّسُ، وعباس العنبريّ، ومحمد بن عبد اللّه المخزوميّ، قالوا: حدَّثنا عبد

(١) الطسّوج: الناحية.
(٢) السواد: أرض العراق وضياعها التي فتحت زمن عمر بن الخطاب.

الرحمن بن مهديّ، عن بِشر بنِ المُفَضَّلِ، عن سَلمة بنِ عَلقمة، عن محمد بن سيرين، قال: تَزوّج عِمرانُ بنُ حِطّان امرأةً من الخوارج فقيل له فيها: فقال: أردُّها عن مَذْهبها فذهبت هِيَ به.

نَسختُ عن بعض الكتب: حدَّثنا المدائنيُّ، عن جُوَيْرية قال: كتب عيسى الحَبَطيُّ إلى رجل منهم يقال له أبو خالد، كان تَخَلَّف عن الخروج مع قَطَريّ أو غيره منهم: [الطويل]

أبا خالدٍ أُنْفُرْ فَلَسْتَ بخالدِ ... وما تَرَكَ الفُرقانُ عُذْراً لِقاعدِ
أَتَزْعَمُ أنّا الخارِجونَ على الهُدَى ... وَأَنْتَ مُقِيمٌ بَيْنَ لِصٍّ وجاحِدِ!

فكتب إليه: ما مَنعني عن الخروج إلاَّ بناتي والحَذَب عليهن حين سَمعتُ عِمران بنَ حِطّان يقول: [الوافر]

لَقَدْ زادَ الحَياةَ إِلَيَّ حُبّاً ... بَناتي إنَّهن مِنَ الضِّعافِ
وَلَوْلاَ ذاك قَدْ سَوَّمْتُ مُهْري ... وفي الرَّحمٰنِ للضُّعفاء كافِ

قال: فجلس عِيسى يقرأ الأبيات ويبكي، ويقول: صَدَق أخي، إنَّ في ذلك لعُذراً له، وإنَّ في الرحمن للضعفاء كافياً.

[رأي الأخطل بشعره]

وقال هارون: أخذتُ من خَط أبي عَدْنان: أخبرني أبو ثَرْوان الخارجيّ، قال: سمعت أشياخَ الحيِّ يقولون: اجتمعت الشعراء عند عَبْدِ الملك بن مروان فقال لهم: أبقِي أحدٌ أشعر منكم؟ قالوا: لا. فقال الأخطل: كَذَبوا يا أمير المؤمنين، قد بَقِيَ من هو أشعر منهم، قال: ومن هو؟ قال: عِمرانُ بن حِطّان، قال: وكيف صار أشعرَ منهم؟ قال: لأنه قال وهو صادِق ففاقهم، فكيف لو كذَب كما كذَبوا!

أخبرنا الحسنُ بن عليّ قال: حدثنا ابن مَهْرُويه عن ابن أبي سعد، عن أحمد بن محمد بن عليّ بن حمزة الخراسانيّ، عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب، عن يحيى بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن القارىء، عن الزُّهرِيّ، عن أبيه، أنّ غَزالة الحَرُوريّة(١)، لما دَخلت على

(١) الحرورية: فرقة من الخوارج نزلوا حروراء بالقرب من الكوفة فسمّوا الحروريّة.

الحجاج هي وشبيب الكوفة، تحصّن منها وأغلق عليه قَصره، فكتب إليهِ عِمران بنُ حِطّان، وقد كان الحجاج لجّ في طَلَبه، قال: [الكامل]

أَسَدٌ عَلَيَّ وفي الحُروبِ نَعامةٌ ... رَبْداءُ تَجْفُلُ مِنْ صَفيرِ الصَّافِرِ[1]

هلاّ بَرَزْتَ إلى غَزالةَ في الوَغَى ... بَلْ كانَ قَلْبُكَ في جَناحيْ طَائِرِ

صَدَعَتْ غَزالةُ قَلْبَهُ بِفَوارسٍ ... تَرَكَتْ مَدابِرَهُ كَأَمْسِ الدَّابرِ

ثم لحِق بالشام فنزلَ على روْح بنِ زِنْباع.

أخبرنا محمدُ بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدَّثنا محمد بن خالد أبو حرب، قال: حدثنا محمد بنُ عبَّاد المهلبيُّ، قال: حدثنا جريرُ بن حازم، قال: كان عِمرانُ بنُ حِطّان أشدَّ الناس خُصومة للحروريَّة حتى لقيه أعرابيٌّ حَروريّ فخاصَمَهُ فصار عِمرانُ حَرُورياً، ورجع عن رأيه.

قال جريرُ بن حازم: كان الفرزدق يقول: لقد أحسنَ بنا ابنُ حِطّان حيث لم يأخذ فيما أخذْنا فيه، ولو أخذ فيما أخذْنا فيه لأسقطنا؛ يعني لجوْدة شعره.

نسختُ من كِتاب ابن سَعْد قال: أخبرني الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ، قال: أخبرني أحمد بنُ عبدِ الله بن سُوَيد بن مَنْجوف السَّدوسيّ، قال: أخبرني أحمد بن مُؤرِّج، عن أبيه قال: حدثني به تَمِيمُ بنُ سَوادَة، وهو ابن أخت مُؤَرّج، قال: حدثني أبو العَوَّام السَّدُوسِيّ، قال: كان مالك المذموم رجلاً من بَنِي عامر بن ذُهْل، وكان من الخَوارِج، وكان الحَجَّاج يَطلُبه. قال أبو العَوَّام: فدخلتُ عليه يوماً وهو في تَوارِيه، فأنشدَني يقول: [الطويل]

أَلَمْ يَأْنِ لي يا قَلْبُ أَنْ أَتْرُكَ الصِّبا ... وَأَنْ أَزْجُرَ النَّفْسَ اللَّجُوجَ عَنِ الهَوَى

وما عُذرُ مَنْ يَعمَى وقد شابَ رَأْسُهُ ... ويُبصِر أبوابَ الضَّلالةِ والهُدَى

ولو قُسِمَ الذَّنْبُ الذي قد أَصَبْتُهُ ... على النَّاسِ خافَ النَّاسُ كُلُّهُمُ الرَّدَى

فإن جَنَّ لَيْلٌ كُنْتُ بِاللَّيلِ نائِماً ... وأُصْبِحُ بَطَّالَ العَشِيَّاتِ والضُّحى

قال: فلما فَرغَ من إنشادها قال: سيَغْلِبُني عليها صاحبُكم، يعني عِمرانَ بن حِطّان، فكان كذلك، لمَّا شاعَت رَواها الناسُ لِعمران، وكان لا يقول أحَدٌ من الشُّعراء شِعْراً إلاّ نُسِب إليه لشُهرته إلاّ مَنْ كان مِثلَه في الشُّهرة مثل قَطَرِيّ وعَمرِو

(١) الربداء: الغبراء. وتجفل: تفرّ، تهرب.

القَنَا وذَوِيهِما، قال: ثم هرب إلى اليَمامة من الحَجَّاج، فنزل بحَجْر، فأتاه آلُ حَكَّام الحَنَفِيّون، فقال: [الخفيف]

طَـيَّـرونـي مِـنَ الـبِـلادِ وقـالـوا ... مـا لَـكَ النِّـصْـفُ مـن بـنـي حَـكَّـامِ[1]

نـاقَ سِـيـري قـد جَـدّ حَـقًّـا بـنـا الـسَّيْـ ... ـرُ وكـونـي جَـوَّالـةً فـي الـزِّمـامِ

فَـمَـتـى تَـعْـلَـقِـي يَـدَ الـمَـلِـكِ الأسْـ ... ـودِ تَـسْـتَـيْـقِـنِـي بـألاَّ تُـضـامِـي

قَـدْ أُرَانِـي ولـي مِـنَ الـحـاكِـمِ الـنِّـصْـ ... ـفُ بِـحَـدّ الـسِّـنـانِ أو بـالـحُـسـامِ

قال: والملك الأسود إبراهيم بن عربيّ وَالِي اليَمامة لِعَبْد المَلِك، وكان ابنُ حَكَّام على شُرْطته قال:

ومُـنِـيـنـا بِـطِـمْـطِـمٍ حَـبَـشـيٍّ ... حـالِـكِ الـوَجْـنَـتَـيْـنِ مِـنْ آلِ حَـامِ[2]

لا يُـبـالِـي إذا تَـضَـلَّـعَ خَـمْـراً ... أبِـحِـلٌّ رَمـاك أَمْ بِـحـرامِ[3]

قال العَنَزِيّ: فأخبرني مُحمد بنُ إدريس بن سُليمان بنِ أبي حَفْصةَ، عن أبيه، قال: كان مالكٌ المذمومُ من أحسن الناس قراءة للقرآن، فقرأ ذاتَ ليلة فَسمِعَتْ قراءته امرأة من آل حَكَّام فرمت بنفسها من فوق سَطْح كانتْ عليه، فَسمِع الصوتَ أهلُها، فأتَوْه فضربوه ضربات، فاستَعْدى عليهم إبراهيم بنَ عَرَبيّ، وكان عبدُ اللّه بن حكَّام على شُرطَته فلم يُعْدِه عليهم، فهجاه بالأبيات الماضية، وهَجاه بقَصِيدته التي أوَّلُها:

دارَ سَـلْـمـى بـالـجِـزْعِ ذِي الآطـام ... خَـبِّـريـنـا سُـقِـيـتِ صَـوْبَ الـغَـمـامِ

وهي طَويلة ينسبونها أيضاً إلى عِمران بنِ حِطَّان.

[الفرزدق يعترف بتفوّقه]

أخبرني أحمدُ بن الحسين الأصْبهانيُّ ابنُ عَمِّي قال: حَدَّثني أبو جَعْفَر بن رُسْتم الطَّبَريُّ النَّحوِيّ، قال: حدَّثنا أبو عُثمان المازِنيُّ قال: حدّثنا عمرو بن مُرّة

(١) النُّصف والنَّصَف: الإنصاف.
(٢) رجل طِمطِم: في لسانه عجمة.
(٣) تضلّع: امتلأ.

قال: مرَّ عِمران بن حِطَّان على الفرزْدَقِ وهو ينشد والناس حَولَه، فوقَف عليه، ثم قال: [الخفيف]

أيُّها المادِحُ العِبادَ لِيُعْطَى … إنَّ لِلَّهِ ما بأيْدِي العِبادِ
فاسألِ اللَّهَ ما طَلَبْتَ إليهم … وارْجُ فَضْلَ المُقَسِّم العَوَّادِ
لا تَقُلْ في الجَوادِ ما لَيْسَ فِيهِ … وتُسَمِّي البَخِيلَ باسْمِ الجَوادِ

فقال الفرزدق: لولا أنَّ الله عز وجل شَغَل عنا هذا برأيه لَلَقِينا منه شَرًّا.

وقال هارون بن الزَّيَّات: أخبرني عبدُ الرحمن بن موسى الرَّقيّ، قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ مُحمد بنِ حُمَيْد بن سُلَيْمان بن حَفْص بن عبد اللّه بن أبي جَهْم بن حُذَيفة بن غانم العَدوِيّ قال: حدثنا يَزِيدُ بنُ مرة، عن أبي عُبَيدة مَعْمر بن المثنى عن عِيسى بن يَزِيد بن بَكر المدنيّ، قال: اجتمع عند مَسْلَمة بنِ عبد الملك ناسٌ من سمّاره، فيهم عبدُ اللّه بنُ عبد الأعلى الشَّاعر، فقال مَسْلَمة: أيُّ بَيْت قالَتْه العربُ أوعظُ وأحكَم؟ فقال له عبد اللّه قوله: [الطويل]

صَبا ما صَبا حتى عَلاَ الشَّيْبُ رأْسَهُ … فلما علاهُ قال لِلْباطل ابْعُدِ

فقال مَسلَمةُ: إنّه والله ما وَعَظَني شِعْرٌ قَطّ كما وَعَظني شِعْرُ ابن حِطَّان حَيْث يقول: [الطويل]

فيُوشِكُ يَوْمٌ أن يُقارِنَ لَيلَةً … يَسوقانِ حَتْفاً راحَ نَحْوكَ أوْ غَدا

فقال بعضُ مَنْ حضر: واللَّهِ لقد سَمِعتُه أجَّل الموتَ ثم أفناه، وما صَنع هذا غيرُه، فقال مَسلَمة: وكَيْف ذاك؟ قال: قال: [البسيط]

لا يُعْجِزُ المَوْتَ شَيْءٌ دُونَ خالِقِهِ … والمَوْتُ فانٍ إذا ما نالَهُ الأجَلُ
وكُلُّ كَرْبٍ أمامَ المَوْتِ مُتَّضِعٌ … لِلْمَوْتِ، والمَوْتُ فيما بَعْدَه جَلَلُ

فبكى مَسلَمةُ حتى اخضلّت لِحيتُه ثم قال: رَدِّدهما عليَّ، فردَّدَهما عليه حتى حَفظهما.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدثنا مَنِيع بنُ أحمد بنُ مؤرِّج السَّدُوسيّ، عن أبيه، عن جدّه، قال: تزوج عِمرانُ بن حِطّان حمزةَ بنتَ عمه ليردّها عن مَذْهب الشّراية، فذهبَت به إلى رأيهم، فجعل

يقول فيها الشعر، فمِمَّا قال فيها: [البسيط]

يا حَمْزَ إنِّي على ما كانَ مِنْ خُلُقي مُثْنٍ بخَلاّتِ صِدْقٍ كُلُّها فِيكِ
اللَّهُ يَعْلَمُ أنّي لَمْ أقُلْ كَذِباً فيما عَلِمْتُ وأنّي لا أُزَكِّيكِ

أخبرني الحَسَن، قال: حدثنا محمدُ بنُ مُوسى، وحدثني بعضُ أصحابنا، عن العُمريّ، عن الهَيْثم بن عديّ، أنَّ امرأةَ عِمران بن حِطَّان قالت له: ألم تزعم أنَّك لا تَكْذِب في شعرك؟ قال: بلى، قالت: أفرأيتَ قولَك: [مجزوء الكامل]

وكذاكَ مَجْزَأةُ بْنُ ثَوْ رٍ كان أشْجَعَ مِنْ أُسامَهْ

أيَكون رجل أشجَعَ من الأسد؟ قال: نعم، إن مجزأةَ بن ثَوْر فَتَح مَدِينة كذا، والأسد لا يَقدِر على فَتْح مَدِينة.

صوت

[الطويل]

نَدِيميَّ قَدْ خَفَّ الشَّرابُ وَلَمْ أجِدْ لَهُ سَوْرَةً في عَظْم رَأْسِي ولا جِلْدي[١]
نَدِيميَّ هذِي غِبُّهُم فاشْرَبا بها ولا خَيْرَ في شُرْبٍ يَكُونُ على صَرْدِ[٢]

الشعر لعُمارة بنِ الوليد بنِ المُغيرة المَخزُومِيّ، والغناء لابنِ سُرَيج خفيف ثقيل.

---

(١) سورة الخمر: حدته.
(٢) الصَّرْد: الصرف.

أخبار عمارة بن الوليد ونسبه

[اسمه ونسبه]

عُمارة بنُ الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن مَخْزوم بن يَقَظة بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب، وهو أحدُ أزْواد الرَّكْب، ويقال له الوحيد، وكان أزوادُ الرَّكْب[١] لا يمُرُّ عليهم أحد إلا قَروْه وأحْسَنُوا ضيافته، وزَوّدُوه ما يحتاج إليه لسفَرِه، وكان عمارة بنُ الوَليد فَخُوراً مِعَنًّا[٢] مُتعرضاً لكل ذي عارِضة من قُرَيش، فأخبرني عمّي قال: حدّثنا عبدُ اللّه بنُ شَبيب، قال: حدثنا الزُّبير بن بكّار، عن الحزاميّ، قال: مرّ عُمارة بن الوَليد بمُسافرِ بن عَمْرو، فوقَفَ عليه وهو مُنْتَشٍ، فقال: [المديد]

خُلِقَ البِيضُ الحِسانُ لنا ... وجِيادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ
كابِراً كُنّا أحَقَّ بِهِ ... حِينَ صِيغَ الشَّمْسُ والقَمَرُ

فأجابه مُسافِرُ بنُ عَمْرو بن أُميَّة، فقال: [المديد]

أعُمارَ بنَ الوليدِ لَقَدْ ... يَذْكُرُ الشّاعِرُ مَنْ ذَكَرهْ
هَلْ أخُو كَأْسٍ مُخَفِّفُها ... ومُوَقٍّ صَحْبَهُ سَكَرهْ
ومُحَيِّيهم إذا شَرِبُوا ... ومُقِلٌّ فيهمُ هَذَرَهْ
خُلِقَ البِيضُ الحِسانُ لنا ... وجِيادُ الرَّيْطِ والحِبَرهْ
كابِراً كُنّا أحَقَّ بِهِ ... كُلُّ حَيٍّ تابِعٌ أثَرَهْ

(١) أزواد الرّكب: مسافر بن أبي عمرو، وزمعة بن الأسود، وأبو أمية بن المغيرة. وسموا بذلك لأنهم لم يكن أحد يتزود معهم في سفر، هم يطعمونه ويكفونه الزاد.

(٢) المعنّ: الذي يدخل فيما لا يعنيه، ويعرض في كل شيء.

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكُرانيُّ، قال: حدّثنا العُمَريُّ، عن الهَيْثم بن عَديّ عن حماد الراوية: أنَّ عُمارة بنَ الوَليد خَطَب امرأةً من قَومه فقالت: لا أتَزَوَّجُك أو تترُك الشّراب والزنى، قال: أما الزنى فأتركه، وأما الشّراب فلا أتركه ولا أستطيع. ثم اشتدّ وجدُه بها فحلف ألاّ يشرب، فتزوجها ومكث حيناً لا يشرب، ثم إنه لبِس ذات يوم حُلَّته وركب ناقته وخرج يسير، فمر بخمّار وعنده شَرْبٌ يشربون، فدعَوْه فدخل عليهم وقد أنفدوا ما عندَهم، فقال للخمّار، أطعِمْهم ويلك، فقال: ليس عندي شيء، فنحر لهم ناقته، فأكلوا منها، فقال: اسقِهم، ولم يكن معهم شيء يشربون به، فسقاهم ببُردته، ومكثوا أياماً ذوات عدد، ثم خرج فأتى أهله، فلما رأته امرأته، قالت له: ألم تحلف ألاً تشرب؟ ولامته، فقال: [الطويل]

وَلَسْنَا بِشَرْبٍ أُمَّ عَمْرٍو إذا انْتَشَوْا ... ثِياب النَّدامَى عِنْدَهم كالغنائِم
ولكننا يا أُمَّ عَمْرٍو نَدِيمُنا ... بِمَنْزِلَةِ الرَّيَّان لَيْسَ بعائِم
أَسَرَّكَ لما صَرَّعَ القَوْمَ نَشْوَةٌ ... أنَ أخرُجَ منها سَالِماً غَيْرَ غَارِمَ
خَلِيّاً كأنّي لَمْ أكُنْ كُنْتُ فِيهِمُ ... وَلَيْسَ الخِداعُ مُرْتَضًى في التّنادمِ

[بين عمارة وعمرو بن العاص]

أخبرني جعفرُ[1] بنُ قُدامة قال: حدثني عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم، قال: حدثني عمي أحمد بن جعفر، عن ابن دأب، قال: قدم رجل من تجار الروم بحُلّة من لباس قيصر على أهل مكة، فأتى بها عمارةَ بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، فعرضها عليه بمائة حِقٍّ من الإبل، فاستغلاها، فأتى بها عمرو بن العاص، فقال له: هل أتيت بها أحداً؟ قال: نعم، عُمارة بن الوليد فاستغلاها وقال: لن تعدم لها غَوِيًّا من بني سهم، قال: قد أخذتها، فاشتراها بمائة حِقّ - يعني مائة بعير - ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم، فناداه عمارة: أتبيع الحُلّة يا عمرو فغضب والتفت إلى عمارة، فقال:

[الوافر]

عَلَيْكَ بِجَزِّ رَأْسِ أَبِيكَ إنّا ... كَفَيْناكَ المُسَهَّمةَ الرِّقاقا[2]
زوَوْها عَنْكُمُ وغَلَتْ عَلَيْكم ... وَأَعْطَيْنا بها مِائةً حِقاقا[3]

---

(١) سَهَّم الثوب: صور فيه سهاماً فهو مُسَهَّم.
(٢) زوى الشيء عنه: نحاه عنه.

وَقُلْتُم: لا نُطِيقُ ثِيابَ سَهْمٍ ... وَكُلٌّ سَوْفَ يَلْبَسُ ما أطاقا

قال: فغضب عمارة وقال: يا عمرو، ما هذا التّهوّر؟ إنك لست بعتبةَ بن ربيعة، ولا بأبي سفيان بن حرب، ولا الوليد بن المغيرة، ولا سُهَيْل بن عمرو، ولا أُبيّ بن خلف، فقال عمرو: إلاّ أكن بعضَهم فإن كلَّ واحد منهم خيرُ ما فيه فيَّ: من عُتبة حلمُه، ومن أبي سفيان رأيُه، ومن سُهَيل جودُه، ومن أُبَيّ بنِ خلف نجدَتُه، وأما الوليد فوالله ما أُحب أنّ فيَّ كلَّ ما فيه من خير وشر، ولكنك والله ما لكَ عَقْل الوليد، ولا بأسُ الحارث بن هشام وخالد بن الوليد، ولا لِسانُ أبي الحكم، يعني أبا جهل. وانصرف، فأمر عُمارة بجزور فَنُحِرَت على طريق عمرو، وأقبل عمرو فقال: لمنْ هذه الجزور؟ قيل: لعمارة، فقال له: أطعِمنا منها يا عُمارة، فضحك منه، ثم قال: [الوافر]

عَلَيْكَ بِجَزْرِ أَيْرِ أَبِيكَ إِنَّا ... كَفَيْناكَ المُشَاشَةَ والعُرَاقَا[1]
ومَنْسَبَةِ الأَطايِبِ مِنْ قُرَيْشٍ ... وَلَمْ تَرَ كَأْسَنا إلاَّ دِهاقا
وَنَلْبَسُ في الحوادِثِ كُلَّ زَغْفٍ ... وَعِنْدَ الأَمْنِ أبْراداً رِقاقا[2]

فوقع الشرُّ بينهم، فقال عمرو: [الوافر]

لعَمْرُ أَبيكَ والأَخْبارُ تَنْمِي ... لَقَدْ هَيَّجْتَنِي يابنَ الوَليدِ
فلا تَعْجَلْ عُمارةُ إنَّ سَهْماً ... لِمَخْزومِ بن يَقْظَةَ في العَدِيدِ
وَأَوْرِدْ يا عُمارَةُ إنَّ عُودِي ... مِنَ اَعْوادِ الأباطِحِ خَيْرُ عُودِ

فأجابه عُمارة، فقال: [الوافر]

ألا يا عَمْرو هَلْ لَكَ في قُرَيْشٍ ... أبٌ مِثْلُ المُغيرةِ والوَليدِ
وجَدٌّ مِثْلُ عبدِ اللّه يَنْمِي ... إلى عَمْرِو بْنِ مَخْزومِ بِغُودِ
إذا ما عُدَّتِ الأَعْوادُ نَبْعاً ... فَما لِي في الأباطِحِ مِنْ نَديدِ
وَقَدْ عَلِمَتْ سَراةُ بَنِي لُؤيٍّ ... بأنّي غَيْرُ مُؤْتَشِبٍ زَهِيدِ
وإنّي لِلمُنابِذِ مِنْ قُرَيْشٍ ... شَجاً في الحَلْقِ مِنْ دُونِ الوَريدِ[3]

(١) المشاشة: رأس العظم اللين الذي يمكن مضغه. والعراق: العظم الذي أُكل لحمه.
(٢) الزَّغْف: الدرع الطويلة الواسعة.
(٣) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم وغيره.

أَحُـوطُ ذِمـارَهـم وأكُـفُّ عَـنْـهـم ... وَأَصْبِرُ في وَغَى اليَوْمِ الشَّديدِ[1]
وَأَبْـذُلُ مـا يَـضِـنّ بـه رِجـالٌ ... وتُطمِعُني المُروءَةُ في المَزيدِ
وإنك مِنْ بَنِي سَهْم بنِ عَمرٍو ... مكانَ الرِّدْفِ مِنْ عَجُزِ القَعودِ
وكانَ أبوكَ جَزَّاراً وكانت ... له فَأْسٌ وقِدْرٌ مِنْ حَديدِ

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ، عن العُمَريّ، عن أبي عَوانةَ، عن عبد الملك بن عمير، أنّ عمر بن الخطاب قَسَم بروداً في المهاجرين. قال العُمَرِيّ: هكذا ذكر أبو عَوانةَ. وقد حدثني الهيْثم، عن أبي يعقوب الثَّقفيّ، عن عبد الملك بن عُمير، قال: أخبرني مَنْ شهد ذلك: أن عبد اللّه بن أبي ربيعة المخزوميّ بعث إلى عمر بن الخطاب بِحُلَل من اليمن، فقال عمر: عليَّ بالمحمَّدِين، فأُتي بمحمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن طلحة بن عُبيد اللّه، ومحمد بن عمرو بن حزم، ومحمد بن حاطب بن أبي بَلْتعة، ومحمد بن حطّاب أخي حاطب، وكلهم سمّاه النبيﷺ محمداً، فأقبلوا، فاطّلع محمد بن حطّاب فيها، فقال له عمر: يا شيبة معمر ـ يعني عمًّا له قتل يوم بدر ـ اكفف، وكان زيد بن ثابت الأنصاريّ عنده، فقال له عمر: أعطهم حُلَّةً حُلَّة، فنظر إلى أفضلها، وكانت أُمُّ أحدهم عنده، فقال عمر: ما هذا؟ فقال: هذه لفلان، الذي هو ربيبه، فقال عمر: اردُدْه، وتمثل بقول عُمارة بن الوليد: [الطويل]

أَسَرَّكَ لَمّا صَرَّعَ القَوْمَ نَشْوةٌ ... أن أخرُجَ منها سالِماً غَيْرَ غارِمِ
خَلِيًّا كأنّي لَمْ أكُنْ كُنْتُ فِيهِمُ ... وَلَيْسَ الخِداعُ مُرتَضًى في التَّنادُمِ

وقال أبو عَوانة: . . . من تصافي التنادم.

ثم أمر بالبرود فغُطِّيت بثوب، ثم خَلطها، ثم قال: لِيُدخِلْ كلُّ امرىءٍ يدَه فليأخذ حُلّته وما قُسِم له.

صوت

[المنسرح]

قَدْ يَجْمَعُ المالَ غَيْرُ آكِلِهِ ... وَيأكُلُ المالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ
فاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ ما أتاكَ بِهِ ... مَنْ قَرَّ عَيْناً بِعَيْشِهِ نَفَعهْ

---

(١) أحوط ذمارهم: أحفظهم وأدافع عنهم.

لِـكُـلِّ هَـمٍّ مِـنَ الـهُـمـومِ سَـعَـةْ والـصُّـبْـحُ والـمُـسْـيُ لا فَـلاحَ مَـعَـهْ

الشعر للأضبط بن قُرَيع، والغناء لأحمد بن يحيى المكيّ، ثقيل أول بالسَّبابة في مجرى البنصر من روايته، وسمعناه يغني في طريقة خفيف رمل، فسألت عنه ذُكاء وجه الرّزّة، فذكر أنه سمعه من محمد بن يحيى المكيّ في هذه الطريقة، ولم يعرف صانعه ولا سأل عنه.

أخبار الأضبط ونسبه

[بعض صفاته]

أخبرني جَعفرُ بنُ قُدامة قال: حدثني عبدُ اللّه بنُ طاهر، قال: قال أبو مُحلّم: أخبرني ضِرار بن عيينة، أحد بني عبد شمس، قال: كان الأضبطُ بن قُرَيْع مُفَرَّكاً[1]، وكان إذا لقي في الحرب تقدم أمام الصف، ثم قال:

أَنَا الَّذي تَفْرُكُهُ حَلائِلُهْ ... أَلاَ فَتًى مُعَشَّقٌ أُنازِلُهْ!

قال: فاجتمع نساؤه ذات ليلة يسمرن، فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرْك الأضبط، فأجْمَعن أن ذلك لأنه بارد الكَمَرة[2]، فقالت لإحداهنّ خالتُها: أتعجز إحداكنّ إذا كانت ليلتُه منها أن تُسخن كمرته بشيء من دُهن؟ فلما سمع قولَها صاح: يا آل عوف، يا آل عوف، فثار الناس وظنوا أنه قد أُتي، فقال: أُوصيكم بأن تُسخِنوا الكمرة فإنه لا حُظْوة لبارد الكمرة، فانصرفوا يضحكون، وقالوا: تبًّا لك، ألهذا دعوتنا!

قال أبو مُحلّم: كانت أُمُّ الأضبط عَجِيبة بنت دارم بن مالك بن حنظلة، وخالته الطَّموح بنت دارِم أم جُشَم وعبد شمس ابني كعب بن سعد، فحارب بنو الطَّموح قوماً من بني سعد، فجعل الأضبط يدُسّ إليهم الخيل والسلاح ولا يصرّح بنُصرتهم خوفاً من أن يتحزَّب قومه حزبين معه وعليه، وكان يشير عليهم بالرأي فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه، وأَرَوْه مع ذلك أنهم على رأيه، فقال في ذلك:

(١) المفرك: الذي تكرهه النساء.
(٢) الكمرة: رأس الذكر.

[المنسرح]

لِـكُـلِّ هَـمٍّ مِـنَ الـهُـمـومِ سَـعَـهْ والـمُـسْـيُ والـصُّـبْـحُ لا فَـلاحَ مَـعَـهْ
لا تَـحْـقِـرَنَّ الـفَـقِـيـرَ عَـلَّـكَ أَنْ تَـرْكَـعَ يَـوْمـاً والـدَّهْـرُ قَـدْ رَفَـعَـهْ
وصِلْ حِبال البَعيدِ إن وَصَلَ الحبْـ ـلَ وأقْـصِ الـقَـرِيـبَ إنْ قَـطَـعَـهْ
قَـدْ يَـجْـمَـعُ الـمَـالَ غَـيْـرُ آكِـلِـهِ وَيَـأْكُـلُ الـمَـالَ غَـيْـرُ مَـنْ جَـمَـعَـهْ
مـا بـالُ مَـنْ غَـيُّـهُ مُـصِـيـبُـك لا يَـمْـلِـكُ شَـيْـئـاً مِـنْ أَمْـرِهِ وَزَعَـهْ[1]
حَـتَّـى إذا مـا انْـجَـلَـتْ غَـوايـتُـهُ أَقْـبَـلَ يَـلْـحَـى وَغَـيُّـهُ فَـجَـعَـهْ
أَذُودُ عَـنْ نَـفْـسِـي وَيَـخْـدَعُـنِـي يـا قَـوْمُ مَـنْ عَـاذِرِي مِـنَ الـخُـدَعَـهْ
فَـاقْـبَـلْ مِـنَ الـدَّهْـرِ مـا أَتـاكَ بِـهِ مَـنْ قَـرَّ عَـيْـنـاً بِـعَـيْـشِـهِ نَـفَـعَـهْ

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا الخراز عن المدائني، قال: كان الأضبطُ بن قريع قد تزوج امرأة على مال ووصيفة، فنَشزَت[2] عليه، ففارقها ولم يعطِها ما كان ضمن لها، فلما احتملت أنشأ يقول: [الطويل]

أَلَـمْ تَـرَهـا بـانَـتْ بِـغَـيْـرِ وَصِـيـفَـةٍ إذا ما الغواني صاحَبَتْها الوَصائِفُ
ولـكـنـهـا بـانَـتْ شَـمـوسٌ بَـرِيَّـةٌ مُـنَـعَّـمـةُ الأَخْـلاقِ حَـذْبـاءُ شـارِفُ
لـو أَنَّ رَسـولَ الـلَّـهْـوِ سَـلَّـمَ واقِـفـاً عَـلَـيْـهَـا لَـرَامـتْ وَصْـلَـهُ وهـو واقِـفُ

أخبرنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: حدثنا الجمَّاز، قال: أنشدت أبا عبيدة وخَلفاً الأحمر شِعر الأضْبطِ: [المنسرح]

وصِـلْ حِـبـالَ الـبَـعـيـدِ إنْ وَصَـلَ الـحَـبْـ ـلَ وأقْـصِ الـقَـرِيـبَ إنْ قَـطَـعَـهْ

فما عرفا منه إلا بيتاً وعجز بيت، فالبيت الذي عرفاه:

فاقبل من الدّهر ما أتاك به...

والعجز:

يـا قـوم مَـنْ عـاذِري مـن الـخُـدعَـهْ

والخدعة: قوم من بني سعْد بنِ زيْد مناة بنِ تميم.

---

(١) وزعه: كفه.

(٢) نشزت المرأة: أبغضت زوجها واستعصت عليه.

صوت

[الطويل]

وما أنا في أَمْري ولا في خُصُومَتي بمُهْتَضَم حقِّي ولا قارِع سِنِّي
ولا مُسلمٍ مَوْلاي عِنْدَ جِنايةٍ ولا خائِفٍ مَوْلاي مِنْ شَرِّ ما أَجْنِي

الشعر لأعشى بني ربيعة، والغناءُ لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى، عن عمرو.

أخبار الأعشى ونسبه

[توفي نحو ١٠٠ هـ/ نحو ٧١٨ م]

[اسمه ونسبه]

الأعشى اسمه عبدُ اللّه بنُ خارجةَ بن حبيب بن قيس بنِ عَمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة الحُصَين بن عُكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار: شاعر إسلامي من ساكني الكوفة، وكان مَرْوانِيّ المذهب، شديد التعصب لبني أمية.

[أعشى ربيعة وعبد الملك بن مروان]

أخبرني محمدُ بن العباسِ اليزيديّ قال: حدثنا عمّي محمد بن عبيد اللّه عن محمد بن حبيبَ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن عمه العباس بن هشام، عن أبيه، قالا: قدِم أعشَى بَني ربيعة على عبد الملك بن مروان، فقال له عبدُ الملك: ما الذي بَقِي منك؟ قال: أنا الذي أقول: [الطويل]

وما أنا في أمْري ولا في خُصُومتِي ... بِمُهْتَضَمٍ حَقِّي ولا قارعٍ سِنّي

ولا مُسلِمٍ مَولايَ عِنْدَ جِنايةٍ ... ولا خائِفٍ مَوْلاي مِنْ شَرِّ ما أَجْنِي

وإن فُؤادي بَيْنَ جَنْبَيَّ عالِمٌ ... بما أبْصَرَتْ عَيْني وما سَمِعَت أُذْنِي

وَفَضَّلَنِي في الشِّعْرِ واللُّبِّ أنَّنِي ... أَقُولُ على عِلْمٍ وَأعْرِفُ مَنْ أعْنِي

فَأَصْبَحْتُ إذْ فَضَّلْتُ مَرْوانَ وابنَهُ ... على النَّاسِ قَدْ فَضَّلْتُ خَيْرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك: مَنْ يلومني على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة

تُخوت ثياب، وعشر فرائض من الإبل، وأقطعه ألفَ جَريب[١]، وقال له: امضِ إلى زيد الكاتب يكتب لك بها، وأجرى له على ثلاثين عَيِّلاً[٢] فأتى زَيداً فقال له: ائتِني غداً، فأتاه فجعل يردِّده، فقال له: [الرجز]

يـا زَيْـدُ يـا فِـداكَ كُـلُّ كـاتِـبِ   فـي الـنَّـاسِ بَـيْـنَ حـاضِـرٍ وغـائِـبِ
هـل لَـكَ فـي حَـقٍّ عَـلَـيْـكَ واجِـبِ   فـي مـثـلـه يَـرْغَـبُ كُـلُّ راغِـبِ
وَأَنْـتَ عـفٌّ طَـيِّـب الـمَـكـاسِـبِ   مُـبَـرَّأٌ مِـنْ عَـيْـبِ كُـلِّ عـائِـبِ
وَلَـسْـتَ - إنْ كَـفَـيْـتَـنِـي وصـاحِـبِـي   طُـولَ غُـدُوٍّ ورَواحٍ دائِـبِ
وسُـدَّةَ الـبـاب وعُـنـفَ الـحـاجِـبِ   - مِـنْ نِـعْـمـةٍ أسـدَيْـتَـهـا بـخـائِـبِ

فأبطأ عليه زيد، فأتى سُفيانَ بنَ الأَبْرد، فكلّمه سُفيانُ فأبطأ عليه، فعاد إلى سفيان، فقال له: [البسيط]

عُـدْ إذ بَـدَأْتَ أبـا يَـحْـيَـى فَـأَنْـتَ لَـهـا   ولا تَـكُـنْ حِـيـنَ هـابَ الـنَّـاسُ هـيّـابـا
وَاشْـفَـعْ شَـفـاعـةَ أَنْـفٍ لَـمْ يَـكُـنْ ذَنَـبـاً   فـإنَّ مِـنْ شُـفَـعـاءِ الـنَّـاسِ أذنـابـا

فأتى سُفيانُ زيداً الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته. قال محمد بن حبيبَ: دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يَجِدّ، فقال له: يا أمير المؤمنين، ما لي أراك مُتلوِّماً يُنْهِضُك الحَزْم ويُقعِدك العَزمُ، وتَهُمُّ بالإقْدام وتَجْنَحُ إلى الإحْجام، انقَدْ لِبَصيرتك وأمضِ رَأيَك، وتوجَّهْ إلى عَدُوّك، فجَدُّك[٣] مُقبِل، وجَدُّه مُدبِر، وأصحابُه له ماقِتُون[٤]، ونحن لك مُحِبّون، وكلمتُهم مُفْتَرِقَة، وكَلِمَتُنا عليك مُجْتَمعة، واللَّهِ ما تُؤتَى من ضَعْف جَنان، ولا قِلّة أعْوان، ولا يُثَبِّطُك عنه ناصح، ولا يُحرِّضُك عليه غاشّ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً فقال: هاتِها، فإنك تنطق بلسان وَدُود وقَلْب ناصح، فقال: [الكامل]

آلُ الـزُّبَـيْـرِ مِـنَ الـخِـلافَـةِ كَـالّـتـي   عَـجِـلَ الـنِّـتـاجُ بـحَـمْـلـهـا فـأحـالَـهـا
أو كـالـضِّـعـاف مِـنَ الـحَـمولـةِ حُـمِّـلَـتْ   مـا لا تُـطِـيـقُ فـضَـيّـعـتْ أَحْـمـالَـهـا
قُـومـوا إِلَـيْـهـم لا تَـنـامـوا عَـنْـهُـمُ   كَـم لِـلـغُـواةِ أَطَـلْـتُـمـوا إِمْـهـالَـهـا

(١) الجريب من الأرض: ثلاثة آلاف وستمائة ذراع، وقيل عشرة آلاف ذراع.
(٢) العيّل: الذي يعوله أهله.
(٣) جَدُّك: حظّك.
(٤) مقته: أبغضه أشد البغض.

إنَّ الـخِـلافـةَ فـيـكـمُ لا فِـيـهـمُ ... مـا زِلْـتُـمُ أرْكـانَـهـا وثِـمَـالـهـا[١]
أمْسَوْا عـلى الـخَيْراتِ قُفْلاً مُغْلَقاً ... فـانْـهَـضْ بـيُـمْـنِـكَ فـافـتَـحْ أقْـفـالَـهـا

فضحك عبدُ الملك وقال: صدقتَ يا أبا عبد اللّه، إنّ أبا خُبَيب لقُفلٌ دون كل خير، ولا نَتأخّر عن مُناجَزته إن شاء الله، ونستعين الله عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأمر له بصلة سنية.

[بعض ما كان بينه وبين الحجاج]

قال ابن حبيب: كان الحجّاج قد جَفا الأعشَى واطَّرَحه لِحالة كانت عند بشر بن مروان، فلما فرغ الحَجَّاج من حرب الجماجم ذكر فتنةَ ابن الأشعث، وجعل يوبِّخ أهلَ العراق ويؤنِّبهم، فقال مَنْ حَضَر من أهل البصرة: إنّ الرَّيبَ والفتنة بدأ من أهل الكوفة، وهم أول من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية، فقال أهل الكوفة: لا، بل أهلُ البصرة أوّلُ من أظهر المعصية مع جرير بنِ هميان السّدوسيّ، إذ جاء مخالفاً من السِّند. وأكثروا من ذلك، فقام أعشى بني أبي ربيعة، فقال: أصلح اللّهُ الأميرَ لا بَراءَة من ذنب، ولا ادِّعاء على الله في عصمة لأحد من المِصْرَيْن[٢]، قد والله اجتهدوا جميعاً في قِتالِك، فأَبَى اللّهُ إلاَّ نَصْرَك؛ وذلك أنهم جَزِعوا وصَبرتَ، وكفروا وشكَرْت، وغَفرْت إذ قَدَرْت، فوَسِعَهم عَفوُ الله وعَفوُك فنجَوْا، فلولا ذلك لبادوا وهلكوا. فسُرَّ الحَجَّاجُ بكلامه وقال له جميلاً، وقال: تهيَّأ للوِفادة إلى أمير المؤمنين حتى يَسْمَعَ هذا منك شِفاهاً، انتهى.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع، قال: حدثني حَمَّادُ بن إسحاق، عن أبيه، قال: بلغ الحَجَّاجَ أنَّ أعشَى بَني أبي ربِيعة رَثى عبدَ اللّه بنَ الجارود، فغضب عليه، فقال يَعتذِر إليه: [الطويل]

أَبِيتُ كأَنِّي من حِذارِ ابنِ يُوسُفٍ ... طَريدُ دَمٍ ضاقتْ عليه المَسالِكُ
ولو غَيْرُ حَجَّاجٍ أرادَ ظُلامَتي ... حَمَتْني مِنَ الضَّيْم السُّيوفُ الفواتِكُ
وفِتيانُ صِدْقٍ مِنْ رَبِيعةَ قُصْرةً ... إذا اخْتَلَفَتْ يَوْمَ اللِّقاءِ النّيازِكُ[٣]
يُحامونَ عَنْ أَحْسابِهم بِسيُوفِهم ... وَأَرْماحِهم واليَوْمُ أَسْوَدُ حالِكُ

---

(١) ثمالها: غياثها.
(٢) المصران: البصرة والكوفة.
(٣) يقال: فلان ابن عمه قصرةً: أي قريب. والنيازك: الرماح القصيرة.

أخبرني أبو الحَسن الأسدِيّ، قال: حدَّثني أحمد بن عبد اللّه بن عليّ بن سُوَيْد بن مَنْجوف، عن ابن مُؤَرِّج، عن أبيه، قال:

دخل أَعْشَى بَني أبي ربيعة على عَبْد الملك بن مروان، فأَنْشده قَولَه: [الوافر]

رَأَيْتُكَ أَمْسِ خَيْرَ بَنِي مَعَدٍّ وَأَنْتَ اليَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسِ
وَأَنْتَ غداً تَزِيدُ الضِّعْفَ ضِعْفاً كذاك تَزِيدُ سادةُ عَبْدِ شَمْسِ

فقال له: من أيِّ بَني أَبِي ربيعة أنتَ؟ قال: فقلتُ له: من بني أُمامة، قال: فإن أُمامةَ ولد رجلين: قيساً وحارثةَ، فأحدُهما نَجَم، والآخر خَمَل. فمن أيهما أنت؟ قال: قلتُ: أنا من وَلَد حارِثة، وهو الذي كانت بَكْر بن وائل تَوَّجَتْه، قال: فقام بِمِخْصَرةٍ[1] في يده، فَغَمَز بها في بَطْني، ثم قال: يا أخا بَني أبي ربيعة هَمُّوا ولم يفعلوا، فإذا حدَّثْتني فلا تَكذِبْني، فجعلت له عَهْداً ألا أحدِّث قُرَشِيّاً بكذبٍ أبداً.

[مدحه أسماء بن خارجة]

أخبرني عمّي، قال: حدَّثنا ابنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثني أحمدُ بنُ الهَيْثم السُّلميّ. قال: حدثني أبو فراس محمد بن فراس، عن الكلبيّ، قال:

أتى أَعشَى بَني أبي ربيعة أسماءَ بن خارجة فامتدحه فأَعْطاه وكَساه، فقال:

[الوافر]

لأَسماءُ بنُ خارِجَةَ بنِ حِصْنٍ على عِبْءِ النَّوائبِ والغَرامَةْ
أَقَلُّ تَعَلُّلاً يَوماً ويُخْلاً على السُّؤَّال مِنْ كَعْبِ بنِ مامَةْ
ومَصْقَلَةُ الذي يَبْتاع بَيْعاً رَبِيحاً فَوْقَ ناجِيةَ بنِ سامَةْ

قال الكلبيّ: جعل ناجيةَ رجلاً وهي امرأة؛ لضرورة الشعر.

قال أبو فراس: فحدَّثني الكلبيّ، عن خِداش، قال: دخل أَعْشَى بَني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال: [الطويل]

أَتَيْنا سُلَيْمانَ الأَمِيرَ نَزورُهُ وكانَ امْرَأً يُحْبَى ويُكْرَمُ زائِرُهْ
إذا كُنْتَ فِي النَّجْوى به مُتَفرِّداً فلا الجُودُ مُخْلِيه ولا البُخْلُ حاضِرُهْ
كِلا شافِعَيْ سُؤَّالِهِ مِنْ ضَمِيرِهِ على البُخْلِ ناهِيهِ وبِالجُودِ آمِرُهْ

فأعطاه وأكرمه وأمر كُلَّ مَنْ كان بحضرته من قومه ومواليه بِصِلَته، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه.

صوت

نَـــأَتْـــكَ أُمــــامَــــةُ إلاَّ سُـــؤالاَ ... وإلاّ خَـيـــالاً يُـــوافِـــي خَـيـــالاَ
يُـوافِـي مَـعَ الـلَّـيْـلِ مِـيـعـادُهـا ... ويـأْبَـى مَـعَ الـصُّـبـحِ إلا زِيـالاَ
فَـــذلـــكَ يَـــبْـــذُلُ مِـــنْ وُدِّهـــا ... وَلَـوْ شَـهِـدَت لَـمْ تُـواتِ الـنَّـوالا
فَـقَـدْ رِيـعَ قَـلْـبِـيَ إذْ أَعْـلَـنُـوا ... وقِـيـلَ أَجِـدَّ الـخَـلِـيـطُ احْـتِـمـالاَ

الشعر لعَمْرو بن قَمِيئة، والغِناء لِحُنَيْن خفيف رمَل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكّي، وذكر الهِشاميّ وغيره أنه من مَنْحول يحيى إلى حنين.

أخبار عمرو بن قميئة ونسبه

[نحو ١٨٠ ـ ٨٥ ق.هـ/ ٤٤٨ ـ ٥٤٠ م]

[اسمه ونسبه]

هو فيما ذكر أبو عَمْرو الشّيبانيّ، عن أبي بَرْزَة: عمرُو بن قَمِيئة بن ذَرِيح بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعْلبة بن عُكابة بن صعب بنِ عليّ بنِ بكر بن وائل بن قَاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعِميّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

قال ابن الكَلْبِيّ: ليس من العرب مَنْ له وَلَدٌ، كُلٌّ واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثَعْلبة بن عُكابة، فإنه وَلَدَ أَرْبَعةً كُلٌّ واحد منهم قَبيلة: شَيْبان بن ثَعْلَبة، وهو أبو قَبيلة، وقَيْس بنُ ثَعْلبة وهو أبُو قَبِيلة، وذُهْل بن ثَعلبة وهو أبو قَبِيلَة، وتيم اللّه بن ثعلبة وهو أبو قبيلة.

[بعض سماته]

وكان عمرو بن قمِيئة من قُدماء الشعراء في الجاهلية، ويُقال: إنه أوّلُ مَنْ قال الشعر من نِزار، وهو أقدَم من امرىء القَيْس، ولَقِيه امرؤُ القيس في آخر عُمره فأخرجه معه إلى قَيْصر لَمَّا توجه إليه فمات معه في طريقه، وسَمَّتْه العربُ عَمْراً الضائع لموته في غُرْبة وفي غير أرَبٍ ولا مَطْلب.

نسختُ خبرَه من رِوايَتَي أبي عَمْرو الشَّيْبانِيّ، ومؤرِّج، وأخبرَني ببَعْضه الحسنُ بنُ عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي سَعْد، عن ابن الكَلْبيّ، فذكرتُ ذلك في مواضعه، ونَسبتُه إلى رُواته، قالوا جميعاً: كان عَمْرُو بن قَمِيئة شاعراً فَحْلاً مُتَقدّماً، وكان شابًا جميلاً حَسنَ الوجه مدِيدَ القامة حسن الشَّعْر، ومات أبوه وخَلّفه

صغيراً، فكفَلَه عَمُّه مَرْثَد بنُ سَعد، وكانت سبَّابَتا قَدمَيْه ووُسْطَياهما مُلتَصِقَتيْن، وكان عَمُّه مُحِبًّا له مُعجَباً به، رقيقاً عليه.

[علاقته بعمه وزوجة عمه وشعره]

وأخبرني عَمّي، قال: حَدَّثنا الكُرانِيُّ، قال: حدَّثَنا أبو عمر العُمَرِيّ، عن لَقِيط، وذكر مثلَ ذلك سائرُ الرُّواة: أنَّ مَرْثَد بنَ سعد بن مالك عَمَّ عَمْرو بن قَمِيئة كانت عنده امرأةٌ ذاتُ جمال، فهَوِيت عَمْراً وشُغِفَت به ولم تُظهِر له ذلك، فغاب مَرْثد لبعض أمرِه ـ وقال لَقِيط في خَبَره: مضى يَضْرب بالقِداح[1] ـ فبَعَثَت امرأتُه إلى عَمْرو تدعوه على لِسان عَمّه، وقالت للرَّسُولِ: ائتني به من وَراءِ البُيوتِ، ففعل، فلما دَخَل أنكر شأنَها، فوقف ساعة، ثم راودتْه عن نفسه، فقال: لقد جئتِ بأمر عظيم، وما كان مِثْلي ليُدْعَى لِمِثْل هذا، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً لأَمتنعَنَّ منه خَوفَ الدَّناءة والذِّكْر القَبِيح الشَّائع عَنّي في العرب، قالت: والله لتَفْعَلَنَّ أو لأَسُوءَنَّك، قال: إلى المساءةِ تدْعِينَنِي. ثم قام فخرج من عندها، وخافت أن يُخبِر عَمّه بما جرى، فأمرت بجَفْنة فكُفِئَت على أثَر عمرو، فلما رجع عمُّه وجدها مُتَغَضِّبة، فقال لها: ما لك؟ قالت: إنّ رجلاً من قومك قَريب القَرابة، جاء يَسْتامني نفسي ويُرِيد فِراشك منذ خرجت، قال: مَنْ هو؟ قالت: أما أنا فلا أُسَمّيه، ولكن قُمْ فافْتَقِدْ أثره تحت الجَفْنة، فلما رَأى الأثَر عرفه.

[هروبه من عمّه مرثد إلى الحيرة]

قال مُؤَرِّج في خبره: فحدَّثني أبو بَرْزَة وعلْقَمَة بنُ سعد وغَيرُهما من بَني قَيْس بن ثَعلَبة، قالوا: وكان لِمَرْثد سيفٌ يُسَمَّى ذَا الفَقار، فأتى ليَضْربه به، فهرب فأتى الحِيرةَ فكان عند اللَّخْميّين ولم يكن يَقْوَى على بني مَرْثد لكثرتهم، وقال لعَمْرو بن هِنْد: إنّ القوم اطّردُوني، فقال له: ما فَعلوا إلا وقد أجْرمْت، وأنا أفحَص عن أمرك، فإن كُنتَ مُجرِماً رددْتُك إلى قَومك، فغضب وهَمَّ بهجائه وهِجاء مرْثَد ثم أعرضَ عن ذلك، ومدح عَمَّه واعتذر إليه، انتهى.

وأما أبو عَمْرو فإنّه قال:

---

(١) القداح: جمع قدح وهو سهم الميسر. وقيل: السهم قبل أن ينصل ويراش.

لما سمع مَرْثد بذلك، هجر عَمْراً وأعرض عنه، ولم يُعاقِبْه لموضعه من قلبه، فقال عمرو يَعْتَذِر إلى عمِّه: [الطويل]

خَلِيلَيَّ لا تَسْتَعْجِلا أن تَزَوَّدا وأنْ تَجْمَعا شَمْلِي وتَنْتَظِرا غَدا
فما لَبَثِي يَوْماً بِسَائِقِ مَغْنَم ولا سُرْعَتِي يَوْماً بِسَائِقَةِ الرَّدى
وإن تُنْظِراني اليَوْمَ أَقْضِ لُبانَةً وَتَسْتَوْجِبا مَنّاً عَلَيَّ وتُحْمدا
لَعَمْرُكَ ما نَفْسٌ بجِدٍّ رَشيدةٍ تُؤامِرني سُوءاً لأَصْرمَ مَرْثَدا
وإن ظَهَرتْ مني قوارِصُ جَمَّةٌ وَأَفْرَعَ مِنْ لَوْمِي مِراراً وأصْعَدا
على غَيْرِ جُرْمٍ أَنْ أَكُونَ جَنَيْتُه سِوَى قَوْلِ باغٍ كادَنِي فتَجَهَّدا
لَعَمْري لنِعْمَ المَرْءُ تَدْعُو بِخَيْلِهِ إذا ما المُنادِي في المَقامةِ نَدَّدا
عَظيمُ رَمادِ القِدْرِ لا مُتَعبِّسٌ ولا مُؤيِسٌ منها إذا هو أَوْقَدَا
وإن صَرَّحَتْ كَحْلٌ وهَبَّتْ عَرِيَّةٌ مِنَ الرّيحِ لَمْ تَتْرُكْ مِنَ المالِ مِرْفدا[1]
صَبَرتُ على وَطْءِ المَوالي وخَطْبِهم إذا ضَنَّ ذُو القُرْبى عَلَيْهم وأخْمدا

يعني أخمد نارَه بُخْلاً، وروي: أَجْمدا. المجمد: البخيل.

وَلَمْ يَحمِ فَرْجَ الحَيِّ إلا مُحافِظٌ كريمُ المُحَيَّا ماجِدٌ غَيْرُ أجْرَدا

الأجردُ: الجعْد اليَدِ البَخِيل.

[حياته الطويلة ورأي الناس بشعره]

أخبرني محمد بن العَبَّاس اليَزِيدِيّ، قال: حدَّثني عَمِّي الفَضْل بنُ إسحاق، عن الهَيْثَم بن عَدِيّ، قال: سأل رجُلٌ حَمَّاداً الرَّاوِية بالبصْرة وهو عنْد بلال بنِ أبي بُرْدة: مَنْ أشعَرُ النَّاس؟ قال: الذي يقول: [الطويل]

رمَتْني بَناتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لا أرَى فما بالُ مَنْ يُرْمَى ولَيْس بِرامِ

قال: والشعر لعَمْرو بنِ قَمِيئة.

(١) الكحل: السنة الشديدة المجدبة. والعريّة: الباردة. والمرفد: ما يعطى للضيف.

قال عليّ بن الصباح في خبره، عن ابنِ الكَلْبيّ: وعُمِّر ابنُ قَمِيئةَ تِسْعِين سنةَ، فقال لَمَّا بَلَغَها: [الطويل]

كأنِّي وَقَدْ جاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً ... خلَعْتُ بها عَنِّي عِنانَ لِجامِي

على الرَّاحَتَيْن مَرَّةً وعلى العَصا ... أَنوءُ ثلاثاً بَعْدَهُنَّ قِيامِي

رمَتْنِي بناتُ الدَّهر مِنْ حَيْثُ لا أرَى ... فما بالُ مَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرامِ!

فَلَوْ أنَّ ما أُرْمَى بنَبْلٍ رَمَيْتُها ... ولكنَّما أُرْمَى بغَيْرِ سِهامِ

إذا ما رآني النَّاسُ قالوا: أَلَمْ يَكُنْ ... حَدِيثاً جَدِيدَ البَرْي غَيْرَ كَهامِ![1]

وأفْنَى وما أُفنِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً ... وَلَمْ يُفْنِ ما أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظامِ

وَأَهْلَكَنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ ... وَتَأْمِيلُ عامٍ بَعْدَ ذاكَ وعامِ

أخبرني الحُسَيْن بنُ يحيى قال: قال حَمَّادُ بن إسحاق: قرأتُ على أبي: حدَّثنا الهَيْثَمُ بن عَدِيّ عن مجالد، عن الشّعبيّ قال: دخلتُ على عَبْدِ المَلِك بنِ مروان في عِلّتِه التي مات فيها، فقلت: كيف تَجِدُك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحتُ كما قال عَمْرُو بن قميئة: [الطويل]

كأنِّي وَقَدْ جاوَزْتُ تِسْعِين حِجَّةً ... خَلَعْتُ بها عَنِّي عِنانَ لجامِ

رَمَتْنِي بَناتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لاَ أرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرامِ!

فَلَوْ أنَّها نَبْلٌ إذاً لاتَّقَيْتُها ... ولكنَّما أُرْمَى بِغَيْرِ سِهامِ

وَأَهْلَكَنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ ... وَتَأْمِيلُ عامٍ بَعْدَ ذاك وعامِ

فقلتُ: لستَ كذلك يا أميرَ المؤمنين، ولكنّك كما قال لبيد: [البسيط]

قامَتْ تَشَكَّى إِلَيَّ المَوْتَ مُجْهِشَةً ... وَقَدْ حَمَلْتُكِ سَبْعاً بَعْدَ سَبْعِينا

فإن تُزادِي ثَلاثاً تَبْلُغِي أمَلاً ... وفي الثّلاثِ وَفاءٌ للثمانِينا

فعاش حتى بَلَغ التسعِين، فقال: [الطويل]

كأني وَقَدْ جاوَزْتُ تِسْعين حِجَّةً ... خَلَعْتُ بها عَنْ مَنْكِبيَّ رِدائيا

---

(١) الكهام: الكليل.

فعاش حتى بَلغ عَشراً ومائة سنة، فقال: [البسيط]

أَلَيْسَ في مائةٍ قَدْ عاشَها رَجُلٌ وفي تكامُلِ عَشْرٍ بَعْدَها عِبَرُ

فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة، فقال: [الكامل]

وَغَنِيتُ سَبْتاً قَبْلَ مَجْرَى داحِسٍ لَوْ كانَ لِلنّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودُ

ويروى: «دَهْراً قبل مَجرى داحس»، فعاش حتى بلغ مائةً وأربعين سنة، فقال:

وَلَقَدْ سَئِمتُ مِنَ الحياةِ وطُولِها وسُؤالِ هذا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ؟

فتبَسَّم عبدُ الملك وقال: لقد قَوَّيتَ من نَفْسي بقَوْلِك يا عامر، وإنِّي لأَجِدُ خِفًّا وما بي من بَأس. وأمر لي بصلة، وقال لي: اجلِسْ يا شَعْبِيّ فحَدِّثْنِي ما بيْنَك وبينَ الليل، فجلست فحادثْتُه حتى أمْسَيْت، وخرجْتُ من عنده، فما أصبحت حتى سَمِعْت الواعِيَة في دارِه.

[خروجه مع امرىء القيس إلى قيصر]

أخبرني عَمِّي قال: حدَّثني عبدُ الله بن أبي سَعْد، قال: حدَّثني مُحمدُ بنُ عبدِ الله بن طَهْمان السُّلمي، عن إسحاق بن مِرار الشَّيْبانيّ، قال: نزل امرؤ القيس بن حُجْر ببكر بن وائل، وضرب قُبَّتَه، وجلس إليه وُجوهُ بَكْر بن وائل، فقال لهم: هل فيكم أحد يقولُ الشِّعر؟ فقالوا: ما فينا شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره وكبر، قال: فأْتونِي به، فأتوْه بعَمْرو بن قَمِيئة وهو شَيخ، فأنْشَدَه فأُعجِب به، فخرَج به معه إلى قيْصر، وإيَّاه عنى امرؤ القَيْس بقوْله: [الطويل]

بَكَى صاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وأيْقَنَ أنَّا لاحِقانِ بقَيْصَرا

فقُلْتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُك إنَّما نُحاوِلُ مُلْكاً أو نَموتَ فنُعْذَرَا

وقال مؤرِّج في هذا الخبر: إنَّ امرأ القَيْس قال لعَمْرِو بنِ قَمِيئة في سفره: ألاَ تركب إلى الصَّيْد؟ فقال عَمْرو: [الطويل]

شَكَوْتُ إليهِ أنَّني ذُو جلالةٍ وأنِّي كَبِيرٌ ذُو عِيالٍ مُجَنَّبُ[1]

(١) مُجَنَّب: فقير.

فَقالَ لنا: أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً إذا سَرَّكُمْ لَحْمٌ مِنَ الوَحْشِ فاركَبُوا

صوت

[السريع]

يا آحِ مِنْ حَرِّ الهَوَى إِنَّما يَعْرِفُ حَرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا
أَصْبَحْتُ لِلْحُبِّ أسِيراً فَقَدْ صَعَّدَني الحُبُّ وقد صَوَّبا
لا شَكَّ أنّي مَيِّتٌ حَسْرَةً إنْ لَمْ أزُرْ قَبْلَ غَدٍ زَيْنَبا
تِلْكَ الَّتِي إنْ نِلْتُها لَمْ أُبَلْ مَنْ شَرَّقَ الدَّهْرَ أو غَرَّبا

الشعر للمُؤَمَّل بن جَميل بن يَحْيى بن أبي حَفْصة بن عَمْرو بن مَرْوان بن أبي حَفْصة، والغِناء لابن جامع رمل بالوسطى، عن إبراهيم والهِشاميّ.

أخبار المؤمل بن جميل

[توفي نحو ١٧٠ هـ/ نحو ٧٨٦ م]

[اسمه وكنيته]

قد مَضَى نَسبُ أبي حَفصةَ في أخبار مَرْوان، وكان يَحْيَى بنُ أبي حَفصة يُكنى أبا جَميل. والمُؤمَّل بن جَمِيل يُكنى أبا جميل. وأم جميل أميرة بنتُ زياد بن هَوْذة بنِ شماس بن لؤيّ من بني أَنف الناقة الذين يمدحهم الحُطيئة. وأم المُؤمَّل شريفة بنت المُذَلق بن الوليد بن طُلبة بن قيس بن عاصم المِنقريّ، وكان جميل يُلقَّب قَتِيل الهوى، ولُقِّب بذلك لقوله: [الخفيف]

قُلْنَ: مَنْ ذا؟ فَقُلْتُ: هذا اليَما ... نِيّ قَتِيلُ الهَوَى أَبُو الخطابِ

قُلْنَ: بِاللهِ أَنْتَ ذاك يَقِيناً ... لا تَقُلْ قَوْلَ مازِحٍ لَعابِ

إنْ تَكُنْ أَنْتَ هُو فَأَنْتَ مُنانا ... خالِياً كُنْتَ أَوْ مَعَ الأَصْحابِ

[أخباره مع غلامه المطرّز]

أخبرني بذلك يحيى بن عليّ، إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان، عن أبيه، وحكى أبو أحمد ـ رحمه الله ـ عن محمد بهذا الإسناد، أن أبا جَميل اشترى غلاماً مدنِيًّا مُغنِّياً مجلوباً من مولَّدِي السّند على البراءة من كل عيب، يقال له المُطَرَّز، فدعا أصحاباً له ذات يوم، ودعا شيخين من أهل اليمامة مُغنِّيَيْن، يُقال لأحدهما السائب وللآخر شُعبة، فلما أخذ القومُ مجلسهم ومعهم المُطَرّز اندفع الشيخان فغنَّيا، فقال المطرّز لأبي جَمِيل مولاه: ويلك يا أبا جميل يابن الزّانية، أَتدرِي ما فعلت ومن عندك؟ فقال له: ويلك! أجُننت! ما لك؟ قال: أما أنا فأشهد أنك تأمنُ مكرَ الله حين أدخلت منزلك هذين.

قال: وبعثه يوماً يدعو أصدقاء له، فوجدهم عند رجل من أهل اليمامة يقال له بُهلول، وهو في بُستان له، فقال لهم: مولاي أبو جميل قد أرسلني أدعوكم، وقد بلّغتُكم رسالَته، وإن شاوَرتُموني أشرتُ عليكم، فقالوا: أشِرْ علينا، قال: أرى ألا تذهبوا إليه، فمجلسُكم والله أنزهُ من مجلسه وأحسنُ، فقالوا له: قد أطَعْناك، قال: وأُخرى، قالوا: وما هي؟ قال: تحلِفون عليّ ألاّ أبرحَ، ففعلوا، فأقام عندهم.

وغضب عليه أبو جميل يوماً فَبَطَحه يَضربه وهو يقول: ويلك أبا جميل! اتقِ الله فيَّ، الله الله في أمري، أما عَلمت ويلك خبري قبل أن تشتَرِيني! قال: وكان يبعثه إلى بئر لهم عَذبة في بستان له يَستقي منها لهم ماء، فكان يستقيه ثم يَصُبُّه لجيران لهم في حيِّهم، ثم يَسْتَقِي مكانه من بئر لهم غليظة، فإذا أنكر مولاه قال له: سلِ الغلمان إذا أتيت البستان: هل استقيت منه؟ فيسألهم فيجده صادقاً.

[انقطاعه إلى جعفر بن سليمان ثم عبد اللّه بن مالك]

حدّثنا يحيى بن محمد بن إدريس، عن أبيه أنّ يحيى بن أبي حَفصة زَوّج ابنَه جَميلاً شريفةَ بنت المُذلّق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم، فولدت له المُؤمّل بن جميل، وكان شاعراً ظريفاً غَزِلاً، وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة، ثم قدِم العراق فكان مع عبد اللّه بن مالك، وذكره للمهديّ فحظِيَ عنده، وهو الذي يقول في شَكاةٍ اشتكاها عبد اللّه بن مالك: [الكامل]

ظَلَّتْ عَلَيَّ الأَرْضُ مُظْلِمَةً ... إذْ قِيلَ عَبْدُ اللّه قد وُعِكا
يا لَيْتَ ما بِكَ بي وإن تَلِفَتْ ... نَفْسِي لِذاكَ وَقَلَّ ذَاكَ لَكا

وهو الذي يقول: [السريع]

يا آحِ مِنْ حَرِّ الهَوَى إنَّما ... يَعْرِفُ حَرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا

وذكرَ الأبيات التي تقدم ذِكرها والغناء فيها.

صوت

[الكامل]

إنِي وهَبْتُ لِظالِمي ظُلمِي ... وَغَفَرْتُ ذاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِ
ما زَالَ يَظْلِمُني وأرْحَمُهُ ... حَتَّى رَثَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ

الشعر لمساور الورَّاق، والغناء لإبراهيمَ بن أبي العُبَيس، ثاني ثقيل بالوسطى، أخبرني بذلك ذُكاءُ وغيره.

أخبار مساور ونسبه

[توفي ٢٦٣ هـ/ ٨٧٦ م]

[اسمه ونسبه]

هو مساور بنُ سَوَّار بنِ عبد الحميد، من آل قَيْس بن عيْلان بن مُضَر ويقال: إنه مولى خُوَيْلد من عَدْوان. كوفِيّ قليل الشِّعر من أصحاب الحديثِ ورُواته، وقد رَوَى عن صَدْر من التابعين، ورَوى عنه وُجوه أصحابِ الحَدِيث.

أخبرني عليُّ بن طَيْفور بنِ غالب النَّسائيّ قال: حدَّثنا يَعقوبُ بن حميد بن كاسب، قال: حدّثنا حمّاد بن أُسامة، عن مُساوِر الورّاق، قال: حدّثني جعفر بن عمرو بن حُرَيث، عن أبيه، قال: كأنِّي أنظر إلى النبيِّ ﷺ وهو على نَاقَتِه يَخطُب، وعليه عِمامة سَوْداء، قد أرخاهَا بين كَتِفيه.

[خبره مع ابن أبي ليلى]

أخبرني مُحمَّدُ بنُ الحسن بن دُرَيْد، قال: أخبرنا الأُشْنانداني، عن الأصمعيّ، قال: كان قوم يَجْلسون إلى ابن أبِي لَيْلَى، فَكَتَّب قوماً منهم لعِيسَى بنِ مُوسَى، وأشار عليه أن يَشْغلهم ويَصِلهم، فأتى مُساوِرٌ الورَّاق، فكلّمه أن يَجعَله فيهم فلم يَفْعَل، فأنشأ يقول: [المتقارب]

أَراكَ تُشِيرُ بِأَهْلِ الصَّلاحِ ... فَهَلْ لَكَ فِي الشَّاعِرِ المُسلِمِ
كَثِيرِ العِيالِ قَلِيلِ السُّؤا ... لِ عَفٌّ مطاعِمُهُ مُعْدِمِ
يُقِيمُ الصَّلاةَ وَيُؤْتِي الزَّكاةَ ... وَقَدْ حَلَّقَ العامَ بالمَوْسِمِ
وَأَصْبَحَ واللَّهِ فِي قَوْمِهِ ... وَأَمْسَى وَلَيْسَ بِذِي دِرْهَمِ

قال: فقال ابنُ أبي ليلى: لا حاجة لنا فيه، فقال فيه مُساوِرٌ أبياتاً، قال أبو

بكر بن دُرَيْد: كَرِهنا ذِكرَها صيانة لابْن أبِي لَيْلَى.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني محمد قال: حدثني التّوّزيّ قال: كان مُساوِرٌ الورّاق، وحَمَّاد عَجْرد، وحَفْص بن أبي بُردة مجتمعين، فجعل حَفْص يَعيب شِعْرَ المُرَقِّش الأكبر، فأقبل عليه مُساوِرٌ فقال: [الطويل]

لَقَدْ كانَ في عَيْنيكَ يا حَفْصُ شاغِل ... وَأَنْفٌ كَثِيلِ العَوْد عَمَّا تَتَبَّعُ[١]

تَتَبَّعتَ لحناً في كلامِ مُرَقِّشٍ ... وَوَجْهُكَ مَبْنِيٌّ على اللَّحْنِ أَجْمَعُ

فقام حَفْص من المجلس خَجِلاً، وهاجره مدة.

نَسختُ من كتاب عُبيد اللّه اليزيديّ بخطّه: حدَّثنا سليمانُ بن أبي شَيْخ، قال: كان مُساوِر الورَّاق من جَدِيلَة قَيْس، ثم من عَدْوان، مولًى لهم، فقال لابنه يوصيه: [الكامل]

شَمِّر ثيابَك واسْتَعِدَّ لِقائِلٍ ... واحْكُكْ جَبِينَك للعُهود بِثُومِ

إنَّ العُهودَ صَفَتْ لِكُلِّ مُشَمِّرٍ ... دَبِرِ الجَبِينِ مُصَفِّرٍ مَوْسومِ

أَحْسِنْ وصاحِبْ كُلَّ قارٍ ناسِكٍ ... حَسَنِ التَّعهُّد للصلاةِ صَؤُومِ

مِنْ ضَرْبِ حَمَّادٍ هُناك ومِسْعَرٍ ... وسِمَاكِ العَتَكِيّ وابنِ حَكِيمِ

وعليك بالغَنَوِيِّ فاجلِسْ عِنْدَهُ ... حَتَّى تُصِيبَ وَدِيعَةً لِيَتيمِ

تُغْنِيكَ عَنْ طَلَبِ البُيوع نَسِيئةً ... وَتَكُفُّ عَنْكَ لِسانَ كُلِّ غَرِيمِ

وإذا دَخَلْتَ على الرَّبيعِ مُسلِّماً ... فَاخْصُصْ شَبابَةَ مِنْكَ بالتَّسْلِيمِ

قال: ففعل ما أوصاه به أبوه، فلم يلبث مُساوِرٌ أن وَلاّه عيسَى بن موسى عَملاً، ودفع إليه عهده، فانكسر عليه الخراج، فدُفع إلى بَطِينٍ صاحبِ عذابِ عِيسَى يَسْتأدِيه، فقال مُساوِر: [الوافر]

وَجَدْتَ دواهِرَ البَقَّال أهْنَى ... من الفُرْنِيِّ والجَدْيِ السَّمِينِ[٢]

وَخَيْراً في العَواقِب حِينَ تُبْلَى ... إذا كان المَردُّ إلى بَطِينِ

فَكُنْ يا ذا المُطِيفِ بقاضِيَيْنا ... غداً مِنْ عِلْمِ ذاكَ على يَقِينِ

---

(١) الثيل: وعاء قضيب البعير. والعود: المسنّ من الإبل.

(٢) الدواهر: الشدائد. والفرني: ضرب من الخبز المعجون بالسمن والسكر.

وقُلْ لهما إذا عَرَضا بِعَهْدٍ: بَرِئْتُ إلى عُرَيْنَةَ مِنْ عَرِينِ
فإنَّكَ طالما بَهْرجْتَ فيها بِمِثْلِ الخُنْفُساءِ على الجَبِينِ

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: مَرّ مُساوِر الورّاق بمقبرة حُمَيْد الطوسيّ وكان له صديقاً، فوقف عليها مُستعبِراً، وأنشأ يقول: [الطويل]

أبا غانِمٍ أمّا ذَرَاكَ فواسِعٌ وقَبرُك مَعْمورُ الجَوانبِ مُحْكَمُ
وما يَنْفَعُ المَقْبورَ عُمْرانُ قَبْرِهِ إذا كان فيه جِسْمُه يَتَهَدَّمُ

أخبرني إسماعيلُ بن يُونس الشِّيعيُّ قال: حدَّثنا الرِّياشيُّ قال: حدَّثنا محمد بن الصبّاح، عن سفيان بن عُيَيْنة، ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب: أنَّ حامد بن يحيى البَلْخيّ، حدَّث عن سفيان بن عُيَيْنة، وهذه الرواية أتمّ، قال: لَمَّا سَمِع مُساوِر الوَرَّاق لغَطَ أصحاب أبي حَنِيفة وصِياحَهم أنشأ يقول:

[البسيط]

كُنَّا مِنَ الدِّينِ قَبْلَ اليَوْمِ في سَعةٍ حَتَّى بُلِينا بِأَصْحابِ المَقايِيسِ
قَوْمٌ إذا اجْتَمعوا ضَجُّوا كأنّهمُ ثَعالبٌ ضَبَحتْ بَيْنَ النَّواويسِ(١)

فبلغ ذلك أبا حَنيفَة وأصحابَهُ، فشَقَّ عليهم وتوعدُوه، فقال أبياتاً تُرضِيهم وهي: [الوافر]

إذا ما النَّاس يَوْماً قايَسُونا بآبِدَةٍ مِنَ الفُتْيَا ظَرِيفَهْ
أتَيْناهُم بِمِقْياسٍ ظَرِيفٍ مُصِيبٍ مِنْ قِياسِ أبِي حَنِيفَهْ
إذا سَمِع الفَقِيهُ بها وَعاها وَأَثْبَتَها بِحِبْرٍ في صَحِيفَهْ

فبلغ أبا حَنيفة فرضِي. قال مُساوِرٌ: ثم دُعِينا إلى وَليمة بالكوفة في يوم شديد الحَرّ، فَدَخَلت فلم أجد لرِجْلِي مَوْضعاً من الزّحام، وإذا أبو حَنِيفة في صدر البيت، فلما رآني قال: إلَيَّ يا مُساوِر، فجئْتُ فإذا مكان واسع، وقال لي: اجلس، فجلستُ، فقلت في نفسي: نفعَتْنِي أبياتي اليوم. قال: وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي: ها هنا، ها هنا، ويوسِّع لي إلى جنبِه، ويقول: إنَّ هذا من أهْل الأدب والفَهْم، انتهى.

(١) ضبحت الثعالب: صوتت. والنواويس: القبور.

أخبرني مُحمَّدُ بن الحسن بن دُرَيْد، قال: حدَّثنا أبو المعمّر عبد الأول بن مزيد، أحد بني أنف الناقة، قال: كان مُساوِر الوَرَّاق لا يُضِيعُ حَقّاً لجارٍ له، فماتت بِنتُه، فلم يشهدها من جِيرانِه إلاَّ نَفرٌ يسيرٌ، فقال مُساوِرٌ في ذلك: [الطويل]

تَـغـيَّـب عَـنِّـي كُـلُّ جـافٍ ضـرورةً ... وَكُـلُّ طُـفَـيْـلِـيٍّ مِـنَ الـقَـوْم عـاجِـزِ
سَـرِيـعٍ إذا يُـدْعَـى لِـيَـوْمِ وَلِـيـمـةٍ ... بَـطِـيءٍ إذا مـا كـان حَـمْـلُ الـجَـنـائـزِ

أخبرني محمد بن الحسن، قال: حَدَّثنا عبد الأول، قال: قدم جارٌ لِمُساور الوَرَّاق من سفر، فجاءه يُسلِّم عليه، فقال: يا جارية، هاتي لأبي القاسم غداء، فجاءت برغيف فَوضَعته على الخُوان، فَمدَّ يده يأكل مع مُساوِر، وقال له: يا أبا القاسم، كُلْ من هذا الخُبز، فما أكلتُ خبزاً أطيبَ منه، فقال مُساورٌ في ذلك:

[البسيط]

مـا كُـنْـتُ أَحْـسَـبُ أنَّ الـخُـبزَ فـاكِـهـةٌ ... حَـتَّـى رأيـتُـكَ يـا وَجْـهَ الـطَّـبَـرْزِيـنِ[1]
كـأنَّ لِـحْـيَـتَـهُ فـي وَجْـهِـهِ ذَنَـبٌ ... أو شِـعْـرَةٌ فَـوْقَ بَـظرٍ غَـيْـرِ مَـخْـتُـونِ

أخبرني الحَسنُ بن عليّ قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارث، عن المَدائِنِيّ قال: دخل مُساورٌ الوَرَّاق على أبِي العِيص الجِرْميّ يعوده وكان صديقَه، فكلَّمه فلم يُجِبْه! فبَكَى مُساورٌ جَزَعاً عليه، وأدْنَى رأسَه منه يكلِّمه، فقال أبو العِيص: [الطويل]

أفـي كُـلِّ عـام مَـرْضـةٌ بَـعْـدَ نَـقْـهـةٍ ... وتَـنْـعَـى ولا تُـنْـعَـى مـتَـى ذا إلـى مـتَـى
سَـيُـوشِـكُ يَـوْمٌ أن يَـجِـيءَ وَلَـيْـلَـةٌ ... يَـسـوقـانِ حَـتْـفـاً راحَ نَـحْـوكَ أو غَـدَا
فـتُـمـسـي صَـريـعـاً لا تُـجِـيـبُ لـدَعـوةٍ ... ولا تَـسْـمعُ الدَّاعي وإن جَدَّ في الدُّعـا

ثم لم يَلْبث أن مات، رحمه الله.

صوت

[الطويل]

تَـنـامِـيـنَ عَـنْ لَـيْـلِـي وأسـهَـرُهُ وَحْـدِي ... وأنـهَـى جُـفـونـي أن تَـبُـثَّـكِ مـا عِـنْـدِي
فـإن كُـنْـتِ مـا تـدْرِيـنَ مـا قَـدْ فَـعَـلْـتِـهِ ... بـنـا فـانظُـري مـاذا عـلـى قـاتِـلِ الـعَـمْـدِ

الشعر لسعيد بن حُمَيْد الكاتب، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل مُطْلق بالسّبابة في مَجْرى الوُسْطى.

---

(١) الطبرزين: سلاح يشبه الفاس.

أخبار سعيد بن حميد ونسبه

[توفي ٢٥٠ هـ/ ٦٨٤ م]

[اسمه وكنيته ونسبه وبعض أخباره وشعره]

سَعِيد بن حُمَيْد بن سَعِيد بن حُمَيد بن بحر، يُكْنَى أبا عُثْمان من أولاد الدَّهَاقين، وأصله من النَّهْروان الأوْسط، وكان هو يقول: إنَّه مَوْلَى بني سامَةَ بن لُؤَيّ، من أهل بَغْداد، بها وُلِد وَنَشأ، ثم كان يَتَنَقَّل في السُّكْنى بينها وبين سُرَّ مَنْ رأى. كاتِبٌ شاعِر مُتَرسِّل، حسن الكلام فصيح، وكان أبوه وَجْهاً من وجوه المعتزلة، فخالف أحمدَ بنَ أبي دُواد في بعض مَذْهَبه، فأغرى به المُعْتَصم، وقال: إنه شُعُوبِيٌّ زِنْدِيق، فحَبسه مدة طويلة، ثم بانت براءَته له أو للوَاثِق بعده، فخلَّى سَبيلَه، وكان شاعراً أيضاً، فكان يَهْجو أحمدَ بن أبي دُواد، وأنْشَدنيها جَماعةٌ من أصْحابِنا، قال: [الوافر]

لَقَدْ أَصْبَحْتَ تُنْسَبُ في إِيادٍ ... بأن يُكْنَى أَبُوكَ أبا دُوادِ
فَلَوْ كانَ اسْمُهُ عَمْرَو بنَ مَعْدِي ... دُعِيتَ إلى زُبَيْدٍ أو مُرادِ
لَئِنْ أفْسَدْتَ بالتَّخويف عَيْشِي ... لما أَصْلَحْتَ أَصْلَكَ في إِيادِ
وَإِنْ تَكُ قَدْ أَصَبْتَ طَرِيفَ مالٍ ... فبُخلكَ باليَسِيرِ مِنَ التِّلادِ[1]

فذكر مُحَمَّد بنُ موسى أن أبا يوسُفَ بن الدَّقَّاق اللّغويّ أخبره أنّ حُمَيْد بن سَعِيد بن حُمَيْد دفع إليه ابنَه سعيداً وهو صَبيٌّ فقال له: امضِ به مَعَك إلى مجلس ابن الأعرابيّ، قال: فحضرناه ذات يوم، فأنْشدنا أُرجوزَةً لبعض العرب فاستحْسنتُها، ولم تكن معنا مِحْبَرة نكتُبها منها، فلما انصرَفْنا قلت له: فاتَتْنا هذه

(١) التليد والتلاد: المال القديم.

الأرجوزة، فقال: لم تُفْتك، أتُحِبّ أن أُنشدَكها؟ قلت: نعم، فأَنْشدنيها وهي نيِّف وعشرون بيتاً قد حفظها عنه، وإنما سَمِعها مرَّة واحدة فلقيتُ أباه من غد، فقال لي: كيف رأيتَ سَعِيداً؟ قلت له: إنك أوْصَيتَنِي به، وأنا أسألُك الآن أن تُوصِيَه بي، فضحِك وسألني عن الخَبر، فأعلَمْته فسُرَّ به.

[خبره مع أبي العباس بن ثوابة]

أخبرني عَلِيّ بنُ العبَّاس بن أبي طَلْحة، قال: حَدَّثني ابن أبي المُدَوّر، قال: دخل سعيدُ بنُ حُمَيْد يوماً على أبي العَبَّاس بن ثَوابةَ، وكان أبو العَبَّاس يُعاتِبهُ على الشَّغف بالغِلْمان المُرْد[1]، فرأى على رأسِه غُلاماً أمردَ حَسن الوَجه، عليه مِنْطَقةٌ وثياب حِسان، فقال له: يا أبا العَبَّاسِ: [الكامل]

أَزَعَمْتَ أَنَّكَ لا تَلوطُ فَقُلْ لَنا ... هذا المُقَرْطَقُ قائِماً ما يَصنعُ![2]

شَهِدَتْ مَلاحَتُهُ عَلَيْكَ بِرِيبَةٍ ... وعلى المُرِيبِ شَواهِدٌ لا تُدفَعُ

فضحك أبو العَبَّاس وقال: خُذْه، لا بُورِك لك فيه حتى نَسْتريح من عَتْبك.

أخبرني عَمِّي، رحمه الله، قال: قال لي محمد بن موسى بنِ الحَسن بنِ الفُراتِ الكاتب: كان سَعِيدُ بنُ حُمَيْد يهوَى غُلاماً له من أولاد المَوالِي، فغاب عنه مُدَّة، ثم جاءه مُسلِّماً، فقال له: غِبتَ عنِّي هذه المدة ثم تجيئُني فلا تُقِيم عندي! فقال له: قد أمسينا، فقال: تَبِيتُ، قال: لا والله لا أقدِر، ولم يَزلْ به حتى اتَّفقا على أنَّه إذا سَمِع أذان العَتَمة[3] انصرف، فقال له: قد رضِيت. ووضع النَّبِيذَ، فجعل سعيد يَحُثُّ السَّقي بالأرطال، فلما قرُب وقتُ العَتَمة، أخذ رُقعةً فكتب فيها إلى إمام المَسْجِد وهو مُؤَذِّنُه قولَه: [الخفيف]

قُلْ لِداعِي الفِراقِ أَخِّرْ قَليلا ... قَدْ قَضَيْنا حَقَّ الصّلاةِ طَويلا

أَخِّرِ الوَقْتَ في الأذانِ وقدِّم ... بَعْدَها الوَقْتَ بُكْرةً وأَصيلا

لَيْسَ في ساعةٍ تُؤَخِّرُها وِزْ ... رٌ فَنَحْيا بها وَتَأْتِي جَميلا

فَتُراعي حَقَّ الفُتُوَّةِ فينا ... وتُعافَى مِنْ أنْ تَكونَ ثَقِيلا

---

(١) المرد: مفردها الأمرد، وهو الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

(٢) المقرطق: لابس القرطق، وهو قباء ذو طاق واحد.

(٣) أذان العتمة: أذان العشاء.

فلما قرأ المُؤذِّن الرُّقْعة ضَحِك وكتب إليه يحلِف أنه لا يُؤَذِّن ليلتَه تلك العَتَمة، وجعل الفتى يَنْتظِر الأذانَ حتى أمْسى وسَمِع صوت الحارس، فعَلم أنَّها حِيلَة وقعَت عليه وبات في موضعه، وقال سَعِيد في ذلك: [الرجز]

عَـرَّضْـتُ بـالـحُـبّ لـه وَعَـرَّضـا حتى طَوَى قَلْبي على جَمْر الغَضَى
وأظْهَرَتْ نَفْسِي عَنِ الدَّهْرِ الرِّضا ثُـمَّ جَـفـانـي وَتَـوَلَّـى مُـعـرِضـا
لَمْ يَنْقَضِ الحُبُّ بَلَى صَبْرِي انْقَضى فِـداكَ مَـنْ ذاقَ الـكَـرَى أو غَـمَّـضَـا
حَتَّى طَرَقْتَ فَنَسِيتُ ما مَضَى سَـأَلْـتُـهُ حُـوَيْـجَـةً فَـأَعْـرَضـا
وقـال: لا، قَـوْلَ مُـجِـيـبٍ بِـرِضَـا فـكـانَ مـا كـانَ وكـابَـرْنـا الـقَـضـا

في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صَدَقة، أخبرني بذلك ذُكاء وجه الرُّزَّة.

وجدت في بعض الكتب: حدثني أحمد بن سليمان بن وَهْب أنه كان في مجلس فيه سعيد بن حُمَيد، فلما سكروا قام سعيد قومة بعد العصر، فلم نشعر إلا وقد أخذ ثيابَه فلبسها، وأخذ بعضُدتي الباب، وأنشأ يقول: [الطويل]

سَلامٌ عَـلَـيْـكُـم حالـتِ الـرَّاحُ بَـيْـنَـنـا وَأَلْـوَتْ بـنـا عَـنْ كُـلِّ مَـرْأىً ومَـسْـمَـعِ
وَلَـمْ يَـبْـقَ إلا أن يَـمِـيـلَ بـنـا الـكَـرَى وَيَـجْـمَـعَ نَـوْمٌ بَـيْـنَ جَـنْـبٍ ومـضْـجـعِ

فقام له أهل المجلس، وقالوا: يا سيدنا، اذهب في حفظ الله وفي ستره، فانصرف وودَّعهم.

[اعتذاره لفضل الشاعرة وأخباره معها]

حدثني محمد بن الطَّلاَّس أبو الطَّيّب، قال: حدثني عبْد اللّه بن طالب الكاتب قال: قرأت رقعة بخطّ سعيد بن حُمَيْد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تَغيُّر ظَنَّتْه به، وفي آخرها: [الطويل]

تَـظُـنُّـونَ أنـي قَـدْ تَـبَـدَّلْـتُ بَـعْـدَكـم بَـدِيـلاً وَبَـعْـضُ الـظَّـنِّ إثْـمٌ ومُـنْـكَـرُ
إذا كـانَ قَـلْـبِـي فِـي يَـدَيْـكِ رَهِـيـنَـةً فَـكَـيْـفَ بـلا قَـلْـبٍ أُصـافِـي وأَهْـجُـرُ!

في هذين البيتين لابن القَصَّارِ الطَّنبوريّ رمل، وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل.

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني أبو عليّ المادَرانيّ أنه كان في مجلس فيه كعب جارية أبي عُكُل المُقيِّن، وكان بعضُ أهل

المجلس يهواها قال: فدخل إلينا سعيد بن حميد، فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى الجارية والفتى، فأخذ سعيد الدواة فكتب رُقعة وألقاها في حِجرها، فإذا فيها قولُه: [مجزوء الرمل]

مَا عَلَى أَحْسَنِ خَلْقِ اللهِ أن يَحْسُنَ فِعلُهْ
بِأبِي أَنْتَ وأُمِّي مِنْ مَلِيكٍ قَلَّ عَدْلُهْ
وَبَخِيلٍ بالهَوَى لَوْ كانَ يُسْلِي عَنْهُ بُخْلُهْ
أَكْثَرَ العاذِلُ في حُبِّكَ لو يَنْفَعُ عَذْلُهْ
فَهوَ مَشْغولٌ بِعَذْلِي وَفُؤادِي بِكَ شُغْلُهْ
أُكْثِرُ الشَّكْوى وَأَسْتَعْدِي على مَنْ قَلَّ بذْلُهْ

فوثبت الجارية فقبَّلت رأسَه وجَلسَتْ إلى جَنْبه، فقال الرّجل، الذي كان يَهْواها: هذا والله كلامُ الشَّياطين ورُقْيَةُ الزِّنى، وبهذا يَتِمّ الأمر، أما أنا فإني أشهدكم، لا قرأتُ اليوم في صَلاتي غيرَ هذه الأبيات لعَلَّها تَنْفعني، فضحك سَعيد وقال: بحياتي قومي فارْجِعي إليه حتى تكون الأبياتُ قد نَفَعَتْه قبل أن يَقْرأها في صلاته، وسُرِّيني بذلك، فقامت فرجَعَت إلى موضعها.

قال عليّ بن العبّاس: وحدثني أبو عليّ المادَرانيُّ: أنَّه كان عنده يوماً، فدخلت إليه جاريةٌ ـ كان يهواها ـ غفلةً على غير وَعْد، فسُرَّ بذلك وقال لها: قد كُنتُ على عِتابِك، فأمَّا الآن فلا، فقالت: أمَّا العِتابُ فلا طاقةَ لي به، ووالله ما جِئْتُك إلا عند غفلة البَوَّاب، فقال سعيد في ذلك: [مخلع البسيط]

زارَكَ زَوْرٌ عَلَى ارْتِقابِ مُغْتَنِماً غَفْلَةَ الحُجَّابِ
مُسْتَتِراً بالنِّقابِ يَبْدُو ضِياءُ خَدَّيْهِ في النِّقابِ
كالشَّمْسِ تَبْدو وَقَدْ طَوَاها دُونَكَ سِتْرٌ مِنَ السَّحابِ
قَدْ كانَ في النَّفْسِ مِنْكَ عَتْبٌ يَدْعو إلى شِدَّةِ اجْتِنابِ
فَمِلْتُ بالعَتْبِ عَنْ حَبِيبٍ يَضْعُفُ عَنْ مَوْقِفِ العِتابِ
والذَّنْبُ مِنْهُ وَأَنْتَ تَخْشَى في هَجْرِهِ صَوْلَةَ العِقابِ

أخبرني عَمِّي قال: حدَّثَني ابنُ أبِي سعد، قال: حَدَّثني مُحمَّدُ بنُ عبد اللّه بن دَاود، قال: كان أبي يَسْتَحْسِن قولَ سعيد بن حُمَيد: [الطويل]

تَظُنُّونَ أنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُم بَدِيلاً، وَبَعْضُ الظَّنِّ إثْمٌ ومُنْكَرُ
إذا كانَ قَلْبِي في يَدَيْكِ رهِينَةً فَكَيْفَ بلا قَلْبٍ أُصافِي وأَهْجُرُ!

ويقول: لَئن عاش هذا الغُلامُ ليَكُونَنَّ له في الشِّعر شَأن.

في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل، وذكر قريض أنَّه له.

أخبرني ابنُ أبي طَلْحة قال: حدَّثني إسحاقُ بنُ مُسافِر أنه كان عند سَعيد بن حُمَيد يوماً إذ دَخَلت عليه فَضْل الشاعرة على غَفْلة، فوثَب إليها وسلَّم عليها، وسألها أن تقيم عنده، فقالت: قد جاءني وحياتِك رسولٌ من القَصْر، فليس يُمكِنُني الجُلوسُ، وكرِهتُ أن أمُرَّ ببابك ولا أراك، فقال سعِيد من وَقْتِه على البَدِيهة:

[الطويل]

قَرُبْتِ ولا نَرْجُو اللِّقاءَ ولا نَرَى ... لنا حِيلَةً يُدْنِيكِ مِنّا احْتِيالُها
فَأَصْبَحْتِ كالشَّمْسِ المُنِيرةِ ضَوْؤُها ... قَرِيبٌ وَلَكِنْ أيْنَ مِنَّا مَنَالُها!
كَظاعِنةٍ ضَنَّتْ بها غُرْبَةُ النَّوَى ... عَلَيْنا ولكنْ قَدْ يُلِمُّ خَيَالُها
تُقَرِّبُها الآمالُ ثُمَّ تَعُوقُها ... مُماطَلةُ الدُّنيا بها واعْتِلالُها
ولكنَّها أُمْنِيَّةٌ فَلَعَلَّها ... يَجُودُ بها صَرْفُ النَّوَى وانْتِقالُها

أخبرني عَمِّي قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد، قال: حدَّثَني محمدُ بن عبد الله بن يعقوب بن داود؛ قال: تغاضب سَعِيدُ بن حميد وفَضْل الشَّاعرة أياماً، ثم كَتَب إليها:

[المتقارب]

تَعالَيْ نُجدِّدُ عَهْدَ الرِّضا ... ونَصْفَحُ في الحُبِّ عمَّا مَضَى
ونَجْرِي على سُنَّةِ العاشِقِينَ ... وَنَضْمَنُ عَنِّي وَعَنْكِ الرِّضا
وَيَبْذُلُ هَذَا لِهَذا هَواهُ ... وَيَصْبِرُ في حُبِّهِ للقَضا
وَنَخْضَعُ ذُلاً خُضوعَ العَبِيدِ ... لِمَوْلَى عَزِيزٍ إذا أعْرَضا
فَإِنِّيَ مُذْ لَجَّ هذا العِتابُ ... كأنِّيَ أبْطَنْتُ جَمْرَ الغَضَى

فصارت إليه وصالَحتْه. في هذه الأبيات لهاشم بنِ سُلَيْمان ثَقِيل أول بالوسطى، وفيها لابن القصّار خفيف رمل.

أخبرني ابنُ أبي طَلْحة قال: حدَّثنا أبو العَبَّاس بن أبي المدوّر قال: بات سَعِيدُ بنُ حُمَيد عند أبي الفَضْل بن أحمد بن إسرائيل، واصطبَحا على غِناءٍ حسن كان عندهما، فجاءه رسول الحسن بن مُخَلَّد وقد أُمِر ألاَّ يُفارِقه لأمرٍ مُهِمٍّ، فقام فلَبِس ثِيابَه، وأنشأ يقول:

[الكامل]

يا لَيْلَةً باتَ النُّحُوسُ بَعِيدةً ... عَنْها على رَغْم الرَّقِيب الرَّاصِدِ

تَـدَعُ الـعَـواذِلَ لا يَـقُـمْـن لِـحـاجـةٍ وَتَـقُـومُ بَـهْـجَـتُـهـا بِـعُـذرِ الـحـاسِـدِ
ضَـنَّ الـزَّمـانُ بـهـا فـلـمَّـا نِـلْـتُـهـا وَرَدَ الـفـراقُ فـكـانَ أَقْـبَـحَ وارِدِ
والـدَّمْـعُ يَـنْـطِـقُ لِـلـضَّـمِـيرِ مُـصَـدِّقـاً قَـوْلَ الـمُـقِـرّ مُـكَـذِّبـاً لـلـجـاحِـدِ

أخبرني ابنُ أبي طلحة قال: حدثني أبو العَبَّاس بن أبي المدوّر، قال: كان سَعِيد بن حُمَيد صديقاً لأبي العباس بن ثَوابة، فدعاه يوماً، وجاءه رسول فَضْل الشَّاعرة يسأله المَصيرَ إليها، فمضى معه وتأخّر عن أبي العَبَّاس، فكتب إليه رُقْعةً يعاتِبه فيها معاتبة فيها بعض الغلظة، فكتب إليه سعيد: [الكامل]

أَقْـلِـلْ عِـتَـابَـكَ فـالـبَـقـاءُ قَـلـيـلُ والـدَّهْـرُ يَـعْـدِلُ تـارةً ويَـمِـيـلُ
لَـمْ أَبْـكِ مِـنْ زَمَـنٍ ذَمَـمْـتُ صُـروفَـهُ إلا بَـكَـيْـتُ عَـلَـيْـهِ حِـيـنَ يَـزولُ
ولِـكُـلِّ نـائِـبـةٍ أَلَـمَّـتْ مُـدَّةٌ ولِـكُـلِّ حـالٍ أَقْـبَـلَـتْ تَـحـويـلُ
والـمُـنـتـمُـونَ إلـى الإخـاءِ جَـمـاعَـةٌ إنْ حَـصّـلـوا أَفْـنـاهُـم الـتَّـحْـصِـيـلُ
وَلَـعَـلَّ أَحْـداثَ الـلَّـيـالـي والـرَّدى يَـوْمـاً سـتَـصْـدَعُ بَـيْـنَـنـا وَتَـحُـولُ
فَـلَـئِـنْ سَـبَـقْـتُ لَـتَـبْـكِـيَـنَّ بِـحَـسْـرَةٍ وَلَـيَـكْـثُـرَنَّ عَـلَـيَّ مِـنْـكَ عَـويـلُ
وَلَـتُـفْـجَـعَـنَّ بِـمُـخْـلِـصٍ لـكَ وامِـقٍ حَـبْـلُ الـوَفـاءِ بِـحَـبْـلِـهِ مَـوْصـولُ[1]
وَلَـيَـذْهَـبَـنَّ جَـمـالُ كُـلِّ مُـرُوءةٍ وَلَـيَـعْـفُـونَّ فِـنـاؤهـا الـمَـأْهـولُ
وَلَـئِـنْ سَـبِـقْـتَ، ولا سَـبَـقْـتَ، لَـيَـمْـضِـيَـنْ مَـنْ لا يُـشـاكِـلُـهُ لَـدَيَّ عَـديـلُ
وَأَراكَ تَـكْـلَـفُ بـالـعِـتـاب وودُّنـا بـاقٍ عَـلَـيْـهِ مِـنَ الـوَفـاءِ دَلِـيـلُ
ودٌّ بـدا لِـذَوِي الإخـاءِ جَـمِـيـلُـهُ وَبَـدَتْ عَـلَـيْـهِ بَـهْـجَـةٌ وَقُـبـولُ
وَلَـعَـلَّ أَيَّـامَ الـحَـيـاةِ قَـصِـيـرَةٌ فَـعَـلامَ يَـكْـثُـرُ عَـتَـبُـنـا وَيَـطُـولُ

أخبرني الطَّلْحيُّ قال: حدثني أبو عَليّ بن أبي الرعد: أن سعيدَ بنَ حميد كان يهوَى مظلومة جارية الدقيقيّ، فبلغه أنها تُواصلُ بعض أعدائه، فهجرها مدة، فكتبت إليه تعاتبه وتتشوقه، فكتب إليها: [البسيط]

أَمْـرِي وَأَمْـرُكَ شَـيْءٌ غَـيْـرُ مُـتَّـفِـقٍ والـهَـجْـرُ أَفْـضَـلُ مِـنْ وَصْـلٍ على مَـلَـقِ
لا أُكَـذِبُ الـلَّـهَ، مـا نَـفْـسـي بِـسـالِـيـةٍ ولا خَـلِـيـقـةُ أَهْـلِ الـغَـدْرِ مِـنْ خُـلُـقِـي
فـإن وثـقـتِ بـودٍّ كـنـتُ أَبـذُلُـه فـعـاودِي سـوءَ ظَـنٍ بـي ولا تـثِـقـي

وذكر اليوسفيّ الكاتب أنه حَضر سعيداً في منزل بعض إخوانه وعندهم هِبَةُ

(١) الوامق: المحب.

المغنِّية، وكان سعيد يتعشَّقها ويَهِيمُ بها، فغضبت عليه يوماً لبعض الكلام على النبيذ، ودَخلت بعد ذلك وهو في القوم، فسلّمت عليهم سواه، فقالوا لها: أتَهجُرِين أبا عُثمان؟ فقالت: أُحِبُّ أن تسألوه ألاّ يكلِّمني، فقال سعيد: [البسيط]

اليَوْمَ أَيْقَنْتُ أنَّ الهَجْرَ مَتْلَفَةٌ ... وأنَّ صاحِبَهُ مِنْهُ على خَطَرِ
كَيْفَ الحَياةُ لِمَنْ أَمْسَى عَلَى شَرَفٍ ... مِنَ المَنِيَّةِ بَيْنَ الخَوْفِ والحَذَرِ
يَلُومُ عَيْنَيْهِ أَحْياناً بِذَنْبِهِما ... وَيَحْمِلُ الذَّنْبَ أَحْياناً على القَدَرِ
تَنْأَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَى قَلْبُهُ مَعَكم ... فَقَلْبُهُ أَبَداً مِنْهُ على سَفَرِ

فوَثبت إليه وقَبَّلت رأسَه، وقالت: لا أَهجُرك والله أبداً ما حَيِيتُ.

أخبرني جَحْظَةُ قال: حدثني مَيْمونُ[1] بنُ هارون، قال: غضِبت فَضْل الشاعرة على سعيد بن حُمَيْد فكتب إليها: [السريع]

يا أيُّها الظَّالِمُ ما لِي ولَكْ ... أَهَكَذا تَهْجُرُ مَنْ واصَلَكْ!
لا تَصْرِفِ الرَّحْمَةَ عَنْ أَهْلِها ... قَدْ يَعطِفُ المَوْلَى على مَنْ مَلَكْ
ظَلَمْتَ نَفْساً فِيكَ عَلَقْتُها ... فدَارَ بالظُّلْم عَلَيَّ الفَلَكْ
تَبَارَكَ الله فما أَعْلَم اللَّـ ... ـهَ بما أَلْقَى وما أَغْفَلَكْ!

فرَاجعَت وصله، وصارت إليه جواباً للرقعة.

في هذه الأبيات لعَريب ثاني ثقيل وهزج، عن ابن المعتز[2]، وأخبرني ذُكاءُ وَجهُ الرّزة أنّ الثقيل الثاني لأحمد بن أبي العلاء.

أخبرني الطوسي الطَّلحِيُّ قال: حدّثنا محمد بن السَّريّ: أنّ سعيدَ بنَ حُمَيد كان في مجلس الحَسن بن مُخَلَّد، إذ جاءه الغلام برقعة فضل الشاعرة تشكو فيها شدَّة شوقها، فقرأها وضحك، ـ فقال له الحَسَنُ بن مُخَلَّد: بحياتي عليك أقرئنيها، فدفَعها إليه فقرأها وضَحك وقال له: قد وحياتي مَلَّحتْ فأجب، فكتب إليها:

[البسيط]

يا واصِفَ الشَّوْقِ عِنْدِي مِنْ شَواهِدِهِ ... قَلْبٌ يَهِيمُ وَعَيْنٌ دَمْعُها يَكِفُ
والنَّفْسُ شاهِدَةٌ بالوُدِّ عَارِفَةٌ ... وَأَنْفُسُ النَّاسِ بِالأَهْواءِ تَأْتَلِفُ
فَكُنْ على ثِقَةٍ مِنِّي وَبَيِّنَةٍ ... إِنِّي على ثِقَةٍ مِنْ كُلِّ ما تَصِفُ

أخبرني جحظَةُ قال: حدّثني ميمونُ بن هارون قال:

لما عشقت فَضلُ الشاعرةُ بنانَ بنَ عمرو المغني، وعدلَتْ عن سعيد بن حُمَيد إليه أسف عليها وأظهر تَجَلُّداً، ثم قال فيها: [البسيط]

قالُوا: تَعَزَّ وَقَدْ بانُوا فَقُلْتُ لَهم: بانَ العَزاءُ على آثارِ مَنْ بانا
وَكَيْفَ يَمْلِكُ سَلْواناً لِحُبِّهِمُ مَنْ لَمْ يُطِقْ لِلْهَوَى سَتْراً وَكِتْمانا!
كانَتْ عَزائِمُ صَبْرِي أسْتَعِينُ بها صارَتْ عَلَيَّ بِحَمْدِ اللَّهِ أعْوانا
لا خَيْرَ في الحُبِّ لا تَبْدُو شَواكِلُهُ ولا تَرَى مِنْهُ في العَيْنَينِ عُنوانا

قال أبو الحسن جحظة: وغنَّى فيه بعض المُحْدَثين لحناً حسناً، وأظنه عنى نَفْسَه.

أخبرني الطَّلْحِيُّ قال: حدثني أبو عيسى الكاتب: أن أبا هِفّان[1] بلغَه عن سعيد بن حُميد كلامٌ فيه جفَاء وَطَعْن على شَعره، فتوعده بالهجاء، وكان الحاكي عن ذلك كاذباً، فَبلغ سَعيداً ما جرَى، فكتب إلى أبي هِفّان: [البسيط]

أمْسَى يُخَوِّفني العَبْدِيُّ صَوْلَتَهُ وَكَيْفَ آمَنُ بَأْسَ الضَّيْغَم الهَصِرِ!
مَنْ لَيْسَ يُحْرِزُني مِنْ سَيْفِهِ أَجَلي وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَيْدِهِ حذَرِي
ولا أُبارِزُهُ بالأمْرِ يَكْرَهُهُ وَلَوْ أُعِنْتُ بِأنْصارٍ مِنَ الغِيَرِ
لَهُ سِهامٌ بلا رِيشٍ ولا عَقَبٍ وقَوْسُهُ أَبَداً عُطْلٌ مِنَ الوَتَرِ
وَكَيْفَ آمَنُ مَنْ نَحْرِي لَهُ غَرَضٌ وسهْمُهُ صائِبٌ يَخْفَى عَنِ البَصَرِ!

أخبرني الطَّلحِيّ قال: حدّثني محمد بن السَّريّ: أنّه سار إلى سعيد بن حُمَيد وهو في دار الحسن بن مُخلَّد في حاجة له، قال: فإني عنده إذ جاءَته رُقعةُ فَضْل الشاعرة، وفيها هذان البيتان:

صوت

[الكامل]

الصَّبْرُ يَنْقُصُ والسَّقامُ يَزيدُ والدّارُ دانِيةٌ وَأَنْتَ بَعيدُ[2]
أَشْكُوكَ أَمْ أَشْكُو إلَيْكَ فَإنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ سِواهُمَا المَجْهودُ

أنا يا أبا عُثمان في حال التَّلف ولم تَعُدْني، ولا سألْتَ عن خَبري.

فأخذ بيدي فَمضينا إليها، فسأل عن خبرها، فقالت: هو ذا أموتُ وتستريح

(١) دانية: قريبة.

مني، فأنشأ يقول:

لا مُتُّ قَبْلِيَ بَلْ أَحيا وَأَنْتِ مَعاً ولا أعيشُ إلى يَوْم تَمُوتِينا
لكنْ نَعِيشُ بِما نَهْوَى ونَأْمُلُهُ ويُرْغِمُ الله فينا أَنْفَ واشِينا
حَتَّى إذا قَدَّرَ الرَّحْمٰنُ ميتتنا وَحانَ مِنْ أَمْرِنا ما لَيْسَ يَعْدُونا
مِتْنا جَمِيعاً كغُصْنَيْ بانَةٍ ذَبُلا مِنْ بَعْد ما نَضَرا وَاستوسقا حِينا
ثُمَّ السَّلامُ علينا في مضاجِعنا حتى نَعُودَ إلى مِيزانِ مُنْشِينا

أخبرني إبراهيمُ بنُ القاسم بن زُرْزور قال: قال لي أبي: كانت فَضْل الشَّاعرةُ تتعشق سَعيد بن حميد مدّة طويلة، ثم تعشقت بناناً، وعدلت عنه، فقال فيها قَصيدَته الدَّالية التي يقول فيها:

تَنامِينَ عن ليلي وأسهرُه وَحْدِي

فَلم تَتَعطَّف عليه، وبلغها بعد ذلك أنه قد عَشِق جارية من جواري القيان، فكتبت إليه: [المنسرح]

يا عالِيَ السِّنِّ سَيِّىءَ الأدَبِ شِبْتَ وأنْتَ الغُلامُ في الطَّرَبِ
وَيْحَكَ إنَّ القِيانَ كالشَّرَكِ المَنْـ ـصُوبِ بَيْنَ الغُرورِ والعَطَبِ
لا تَصَدَّيْنَ لِلْفَقِيرِ ولا يَطْلُبْنَ إلا مَعادِنَ الذَّهَبِ
بَيْنا تَشَكَّى هواكَ إذ عَدَلَتْ عن زَفَراتِ الشَّكْوَى إلى الطَّلَبِ
تَلْحَظُ هَذا وذَاكَ وَذا لَحْظَ مُحِبٍّ وفِعْلَ مُكْتَسِبِ

أخبرني إبراهيم قال: وحدّثني أبي قال: افتصد سعيد بن حميد، فسألتني فضل الشاعرة وسألَت عَرِيب أن نمضِي إليه، ففعلنا، وأهدت إليه هدايا، فكان منها ألف جَدْي وحمَل وألف دَجاجة فائقة، وألف طبق ريحان وفاكهة، ومع ذلك طِيبٌ كثير وشرابٌ وتُحفٌ حِسانٌ، فكتب إليها سعيد: إنَّ سروري لا يتم إلا بحضورك، فجاءته في آخر النهار، وجلسنا نشرب، فاستأذن غلامُه لِبنان فأذِن له، فدخل إلينا وهو يومئذ شابٌّ طَرير، حَسنُ الوجه، حَسنُ الغِناء، نظيف الثياب، شَكِلٌ[1]، فذهب بها كلَّ مذهب، وأقبلت عليه بحديثها ونَظَرها، فتشَمّز[2] سعيد واستُطِير

(١) شكل: غَزِل، ذو دلال.
(٢) تَشَمّز: تَقَبّض.

غضباً، وتبيَّن بَنان القِصَّة فانصرف، وأقبل عليها سعيد يَعْذِلُها ويُؤَنِّبها ساعة، ثم أمسك، فكتبت إليه: [مجزوء الكامل]

يـا مَـنْ أَطَـلْـتُ تَـفَـرُّسِـي ... فـي وَجْـهِـهِ وتَـنَـفُّـسِـي
أَفْـدِيـكَ مـنْ مُـتَـدلِّـلٍ ... يُـزْهَـى بِـقَـتْـلِ الأَنْـفُـسِ
هَـبْـنِـي أَسَـأْتُ ومـا أَسَـأْ ... تُ بَـلَـى أُقِـرُّ أنـا الـمُـسِـي
أَحْـلَـفْـتَـنِـي ألاَّ أُسـا ... رِقَ نَـظْـرةً فـي مَـجْـلِـسِـي
فَـنَـظَـرْتُ نَـظْـرَةَ مُـخْـطِـئٍ ... أَتْـبَـعْـتُـهـا بِـتَـفَـرُّسِ
وَنَـسِـيـتُ أَنِّـي قَـدْ حَـلَـفْـ ... ـتُ، فـمـا عُـقُـوبَـةُ مَـنْ نَـسِـي؟

فقام سعيد، فقبَّل رأسَها وقال: لا عقوبَة عليه بل نَحْتَمِل هَفوته، ونَتجافى عن إساءته. وغنت عَريبُ في هذا الشِّعر هَزَجاً، فشَربنا عليه بَقِيَّة يومِنا، ثم افترقنا. وأثَّر بَنان في قَلبها وعَلِقَت به، فلم تَزلْ حتى واصلتْه وقَطعت سعيداً.

وَجدْتُ في بعض الكتب عن عبد اللّه بن المُعتز، قال: قال لي إبراهيم بن المهدي: كانت فَضْل الشَّاعرة من أحسن خلْق الله خَطّاً، وأفصحهم كلاماً، وأبلَغهم في مخاطبة، وأثبتهم في مُحاورة، فقلتُ يوماً لسعيد بن حُمَيد: أظنُّك يا أبا عثمان تكتب لفَضْل رِقاعَها وتُقيّدها وتُخرِّجها، فقد أخذتْ نحْوَك في الكلام وسلكت سبيلَك، فقال لي وهو يضحك: ما أخيب ظنَّك، ليتها تسلم منِّي ولا آخذُ كلامَها ورسائلَها، والله يا أخي لو أخذ أفاضلُ الكُتَّاب وأماثلهم عنها لما استغْنَوا عن ذلك.

صوت

[الخفيف]

كُـلُّ حَـيٍّ لاقِـي الـحِـمـامَ فَـمُـودِي ... مـا لِـحَـيٍّ مُـؤمِّـلٍ مِـنْ خُـلُـودِ
لا تَـهـابُ الـمَـنـونُ شَـيـئـاً ولا تُـبْـ ... ـقِـي عـلـى وَالِـدٍ ولا مَـوْلُـودِ

الشعرُ لابن مُناذِر، والغِناء لبنان ثقيل أول بالسَّبابة في مجرى الوسطى من كتابه الذي جمع فيه صَنْعته، وفيه لِساجي جارِية عُبَيد الله بنِ عبدِ الله بنِ طاهر ثقيلٌ أَوَّل أيضاً على مذهب النَّوْح، ابتداؤه نشيد.

أخبار ابن مناذر ونسبه

[توفي ١٩٨ هـ/ ٨١٣ م]

[اسمه وكنيته ونسبه وولاؤه]

هو محمَّد بنُ مُناذِر مولى بني صُبَيْر بن يَرْبوع، ويُكْنَى أَبا جعْفر، وقيل إنه كان يُكنىَ أبا عبد اللّه.

ووجدتُ في بعض الكُتب رواية عن ابن حبيب أنه كان يُكْنى أبا ذريح وقد كان له ابن يُسمى ذَريحاً، فمات وهو صَغير وإياه عَنى بقوله: [مجزوء الوافر]

كـأنَّـكَ لـلـمـنـايـا يـا ذَرِيــحُ الـلَّـهُ صَـوَّرَكَـا
فـنـاطَ بِـوَجْـهِـكَ الـشِّـعْـرَى وبـالإكْـلِـيـلِ قَـلَّـدَكَـا

ولعلّه اكْتَنى به قبلَ وفاته.

وقال الجاحظ: كان مُحمَّدُ بنُ مُناذِر مولى سليمان القَهْرمان، وكان سليمان موْلى عُبَيْد اللّه بن أبي بَكْرَةَ مولى رسول اللهﷺ، وكان أبو بكرة عَبداً لثقِيف، ثم ادَّعى عُبَيْد اللّه بن أبي بكرة أنه ثَقَفِيٌّ، وادّعى سليمان القَهرمان أنه تميميٌّ، وادّعى ابنُ مناذر أنه صَلِيبة من بني صُبَير بن يَرْبوع، فابنُ مناذِر مَوْلَى مَوْلَى مَوْلَى، وهو دَعِيٌّ مولى دَعيٍّ، وهذا ما لا يجتمع في غَيره قط ممَّن عرفناه وبلغَنا خبرُه.

[فصاحته وعلوّ كعبه في اللغة وعلومها]

ومحمد بنُ مُناذر شاعر فَصيح مُقَدَّم في العلم باللغة وإمام فيها، وقد أخذ عنه أكابرُ أهلها، وكان في أوَّل أمره يتَأَلّهُ، ثم عدَل عن ذلك فَهجَا الناس، وتهتَّك وخلع، وقذف أعراضَ أهل البصرة حتى نُفِيَ عنها إلى الحجاز فمات هناك. وهذه

الأبيات يَرثي بها ابنُ مناذر عبدَ المجيد بنَ عبد الوهاب الثّقفي، وكان عبدُ الوهاب مُحدِّثاً جليلاً، وقد رَوى عنه وُجوهُ المحدِّثين وكبراء الرُّواة، وكان ابن مُناذِر يهوى عبد المجيد هذا. فكان في أيّام حياته مَستوراً متألِّهاً جَميلَ الأمر، فلمّا مات عبدُ المجيد حالَ عن جميع ما كان عَليه، وأخبارهُما تُذكر في مواضعها.

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش، قال: حدّثنا محمد بنُ يزيدَ النَّحويُّ، قال: كان ابنُ مُناذر مولى صُبَيْر بنِ يَرْبوع، وكان إماماً في عِلم اللُّغة وكلام العَرب، وكان في أوَّل أمره ناسكاً مُلازماً للمسجد، كثيرَ النَّوافل، جَمِيلَ الأمر إلى أن فُتِن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقفي، فتهتّك بعد ستره، وفتكَ بعْد نُسْكِه، ثم ترامَى به الأمرُ بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفيّ إلى أن شتم الأعراضَ وأظْهر البَذاء وقذف المحْصَنات، ووجبت عَليه حُدُودٌ، فهَرب إلى مكة وبقي بها حتى مات.

وكان يُجالس سُفيانَ بنَ عُيَيْنَة، فيسأله سُفيانُ عن معاني حديث النبيﷺ فيُخبره بها، ويقول له: كَذَا وكَذا مأُخوذ من كَذا، فيقول سفْيان: كلامُ العرب بَعضُه يأخذُ برِقاب بعض. قال: وأدرَكَ المَهدِيَّ ومدَحه، ومات في أيام المأمون.

أخبرني عليُّ بنُ سُلَيْمان، قال: حدَّثني محمد بن يزيد وغيره: أنَّ محمّد بنَ مُناذِر كان إذا قيل له: ابن مَناذر ـ بفتح الميم ـ يغضب، ثم يقول: أمناذر الصُّغرى أم مَناذر الكبرى؟ وهما كورتان من كُوَر الأهواز، إنما هو مُناذر على وزن مُفاعِل من ناذَر فهو مُناذِر، مثل ضارب فهو مُضارِب، وقاتل فهو مُقاتِل.

قال محمد بن يزيد: ولما عدل محمد بن مُناذر عما كان عَليه من النُّسْك والتّألّه وعظتْه المعتزلة فلم يَتَّعِظ، وأوعَدته بالمكروه فلم يزدجر، ومنَعوه دخولَ المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم، وكان يأخذ المِدَاد بالليل فيطرحه في مَطاهِرهم، فإذا تَوضَّأُوا به سوّد وجوهَهم وثيابَهم، وقال في تَوَعُّد المعتزلة إيّاه:

[الكامل]

أبلِغْ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ مَأْلُكاً   عَنِّي وَعَرِّج في بَني يَرْبُوعِ[1]

(١) مألكاً: رسالة.

أنّي أخٌ لَكُمُ بِدارِ مَضِيعَةٍ بُومٌ وغِرْبانٌ عليهِ وُقوعُ[١]
يا لَلْقَبائِلِ من تَميمِ ما لَكُم رَوْبَى ولَحْم أخِيكُمُ بمَضِيعِ[٢]
هُبُّوا له فلقد أراهُ بِنَصْرِكُم يَأوِي إلى جَبَلٍ أَشَمَّ مَنِيعِ
وإذا تَحَزَّبَتِ القَبائلُ كُنْتُمُ ثِقَتِي لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وَفَظِيعِ
إن أنْتُمُ لم تَثْأرُوا لأخِيكُمُ حتى يُباءَ بِوِتْرِهِ المَتْبُوعِ
فخُذوا المَغازِلَ بالأكُفِّ وأيْقِنُوا ما عِشْتُمُ بِمَذَلَّةٍ وَخُضُوعِ
إن كُنْتُمُ حُدُباً على أحسابِكُمْ سُمُعاً فَقَدْ أسْمَعْتُ كُلَّ سَمِيعِ
أيْنَ الصُّبَيْرِيُّونَ لم أرَ مِثْلَهم في النائباتِ وأينَ رَهْطُ وَكِيعِ!

قال: ثم استَحْيا من قَوْله: أينَ الصُّبَيْرِيُّون؟ لِقلة عَدَدهم فقال: أين الرِّياحِيُّون؟

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدَّثني الحَسن بنُ عليّ، قال: حدَّثني مسعودُ بنُ بِشْر، قال: قال لي ابنُ مُناذر: ولع بي قومٌ من المعتزلة ففَرِقْتُ منهم، قال: وكان مَوْلَى صُبَيْر بنِ يَرْبُوع، فقلت: بنو صُبَيْر نَفْسان ونصف، فمن أدْعو منهم؟ فقلت: ليس إلا إخوتهم بنو رياح، فقلت أبياتاً حَرَّضْتُهم فيها، وحضَضْت بني رياح، فقلت: [الكامل]

أيـن الـرِّياحِيُّون لـم أرَ مِثـلَهـم في النَّائبات وأيـنَ رَهْـط وكيـع!

قال: فجاء خَمْسون شيخاً من بني رِياح فطرَدُوهم عنّي.

أخبرني علِيُّ بنُ سُليْمان قال: حدَّثني محمد بن يزيد، قال: حدثني الجاحِظ، عن مسعود بن بِشر، عن أبي عُبيدة، قال: ما زادت بنو صُبَيْر بنِ يَرْبوع قط على سَبْعة نَفَر، كُلَّما وُلِد منهم مولود مات منهم ميّت.

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد اللّه بن عمّار، قال: حدثني يعقوب بن نعيم، قال: حدثني إسحاقُ بن محمد النَّخعيّ، قال: حدَّثني أبو عثمان المازنيّ، قال:

كان ابنُ مُناذر من أهلِ عدن، وإنَّما صار إلى البَصْرة في طَلب الأدَب لِتَوافر العلماء فيها، فأقام فيها مدَّة، ثم شُغِل بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي،

(١) دار مَضِيعة: دار يضيع من فيها، وفي هذا البيت إقواء.
(٢) رَوْبى: مختلطون، خاثرو الأنفس.

فتَطاول أمرُه إلى أن خَرَج عنها، وكان مُقِيماً بمَكَّة، فلما مات عبد المجيد نَسَك. وقوم يقولون: إنه كان دَهْرِيًّا.

[إظهاره الخلاعة والمجون]

وذكر أبو دعامة، عن عطاء الملط قال: كان ابن مناذر يؤمّ النَّاسَ في المسجد الذي في قبيلَته، فلما أظْهَر ما أظهره من الخَلاعة والمُجُون كرهوا أن يُصلِّيَ بهم وأن يأتَمُّوا به فقالوا شعراً وذكروا ذلك فيه وهَجَوْه، وألقوا الرقعة في المِحْراب، فلما قضى صلاتَه قرأها، ثم قلبَها وكَتَب فيها يقول: [البسيط]

نُبِّئْت قافِيةً قِيلَتْ تَناشَدَها ... قَوْمٌ سأتْرُكُ في أغراضِهِمْ نَدَبا
نَاكَ الذين رَوَوْها أَمَّ قائِلِها ... ونـاكَ قائِلُها أُمَّ الَّذي كَتَبا

ثم رمى بها إليهم ولم يعُد إلى الصلاة بهم.

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدثنا أبو الفَضْل بن عبدان بن أبي حَرْب الصَّفّار، قال: حدَّثني الفضل بنُ موسى مولى بني هاشم، قال: دخَل ابنُ مُناذر المسجدَ الجامع بالبصرة، فوقعت عينُه على غُلام مُستَنِد إلى سارية فخرج والتمس غلاماً ورُقْعة ودَواةً، فكتب أبياتاً مَدَحه بها، وسأل الغُلامَ الذي الْتمسَه أن يُوصِّل الرُّقْعة إلى الفَتى المُستنِد إلى السارية، فذهب بها إلى الغلام، فلما قرأها قلَبها وكَتب على ظهْرها يقول: [الكامل]

مِثْلُ امْتِداحِكَ لي بلا وَرِقٍ ... مِثْلُ الجِدارِ بُنِي على خُصٍّ[1]
وألَذُّ عِنْدي مِن مَديحِكَ لي ... سُودُ النِّعالِ ولَيِّنُ القُمْصِ
فَإذا عَزَمْتَ فَهَيِّ لي وَرِقاً ... فإذا فَعَلْتَ فَلَسْتُ أسْتَعْصِي

فلما قرأها ابنُ مُناذر قام إليه فقال له: ويْلك، أأَنْتَ أبو نُوَاس؟ قال: نعم، فسلَّم عليه وتعانَقا، وكان ذلك أوّل المودَّة بينهما.

أخبرني مُحمَّد بن الحَسن بن دُرَيْد، قال: حدَّثني أبو حاتم، قال: اجتَمع أبو العَتاهِيَة ومحمد بنُ مُناذِر، فقال له أبو العتاهِية: يا أبا عبد اللّه، كيْف أنتَ في الشعْر؟ قال: أقول في الليلة إذا سَنَح القَولُ لي، واتَّسَعَت القوافِي عشرةَ أبياتٍ إلى

(١) الورق: الدراهم المضروبة. والخصّ: بيت من شجر أو قصب.

خَمْسة عشر، فقال له أبو العتاهِية: لَكِنّي لو شِئْت أن أقولَ في الليلة ألفَ بيْت لقُلْت، فقال ابنُ مُناذِر: أجلْ والله إذا أردتُ أن أقول مثلَ قولك: [الهزج]

ألا يـا عُـتْـبَـةَ السَّـاعَـهْ أمُـوتُ السَّـاعَـةَ السَّـاعَـهْ

قلت؛ ولكني لا أُعوِّد نفْسي مثل هذا الكلام السَّاقِط، ولا أسمح لها به، فخَجِل أبو العَتاهية وقام يَجُرُّ رِجْلَه.

أخبرني به الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدَّثني سَهْل بنُ محمد أبو حاتم، وأحمد بنُ يعْقُوب بن المُنير ابن أخت أبي بَكْر الأصمّ. قال ابنُ مَهْرُويه: وحدثني به يحيى بنُ الحسن الرَّبِيعيّ، عن غَسَّان بن المُفَضَّل، قال:

اجتمع أبو العتاهِيَة، وابنُ مُناذر، فاجتمع الناس إليهما، وقالوا: هذان شَيْخا الشُّعَراء، فقال أبو العتاهية لابْنِ مُناذِر: يا أبا عبد اللّه، كم تقولُ في اليَوْم من الشّعْر؟ وذكر باقي الخَبَر مثل المتقدم سواء.

أخبرني أبو دُلَف هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ، قال: حدَّثنا العباس بن مَيْمون طائع، قال: سمعتُ الأصمَعِيَّ يقول: حضرنا مأدُبة ومعنا أبو مُحرِز خلَفٌ الأحمر، وحضرها ابنُ مُناذِر، فقال لخلف الأحمر: يا أبا مُحْرز، إن يكُن النَّابغة، وامرؤُ القيس، وزُهَيْر قد ماتوا، فهذه أشعارُهم مُخَلَّدة، فقِسْ شعْري إلى شِعْرِهم، واحكُم فيها بالحقِّ! فغضِب خلَفٌ، ثم أخذ صحفة مملوءة مَرقاً فرمَى بها عَليه فمَلأه، فقام ابنُ مُناذر مُغْضَباً، وأظنه هَجاه بعد ذلك.

أخبرني حَبيب بنُ نصْر المهَلَّبِيّ، قال: حدثنا عمر بن شبة: قال: حدثنا خَلاَّد الأرقط، قال: لَقِيَني ابنُ مُناذر بمكة، فأنشدني قصيدتَه:

كُـلُّ حَـيٍّ لاقِـي الـحِـمـام فـمُـودِي

ثم قال لي: أقرىء أبا عُبيدة السلام وقل له: يقول لك ابنُ مناذر، اتَّقِ اللَّهَ واحكُم بين شِعْري وشِعْر عَديّ بن زَيد، ولا تقُل ذلك جاهليٌّ، وهذا إسلاميّ، وذاك قديم وهذا مُحْدَث فتحكم بين العصرين، ولكن احكُم بين الشعرين ودع العَصبيَّة، قال: وكان ابنُ مناذِر ينْحُو نحو عَدِيّ بن زيْد في شِعْره، ويمِيل إليه ويقدِّمه.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدَّثني محمد بن

عثمان الكزبريّ، قال: أخبرني محمد بن الحجاج الجراداني، قال: قُلتُ لابن مُناذر: مَنْ أشْعر الناس؟ قال: مَنْ كُنتُ في شِعْره، فقلت له: ومَنْ ذاك؟ فقال: عَديٌّ بن زيد، وكان ينْحُو نحوه في شِعْره ويقدّمه ويتّخذه إماماً.

والأبيات التي فيها الغناء أوّل قصيدة لمحمد بن مُناذِر رَثَى بها عبد المجيد بن عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثّقفيّ، وكان يَهْواه، وكان عبد المجيد هذا فيما يقال مِنْ أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً، وأكملِهم في كلّ حال، وكان على غاية المحبَّة لابنِ مُناذر والمُساعدة له والشَّغَف به. وكان يبلُغ خبرُه أباه على جلالته وسِنّه وموْضعه من العِلْم، فلا يُنْكِر ذلك. لأنَّه لم تكن تبلغه عنه ريبة. وكان ابنُ مُناذر حينئذ حَميدَ الأمْر حسن المروءة عفيفاً. فحدَّثني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بنُ حُدَّان، قال: حدثني قُدامة بن نوح، قال: قيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد الثّقفيّ: إن ابن مُناذر قد أفسد ابنَك، وذكره في شِعْره وشبَّب به، فقال عبد الوهاب: أو لا يَرْضَى ابْني أن يَصْحبه مثلُ ابن مُناذر ويذكره في شعره!

أخبرني أحمد بنُ عُبيد اللّه بنِ عمَّار، قال: حدثني عليٌّ بن محمد بن سليمان النَّوفليّ، قال: أُمُّ عبد المجيد بن عبد الوهاب الثّقفيّ الذي كان يشبِّب به ابن مُناذر بانَةُ بنْت أبي العاصي، وهي مؤلاة جِنان التي يشَبِّب بها أبو نُواس، قال: فحدَّثني مَنْ رأى محمد بنَ مُناذر يومَ ثالثِ بانَةَ هذه، وقد خَرج جواريها إلى قبرها، فخرج معهنَّ نحو الجبَّانة بالبصْرة، قال: فقلتُ له: يا أبا عبد اللّه، أينَ تُريد؟ فقال:

[المجتث]

اليومُ يومُ الثُّلاثا	وَيومُ ثالِثِ بانَهْ
اليَوْمُ تَكثُرُ فيهِ الظِّبا	ءُ فِي الجَبّانَهْ

قال أبو الحَسَن: وَلَدت بانَةُ من عَبْدِ الوَهّاب بن عبد المجيد أولادَه: عبدَ المَجيد وأَبَا العاصِي، وزياداً. وزِيادٌ الذي عناه أبو نُواس في قَوْلِه يُشَبِّب بجِنان:

[مجزوء الخفيف]

جَفْنُ عَيْنِي قد كادَ يَسْقُـ	ـطُ مِنْ طُولِ ما اخْتَلَجْ
وفُؤادِي مِنْ حَرّ حُبِّـ	ـكِ قد كادَ أو نَضَجْ
خَبِّرِيني فَدَتْكِ نَفْسِي	وأهْلِي مَتَى الفَرَجْ!
كانَ مِيعادُنا خُرو	جَ زِيادٍ فَقَدْ خَرَجْ

قال ابن عَمّار: قال لي النَّوفَلِيّ: في هذه الأبيات غناء حُلْو مليح، لو سَمِعْتَه لشربتَ عليه أربعة أرطال.

قال النوفَلِيُّ: وكان لعبْد الوهاب ابنٌ يقال له: محمد، كان أسنَّ وَلَدِهِ، ويقال: إنه كان يتعشَّق بانَةَ ابنةَ أبي العاصي هذه امرأَةَ أبيه، وإن زِيادَ بن عبد الوهاب منه، وكان أشْبَه الناس به.

[بين ابن مناذر وعبد المجيد بن عبد الوهاب]

حدثني ابن عمار قال: حدثنا عُمر بن شبة، قال: حدثني أبي، قال: خَرَج ابنُ مُناذِر يوماً من صَلاة التّراوِيح وهو في المَسْجد بالبصرة، وخرج عَبدُ المَجِيد بن عبد الوهاب خلفَه، فلم يَزَل يُحدِّثه إلى الصُّبْح، وهما قَائِمان، إذا انْصَرَف عَبدُ المجيد شَيَّعَه ابنُ مُناذر إلى منزله، فإذا بَلَغه وانصرفَ ابنُ مُناذر شَيَّعة عبدُ المجيد، لا يَطِيب أحدُهما نَفْساً بِفراقِ صاحِبِه حتى أصبَحا. فقِيلَ لعبد الوهاب بن عبد المجيد: ابنُ مناذر قد أَفْسَد ابنَك، فقال: أو ما يرضي ابني أن يرضى بما يرضى به ابن مُناذر.

وفي عَبْدِ المَجِيد يَقولُ ابنُ مُناذر يَمدحُه، وهو من مُخْتار ما قاله فيه، أنشدنيها عليُّ بنُ سُليمان الأخفَش، عن محمد بن زَيْد من قَصِيدةٍ أولها:

شَيَّبَ رَيْبُ الزَّمانِ رأسِي ... لَهْفِي على رَيْبِ ذَا الزَّمانِ

يَقْدَحُ في الصُّمِّ من شَرَوْرَى ... ويَحْدُرُ الصُّمَّ من أبانِ[1]

يَقولُ فيها يمدَحُ عَبْدَ المَجيد:

مِنّي إلي الماجِدِ المُرَجَّى ... عَبْد المَجِيدِ الفَتَى الهِجانِ

خيرِ ثَقِيفٍ أباً ونَفْساً ... إذا التَقَت حَلْقَتَا البِطانِ

نفسِي فِداءٌ لهُ وأهْلِي ... وكُلُّ ما تَمْلِكُ اليَدانِ

كأنَّ شَمْسَ الضُّحَى وبدرَ الدُّجَى عليهِ مُعَلَّقانِ

نِيطا معاً فوقَ حاجِبَيْه ... والبَدْرُ والشَّمْسُ يَضْحَكانِ

مُشَمِّرٌ، هَمُّهُ المَعالِي ... لَيْسَ بِرَثٍّ ولا بِوانِي

---

(١) شروری: ناحية بالفرات، وقيل جبل مطل على تبوك. (انظر معجم البلدان ٣/ ٣٣٩). وأبان جبل لبني فزارة (انظر معجم البلدان ١/ ٦٢).

بَنَى لَهُ عِزَّةً ومَجْداً فِي أول الدَّهْرِ بانِيانِ
بانِ تَلَقَّاهُ من ثَقِيفٍ ومن ذُرا الأَزْدِ خَيْرُ بانِي
فاسْأَلْهُ مِمَّا حَوَت يَدَاه يَهْتَزُّ كالصَّارِمِ اليَمانِي[1]

أخبرني عَمّي، قال: حدَّثني عبدُ اللّه بنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثني أبو تَوْبة صالِحُ بنُ مُحَمد قال: مرض عَبدُ المجيد بنُ عبد الوهاب الثّقفي مرضاً شديداً بالبَصْرة، وكان ابنُ مناذر ملازماً له يُمرضُه ويخدمه، ويتولى أمرَه بنفسه، لا يَكِله إلى أحد. فحدّثني بعضُ أهلهم قال: حضرتُ يوماً عنده، وقد أُسْخِن له ماءٌ حارٌّ ليَشْرَبه، واشتَدَّ به الأمرُ فجعل يقول: آهِ! بصوت ضَعِيف، فغَمَس ابنُ مُناذِر يدَه في الماء الحارّ وجعل يتأوّه مع عبد المجيد ويدُه تَحْترق حتى كادَت يدهُ تسقُط، فجذَبْناها وأخرجْناها من الماء، وقلنا له: أَمَجْنُونٌ أنت! أيُّ شيء هذا! أينتفع به ذاك، فقال: أُساعده، وهذا جَهْد من مقلٍّ، ثم استَقَلَّ من عِلَّته تلك وعُوفِي مُدَّة طويلة، ثم تَردَّى من سَطح فمات، فجزِع عليه جزعاً شديداً حتى كاد يَفضُل أهلَه وإخوتَه في البكاء والعَويل، وظَهر منه من الجزع ما عجب الناسُ له، ورثَاه بعد ذلك بِقَصيدته المَشْهورة، فرواها أهلُ البَصْرة، ونِيح بها على عبد المجيد، وكان الناس يُعجَبون بها وَيَسْتَحْسِنُونها.

أخبرني الحسن بن عَليّ، قال: حدَّثنا محمد بن القاسم النُّوشَجانِيّ، قال: سمعت أبي يقول: حضرتُ سُفيان بن عُيَيْنَة يقول لابن مُناذِر: أنشِدني ما قلتَ في عبد المجيد، فأنشده قصيدته الطويلة الدّالية. قال سفيان: باركَ الله فيك، فلقد تفرَّدت بمراثي أهلِ العراق.

فأخبرني عمِّي قال: حدثني أبو هِفَّان، قال: قال جمَّازُ: تزوج عبد المجيد امرأةً من أهله فأولم عليها شَهْراً يجتمع عنده في كلّ يوم وُجُوه أهل البصرة وأدباؤُها وشعراؤها، فصعد ذاتَ يوم إلى السطح فرأى طُنُباً من أطناب السِّتارة قد انحَلَّ، فأكبَّ عليه ليشدَّه، فتردَّى على رأسِه ومات من سَقْطته، فما رأيتُ مُصِيبَةً قطّ كانت أعظم منها ولا أنكأَ للقُلوب.

أخبرني أحمدُ بن عُبيد اللّه بن عَمَّار قال: حدثني الحَسَنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ، قال: حدثني العبَّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان، قال: حدثني محمد بن

(١) الصارم: السيف القاطع.

عمر الخَرَّاز، قال: قال لي ابنُ مُناذِر: ويحك! لستُ أرى نساء ثَقِيف يَنُحْنَ على عبد المجيد نِياحَةً على استواء، قلت: فما تُحِبّ؟ قال: تخرجُ معي حتى أُطارحك، فطارحَني القصيدة التي يقول فيها: [الخفيف]

إنَّ عبدَ المَجيدِ يومَ تَوَلَّى ... هَدَّ رُكناً ما كان بالمَهْدُودِ
هَدَّ عَبدُ المجيد رُكْنِي وقد كُنْـ ... ـتُ بِرُكْنٍ أبوءُ منه شَدِيدِ

قال: فما زِلْتُ حتى حفظتها ووعَيْتُها، ووضعنا فيها لحناً، فلما كان في الليلة التي يُناح بها على عبد المجيد فيها، صلّينا العِشاء الآخِرَة في المسجد الجامع، ثم خرجنا إلى دارِهم، وقد صعد النساء على السَّطح يَنُحن عليه، فسكَتن سَكْتَةً لهنّ، فاندفعنا أنا وهو نَنُوح عليه، فلما سمِعْننا أقبلن يَلْطِمْن ويصِحْن حتى كِدْن يَنْقَلِبْنَ من السطْح إلى أسفل من شدة تَشرُّفِهنّ علينا وإعجابِهنّ بما سمِعنه منا، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا، وشاع الخبر بالبصرة وتحدَّث به الناسُ حتى نُقِل من مجلس إلى مجلس.

وأخبرني الحسَن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال لي: حدثني موسى بن حماد بن عبد الله القُرشيّ، قال: حدثني محمد بن النعمان بن جَبَلة الباهِليّ، قال: لما قال ابنُ مُنَاذِر: [الخفيف]

لأُقِيمَنَّ مَأْتَماً كَنُجوم اللَّيْلِ ... زُهْراً يَلْطُمْنَ حُرَّ الخُدُودِ
مُوجَعاتٍ يَبْكِين لِلْكَبِدِ الحَرَّى ... عَلَيْهِ ولِلْفُؤادِ العَمِيدِ

قالت أم عبد المجيد: والله لأُبِرَّنَّ قسمَه، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه، وقامت تصيح عليه: واي، وَيْه، واي، وَيْه، فيقال: إنها أول من فعل ذلك وقاله في الإسلام.

وأخبرني بهذا الخبر ابنُ عمَّار عن عليّ بن محمد النوفليّ عن عمه: أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد، عن محمد بن عامر النخعيّ، قال: أنشدني محمدُ بن مُناذِر لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب يقول: [مجزوء الكامل]

يا عَيْنُ حَقَّ لَكِ البُكا ... ءُ لِحادِثِ الرُّزْءِ الجَلِيلِ
فابْكِي على عَبْدِ المَجِيـ ... ـدِ وأَعْوِلِي كُلَّ العَوِيلِ
لا يُبْعِدُ اللَّهُ الفَتَى الـ ... ـفَيَّاضَ ذَا الباعِ الطَّوِيلِ

عَجِلَ الحِمامُ بِهِ فَوَدَّ عَنا وآذَنَ بالرَّحِيلِ
لَهْفِي عَلَى الشَّعَرِ المُعَ فَّرِ منكَ والخَدِّ الأَسِيلِ
كَسَفَتْ لِفَقْدِكَ شَمْسُنا والبَدْرُ آذَنَ بالأُفُولِ

حدثني عمِّي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدثني النَّضْرُ بن عمرو عن المازِنيّ، قال: حدثنا حَيّان أنَّ ابن مناذر دفع قصيدته الدالية إليه، وقال: اعرِضها على أبي عُبَيْدة، فأتَيْتُه وهو على باب أبي عَمْرو بن العَلاء، فقرأتُ عليه منها خمسةَ أبيات فلم تُعْجِبْه، وقال: دعني من هذا، فإني قد تشاغلْتُ بحِفْظ القرآن عنه وعن مِثْله، قال: وكان أبو عبيدة يُبغِضُه ويُعادِيه لأنه هَجَاه.

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر، قال: حَدَّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال ابن مناذِر: قلت:

يَقدَحُ الدَّهرُ في شَماريخِ رَضْوَى[1]

ثم مكثتُ حَولاً لا أدرِي بِمَ أُتمِّمُه، فسمعت قائلاً يقول: هَبُّود، قلت: وما هَبُّود؟ فقال لي: جُبَيْل في بلادنا، فقلت: [الخفيف]

ويَحُطُّ الصُّخُورَ من هَبُّودِ

قال إسحاق: وسَمِع أعرابيٌّ هذا البيت، فقال: ما أَجهل قائله بهَبُّود! والله إنها لأُكَيمة ما تُوارى الخارِىء، فكيف يحُطُّ منها الصُّخور!

أَخبرني عمّي، قال: حدثنا الكُرانيّ، قال: حَدَّثني أبو حاتم، قال: سمِعْت أَبا مالِك عمْرو بن كِرْكِرة يقول:

أنشَدني ابنُ مُناذر قصيدتَه الدّالية التي رَثى فيها عبدَ المجِيد، فلمّا بَلغ إلى قوله: [الخفيف]

يَقدَحُ الدَّهرُ في شَماريخِ رَضْوَى وَيَحُطُّ الصُّخُورَ مِنْ هَبُّودِ

قلت له: هَبُّود، أيّ شيء هو؟ فقال: جبَل، فقلت: سَخِنت عينُك، هَبُّود والله بئر باليمامَة مَاؤها مِلْح لا يَشْرَب منه شيءٌ خَلَقه الله، وقد والله خَريتُ فيها

(١) شماريخ الجبال: أعاليها، رؤوسها.

مَرَّات. فلما كان بعد مدة وقَفتُ عليه في مَسجد البصرة وهو ينشدها، فلما بَلغَ هذا البيتَ أنشدَها:

ويحُط الصُّخورَ من عَبُّودِ

فقلت له: عَبُّود، أيُّ شَيء هو ذا؟ فقال: جَبل بالشَّام، فلَعَلك يابن الزَّانية خَرِيت عليه أيضاً، فضحِكْتُ ثم قلْت: لا ما خرِيت عَليه ولا رأيتُه، وانصرفت عنه وأنا أضحك.

أخبرني عمِّي قال: حدّثني الكُرانيُّ، عن العُمريّ، عن الهَيْثم بن عديّ، قال:

كان يحيى بنُ زياد يُرمَى بالزّندَقة، وكان من أظْرف الناس وأنظفهم، فكان يقال: أظرف من الزِّنديق.

وكان الحاركيّ واسمه محمد بن زياد يُظهِر الزندقة تظارفاً، فقال فيه ابنُ مُناذر: [السريع]

يابْنَ زيادٍ يا أبا جَعفَرٍ ... أظْهَرْتَ دِيناً غيرَ ما تُخفي

مُزَنْدَق الظاهِرِ باللَّفْظِ في ... باطِنِ إسْلامِ فَتًى عَفِّ

لَسْتَ بزِنديقٍ ولكنّما ... أرَدْتَ أن تُوسَمَ بالظَّرْفِ

وقال فيه أيضاً: [الخفيف]

يا أبا جَعْفرٍ كأنَّكَ قد صِرْ ... تَ على أجْرَد طَويلِ الجِرانِ[1]

من مَطايا ضَوامِرٍ لَيْسَ يَصْهَلْـ ... ـنَ إذا ما رُكِبْنَ يوم رِهانِ

لم يُذلَّلْنَ بالسُّرُوج ولا أقْـ ... ـرَحَ أشداقَهنَّ جَذْبُ العِنانِ

قائماتٍ مُسوَّماتٍ لَدَى الجِسْـ ... ـر لأمثالِكُمْ مِنَ الفِتْيانِ

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينَة، عن ابن عائشة، قال: كان عُتبة النّحويّ من أصحاب سيبويه، وكان صاحبَ نحْوٍ فَهِماً بما يشرحه ويفسّره على مذاهب أصْحَابه، وكان ابنُ مناذر يَتعاطى ذلك، ويجلس إليه قومٌ يأخذُونه عنه، فَجَلس عُتْبة قريباً من حَلْقته، فتقوّض الناسُ إليه، وتركوا ابنَ مُناذر، فلمَّا كان في يَوْم الجمعة الأُخرى قام ابنُ مناذر من حَلْقته، فوقف على

(١) الجران: باطن العنق من البعير.

عُتْبة، ثم أنشأ يقول: [مجزوء الرجز]

قُـومُـوا بِـنـا جَـمِـيـعـاً لِـحَـلْـقَـةِ الـعَـذارِي
تَـجْـمَـعْـنَ لِـلـشّـقـاءِ إلـى عُـتْـبَـةِ الـخَـسـارِ
مـا لِـي ومَـا لِـعُـتْـبَـةَ إذ يَـبْـتَـغِـي ضِـرارِي

قال: فقام عتبة إليه فناشده ألاّ يَزيد، ومنعَ مَنْ كان يجلِس إلى ابن مُناذِر من حضور حَلْقته، وجَلس هو بعيداً من ابنِ مُناذر بعد ذلك.

حدّثني عَمِّي، قال: حدثنا الكُرانيّ، قال: حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينة، قال: كان لابن مُناذر جارٌ يقال له ابنُ عُمير من المعتزلة، فكَان يَسعى بابن مناذر إليهم، ويَسبّه ويذكره بالفِسق ويغريهم به، فقال يَهْجوه: [السريع]

بَـنُـو عُـمَـيْـرٍ مَـجْـدُهُـمْ دارُهُـمْ وكُـلُّ قَـوْم فَـلَـهُـمْ مَـجْـدُ
كـأنَّـهُـمْ فَـقْـعٌ بِـدَوِّيَّـةٍ وَلَـيـسَ لـهـمْ قَـبْـلٌ ولا بَـعْـدُ[1]
فـكُـلُّـهُـمْ مـن لُـؤْمِـهِ جُـعْـدُ بَـتَّ عُـمَـيْـرٌ لُـؤمَـهُ فِـيـهـمُ[2]

وأخبرني بهذا الخبر الحَسَنُ بنُ عليّ، عن ابن مَهْرُويه، عن النَّوفليّ بِمِثْلِه، وزاد فيه: وعبد اللّه بن عُمَير ـ أَبُو هَؤلاء الذين هجاهم ـ أخو عَبْدِ اللّه بن عامِر لأُمّه، أُمُّهما دجاجَةُ بنْت إسماعيل بنِ الصلْت السّلميّ.

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا الخليل بن أسد، قال: كان ابنُ مُناذِر من أَحْضَر الناسِ جَواباً، قال له رجل: ما شَانَك؟ قال: عِظَم في أَنفِي. قال: وسأله رجُلٌ يوماً: ما الجَرْباء؟ فأومأ بِيَده إلى الأرض، قال: هذِه، يَهْزَأ به، وإنَّما الجَرْباء السَّماء.

[خبره مع الفراهيدي ومدحه هارون الرشيد]

أخبرني أحمدُ بنُ العَبَّاس العَسْكَريّ المُؤَدِّب، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بنُ مُحمَّد عن دَماذ قال: دار بَيْنَ الخَليل بنِ أَحْمَد وبَيْن ابنِ مُناذِر كلام، فقال له الخَليل: إنما أنتم مَعْشَرَ الشّعراء تَبَعٌ لي، وأنا سُكَّان السَّفِينة، إن قَرَّظْتُكم ورَضِيتُ قولَكم نَفَقْتُم وإلاّ كَسَدْتم! فقال ابنُ مُناذر: واللّهِ

(١) الفقع: الكمأة البيضاء الرخوة، وهي أردأ أنواع الكمأة.
(٢) الجعد: اللئيم، البخيل.

لأقولَنّ في الخَلِيفة قَصيدَةً أمتَدِحُه بها ولا أحتاجُ إليك فيها عنده ولا إلى غَيْرك! فقال في الرَّشِيد قَصِيدَتَه الَّتي أوّلها: [المنسرح]

مـا هَـيَّـجَ الـشَّـوْقَ مـن مُـطَـوَّقَـةٍ أوفَـتْ عـلـى بـانَـةٍ تُـغَـنِّـيـنَـا

يقول فيها:

وَلَـوْ سَـأَلْـنـا بـحُـسْـن وَجـهـك يـا هـارونُ صَـوْبَ الـغـمـام أُسْـقِـيـنَـا

قال: وَأراد أن يَفِدَ بها إلى الرشيد، فلم يلبث أن قَدِم الرشيدُ البَصْرة حَاجّاً ليَأْخُذَ على طَرِيق النّباج[1] وكان الطريق قديماً، فدخلها وعَديلُه إبراهيم الحَرَّانِيّ فتحمَّل عليه ابنُ مُناذِر بعُثمان بنِ الحَكَم الثّقفيّ، وأبي بَكر السُّلَمِيّ حتى أوصلاه إلى الرّشيد، فأنشَده إيَّاها، فلما بَلَغ آخِرَها كانَ فيها بيت يَفْتَخِر فيه وهو:

قَـوْمـي تَـمِـيـمٌ عـنـدَ الـسِّـمـاكِ لَـهُـمْ مَـجْـدٌ وعِـزٌّ فـمـا يُـنـالُـونـا

فلما أنْشده هذا البيت تَعَصَّبَ عليه قَوْمٌ من الجلساء، فقال له بعضهم: يا جاهِلُ، أتفخَر في قَصِيدةٍ مَدَحْتَ بها أميرَ المؤمنين. وقال آخر: هذه حَماقة بَصْرِيَّة، فَكفَّهم عنه الرشيد ووهب له عِشْرينَ ألفَ دِرْهم.

أخبرني علِيُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حَدَّثَنا محمد بنُ يزيد، قال: حدثني سهيل السّلميّ أنَّ الرَّشِيدَ اسْتَسْقَى في سَنة قَحْط فسُقِي النّاسُ، فسُرَّ بِذَلِك، وقال: لله دَرُّ ابنِ مُناذر حَيْث يَقُول:

ولـو سـألْـنـا بـحُـسْـنِ وَجْـهِـكَ يـا هـارونُ صَـوْبَ الـغَـمـام أُسْـقِـيـنَـا

وسأل عن خَبَره فأُخْبِر أنَّهُ بالحِجاز فَبَعث إليه بجائِزَة.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، عن محمد بن عمران الصّيرفيّ، قال: حَدَّثنا العَنَزيّ، قال: حدَّثَنا نَصْر بن علي الجَهْضَمِيّ، قال: حَدَّثني مُحمَّد بن عباد المهلبيّ، قال: شهد بَكْر بن بَكّار عند عُبَيْد اللّه بن الحَسَن بن الحُصَيْن بن الحُرّ العنزيّ بِشهادة، فَتَبَسَّم ثم قال له: يا بَكْر، ما لك ولابن مُناذر حَيثُ يَقول: [السريع]

أَعـوذُ بِـالـلَّـهِ مِـنَ الـنَّـارِ ومِـنْـكَ يـا بَـكْـرُ بـنَ بَـكَّـارِ

فقال: أصلَح الله القَاضِي، ذاك رجل ماجِنٌ خَلِيع لا يُبالي ما قال، فقال له:

(١) النّباج: عدة مواضع. (انظر معجم البلدان ٥/ ٢٥٥).

صَدَقْت وزاد تبسُّمه، وقَبِل شهادَته، وقام بَكْر وقدَ تَشوَّر[١] وخجِل. قال العنزيّ: فحدثني أبو غَسَّان دَماذ قال: أنشدني ابنُ مُناذِر هذا الشِّعر الذي قاله في بَكْرِ بنِ بكّار وهو:

أَعـوذُ بِـالـلَّـهِ مِـنَ الـنَّـارِ ومـنـكَ يـا بـكـرُ بـنَ بَـكَّـارِ
يـا رَجُـلاً مـا كـانَ فـيـمـا مَـضَـى لآلِ جِـمْـرانَ بِـزَوَّارِ
مـا مَـنْـزِلٌ أحـدثْـتَـهُ رابِـعـاً مُـعْـتَـزِلاً عـن عَـرْصَـةِ الـدَّارِ
مـا تَـبْـرَحُ الـدَّهْـرَ عـلـى سَـوْأَةٍ تَـطْـرَحُ حـبّـاً لـلـخُـشْـنْـشـارِ
يـا مَـعْـشَـرَ الأحـداثِ يـا وَيْـحَـكُـمْ تَـعَـوَّذُوا بـالـخـالِـقِ الـبـارِي
مِـن حَـرْبَـةٍ نِـيـطَـت عـلـى حَـقْـوِهِ يَـسْـعَـى بـهـا كـالـبَـطَـلِ الـشّـارِي[٢]
يـومَ تَـمَـنَّـى أنَّ فـي كَـفِّـهِ أَيْـرَ أَبِـي الـخِـضْـرِ بـدِيـنـارِ

قال ابن مَهْرُويه في خبره: والخُشَنْشَار هو مُعاوية الزِّيادِيّ المُحدّث، ويكنى أبا الخضر، وكان جمِيلَ الوجه.

وقال العنزيّ في حديثه: حَدَّثَني إسحاقُ بنُ عَبْد اللّه الحمرانيّ، وقد سألته عن مَعْنى هذا الشعر، فقال: الخُشَنْشار: غُلامٌ أمردُ جميل الوجه كان في محلَّتنا، وهذا لقبه، وَكانَ بَكْر بنُ بكار يَتَعَشَّقه، فكان يَجيء إلى أبي فيُذاكِره الحَدِيثَ ويُجالسه ويَنْظُر إلى الخُشَنْشار.

قال العنزيّ: حدّثني عمرُ بن شَبَّة، قال: بلغني أنَّ عُبيد اللّه بن الحسن لقِي ابنَ مُناذر فقال له: وَيْحك، ما أردْت إلى بَكْر بن بَكَّار فَفَضَحته، وقلت فيه قَوْلاً لعَلَّك لم تَتَحقَّقه؟ فبدأ ابنُ مُناذر يحلِف له بيمِين ما سَمِعْتُ قَطّ أغلظ منها، أنَّ الذي قَاله في بَكْر شَيْء يَقولُه معه كُلُّ من يعرف بَكْراً ويعرف الخُشَنْشار، ويُجمع عليه ولا يخالفه فيه. فانصرف عُبيد اللّه مَغْمُوماً بذلك قد بان فيه، فلما بعُد عنا، قُلتُ لابن مُناذِر: برِئَ اللَّهُ منك، وَيْلك ما أَكْذَبك! أكُلُّ مَنْ يعرف بكرَ بنَ بَكَّار يقول فيه مِثْلَ قَوْلك حتى حَلَفْت بهذه اليمين؟ فقال: سَخِنت عَيْنُك، فإذا كنت أَعْمَى القَلْب أيّ شيء أصنع! أفتراني كنت أُكذِّب نَفْسِي عند القاضي، إنما مَوَّهتُ عليه

---

(١) تشوّر: خجل.
(٢) الحقو: الكشح. وقيل: الكشح: الخصر.

وحلفت له أن كُلَّ من يعرفه يَقولُ مثلَ قَوْلي، وَعَنَيْتُ ما ابتدأت به من الشعر وهو قولي:

أعـــوذُ بـــالـــلَّـــهِ مـــن الـــنَّـــارِ

أفتعرِف أنتَ أَحَداً يعرفُهما أو يَجْهَلهُما إلاَّ يقول كما قلت: أعوذُ بالله من النار، إنما مَوَّهتُ على القاضي وأردت تَحْقِيق قَوْلي عنده.

قال مؤلف هذا الكتاب: وبَكْرُ بن بَكّار رجُلٌ مُحدِّث، قد رَوَى عن وَرْقاء، عن ابن أَبِي نُجَيْح تَفسِيرَ مُجاهِد، وَرَوَى حَدِيثاً صالحاً.

أخبرني حَبِيب بنُ نصر المُهلّبيّ، قال: حدثنا عُمرُ بنُ شَبَّة، قال: حدَّثَنا بَكْر بنُ بَكّار عن عَبْد اللّه بن المحرز، عن قتادة، عن أَنَس: أن النبيَّ ﷺ قال: «**زيِّنُوا القُرآنَ بأَصواتِكم**».

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدَّثَنا ابن مَهْرُويه، قال: حدَّثني الأحوصُ بن الفَضْل البصريّ قال: حدَّثَنا ابنُ مُعاوِية الزّيادِيّ، وأبوه الخُشَنْشار الذي يقول فيه ابنُ مُناذِر:

تَـطْـرحُ حـبّـاً لـلـخُـشَـنْـشـار

قال: حدثني مَنْ لَقِيَ ابنَ مُناذر بمَكَّة فقال: ألاَ تَشْتاق إلى البَصْرة؟ فقال له: أخبرني عن شمس الوزَّانين، أَعَلَى حالها؟ قال: نعم، قال: وَثِيق بنُ يوسف الثَّقَفِي حَيّ؟ قال: نعم، قال: فغَسَّان بن الفَضْل الغَلاّبيّ حَيّ؟ قال: نعم، قال: لا والله، لا دخلتُها ما بَقِي فيها واحِدٌ من الثّلاثة. قال: وشَمْس الوَزَّانين في طَرَف المِرْبد بحضرة مَسْجد الأنصار في مَوْضعٍ حِيطانُه قِصارٌ لا تكاد الشَّمس تُفارقه.

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبيّ قال: حدَّثَنا عُمرُ بنُ شَبَّة، قال: كان مُحمَّدُ بنُ عَبْدِ الوهاب الثَّقفِيّ أخُو عبد المجيد يُعادِي مُحمدَ بنَ مُناذِر بسبَبِ مَيْله إلى أخِيه عبد المجيد، وكان ابنُ مُناذِر يَهْجوه ويَسُبّه ويقْطَعه، وكُلٌّ واحد منهما يطلُب لصاحِبه المَكْروه ويَسْعَى عليه، فَلقِيَ مُحمدُ بنُ عبد الوهاب ابنَ مُناذر في مَسْجِد البَصْرة، ومعه دَفْتر فيه كتاب العَرُوض بدَوائره، ولم يكن مُحمّد بن عبد الوهاب يعرِف العَرُوض، فجَعَلَ يلحَظُ الكِتاب ويَقرأُه فلا يَفْهَمُه، وابنُ مُناذر مُتغافِلٌ عن فِعْله، ثم قال له: ما في كِتابِك هذا؟ فخبَأه في كُمّه وقال: وأيُّ شيء عليك مِمَّا

فيه؟ فتعَلَّق به ولَبّبه، فقال له ابنُ مُناذر: يا أبا الصَّلْت، الله الله في دَمِي، فَطمع فيه وصاحَ يا زِنْدِيق، في كُمِّك الزَّنْدَقة، فاجتَمع النَّاسُ إليه، فأخرج الدَّفْتَر من كُمّه وأراهم إيّاه فعَرَفُوا بَراءَته مِمَّا قَذَفه به، ووَثَبوا على مُحمَّد بنِ عبد الوهاب واستَخَفُّوا به، وانْصَرَف بِخِزْيٍ، وقال ابن مُناذِر يَهْجوه: [الهزج]

إذا أنْتَ تَعَلَّقْتَ ... بِحَبْلٍ من أبي الصَّلْتِ
تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ وا ... هِنِ القُوَّةِ مُنْبَتِّ
إذا ما بَلَغَ المَجْدَ ... ذَوُو الأحْسابِ بالمَتِّ
تَقاصَرْتَ عن المَجْدِ ... بأمْرٍ رائبٍ شَخْتِ[1]
فلا تَسْمُو إلى المَجْدِ ... فما أمْرُك بالثَّبْتِ
وَلاَ فَرْعُكَ في العِيدَا ... نِ عُودٌ ناضِرُ النَّبْتِ
وما يُبقي لَكُمْ ياقَوْ ... مُ من أثْلَتِكُمْ نَحْتِي
فها فاسْمَعْ قَرِيضاً من ... رقيقٍ حَسَنِ النَّعْتِ
يقولُ الحَقَّ إنْ قالَ ... ولا يَرْمِيكَ بالبَهْتِ
وفي نَعْتٍ لِوَجْعاءَ ... قد استَرْخَتْ من الفَتِّ[2]
فعِنْدِي لكَ يا مَأبُو ... نُ مِثْلُ الفالِجِ البُخْتِي[3]
عُتُلٌّ يُعْمِلُ الكُومَ ... من السَّبْتِ إلى السَّبْتِ
له فَيْشَلَةٌ إن أدْ ... خِلَتْ واسعةُ الخَرْتِ[4]
وإلا فاطْلِ وَجْعاءَ ... كَ بالخَضْخاضِ والزِّفْتِ[5]
ألَمْ يَبْلُغْكَ تَسْآلِي ... لدى العَلاَّمَةِ المَرْتِ
فقال الشَّيْخُ سَرْجُويْهِ ... : داءُ المَرْءِ من تَحْتِ
فَخُذْ من وَرَقِ الدِّفْلَى ... وَخُذْ من وَرَقِ القَتِّ
وَخُذْ من جَعْرِ كَيْسانٍ ... ومن أظفارِ نِسَّخْتِ[6]
فغَرْغِرْهُ بِهِ واسْعَطْ ... بِذَا في دَائِهِ أُفْتِي

---

(١) الأمر الرائب: الذي فيه ريبة وشبهة. والشخت: الضامر.
(٢) الوجعاء: الدبر.
(٣) الفالج: الجمل ذو السنامين. والبختي: واحد البخت وهي الإبل الخراسانية.
(٤) الفيشلة: حشفة الذكر. والخرت: الثقب.
(٥) الخضخاض: نفط أسود تطلى به الإبل الجربى.
(٦) الجعر: خرء كل ذي مخلب من السباع.

قال: وَنِسَّخْت: لقَب أبي عُبَيْدَة، وهو اسمٌ من أسماء اليَهُود؛ لُقب به تَعْريضاً بأنّ جَدَّه كان يَهُودِيّاً، وكان أبو عُبَيْدة وسِخاً طَوِيلَ الأظفار أبداً والشَّعَر، وكان يَغضب من هذا اللَّقب.

فأخْبَرني الحَسنُ بن عَلِيّ، عن ابن مَهْرُويه، عن عليّ بن محمد النوفليّ، قال: لَمَّا قال ابنُ مُناذِر هذه الأبيات: [الهزج]

إذا أنــــتَ تَـــعَـــلَّـــقْـــتَ ... بِـحَـبْـلٍ مِـن أبـي الـصَّـلْـتِ

تَـــعَـــلَّـــقْـــتَ بِـــحَـــبْـــلٍ وا ... هِـــنِ الـــقُـــوَّةِ مُـــنْـــبَـــتِّ[1]

وقـــالَ الـــشَّـــيْـــخُ سَـــرْجُـــوَيْـــهِ: ... داءُ الـــمَـــرْءِ مِـــنْ تَـــحْـــتِ

فبلغ ذلك سَرْجُويه، فجاء إلى محمد بن عبد الوهاب، فوقف عليه في مجلسه وعنده جماعة من أهله وإخوانه وجيرانه، فسلَّم عليه وكان أعْجَمِيًّا لا يفصح، ثم قال له: «بركست كمن كفتم أن كسر مناذر كفت: داء المرء من تحت»، فكاد القوم أن يَفْتَضِحُوا من الضَّحِك، وصاح به محمد: اعزُب[2] قَبَّحَك الله، فظَنَّ أنه لم يقبل عُذْرَه، فأقبل يحلف له مجتهداً ما قال ذلك، ومُحمد يَصِيح به: ويلك اعزُب عنِّي، وهو في المَوْت منه، وكلما زادَه من الصّياح إليه زادَه في العُذْر واجتَهَد في الأيْمان، وضحك الناس حتى غُلِبوا، وقام محمد خَجِلاً فدَخَل منزِلَه وتَفَرَّقُوا.

قال أبو الحَسن النَوفَلِيّ: ثم مَضَى لذلك زمانٌ، وهجا أبو نَعامة أبا عبد اللّه هَرِيسَة الكاتب فقال فيه: [مجزوء الرمل]

ورَوَى شَـــيْـــخُ تَـــمِـــيـــم ... خـــالـــدٌ أنَّ هَـــرِيـــسَـــهْ

يُـــدخِـــلُ الأصْـــلـــعَ ذا الـــخُـــرْ ... جَـــيْـــنِ فـــي جَـــوْفِ الـــكَـــنِـــيـــسَـــهْ

فلَقِي خالدُ بنُ الصّباح هذا هريسةَ، وكان يُعاديه، وأراد أن يُخْجِله، فحَلَف له مجتهداً أنَّه لم يقُل فيه ما قاله أبو نَعامة، فقال هَرِيسة: يا بارد! لم تُرِد أن تَعْتَذِر، إنما أردتَ أن تَتشبَّه بابنِ مُناذر ومُحمَّد بن عبد الوهاب، وبأبِي الشَّمَقْمَق وأحمد بن المعذّل، ولست من هؤلاء في شَيء.

قرأتُ في بعض الكُتُب عن ابنِ أبي سَعْد، قال: حدَّثني أبو الخَطّاب

---

(١) منبتّ: منقطع.

(٢) اعزب: اغرب، ابتعد.

الحسن بن محمد، عن محمد بن إسحاق البَلْخيّ، قال:

دخلتُ على ابنِ مُناذر يوماً وعنده رجلٌ ضَريرٌ جالِسٌ عن يَمينه، ورجل بَصِيرٌ جَالسٌ عن شماله ساكِتٌ لا يَنْطِق، قال: فقلت له: ما خبرك؟ فقال: [الخفيف]

بـيـنَ أَعْـمَـى وأَخْـرَسٍ أَخْـرَس الـلّـ ـهُ لـسـانَ الأَعْـمَـى وأَعْـمَـى الـبَـصِـيرا

قال: فوثَبا فخَرجا من عِنده وهُما يَشْتُمانه.

[بينه وبين سفيان بن عيينة]

ونسختُ من كِتاب ابن أبي الدُّنيا: حدَّثَني أبو مُحمَّد التَّميميّ، قال: حدَّثني إبراهيمُ بن عبدِ الله، عن الحَسَن بن عليّ، قال: كُنَّا عند باب سُفْيان بن عُيَيْنة وقد هرب منا، وعنده الحسن بن عليّ التَّخْتاخ، ورجلٌ من الحَجَبة، ورجل من أصحاب الرشيد، فدخل بهم وليس يَأْذَن لنا، فجاء ابن مُناذِر فقَرُب من الباب، ثم رَفَع صوته فقال: [الطويل]

بِـعَـمْـرٍو وبـالـزُّهْـرِيّ والـسَّـلَـفِ الأُلَـى بـهـم ثَـبَـتَـتْ رِجْـلاكَ عِـنْـدَ الـمَـقـاوِمِ
جَـعَـلْـتَ طَـوالَ الـدَّهْـرِ يَـوْمـاً لِـصـالِـحٍ ويـوْمـاً لِـصَـبَّـاحٍ ويـومـاً لـحـاتِـمِ
وَلِـلْـحَـسَـنِ الـتَّـخْـتـاخِ يـومـاً ودُونَـهُـمْ خَـصَـصْـتَ حُـسَـيْـناً دُونَ أَهْـلِ الـمَـواسِـمِ[1]
نَـظَـرْتُ وطـالَ الـفِـكْـرُ فـيـكَ فـلـم أَجِـدْ رَحَـاكَ جَـرَتْ إلاَّ لأَخْـذِ الـدرَّاهِـمِ

فخَرَج سُفيان وفي يَدِه عَصاً وصاح: خُذُوا الفاسِق، فهَرَب ابنُ مُناذر منه، وأَذِنَ لنا فدَخَلْنا.

أخبرني الحَسن بن عليّ، قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثني أبو بكر المُؤدِّب، قال: حدَّثَني مُحمد بن قُدامة، قال: سمعتُ سُفيانَ بنَ عُيَيْنَة يقول لابنِ مُناذر: يا أبا عبد الله، ما بَقِي أحدٌ أخافُه غيرَك، وكأنِّي بك قد مِتُّ فرثَيْتني. فلما مات سُفيانُ بنُ عُيَيْنة، قال ابنُ مُناذر يَرْثِيه: [السريع]

راحُـوا بِـسُـفْـيـانَ عـلـى نَـعْـشِـهِ وَالـعِـلْـمِ مَـكْـسُـوَّيْـنِ أَكْـفـانـا
إنَّ الـذي غُـودِرَ بـالـمُـنْـحَـنَـى هَـدَّ مِـنَ الإِسـلامِ أَركـانـا
لا يُـبْـعِـدَنْـكَ الـلّـهُ مـن مَـيِّـتٍ وَرَّثْـنـا عِـلْـمـاً وأَحْـزانـا

(١) التختاخ: الألكن.

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيْد اللّه بن عَمَّار، قال: حدّثني أحمدُ بن سُلَيْمان بن أبي شيخ قال: حدّثني شَيْخٌ من أهْلِ الكُوفَة يقال له عَوَّام، قال: سَمِعْتُ سُفيانَ بن عُيَيْنَةَ وقد تَكَلَّم بكلام استُحسِن، فسألَه مُحمدُ بنُ مناذر أن يمليه عليه، فتبَسّم سُفيانُ وقال له: هذا كلام سَمِعْتُك تتكَلَّم به فاستَحْسَنْتُه فَكَتَبْتُه عنك، قال: وعلى ذلك أُحِبّ أن تُملِيَه عليّ، فإني إذا رَوَيْتُه عنك كان أنفقَ له من أن أنسبه إلى نَفْسي.

قال عَوّام: وأنشدَني ابنُ عائشَة لابْنِ مُناذر يَرْثِي سُفْيانَ بنَ عُيَيْنة بقَوْله:

[السريع]

يَـجْـنِـي مـن الـحِـكْـمَـة نُـوّارَهـا ... مـا تَـشْـتَـهـي الأنـفُـسُ ألـوانـا[1]
يـا واحِـدَ الأمَّـةِ فـي عِـلْـمِـهِ ... لَـقِـيـتَ مـن ذِي الـعَـرْشِ غُـفـرانـا
راحُـوا بِـسُـفْـيـانَ عـلـى نَـعْـشِـهِ ... وَالـعِـلْـمِ مَـكْـسُـوَّيْـنِ أكْـفـانـا

[عودته إلى المجون وبعض أخباره المتفرقة وشعره]

أخبرني عليّ بن سُلَيْمان، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ يَزِيد، عن مُحمد بن عامر الحَنفيّ، قال: لمّا ماتَ عبدُ المجيد بنُ عبد الوهاب، خَرجَ ابنُ مُناذر إلى مَكَّة، وترك النُّسْك وعاد للمُجونِ والخَلْع، وقال في هذا المعْنى شِعْراً كثيراً، حتى كان إذا مَدَح أو فخَر، لم يجعل افْتِتاح شعره ومَبادِيه إلا المُجون، وحتى قال في مَدْحه للرَّشيد:

[المنسرح]

هل عـنـدكـم رُخـصَـةٌ عن الـحسـنِ الْبـ ... ـصْـريّ فـي الـعِـشْـق وابـنِ سِـيـريـنـا!
إنَّ سَـفـاهـاً بـذِي الـجَـلاَلَـة والـشَّـيْـ ... ـبَـةِ ألاّ يَـزَالَ مَـفْـتـونـا

وقال أيضاً في هذا المَعْنى:

[الهزج]

ألا يـا قَـمَـرَ الـمَـسْـجِـدِ ... هَـلْ عِـنْـدَكَ تَـنْـوِيـلُ!
شِـفـائـي مـنـكَ - إن نَـوَّلْـتَـنِـي - شَـمٌّ وتَـقْـبِـيـلُ
سَـلاَ كُـلُّ فُـؤادٍ و ... فُـؤادي بِـك مَـشْـغُـولُ
لَـقَـدْ حُـمِّـلْـتُ مـن حُـبِّـيـ ... ـكَ مـا لا يَـحـمِـلُ الـفِـيـلُ

(١) النوّار: الزهر الأبيض.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثنا العبّاس بن الفضل الربعيّ، قال: حدثني التَّوَّزِيّ، قال: قال ابنُ مناذر ليُونُس النحويّ يُعرّض به: أخبرني عن جُبّل[1] أتَنْصَرِف أم لا؟ وكان يونُس من أهلها، فقال له: قد عرفتُ ما أردتَ يابنَ الزّانية. فانصرفَ ابنُ مُناذر، فأعَدَّ شُهوداً يَشْهَدون عليه بذلك، وصار إليه وسأله، هل تنصرف جُبّل؟ وعَلِم يونُس ما أراد، فقال له: الجوابُ ما سَمِعْتَه أمس.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل، قال: حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ، قال: حدثني إسحاق بن عَمْرو السَّعديّ، قال: حدّثني الحجاج الصَّوَّاف. وأخبرني الحسن بن عليّ أيضاً، قال: حدّثني ابن مَهْرُويه، قال: حدّثني إسحاق بن محمد، قال: حدثني أُمَيَّة بن أبي مروان، قال: حدثني حجّاج الصّوّاف الأعور، قال: خرجت إلى مكّة فكان هِجِّيراي[2] في الطريق ابنَ مُناذر، وكان لي إلْفاً وخِدْناً وصَدِيقاً، فدَخَلْتُ مكة فسألتُ عنه، فقالوا: لا يَبْرَح المسْجد، فدخَلت المسجد فالتمسْتُه فوجدته بفِناء زَمْزَم، وعنده أصحابُ الأخبارِ والشّعراء يَكتُبون عنه، فسلَّمت وأنا أُقدِّر أن يكون عنده من الشَّوق إليَّ مثلُ ما عندي، فرفَع رأسَه فردَّ السّلام رَدًّا ضعِيفاً، ثم رجع إلي القوم يُحدِّثُهم ولم يَحْفل بي، فقلتُ في نفسي: أتُراه ذَهَبتْ عنه مَعْرِفتي! فبَيْنا أنا أُفكِّر إذ طلع أبو الصَّلْت بن عبد الوهاب الثقفيّ من باب بني شَيْبة داخلاً المسْجد، فرفع رأسه فنظر إليه، ثم أقبل عليَّ فقال: أتعرِف هذا؟ فقلت: نعم، هذا الذي يقول فيه مَنْ قطَع اللَّهُ لِسانه:

[الهزج]

إذا أنْـتَ تَـعَـلَّـقْـتَ ... بِـحَـبْـلٍ مِـنْ أبـي الـصَّـلْـتِ

تَـعَـلَّـقْـتَ بِـحَـبْـلٍ وا ... هِـنِ الـقُـوَّةِ مُـنْـبَـتِّ

قال: فتَغافل عنِّي، وأقبل عليهم ساعة، ثم أقبل عليّ فقال: من أيِّ البِلاد أنت؟ قلت: من أهل البصرة، قال: وأين تنزل منها؟ قلت: بحضرة بني عائش الصوَّافين، قال: أتعرِفُ هناك ابنَ زانية يقال له: حَجَّاج الصَّواف؟ قلت: نَعَم تركتُه يَنِيكُ أُمَّ ابنِ زانيةٍ يقال له: ابنُ مُناذِر، فضَحكَ وقام إليَّ فعانَقني.

(١) جبل: بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي (معجم البلدان ٢/ ١٠٣).
(٢) الهجّيرى: الشأن والقصد.

قال مُؤَلّف هذا الكِتاب: ولابْنِ مُناذِر هِجاءٌ في حَجّاج الصَّوَّاف على سَبيل العَبَث، وهو قولُه: [المنسرح]

إنَّ ادِّعـاءَ الـحَـجَّـاجِ فـي الـعَـرَبِ ... عـنْـدَ ثَـقِـيـفٍ مـن أَعْـجَـبِ الـعَـجَـبِ
وهـو ابْـنُ زانٍ لألْـفِ زَانِـيَـةٍ ... وألـفِ عِـلْـجٍ مُـعَـلْـهَـجِ الـنَّـسَـبِ[1]
ولـو دَعـاهُ داعٍ فـقـالَ لـهُ: ... يـا ألأمَ الـنَّـاسِ كُـلِّـهِـمْ أَجِـبِ
إذاً لـقـالَ الـحـجَّـاجُ: لَـبَّـيْـكَ مِـنْ ... داعٍ دَعـانِـي بـالـحَـقِّ لا الـكَـذِبِ
وَلَـوْ دَعـاهُ دَاعٍ فـقـالَ لَـهُ: ... مَنِ الـمُـعَـلَّـى في الـلـؤم؟ قـالَ: أَبِـي
أبـوهُ زَانٍ والأمُّ زَانِـيَـةٌ ... بِـنـتُ زُنـاةٍ مَـهْـتُـوكَـةُ الـحُـجُـبِ
تَـقـولُ: عَـجِّـلْ أدْخِـلْ، لِـنـائِـكـهـا ... اتْرُكْه في اسْتي إن شئْتَ أوْ ركَبِي[2]
مَـنْ نَـاكَـنِـي فـيـهـمـا فـأوْسَـعَـنـي ... رَهْـزاً دِراكـاً أعْـطَـيْـتُـهُ سَـلَـبِـي
هَـمُّ حِـرِي الـنَّـيْـكُ فـابـتَـغـوا لِـحِـرِي ... أَيْـرَ حِـمـارٍ أَقْـضِـي بـهِ أَرَبِـي
أُحِـبُّ أَيْـرَ الـحِـمـارِ وا بِـأبِـي ... فَـيْـشـةُ أيْـرِ الـحِـمـارِ وا بِـأبِـي
إذا رأتْـهُ قـالَـتْ: فَـدَيْـتُـك يـا ... قُـرَّة عَـيْـنِـي ومُـنْـتَـهَـى طَـلَـبِـي
إذا سَـمِـعْـتُ الـنَّـهِـيـقَ هَـاجَ حِـرِي ... شَـوْقـاً إلـيـه وهَـاجَ لـي طَـرَبِـي
يَـأْخُـذُنِـي فـي أَسَـافِـلِـي وَجَـرِي ... مِـثلُ اضْـطرامِ الـحَـرِيـقِ في الـحَـطَـبِ
شَـكَـتْ إلـى نِـسْـوةٍ فـقُـلْـنَ لـهـا ... وهـي تـنـادي بـالـوَيْـلِ والـحَـرَبِ:
كُـفِّـي قَـلِـيـلاً، قـالَـتْ: وكَـيْـفَ وَبِـي ... في جَوفِ صَدْعِي كَحِكَّةِ الجَرَبِ[3]
أَرَى أُيُـورَ الـرِّجَـالِ مِـنْ عَـصَـبٍ ... لَـيْـتَ أُيُـورَ الـرِّجـالِ مـن خَـشَـبِ

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدَّثَني أحمدُ بن محمد الرَّازيُّ أبو عبْد اللّه، قال: حدثني أبو بجير، قال: كان ابنُ مُناذر يجلس إلى إسكاف بالبَصْرة، فلا يَزال يَهْجوه بالأبْيات فيصيح من ذلك ويَقول له: أنا صَديقُك فاتّقِ الله وأَبْقِ على الصَّدَاقة وابن مُناذر يُلِحُّ، فقال الإسكاف: فإني أستعِينُ اللّهَ عليك وأتَعاطى الشعر، فلما

---

(١) العِلْج: الغليظ. والمُعلهج: الهجين.
(٢) الرَّكَب: من أسماء الفَرج.
(٣) الصَّدع: الشق.

أصْبَح غدًا عليه ابنُ مُناذر كما كان يَفْعَل، فأخذ يَعْبَث به ويَهْجُوه، فقال الإسكافُ:

[الكامل]

كَثُرَتْ أُبوَّتُه وَقَلَّ عَديدُهُ ... وَرَمَى القَضاءُ بهِ فِراشَ مُناذِرِ

عَبْدَ الصُّبَيْرِيِّينَ لم تَكُ شاعِراً ... كيفَ ادَّعيتَ اليومَ نِسْبَةَ شاعِرِ!

فشاع هَذَان البَيْتان بالبَصْرة وَرواهما أعداؤُه، وجعلوا يَتَناشَدُونَهما إذا رَأَوْه فَخَرج من البَصرة إلى مَكَّة وجاوَرَ بها، فكان هَذَا سبَب هَرَبه من البَصرة.

أخبرني عَمِّي، قال: حدَّثنا الكُرَانيُّ عن أبي حاتِم، قال: قال ابن مُناذر: ما مَرَّ بي شيء قطّ أشدُّ عليّ مِمَّا مَرَّ بي من قولِ أبي العَسْعاسِ فِيَّ:

كَثُرَتْ أُبوَّتُهُ وَقَلَّ عَدِيدُهُ ... وَرَمَى القَضاءُ به فِراشَ مُناذِرِ

انظُر بكَم صِنْف قد هَجاني في هذا البَيْت قَبَّحه الله، ثم مَنَعني من مُكافأته أنّي لم أجِد له نَباهَة فأغُضَّها، ولا شَرفاً فأهدِمَه، ولا قَدْراً فأضَعهُ.

أخبرني عَمِّي، قال: حدّثني الكُرانِيّ، قال: حدَّثَني بِشْر بن دِحْيَةَ الزياديّ أبُو مُعاوِية قال: سَمِعْتُ ابنَ مُناذِر يقول: إن الشِّعرَ لَيَسْهُل عَلَيَّ حتى لو شِئْتُ ألاّ أتكَلَّم إلا بِشِعْر لفَعلت.

أخبرني هاشِمُ بنُ مُحمد الخُزاعِيّ، قال: حدَّثنا العَبَّاس بنُ مَيْمون طايع، قال: حدَّثَنِي بعض أصحابنا، قال: رأيتُ ابنَ مناذر بمكَّة وهو يتوكَّأ على رَجُل يَمْشِي معه ويُنْشِد:

[مجزوء الوافر]

إذا ما كِدْتُ أشْكُوها ... إلى قَلْبِي، لها شَفَعَا

فَفَرَّقَ بَيْنَنا دَهْرٌ ... يُفَرِّق بينَ ما اجْتَمَعا

فقلت: إنَّ هذا لا يُشبِه شِعْرك، فقال: إن شِعْري بَرَد بعدك.

أخبرني عِيسَى بنُ الحُسَين الوَرَّاق، قال: حدَّثنا أبو أيُّوب المَدينيّ، قال: حدَّثنا بعضُ أصحابنا أنَّ محمد بن عبد الوهاب الثَّقفيّ تزوَّج امرأةً من ثقيف يقال لها عَمَّارَة، وكان ابنُ مُناذر يُعادِيه، فقال في ذلك:

[السريع]

لَمّا رأيتُ القَصْفَ والشّارَهْ ... والبَزَّ قد ضاقَتْ به الحارَهْ

والآسَ والرّيحانَ يُرْمَى بِهِ ... من فَوْق ذِي الدَّارَةِ والدَّارَه

قُلْتُ: لِمَنْ ذا؟ قِيلَ: أُعجوبَةٌ ... مُحَمَّدٌ زُوِّج عَمّارَهْ

لا عَمَّرَ اللَّهُ بِها رَبْعَهُ فَإِنَّ عَمَّارةَ بَدْ كارَه[١]
وَيْحَكِ فرِّي واغضبي فاكِ لي فَهٰذِهِ أُخْتُكِ فَرَّارَهْ

قال: فوالله ما لَبثت عنده إلا مُدَيْدَة حتى هربت، وكانت لها أُختٌ قبلها مُتَزوّجة إلى بعض أهل البصرة فَفَرَكَتْه[٢] وهربت منه، فكانوا يُعجبون من مُوافقةِ فِعْلها قَولَ ابن مُناذِر.

قال أبو أيُّوب: وحُدِّثت أن أبا أميّة واسمه خَالِد ـ وهو الذي يقُولُ فيه أبُو نُواس: [الخفيف]

أيها المُقْبِلانِ من حَكَمانِ كيفَ خَلَّفْتُما أبا عُثْمانِ؟
وأبا أُمَيَّةَ المُهَذَّبَ والمَا جِدَ والمُرتَجى لِرَيْبِ الزَّمانِ

ـ كان خَطَب امرأة من ثَقيف، ثم من ولد عُثْمان بن أبي العَاصي، فرُدّ عنها، وتَصدَّى للقَاضي أن يُضمِّنَه مالاً من أموال اليَتامى، فلم يُجِبه إلى ذلك، ولم يَثِقْ به، فقال فيه ابنُ مُناذر: [البسيط]

أبا أُمَيَّةَ لا تَغْضَبْ عَلَيَّ فَما جَزاءُ ما كانَ فيما بيننا الغَضَبُ
إن كانَ رَدَّك قَوْمٌ عن فَتاتِهِمُ ففي كَثيرٍ من الخُطّابِ قد رَغِبُوا
قالوا: عَلَيْك دُيونٌ ما تَقُومُ بها في كُلِّ عامٍ بها تُسْتَحْدَثُ الكُتُبُ
وقد تَقَحَّمَ من خَمْسِينَ غايَتُها مَعْ أنه ذو عيالٍ بَعْدَ ما انْشَعَبُوا
وفي الَّتي فَعَل القَاضِي فلا تَجِدَنْ فَلَيْس في تلكَ لي ذَنْبٌ ولا ذَنَبُ
أَرَدْتَ أموالَ أيتامٍ تُضَمِّنُها وما يُضَمَّنُ إلاَّ مَنْ لَهُ نَشَبُ

[متفرقات من شعره]

أخبَرنِي مُحمَّد بنُ خَلَف وكيع، قال: حَدَّثَنِي أحمدُ بنُ زُهير، قال: سمعت إبراهيم بن المُنْذر الحزَامِيّ يقول: بلغَ ابنَ مُناذر عن ابنِ دأب[٣] قولٌ قَبِيحٌ، قال:

---

(١) بدكاره: كلمة فارسية. معناها بنت زنى.

(٢) فركته: كرهته.

(٣) ابن دأب: هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليثي البكري، أبو الوليد خطيب وشاعر وعالم بالأنساب. (توفي سنة ١٧١ هـ) وترجمته في: (إرشاد الأريب ٦/ ١٠٤، والمعارف ٢٣٤).

فدعاني، وقال: اكتب: [الوافر]

فَمَنْ يَبْغِ الوَصاةَ فإنَّ عِنْدِي ... وَصاةً للكُهولِ ولِلشَّبابِ

خُذُوا عنْ مالِكٍ وعن ابْنِ عَوْنٍ ... ولا تَرْوُوا أحادِيثَ ابْنِ دأبِ

تَرَى الغاوِينَ يَتَّبِعُون منها ... ملاهِيَ من أحاديثٍ كِذابِ

إذا التُمِسَتْ مَنافِعُها اضْمَحَلَّتْ ... كما يَرْفَضُّ رَقْرَاقُ السَّحابِ

قال: فرُوِيتْ، وافْتضَح بها ابنُ دَأْب. قال الحزاميّ: فلما قَدِمْت العِراقَ وجدتُهم قد جَعَلُوها:

خُذُوا عن يُونُسٍ وعَنِ ابن عَوْن

أخبرني عَمِّي، قال: حدثنا الكُرانيّ، قال: حدَّثنا أبو حاتِم، قال: كان الرَّشيد قد وَصَل ابنَ مُناذر مَرَّاتٍ صِلاتٍ سِنيَّةً، فلما مات الرَّشيد رَثاه ابنُ مُناذِر فقال: [مجزوء الكامل]

مَنْ كانَ يَبْكِي للعُلا ... مَلِكاً وَلِلهِمَم الشَّرِيفَهْ

فلْيَبْكِ هارونَ الخَلِيـ ... فةَ لِلخَلِيفَةِ وَالخَلِيفَه

أخبرني مُحمَّدُ بنُ خَلَف وَكِيع، قال: حَدَّثَنا أحمدُ بن أبي خَيْثَمة، عن محمد بن سلاَّم قال: كان مُحَمَّدُ بن طَليق وسائر بَنِي طَلِيق أصدقاء لابنِ مُناذر، فلما وَلِيَ المَهْدِيُّ الخِلافةَ استقْضى خالِدَ بنَ طَلِيق، وَعَزل عُبَيْدَ الله بنَ الحسنِ بن الحرّ، فقال ابنُ مُناذر يَهْجو خالداً مُجوناً وخُبْثاً منه: [مجزوء الرمل]

أصبحَ الحاكِمُ يا للنـ ... ـاسِ مِن آلِ طَلِيقِ

جالِساً يَحْكُمُ في النّا ... سِ بِحُكم الجاثَلِيقِ[1]

يَدَعُ القَصْدَ ويَهْوِي ... في بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ[2]

يا أبَا الهَيْثَم ما كنـ ... ـتَ لِهذا بِخَلِيقِ

لا ولا كُنْتَ لِما حُمِّلْـ ... ـتَ منهُ بِمُطِيقِ

حَبْلُهُ حَبْلُ غُرورٍ ... عِنْدَهُ غَيْرُ وَثِيقِ

قال ابن سلاّم: فقلتُ لابن مُناذِر: ويْحك إذا بَلَغ إخوانَك وأصدقاءَك من آل

---

(١) الجاثليق: رئيس الأساقفة «معربة».

(٢) بنيّات الطريق: طريق صغير يتشعّب من الجادة.

طَليق أنَّكَ هَجَوْتَهُمْ ما يَقُولُون لك؟ وبأيّ شيء تَعْتَذِر إليهم؟ فقال: لا يُصدِّقون إذا بلغهم أنّي هَجَوْتُهم بذلك؛ لأنهم يَثِقُون بي.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدَّثَنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدَّثَني الحسن بن عُلَيْل، عن مَسْعُود بن بِشْر، قال: حدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ مُناذِر، قال: كنتُ بمَكَّة فاشتكَيْتُ، فلم يَعُدْني من قريش إلا بَنُو مَخْزوم وحدهم، فقلتُ أمدَحُهم: [المنسرح]

جاءَتْ قُرَيْشٌ تَعودُني زُمَراً ... فَقَدْ وَعَى أَجْرَها لها الحَفَظَهْ
وَلَمْ تَعُدْني تَيْمٌ وإِخْوتُها ... وزارَني الغُرُّ من بَني يقَظَهْ
لَنْ يَبْرحَ العِزُّ منهمُ أبداً ... حتى تَزُولَ الجِبالُ مِنْ قُرَظَهْ[1]

أخبرني الحسن، عن ابن مَهْرُويه، عن إسحاقَ بنِ محمد النخعيّ، قال: كنَّا عند ابن عائِشَة فقال لعبد الرحمن ابنه: أنشدني مرثِيةَ ابنِ مُناذر عبد المجيد فجعَلَ يُنْشِدُها فكُلَّما أتى على بيت استَحْسَنه، حتى أتى على هذا البيت: [الخفيف]

لأُقِيمَنَّ مَأْتماً كنُجوم اللَّيْلِ ... زُهْراً يَخْمِشْنَ حُرَّ الخُدودِ

فقالَ ابنُ عائِشَةَ: هذا كلام لَيِّن كأنه من كلام المُخَنَّثِينَ، فلما أتى على هذا البيت:

كُنتَ لي عِصْمةً وكُنتَ سماءً ... بك تَحْيا أرضِي ويَخْضرُّ عُودِي

فقال: هذا بَيْتُها، ثم أَنْشَد:

إنّ عَبْدَ المَجِيدِ يَوْمَ تَولَّى ... هَدَّ رُكْناً ما كانَ بالمَهْدُودِ
ما دَرَى نَعْشُهُ ولا حامِلُوهُ ... ما عَلَى النَّعشِ مِنْ عفَافٍ وجُودِ
وَأُرانا كالزَّرعِ يَحْصُدُنا الدَّهْـ ... ـرُ فَمِنْ بَيْن قَائِمٍ وحَصِيدِ

فقال ابن عائشة: أجعلنا زرعاً يحصدنا الله؟ فليس هذا من كلام المسلمين، ألاَ ترى إلى قَوْله: إنَّه يقول:

يَحكُمُ الله ما يشاءُ فَيُمْضِي ... لَيْسَ حُكمُ الإلهِ بالمَرْدُودِ

أخبرني محمد بن يَحْيى الصّوليّ، قال: حدثني محمدُ بنُ مُوسَى، ولم

(١) قرظة: قرية بوادي عرادات وهو بين اليمن ونجد. (معجم البلدان ٣/٦٣٨).

يتجاوزه بالإسناد. ونَسخْت هذا الخَبرَ من كتاب ابنِ أبي مَرْيم الحاسب: حدَّثَنِي ابنُ القَدّاح، وعبدُ اللّه بنُ إبراهيم بن قُدامَة الجُمَحِيّ، قالا: حَدَّثنا ابنُ مُناذِر، قال: حج الرَّشيدُ بعد إيقاعه بالبَرامكة وحج معه الفَضْل بن الرّبيع، وكنتُ مُضيَّقاً مُملقاً، فهيَّأتُ فيه قَوْلاً أجدتُ تَنميقَه وتنوَّقتُ فيه، فدخلتُ إليه في يوم التَّرْوِية وإذا هو يَسأل عنِّي ويطلُبني، فبَدَرني الفضلُ بن الرَّبيع قبل أن أتكلّم، فقال: يا أميرَ المُؤمنين، هذا شاعرُ البَرَامِكة ومادحهم، وقد كان البِشْر ظَهر لي في وجهه لمَّا دخلتُ، فَتَنَكَّر وعَبَس في وجهي، فقال الفَضْلُ: مُرْه يا أميرَ المؤمنين أن يُنْشدَك قوله فيهم:

أتــانــا بَـنُــو الأمــلاك مــن آلِ بَـرْمـك

فقال لي: أنشد، فأبيتُ، فتَوَعَّدَني وأكْرَهني، فأنشدته: [الطويل]

أتــانَـا بَـنـو الأمْـلاكِ مِـنْ آلِ بَـرْمَـكٍ ... فـيـا طِـيـبَ أخْـبـارٍ ويـا حُـسْـن مَـنْـظَـرِ
إذا وردوا بَـطْـحـاءَ مَـكَّـةَ أَشْـرَقَـتْ ... بيَحْيَى وبالفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وجَعْفَرِ
فتُظْلِمُ بَغْدادٌ وَيَجْلُو لنا الدُّجى ... بِـمَـكَّـةَ مـا حـجّـوا ثـلاثـةُ أقْـمُـرِ
فـمـا صَـلَـحَـتْ إلاَّ لِـجُـودٍ أكُـفُّـهـم ... وَأرْجُـلُـهـم إلا لأعـوادِ مِـنْـبَـرِ
إذا راضَ يَـحْـيَـى الأمْـرَ ذَلَّـتْ صِـعـابُـهُ ... وحَـسْـبُـكَ مِـنْ رَاعٍ لـه ومُـدَبِّـرِ
تَـرَى الـنَّـاسَ إجْـلالاً لـه وَكَـأنَّـهـم ... غَـرانِـيقُ ماءٍ تَـحْـتَ بـازٍ مُـصَـرْصِـرِ[1]

ثم أتبعتُ ذلك بأن قلت: كانوا أولياءكَ يا أميرَ المؤمنين أيام مَدَحْتُهم، وفي طاعتك، لم يلْحقهم سُخطك ولم تَحلُل بهم نِقْمتُك، ولم أكن في ذلك مُبْتَدِعاً ولا خَلاَ أحدٌ من نُظَرائي من مدحهم، وكانوا قوماً قد أظلَّني فضلُهم، وأغناني رِفدُهم فأثنيتُ بما أوْلَوْا، فقال: يا غلام، الطُمْ وجهه، فلُطِمْتُ والله حتى سَدِرتُ[2] وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس، ثم قال: اسحبوه على وجهه، ثم قال: والله لأحرمَنَّك ولا تركتُ أحداً يعطيك شيئاً في هذا العام فسُحِبت حتى أُخرجت، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالاً في نفسي وحالي وما جرى عليَّ، ولا والله ما عندي ما يُقيم يومئذ قُوتَ عِيالي لعيدهم، فإذا بشابٍّ قد وقف عليّ، ثم قال: أعزِزْ عليّ واللّهِ يا كبيرَنا بما جرى عليك، ودفع إليَّ صُرَّة وقال: تَبلَّغْ بما في هذه،

(١) الغرانيق: جمع غرنوق: وهو طائر مائي. والمصرصر: الصائح بصوت شديد متقطع.
(٢) سَدِرت: تحيّرت.

فظننتها دراهم فإذا هي مائةُ دينار ـ قال الصوليّ في خبره: فإذا هي ثلاثمائة دينار ـ فقلت له: من أنت جعلني الله فداءك! قال: أنا أخوك أبو نُواس، فاستعِن بهذه الدنانير واعذِرْني، فقَبِلْتُها، وقلت: وصلَك اللَّهُ يا أخي وأحسن جزاءك.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدَّثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثنا يحيى بنُ الحَسَن الرَّبيعيّ، قال: حدثنا أبو مُعاوية الغلابيّ، قال: قال سُفْيان بن عُيَيْنة: كلَّمني ابنُ مُناذِر في أن أكلِّم له جَعْفَر بن يحيى، فكلَّمتُه له، وقد كان ابنُ مناذِر تَرَك الشِّعر، فقال: إن أحبَّ أن يَعُود إلى الشِّعر أعطيتُه خمسين ألفاً، وإن أحبَّ أن أُعطِيهُ على القراءة أعطيتُه عشرة آلاف، فذكرتُ ذلك له، فقال لي: خُذْ لي على القِرَاءَة، فإني لا آخذ على الشعر وقد تَركتُه.

أخبرني عمّي عن الكُرَانيّ، عن الرياشيّ، قال: قال العُتبيّ: جاءت قصيدة لا يُدْرَى مَنْ قائِلُها، فقال ابنُ مناذر: [الرمل]

هَـذِه الـدَّهْـمـاءُ تَـجْـرِي فِـيـكُـم   أُرْسِـلَـتْ عَـمْـداً تَـجُـرُّ الـرَّسَـنَـا

قال الكُرانيّ: وحدثني الرّياشيّ قال: سمعت خَلَف بن خليفة يقول: قال لي ابنُ مُناذر: قال لي جعفرُ بن يَحيى: قُلْ فيّ وفي الرّشيد شعراً تَصِف فيه الألفة بيننا فقلت: [الكامل]

قَدْ تُقطَعُ الرَّحِمُ القَرِيبُ وتُكْفَرُ النُّعْمَى ولا كَتَقارُبِ القَلْبَيْنِ

يُـدْنِـي الـهَـوَى هـذا ويُـدْنِـي ذَا الـهَـوَى   فـإذا هُـمـا نَـفْـسٌ تُـرَى نَـفْـسَـيْـنِ

قال مؤلف هذا الكتاب: هذا أخذه من كلام رسول اللهﷺ نَقْلاً؛ فإن ابن عُيَيْنة روى عن إبراهيم بن مَيْسَرَة، عن طاوس، عن ابن عبَّاس: أن النبيﷺ قال: «**إنَّ الرَّحم تُقْطَع، وإن النّعم تُكْفَر، ولن ترَى مثلَ تقاربِ القلوب**».

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدّثنا العباس بن مَيْمُون، قال: حدثنا سُلَيمان الشّاذكونيّ قال: كنا عند سُفْيان بن عُيَيْنَة، فحدَّث عن ابن أبي نُجيح، عن مُجاهد، في قوله عز وجلّ: ﴿**قالوا سَلاماً**﴾[1] قالوا سَدَاداً، قال: فقال ابنُ مُناذِر وهو إلى جَنْبي: التنزيلُ أبينُ من التفسير.

أخبرني عمّي، قال: حدثنا الكُرَانيّ، عن أبي حاتم، عن العُتْبِيِّ، عن أبي

(١) سورة الذاريات، الآية ٢٥، وسورة هود، الآية ٦٩.

مَعْبد قال: مرّ بنا أبو حَيَّة النُّميْريّ ونحن عند ابن مُناذِر، فقال لنا: عَلامَ اجتمعتم؟ فقلنا: هذا شاعر المِصْر، فقال له: أنشدني، فأنشده ابنُ مُناذر، فلما فرغ، قال له أبو حَيّة: ألم أقل لك: أنشدني؟ فقالوا له: أنشدنا أنت يا أبا حَيَّة، فأنشدهم قوله:

[الطويل]

أَلا حَيِّ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ المَغانِيا ... لَبِسْنَ البِلَى مِمّا لَبِسْنَ اللّيالِيا
إذا ما تَقَاضَى المَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ... تَقاضاهُ شَيْءٌ لا يَمَلُّ التّقاضِيا

فلما فرغ قال له ابنُ مُناذر: ما أرى في شعرك شيئاً يُسْتَحْسن، فقال له: ما في شِعْري شيءٌ يُعاب إلا استماعَك إياه، فكادا أن يَتَوَاثبا، ثم افترقا.

أخبرني عمِّي، قال: حدّثني الكُرَانيّ، عن ابن عائشة قال: وَلِيَ خالدُ بن طَلِيق القَضاءَ بالبصرة، وعيسى بنُ سُليمان الإمارةَ بها، فقال محمد بنُ مناذر يهجوهما بقوله: [السريع]

الحَمْدُ لله على ما أَرَى ... خالِدُ القاضِي وعِيسَى أَمِيرُ
لٰكِنَّ عِيسَى نَوْكُهُ ساعَةٌ ... وَنَوكُ هٰذا مَنْجَنُونٌ يَدُورُ[1]

وقال في شِيرَوَيْه الزِّيادِيّ ـ وشيروَيه لقب، واسمه أحمد، وسأله حاجَةً، فأبى أن يقضيها إلاّ على أن يمدحَه ـ: [الخفيف]

يا سَمِيَّ النَّبِيِّ بالعَرَبِيَّهْ ... وسَمِيَّ اللُّيوثِ بالفارِسيَّهْ
إن غَضِبْنَا فَأَنْتَ عَبْدُ ثَقِيفٍ ... أو رَضِينا فَأَنْتَ عَبْدُ أُمَيَّهْ

فغضب شيرويه وجعل يَشتُمه، وشاع الشِّعرُ بالبصرة، فكان بعد ذلك إذا قيل لِشِيرَوَيْه: ابن مُناذر عليك غضبان أو عنك راضٍ، يَشتُم مَنْ يقول له ذلك.

أخبرني الحَسَنُ بنُ القاسم الكَوكَبيّ قال: حدثنا ابنُ أبي الدُّنيا قال: سمعتُ محمد بن قُدامة الجَوْهَريّ يقول: سمعتُ سُفيان بنَ عُيَيْنَة يقول لمحمد بن مُناذِر: كأنك بي قد مِتُّ فرَثَيْتَنِي، فلما مات، قال ابنُ مناذر يرثيه: [السريع]

إنَّ الذي غُودِر بالمُنْحَنَى ... هَدّ مِنَ الإسْلامِ أَرْكانا
راحُوا بِسُفْيانَ على نَعْشِهِ ... والعِلْمِ مَكْسُوَّيْنِ أكفانا
لا يُبْعِدَنْك الله مِنْ هالِكٍ ... وَرَّثْتَنا عِلْماً وأَحْزانا

---

(١) النوك: الحمق. والمنجنون: ما يستقى عليه.

أخبرنا عَمِّي، قال: حدثنا عَبدُ اللّه بنُ أبي سعد، قال: حدَّثنا عبدُ اللّه بنُ مروان بن معاوية الفَزاريّ، قال: حدَّثنا سُفيان قال: سمعتُ أعرابيةً تَقولُ: مَنْ يشتري مني الحزَاة؟ فقلتُ لها: وما الحَزَاة؟ قالت: تشتَرِيها النِّساءُ للطَّشَّة والخَافِية والإقلات. قال عبد اللّه بنُ مروان: فسألتُ ابنَ مُناذر عن تَفْسير ذلك، فقال: الطَّشَّة: وجع يصِيب الصِّبيانَ في رؤوسهم كالزُّكام. والخافِية: ما خَفِي من العِلل المَنسوبة إلى أذَى الجن. والإقلاتُ: قِلّة الوَلَد. وأنشدني ابنُ مُناذِر بعَقِب ذلك:

[الوافر]

بُغاثُ الطَّيْرِ أكْثَرُها فِراخاً وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاَتٌ نَزُورُ

أي قلِيلَة الفِراخ.

أخبرني محمَّد بنُ الحَسَن بن دُرَيْد، قال: حدَّثني أبُو حاتِم، قال: سمعتُ محمّدَ بن مُناذِر يقول: العَذراءُ: البَتولُ، والبَتُورُ والبَتِيلُ واحد، وهي المُنْقَطِعة إلى رَبّها.

قال: وسأله ـ يعني ابن مناذر ـ أبو هُرَيرة الصَّيْرفيّ بحَضْرتي فقال: كيف تَقول: أمّا لا أو إمّا لا؟ فقال لهُ مستهْزِئاً به: أمّا لا[1]، ثم التفت إليّ فقال أسمعتَ أعجبَ من هذه المَسألة!

أخبرني الحَسن بن عليّ، قال: حدَّثني ابن مَهْرويه قال: حَدَّثني العَبَّاسُ بنُ الفضل الرّبعيّ قال: حدَّثنا التَّوَّزيُّ قال: سألتُ أبا عُبَيْدةَ عن اليَوْم الثاني من النّحْر: ما كانت العرب تُسَمِّيه؟ قال: ليس عِنْدي من ذلك علم. فلقِيتُ ابن مناذر بمَكة، فأخبرتُه بذلِك، فعَجِب وقال: أيسقُط هذا عن مِثْل أبي عُبَيْدة! هي أربعةُ أيّام متواليات كلّها على الرّاء: أولُها يوم النّحْر، والثّاني يوم القَرّ، والثّالثُ يوم النّفْر، والرّابع يوم الصدر. فحدَّثْتُه ـ يعني أبا عُبيدة ـ فكتَبَه عن ابن مُناذر. وقد روى ابنُ مناذر الحديثَ المسند، ونَقَله عنه المُحدِّثون.

[بعض من رواياته]

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثنا الكُرَانيّ، قال: حَدَّثنا الخَليل بن أسد، عن محمد بن مسعدة الدّارع أبي الجَهْجاه، قال: حدثّني مُحمَّد بن مناذر الشّاعر، قال:

(١) والصواب العكس.

حدثّني سُفيان الثّوري، عن الأغرّ، عن وَهْب بن مُنَبِّه، قال: كان يقال: الحياءُ من الإيمان، والمِذَى ـ مكسور الميم مقصور ـ من النِّفاق، فقلت: إنّ الناس يقولون: المذاء، فقال: هو كما أخبرتك، فقلت له: وما المِذى؟ قال: اللِّينُ في أمر النساء، ومنه دِرْعٌ ماذيّ، وعَسَلٌ ماذيّ.

أخبرني الحَسنُ بن عليّ، قال: حدثنا ابنُ مَهْرويه قال: حدّثني إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، قال: حدثني حامد بن يحيى البلخيّ قال: حدثني محمد بن مناذر الشاعر، قال: حدَّثني يحيى بن عبد الله بن مُجالد، عن الشّعبيّ، عن مَسروق، عن عبد الله، قال: لَمَّا نظَر رسول اللهﷺ يوم بدر إلى القَتْلَى وهم مُصرَّعُون، قال لأبي بكر: «**لو أنَّ أبا طالب حَيٌّ لعلم أنّ أسيافَنا قد أخذت بالأماثل**»[1]، يعني قولَ أبي طالب: [الطويل]

كَـذَبْـتُـم وبَـيْـتِ الله إن جَـدَّ مـا أرَى لـتَـلْـتَـبِـسَـنْ أَسْـيـافُـنـا بـالأمـاثِـلِ

أخبرني محمد بن خَلَف قال: حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ، قال: حدثنا ابن مناذر، قال: حدّثنا سُفيان بن عُيَينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قَيْس بن أبي حازم، قال: قال عليٌّ عليه السلام: «ما قام بي من النِّساء إلا الحارقة أسماء». قال ابن مناذر: الحارقَة: التي تُجامَع على جنْب.

أخبرني مُحمّد بن عمْران الصَّيْرفيّ قال: حدّثنا الحَسن بن عُلَيْل العَنَزيّ، عن العباس بن عبد الواحد، عن محمد بن عمرو، عن محمد بن مناذر، عن سُفيان بن عُيَينة، عن عَمْرو بن دينار، عن طاوس، عن أبي هريرة، قال: جاء الشيطانُ إلى عيسى، قال: ألستَ تزعمُ أنك صادق؟ قال: بلى، قال: فأوفِ على هذه الشَّاهقَة، فألقِ نفسَك منها، فقال: ويلك، ألم يَقُل الله: يابن آدم، لا تَبلُنِي بهلاكِك، فإنّي أفعلُ ما أشاء.

أخبرني عيسى بن الحسَيْن الوَرّاق، عن حَمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: نظر محمد بن مناذر إلى غُلام حسَنِ الوجه في مسجد البصرة، فكتب إليه بهذه الأبيات: [السريع]

وَجَـدْتُ فـي الآثـارِ فـي بَـعْـضِ مـا حَـدَّثَـنـا الأشـيـاخُ فـي الـمُـسْـنَـدِ

---

(١) ترجمته في المعجم الكبير للطبري ١٠/١٩٦.

مِـمّـا رَوَى الأَعْـمَـشُ عَـنْ جـابِـرِ ... وعـامِـرِ الـشَّـعْـبـيِّ والأَسْـوَدِ
ومـا رَوَى شُـعْـبـةُ عَـنْ عـاصِـمٍ ... وقـالَـهُ حَـمّـادُ عَـنْ فَـرْقَـدِ
وَصِـيَّـةٌ جـاءَتْ إلـى كُـلِّ ذي ... خَـدٍّ خَـلا مِـنْ شَـعَـرٍ أَسْـوَدِ
أَنْ يـقْـبَـلُـوا الـرّاغِـبَ فـي وَصْـلِـهـم ... فَـاقْـبَـلْ فـإنِّـي فِـيـكَ لَـمْ أَزْهَـدِ
نَـوِّلْ فَـكَـمْ مِـنْ جَـمْـرةٍ ضَـمَّـهـا ... قَـلْـبِـيَ مِـنْ حُـبِّـيـكَ لَـمْ تـبْـرُدِ

فلمّا قرأها الفَتى ضَحِك، وقلَب الرُّقْعة، وكتب في ظهْرها: لستُ شاعراً فأُجيبك، ولا فاتِكاً فأُساعِدك، وأنا أعوذُ بالله رَبّك من شَرِّك.

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصّيْرفيّ، قال: حدّثنا الحَسَنُ بنُ عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدّثنا محمد بن عبد اللّه العَبْديّ، قال: حدّثنا عليّ بن المبارك الأحمر، قال: لَقِيَ أبو العَتاهِيةَ ابنَ مناذر بمَكَّة، فجعل يُمازِحُه ويُضاحِكه، ثم دَخَلَ على الرَّشِيد، فقال: يا أميرَ المُؤمنين، هذا ابن مُناذر شاعِرُ البَصْرة يقول قَصِيدة في سنَة، وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة! فقال الرشيد: أدخِلْه إليّ، فأدخلَه إليه وقَدَّرَ أنَّه يَضَعُه عنده، فدخَل فسَلَّم ودعا، فقال: ما هذا الذي يَحْكِيه عنك أَبُو العَتاهيَة؟ فقال ابنُ مُناذر: وما ذاكَ يا أميرَ المُؤمنين؟ قال: زعم أنك تَقولُ قَصِيدةً في سنَة، وأنَّه يقول كَذا وكَذَا قَصِيدة في السَّنَة، فقال: يا أمير المؤمنين، لو كنت أقول كما يَقُول:

[الهزج]

ألا يـا عُـتْـبَـةُ الـسَّـاعَـهْ ... أمُـوتُ الـسَّـاعَـةَ الـسَّـاعَـهْ

لقلتُ منه كثيراً، ولَكِنّي الذِي أَقول: [الخفيف]

إنَّ عَـبْـدَ الـمَـجِـيـدِ يَـوْمَ تَـوَلَّـى ... هَـدَّ رُكْـنـاً مـا كـانَ بـالـمَـهْـدُودِ
مـا دَرَى نَـعْـشُـه ولا حـامِـلُـوهُ ... مـا عَلَـى النَّـعْشِ مِنْ عَـفـافٍ وجُـودِ

فقال له الرشيد: هاتِها فأنشِدْنيها، فأنشدَه، فقال الرشيد: ما كان يَنْبَغِي أن تكون هذه القَصِيدة إلاَّ في خَلِيفة أو وليّ عَهْد، ما لها عَيْبٌ إلاَّ أنَّكَ قُلتها في سُوقَة وأمر له بعشرة آلاف دِرْهم، فكاد أبو العَتاهِية يموت غَمّاً وأَسفاً.

أخبرني الحَسَن بن عليّ، قال: حدَّثنا ابنُ مهرويه، قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال: سألتُ يَحْيَى بن معين، عن مُحَمَّد بن مُناذر الشاعر، فقال: لم يكن بِثِقَةٍ ولا مَأْمون، رَجُلِ سَوْءٍ نُفِي من البَصْرة، ووصَفَه بالمجُون والخَلاعة، فقلت:

إنما تَكتُب شِعْرَه وحِكاياتٍ عن الخَلِيل بن أَحْمدَ، فقال: هذا نَعَم. وأما الحَديثُ فَلستُ أَراهُ مَوْضِعاً له.

[خبر وفاته]

أخبرني الحَسَن، قال: حدَّثني ابن مَهْرُويه: قال: حدثني عليُّ بن محمد النَّوْفليّ قال: رأيتُ ابنَ مُناذر في الحَجّ سنةَ ثمانٍ وتسعين ومائة، قد كُفَّ بَصرُه، تَقودُه جُويْرية حُرَّة، وهو واقف يشتري ماء قِرْبة، فرأيته وَسِخ الثَّوْب والبَدَن، فلما صِرْنا إلى البصرة أتَتْنا وفاتُه في تلك الأَيَّام.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا خلاّد الأَرقَط قال: تذاكرنا ابنَ مناذِر في حَلْقة يُونُس، فقدح فيه أكثرُ أهل الحَلْقة، حتى نسبوه إلى الزَّنْدَقة، فلما صِرْت في السَّقيفة التي في مُقَدَّم المَسْجِدِ سَمِعْتُ قراءة قريبة من حائِط القِبْلة، فدنوتُ فإذا ابنُ مُناذِر قائِمٌ يُصَلّي، فرجعت إلى الحَلْقة، فقلتُ لأهلها: قُلتُم في الرجل ما قُلتم، وها هُو ذا قائِمٌ يُصَلِّي حيث لا يَراهُ إلا الله عزَّ وجل.

أخبرني مُحمَّد بن جَعْفَر الصَّيدلانِيّ النَّحْويّ قال: حدثنا أحمدُ بنُ القاسم البَرْقِيّ، قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ يعقوب، قال: حدّثني أحمدُ بنُ يَحْيَى الهُذَلِيّ التَّمّارُ، عن عبد اللّه بن عَبد الصَّمَد الضَّبِّيّ قال: كُنَّا يوماً جلوساً في حَلْقة هُبَيْرَة بنِ جَرير الضَّبِّيّ إذ أقبل مُحَمَّدُ بن مناذِر في بُرْد قد كَسته إيّاه بانَةُ بِنْت أبي العاصِي، فسلَّم عليَّ وَحْدي، ولم يعرف منهم أحَداً، ثم قام فجلَس إلى أبي خَيْرَة، فخاطبه مُخاطبةً خَفيفة، وقام مُغْضَباً، فقال لي هُبَيْرَة: مَنْ هَذَا؟ فقلتُ: محمَّدُ بنُ مُناذِر فقال: إنا لِلَّهِ قُومُوا بنا، فقام إلى أبي خَيْرة، فقال له: ماذا قال لك ابنُ مُناذر؟ قال: سألني عن شيء وكنت مَشْغولاً عنه فقال: يا أبا خَيْرة إن العَشائر تَغْبِطُنا لِعِلْمِك، وما جعل اللّهُ عندك، فَنَشَدْناك اللّهَ أن تكون لنا، كما كان عَرَادَةُ لبني نُمَير، فإنه تعرَّض لِجَرير فهَجاه فَعَمَّهُمْ فقال: [الوافر]

عَـــرادَةُ مِـــنْ بَـــقـــيَّـــةِ قَـــوْمِ لُـــوطٍ ... ألاَ تَـــبًّـــا لِـــمَـــا فَـــعَـــلـــوا تَـــبـــابـــا

فقال: أتدْرِي مَنْ كان عندك آنفاً؟ قال: لا، قال: ابنُ مناذر، وما تَعرَّض لأعراض قَوْمٍ قطّ إلا هَتكَها وهَتَكهم، فإذا جاءك يسألُك عن شَيْءٍ فأجِبْه، ولا تَعْتَلّ عليه بالبول، ولا تطلب منه شَيْئاً، وكُلّ ما أردْت من جهَته ففي مالِي، قال: أفعَلُ. قال: وكان أَبُو خَيْرة إذا سأَلَه إنسان عن شيء ولم يُعطه شيئاً يَعْتَلّ عليه بالبَوْل. فما

شعرنا من غد إلا بابْن مُناذِر وقد أقبل، فعَلِمنا أنه قَصدَ أَبَا خَيْرة، فأتيْناه، فلما رأى جمعَنا استَحيا مِنّا، وسلَّم علينا وَتَبَسَّم، ثم قال: يا أبا خَيْرة: قد قُلتُ شِعراً، وقبيحٌ بِمثلي أن يُسأل عنه فلا يَدْرِي ما فيه، وإنّي ذَكرتُ فيه إنساناً فشَبَّهتُه بالأَقّار، فأيّ شيء هو؟ فاحمَرَّ وَجهُ أبِي خَيْرة واضْطَرب، وقال: هو التَّيْسُ الوَثّاب الذي يَنْزو وقضِيبُه رِخْو فلا يَصل، فقال: جُزيتَ خيراً، ووثب وهو يضحك، فقُمْنا إليه وقلنا: قد علِمنا أنَّك عَنَيْتَ هذا الشيخ، فإن رأيت أن تَهَبَه لنا فافْعَل؛ فإِنَّه شيخُنا، قال: والله ما عَنيتُ غيرَه، وقد وَهَبْتُه لكم حُبّاً وكرامَةً، والله لا يسمع مني أحَدٌ ما قُلتُ فيه، ولا أذكره إلا بخَيْر أبداً، وإن كان قد أساء العِشْرة أمس.

صوت

[البسيط]

لا زِلْتَ تَنْشُرُ أَعْياداً وتَطْوِيها ... تَمْضِي بها لَكَ أَيّامٌ وتُمْضِيها
ولا تَقضَّتْ بِكَ الدُّنْيا ولا بَرِحَتْ ... تَطوِي لَكَ الدَّهْرَ أَيّاماً وتُفْنِيها

الشعر لأَشْجَع السُّلَميّ، والغناء لإِبْراهيم المَوْصِليّ ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر، وفيه لمحمد قريض لحن من الثقيل الأول، وهو من مشهور غنائه ومختاره.

نسب أشجع وأخباره

[توفي نحو ١٩٥ هـ/ نحو ٨١١ م]

[نسبه ونشأته]

أخبرَني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ والحَسنَ بن عليّ قالا: حدثنا الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ، قال: حدثني عليّ بن الفَضْل السّلميّ، قال: كان أشجَعُ بن عَمْرو السلميّ يُكنى أبا الوليد من ولد الشَّرِيد بن مطْرود السلميّ، تزوج أبوه امرأة من أهْل اليمَامة، فشَخَص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشْجَع، ونشأ باليَمامة. ثم مات أبوه، فقدِمت به أُمُّه البَصْرَة تطلب ميراث أبيه، وكان له هُناكَ مال فماتَت بها، ورُبِّي أشْجَع ونَشأ بالبَصْرة، فكان مَنْ لا يَعرفه يَدْفع نسبَه، ثم كَبِر وقال الشِّعر وأجاد وعُدّ في الفحول، وكان الشِّعر يومئذ في رَبِيعةَ واليَمَنِ، ولم يكن لقَيْس شاعر مَعْدود، فلما نَجَم أشْجعُ وقال الشّعر، افتخَرت به قَيْس وأثبتَت نسبه، وكان له أخوان: أحمدُ وحُرَيْث ابنا عمرو، وكان أحمدُ شاعراً ولم يكن يُقارب أشْجَع، ولم يكن لحُرَيْث شِعْر، ثم خَرَج أشجَع إلى الرَّقَّة والرَّشيد بها، فنزل على بني سُلَيم فتقبَّلوه وأكرمُوه، ومدح البرامكة وانقطع إلى جَعْفر خاصَّة وأصفاه مَدْحه، فأُعجِب به ووصله إلى الرشيد، ومدَحه فأُعجِب به أيضاً، فأثْرى وَحسُنَت حالُه في أيَّامه وتَقدَّم عنده.

[بينه وبين الرشيد]

أخبرني مُحمد بن عِمْران، قال: حدَّثني العَنَزِيّ، قال: حدَّثني صَخْر بن أسد السُّلمي قال: حدَّثني أبي أسَدُ بنُ جَديلة قال: حدَّثني أشجَعُ السُّلَميّ قال: شخَصت

من البَصْرة إلى الرَّقّة، فوجدت الرَّشيد غازياً، ونالَتْني خَلَّة[١]، فخرجت حتى لَقِيتُه مُنصرِفاً من الغَزو، وكنت قد اتَّصَلْت ببَعض أهل داره، فصاح صائحٌ ببابه: مَنْ كان ها هنا من الشعراء فلْيحضر يوم الخميس، فحضَرنا سَبْعة وأنا ثَامِنُهم، وأُمرنا بالبُكور في يوم الجمعة، فبكَّرنا وأُدخلْنا، وقُدِّم واحدٌ منا يُنشِدُ على الأسنان، وكُنتُ أحدثَ القوم سنًّا، وأرثَّهم حالاً، فما بُلِغ إليَّ حتى كادت الصلاة أن تَجِب، فقُدِّمت والرَّشيد على كُرْسيّ، وأصحابُ الأعمِدَة بين يديه سِماطان[٢]، فقال لي: أنشدني، فخِفْت أن أبتدىء من أوَّل قصيدتي بالتَّشْبيب فتَجب الصلاة ويفوتُني ما أردْت فتركتُ التَّشْبيب وأنشدتُه من موْضع المَديح في قصيدتي التي أوّلها: [الطويل]

تَـذَكَّـرَ عَـهْـدَ الـبِـيضِ وَهْـوَ لـهـا تِـرْبُ ... وأيَّـام يُـصْـبـي الـغَـانِـيـاتِ ولا يَـصْـبُـو

فابتدأتُ قولي في المديح:

إلـى مَـلِـكٍ يَـسْـتَـغْـرِقُ الـمـالَ جُـودُهُ ... مـكـارِمُـهُ نَـثْـرٌ ومَـعْـروفُـهُ سَـكْـبُ
ومـا زالَ هـارونُ الـرِّضـا بـنُ مُـحـمَّـدٍ ... لَـهُ مِـنْ مِـياهِ الـنَّصْر مَشْرَبُها الـعَذْبُ
مَـتَـى تَـبـلُـغ الـعِـيسُ الـمَراسيلُ بـابَـه ... بـنـا فـهـنـاك الـرَّحْبُ والـمَـنْـزِلُ الـرَّحْبُ
لَـقَـدْ جُـمِـعَـتْ فِـيكَ الـظُّنونُ وَلَـمْ يَـكُـنْ ... بِـغَـيْـرِكَ ظَـنٌّ يَـسْـتَـرِيـحُ لَـهُ الـقَـلْـبُ
جَـمَـعْـتَ ذَوِي الأَهْـواءِ حَـتَّـى كـأَنَّـهُـم ... عـلـى مَـنْـهَـجٍ بَـعْـدَ افْـتِـراقِـهِـم رَكْـبُ
بَـثَـثْـتَ عـلـى الأعْـداءِ أبْـنـاءَ دُرْبَـةٍ ... فَـلَـمْ يَـقِـهِـم مِـنْـهُـم حُـصـونٌ ولا دَرْبُ
ومـا زِلْـتَ تَـرْمِـيـهـم بـهـم مُـتَـفَـرِّداً ... أنِـيسَـاك حَـزْمُ الـرَّأيِ والـصَّـارِمُ الـعَـضْـبُ
جَـهَـدْتُ فَـلَـمْ أَبْـلُـغْ عُـلاكَ بِـمِـدْحَـةٍ ... وَلَـيْـسَ عـلـى مَـنْ كـانَ مُـجْـتَـهِـداً عَـتْـبُ

فضحِك الرَّشيد وقال لي: خِفْتَ أن يفوتَ وقْتُ الصلاة فينْقطِع المديح عليك، فبدأتَ به وتركت التّشبيبَ، وأمرني بأن أُنشدَه التَّشْبيبَ فأنشدتُه إيّاه، فأمر لكُلِّ واحد من الشُّعراء بعَشرةِ آلاف دِرهم وأمر لي بِضِعْفها.

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر المهلبيّ، قال: حدَّثنا عُمَرُ بن شبَّة، قال: حدَّثني أحمدُ بن سَيّار الجُرْجانيّ وكان راوية شاعراً مَدَّاحاً ليَزيدَ بنِ مَزْيد، قال: دخلْتُ أنا وأشْجَع والتَّيْمِيّ وابن رَزِين الخراسانيّ على الرشيد في قصر له بالرقّة، وكان قد ضَرَب أعناقَ قوم في تلك الساعة، فجَعَلْنا نَتخلَّل الدِّماءَ حتى وصلنا إليه، فأنشدَه

(١) الخلَّة: الفقر والحاجة.
(٢) سماط القوم: صفّهم.

أبو مُحمد التَّيْميّ قصيدة له يذكر فيها نِقْفُور ووقعته ببلاد الرّوم، فنَثَر عليه مثلَ الدّرّ من جَوْدة شعره، وأنشدَه أشْجَع قوله: [الكامل]

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وسَلامُ ... أَلْقَتْ عَلَيْهِ جَمالَها الأيّامُ
قَصُرتْ سُقوفُ المُزْنِ دُونَ سُقُوفِه ... فِيهِ لأعلامِ الهُدَى أعْلامُ
تُثْنِي على أيّامِكَ الأيّامُ ... والشّاهِدانِ الحِلُّ والإِحْرامُ
أَدْنَتْكَ مِنْ ظِلِّ النَّبِيِّ وَصِيَّةٌ ... وَقَرابةٌ وشَجَتْ بها الأَرْحامُ
بَرَقَتْ سَماؤكَ في العدو وَأَمْطَرَتْ ... هاماً لَها ظِلُّ السُّيوفِ غَمامُ
وإذا سُيوفُكَ صافَحَتْ هامَ العِدَى ... طارَتْ لَهُنَّ عَنِ الرُّؤوسِ الهامُ(١)
وعلى عَدُوِّك يابْن عَمِّ مُحمَّدٍ ... رَصَدانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالإِظْلامُ
فإذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وإذا غَفَا ... سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفَكَ الأحْلامُ

وأنشدتُه أنا قَوْلي:

زَمَنٌ بأعْلى الرَّقْمَتَيْن(٢) قَصِير

حتى انتهَيْت إلى قَوْلي: [الكامل]

لا تَبْعَدِ الأَيّامُ إذ وَرَقُ الصِّبا ... خَضِلٌ وإذ غَضُّ الشَّبابِ نَضِيرُ

فاستحسَن هذا البيْت، ومضيْتُ في القَصيدة حتى أتممتها، فوجَّه إليَّ الفضلُ بن الربيع: أنفِذ إليَّ قصيدَتك، فإني أُريد أن أُنشِدَها الجواري من استِحْسانه إيّاها.

قال: وركب الرشيد يوماً قُبّةً وسعيدُ بنُ سالم معه في القُبّة، فقال: أين محمد البَيْذَق؟ وكان رجلاً حسن الصَّوْت يُنشد الشعرَ فيُطرِب بحُسن صوته أشدَّ من إطْراب الغناء، فحضر، فقال: أنشدْني قصيدةَ الجُرْجانيّ، فأنشدَه، فقال: الشِّعرُ في ربيعةَ سائر اليوم، فقال له سعيدُ بنُ سالم: يا أميرَ المُؤْمنين، اسْتَنْشِده قصيدةَ أَشْجَع بن عمرو، فأبى، فلم يزل به حتى أجاب إلى استماعِها، فلما أنشدَه هذيْن البيتين:

وعلى عَدوِّكَ يابْنَ عَمِّ مُحمَّد

(١) الهام: الرؤوس.
(٢) الرقمتان: اسم لعدة مواضع. انظر (معجم البلدان ٣/٥٨).

والذي بعده، قال له سعيدُ بنُ سالم: والله يا أميرَ المُؤمِنين، لو خَرِس بعد هذين لكان أشعرَ الناس.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف، قال: حدَّثني مُحمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدَّثني أبي، قال: بَلَغني أنَّ أشْجع لمّا أنشد الرَّشيد هذين البيْتين:

وعــلــى عَــدوِّك يــابْــنَ عَــمِّ مُــحــمَّــد

والذي بعده، طَرِب الرشيد، وكان مُتَّكِئاً فاستوى جالساً، وقال: أحسن والله، هكذا تُمدح الملوك.

أخبرني أحمدُ بنُ إسحاق العَسكريّ، والحسنُ بنُ عليّ، قالا: حدثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهِليّ، عن أبيه، قال: كنتُ عند الرَّشيد، فدخَل إليه أشْجع، ومنصورٌ النَّمريّ[1]، فأنشده أشجَع قولَه: [الكامل]

وعـلـى عَـدُوِّك يـابـنَ عَـمِّ مُـحَـمَّـدٍ رَصـدَانِ ضَـوْءُ الـصُّـبْـح والإِظْـلامُ
فـإذا تَـنَـبَّـهَ رُعْـتَـهُ وإذا غَـفـا سَـلَّـتْ عَـلَـيْـهِ سُـيوفَـكَ الأَحْـلامُ

فاستَحْسن ذلك الرَّشيد، وأومأتُ إلى أشجَع أن يَقْطع الشعر، وعلمت أنَّه لا يأتي بِمِثْلِهما، فلم يَفْعل، ولمّا أنشدَه ما بعدَهما فتَر الرَّشيد وضَرَب بمِخْصرة[2] كانت بيده الأرضَ، واستَنْشد منْصوراً النَّمريّ، فأنشده قولَه: [البسيط]

مـا تَـنْـقَـضـي حَـسْـرَةٌ مِـنِّـي ولا جَـزَعُ إذا ذَكَـرْتُ شَـبـابـاً لَـيْـسَ يُـرْتَـجَـعُ

فمرّ والله في قصيدة قَلَّ ما تقولُ العرب مثلها، فجعل الرشيد يضرِب بمِخْصَرَته الأرض ويقول: الشِّعر في ربيعة سائر اليوم. فلما خرجنا قلت لأشجع: غَمزْتُك أن تقْطَع فلم تفعل، ويلك! ولم تأتِ بشيء، فهلاَّ مِتَّ بعد البَيْتَين أو خَرِسْت، فكنتَ تكون أشعرَ الناس.

[أخباره مع البرامكة]

أخبرني حَبِيب بنُ نَصْر المهلّبيّ، قال: حدَّثنا هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك

(١) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمري، أبو القاسم. شاعر (توفي سنة ١٩٠ هـ) وترجمته في: (جمهرة الأنساب ٢٨٤).
(٢) المخصرة: شيء كالسوط يأخذه الملك بيده ليشير به إذا خاطب.

الزّيّات قال: حدَّثني مُوسى بن عيسى، قال: اشترى جَعْفَر بنُ يَحيى المِرْغاب[١] من آل الرشيد بعِشْرين ألْف ألْف دِرْهم، وردَّه على أصحابه، فقال أشْجَعُ السّلميّ يَمْدَحُه بذلك ويقول: [الكامل]

رَدَّ السَّباخَ نَدَى يَدَيْه وَأَهْلُها مِنْها بِمَنْزِلَةِ السِّماكِ الأَعْزَلِ
قَدْ أَيْقَنُوا بِذَهابِها وهلاكِهم والدَّهْرُ يُوعِدُهم بِيَوْم أعْضَلِ
فَافْتَكَّها لَهُم وَهُمْ مِنْ دَهْرِهِم بَيْنَ الجِرانِ وَبَيْنَ حَدِّ الكَلْكَلِ[٢]
ما كانَ يُرْجَى غَيْرُهُ لِفَكاكِها يُرْجَى الكَريمُ لِكُلِّ خَطْبٍ مُعْضِلِ

أخبرني الحَسَن بن عليّ الخفّاف قال: حدثني أحمد بن محمد حرّان، عن قدامة بن نوح، قال: جلس جَعْفَرُ بنُ يَحْيى بالصالِحِيَّة[٣] يشرب على مُستَشرفٍ له، فجاءه أعرابيٌّ من بني هلال، فاشْتَكَى واستَماح بكلام فَصيح ولَفظ مثله يَعْطف المسؤول، فقال له جَعْفَر بن يَحْيى: أتقولُ الشعرَ يا هِلاَليّ؟ فقال: قد كنت أقولُه وأنا حَدَث أتمَلَّح[٤] به، ثم تَركتُه لمّا صِرتُ شيخاً، قال: فأنشِدْنا لشاعركم حُمَيْد بن ثَوْر، فأنشدَه قوله: [الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ بجانِبِ الحُمْسِ كَمَحَطِّ ذي الحاجاتِ بالنَّفْسِ

حتى أتى على آخِرِها، فاندفع أشجَعُ، فأنشدَه مديحاً له فيه قاله لوقْتِه على وزنها وقافيتها، فقال: [الكامل]

ذَهَبَتْ مَكارِمُ جَعْفَرٍ وفِعالُهُ في النَّاسِ مِثْلَ مذاهِبِ الشَّمْسِ
مَلِكٌ تَسوسُ له المَعَالِي نَفْسُهُ والعَقْلُ خَيْرُ سِياسَةِ النَّفْسِ
فإذا تَراءَتْهُ المُلوكُ تَراجَعُوا جَهْرَ الكلام بِمَنْطِقٍ هَمْسِ
سادَ البرامِكَ جَعْفرٌ وهم الأُلى بَعْدَ الخلائِفِ سادَةُ الإِنْسِ
ما ضَرَّ مَنْ قَصَدَ ابنَ يَحْيَى راغِباً بالسَّعْدِ حَلَّ به أَمِ النَّحْسِ

فقال له جَعْفر: صِفْ موضعنا هذا، فقال: [الوافر]

قُصُورُ الصَّالِحِيَّةِ كالعَذارَى لَبِسْنَ ثِيابَهُنَّ لِيَوْمِ عُرْسِ

---

(١) المرغاب: ضيعة.
(٢) الجِرَان: جمع جُرُن وأَجْرِنة وهو من البعير: مقدَّم عُنقه. والكَلْكَل: الصَّدر.
(٣) الصالحية: محلّة ببغداد (انظر معجم البلدان ٣/ ٣٨٩).
(٤) أتملح به: أمزح به.

مُطلاّتٌ على بَطْنٍ كَسَتْهُ ... أيادي الماءِ وَشْياً نَسْجَ غَرْسِ
إذا ما الطَّلُّ أَثَّرَ في ثَراهُ ... تَنَفَّس نَوْرُهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسِ
فتَغْبِقُهُ السَّماءُ بِصبْغِ وَرْسٍ ... وتَصْبَحُهُ بِأَكْؤُسِ عَيْنِ شَمْسِ

فقال جَعْفر للأعرابي: كيف تَرَى صاحِبَنَا يا هلالِيّ؟ فقال: أرى خاطِرَه طوعَ لسانه، وبيانَ الناسِ تَحْت بيانِه، وقد جعلتُ له ما تَصِلُني به، قال: بل نُقِرُّك يا أعرابيّ ونُرْضيه، وأمر للأعرابيِّ بمائةِ دينار ولأشْجَع بِمائَتَيْن.

أخبرني عَمِّي قال: حدَّثنا عبدُ اللَّه بنُ أبي سَعْد، قال: حَدَّثني أبو دعامة، قال: حَدَّثني أشجَعُ السُّلميّ، قال: كنتُ ذاتَ يَوْم في مَجْلسٍ بعض إخواني أتحدَّث وأُنشد، إذ دَخَل عليهم أنَسُ بن أبي شَيْخ النَّصْريّ صاحبُ جَعفَر بن يَحيى، فقام له جميعُ القَوم غيري، ولم أعرفه فأقوم له، فنظر إليَّ وقال: مَن هذا الرَّجل؟ قالوا: أشجع السُّلميّ الشّاعر، قال: أنشدْني بعض قولك، فأنشدْتُه. فقال: إنّك لشاعر، فما يَمْنَعُك من جَعْفَر بن يحيى؟ فقلت: ومَنْ لي بجعْفَر بنِ يحيى؟ فقال: أنا، فَقُل أبياتاً ولا تُطِلْ فإنه يَمَلُّ الإطالة، فقلت: لستُ بصاحبِ إطالة، فقلت أبياتاً على نَحْو ما رَسَم لي، وصِرت إلى أنس فقال: تقدَّمني إلى الباب، فتقدَّمت، فلم يَلْبث أن جاء فدَخَل، وخرج أبو رُمح الهمذانيّ حاجب جعفر بن يحيى، فقال: أشجع. فقمتُ، فقال: ادخل، فدخَلْت، فاستَنْشَدَني فأنشدتُه أقول: [الكامل]

وتَرَى المُلوكَ إذا رَأَيْتَهُمُ ... كُلَّ بَعِيدِ الصَّوْتِ والجَرْسِ
فإذا بَدَا لَهُم ابنُ يَحْيى جَعْفَرٌ ... رَجَعوا الكَلامَ بِمَنْطِقٍ هَمْسِ
ذَهَبَتْ مكارِمُ جَعْفَرٍ وفِعالُهُ ... في النَّاس مِثْلَ مذاهِبِ الشَّمْسِ

قال: فأمر له بعشرة آلاف دِرْهم، قال: وكان أشْجَعُ يُحِبُّ الثِّياب، وكان يكْتَرِي الخِلعَة كل يوم بدرهمين، فيلبَسُها أياماً، ثم يَكْتَري غيرها، فيفعل بها مثلَ ذلك، قال: فابتعْتُ أثواباً كثيرة بباب الكَرْخ، فكسوتُ عيالي وعيالَ إخوتي حتى أنفقتها.

ثم لقيتُ المُبارَك مُؤَدِّب الفضل بن يحيى بعد أيام، فقال لي: أنشدني ما قُلته في جعفر، فأنشدته، فقال: ما يَمنعك من الفضل؟ فقلت: ومَنْ لي بالفَضْل؟ فقال: أنا لك به. فأدخلني عليه، فأنشدته: [الطويل]

وما قدَّمَ الفَضلَ بنَ يَحيى مَكانُهُ ... على غَيْرِهِ بَلْ قَدَّمَتْهُ المَكارِمُ

لَـقَـدْ أَرْهَـبَ الأَعْـداءَ حَـتَّـى كَـأَنَّـمـا ... عـلـى كُـلِّ ثَـغْـرٍ بـالـمَـنِـيَّـة قـائِـمُ

فقال لي: كم أعطاك جعفر؟ فقلت: عشرة آلاف درهم، فقال: أعطوه عشرين ألفاً.

أخبرني علي بن صالح، قال: حدَّثني أحمدُ بن أبي فَنَن، قال: حدثني داود بن مُهَلْهِل قال: لما خرج جعفر بن يحيى ليُصْلح أمر الشام، نزل في مَضْرَبه، وأمر بإطعام الناس، فقام أشجَعُ فأنشده قوله: [الكامل]

فـئـتـانِ بَـاغِـيَـةٌ وطـاغِـيَـةٌ ... جـلَّـت أُمـورُهـمـا عَـنِ الـخَـطْـبِ
قَـدْ جـاءَكُـم بِـالـخَـيْـلِ شـازِبَـةً ... يَـنْـقُـلْـنَ نَـحْـوَكُـم رَحَـى الـحَـرْبِ[1]
لَـمْ يَـبْـقَ إلا أن تَـدُورَ بِـكُـم ... قَـدْ قـامَ هـادِيـهـا عـلـى الـقُـطْـبِ

قال: فأمر له بصلة ليست بالسَّنيَّة، وقال له: دائمُ القليلِ، خيرٌ من مُنْقَطع الكثير، فقال له: ونَزْرُه أكثرُ من جزيل غيره، فأمر له بمثلها. قال: وكان يُجْري عليه في كلِّ جُمعة مائةَ دينار مدة مقامه ببابه.

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبَرِّد، قال: حدثني الفَضْل بن محمد اليزيدي، قال: حدثنا إسحاقُ الموصِليُّ قال: دخلت إلى الرَّشيد يوماً، وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيءٍ لم أسمع ابتداءه، وقد علا صوته، فلما رآني مُقبلاً قال لجعفر بن يحيى: أترضى بإسحاق؟ قال جعفر: والله ما في عِلْمه مَطْعَن إن أنصَف، فقال لي: أيّ شيء تَروِي للشعراء المحدثين في الخمر؟ أنشدني من أفْضَلِ ما عنْدَك وأشدِّه تَقدُّماً، فعلمت أنهما كانا يتماريان في تقديم أبي نُواس، فعَدَلْتُ عنه إلى غيره؛ لئلا أُخالِف أحدهما، فقلت: لقد أحسن أشجع في قوله: [الكامل]

وَلَـقَـدْ طَـعَـنْـتُ الـلَّـيْـلَ فـي أَعْـجَـازِهِ ... بـالـكَـأْسِ بَـيْـنَ غَـطـارِفٍ كـالأَنْـجُـمِ[2]
يَـتَـمَـايـلُـونَ عـلـى الـنَّـعِـيـم كـأَنَّـهُـم ... قُـضُـبٌ مِـنَ الـهِـنْـدِيِّ لَـمْ تَـتَـثَـلَّـم
وَسَعَـى بـهـا الـظَّـبْـيُ الـغَـرِيـرُ يَـزِيـدُهـا ... طِـيـبـاً ويَـغْـشِـمُـهـا إذا لَـمْ تَـغْـشِـم[3]
وَالـلَّـيْـلُ مُـنْـتَـقِـبٌ بِـفَـضْـلِ رِدائِـهِ ... قَـدْ كَـادَ يَـحْـسَـرُ عَـنْ أَغَـرَّ أَرْثَـمِ[4]

(١) شازبة: ضامرة.
(٢) الغطارف: السادة الأشراف.
(٣) تغشم: تظلم.
(٤) الأرثم: يريد: الأبيض.

فـإذا أدارَتْـهـا الأَكُـفُّ رَأَيْـتَـهـا تَثْنِي الفَصِيحَ إلى لِسانِ الأعْجَمِ
وعلى بَنانِ مُديرِها عِقْيانَةٌ مِنْ سَكْبِها وعلى فُضولِ المِعْصَمِ
تَغْلِي إذا ما الشِّعْريانِ تَلَظّيا صَيْفاً وتَسْكُنُ في طُلُوعِ المِرْزَمِ[1]
وَلَقَدْ فَضَضْناها بخاتَمِ رَبِّها بِكْراً وَلَيْسَ البِكْرُ مِثْلَ الأَيِّمِ
ولها سُكونٌ في الإناءِ وَخَلْفَها شَغَبٌ يُطَوِّحُ بالكَمِيِّ المُعْلِمِ
تُعطي على الظُّلْمِ الفَتى بِقِيادِها قَسْراً وتَظْلِمُهُ إذا لَمْ يَظْلِمِ

فقال لي الرَّشيد: قد عَرفتُ تَعَصُّبك على أبي نُواس، وإنك عَدلت عنه متعمداً، ولقد أحسن أشجَع، ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبي نُواس: [المديد]

يا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمِ نِمْتَ عَنْ لَيْلي وَلَمْ أَنَمِ

فقلت له: ما علمتُ ما كنتَ فيه يا أمير المؤمنين، وإنما أنشدْت ما حضرني، فقال: حسبُك قد سمعت الجواب.

قال الفَضْل: وكان في إسحاق تعصُّب على أبي نُواس لشيء جرى بينهما.

[علاقته بالعباسيين ومدحه إياهم]

أخبرني مُحمد بن مَزْيد، قال: حدثنا حمَّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: اصطبح الواثِقُ في يوم مطير، واتصل شُربُه وشربنا معه حتى سقطنا لجُنوبِنا صَرعَى، وهو معنا على حالنا فما حُرِّك أحدٌ منا عن مضجعه، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا، وبذلك أمرهم، وقال: لا تحرّكوا أحداً عن موضعه، فكان هو أول من أفاق منا، فقام وأمر بإنْباهِنا فأُنبِهْنا فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا، وجئتُ إليه وهو جالس وفي يده كأس، وهو يروم شربها، والخمار يمنعه، فقال لي: يا إسحاق، أنشدني في هذا المعنى شيئاً، فأنشدته قول أشْجع السُّلَمِيّ: [الكامل]

وَلَقَدْ طَعَنْتُ اللَّيْلَ في أَعْجازِهِ بالكَأْسِ بَيْنَ غَطارِفٍ كالأَنْجُمِ
يَتَمايلُونَ على النَّعيم كأنَّهم قُضُبٌ مِنَ الهِنْديِّ لَمْ تَتَثَلَّمِ
وَسَعى بها الظَّبيُ الغَريرُ يَزيدُها طيباً ويَغْشِمُها إذا لَمْ تُغْشَمِ
وَاللَّيْلُ مُنْتَقِبٌ بِفَضْلِ رِدائِهِ قَدْ كادَ يَحْسُرُ عَنْ أَغَرَّ أَرْثَمِ
وإذا أدارَتْها الأَكُفُّ رَأَيْتَها تُثْنِي الفَصِيحَ إلى لِسانِ الأعْجَمِ

(١) الشِّعريان والمرزم: نجوم.

وعلى بَنانِ مُديرها عِقْيانَةٌ مِنْ لَوْنها وعلى فُضُولِ المِعْصَمِ
تَغلِي إذا ما الشِّعريانِ تَلَظَّيا صَيْفاً وَتَسْكُنُ في طُلوعِ المِرْزَمَ
وَلَقَدْ فَضَضْناها بخاتَم ربِّها بِكْراً وَلَيْسَ البِكْرُ مِثْلَ الأيِّمِ
ولها سُكُونٌ في الإناءِ وخَلفَها شَغَبٌ يُطَوِّحُ بالكَمِيِّ المُعْلَمَ
تُعْطِي على الظُّلْمِ الفَتَى بِقيادِها قَسْراً وَتَظْلِمُهُ إذا لَمْ يَظْلِمِ

فطرب وقال: أحسنَ واللَّهِ أشجَعُ، وأحسنتَ يا أبا محمد، أعِدْ بحياتي، فأعدتها وشرب كأسَه، وأمر لي بألف دينار.

[أشجع يرثي العباس بن الفضل]

أخبرني جعفر بن قُدامَة، قال: حدثنا أبو هِفّان قال: ذكر أبو دعامة أنّ أشْجَع دخل على الفَضْل بن الرّبيع، وقد تُوفّي ابنه العباس والناس يُعزّونه، فعزّاه فأحسن، ثم استأذنه في إنشاد مَرثيّة قالها فيه، فأذن له فأنْشدَه: [البسيط]

لا تَبْكِيَنَّ بعَيْنٍ غَيْرِ جائِدةٍ وَكُلُّ ذِي حَزَنٍ يَبْكِي كما يجِدُ
أيُّ امْرِىءٍ كانَ عَبّاسٌ لِنائِبةٍ إذا تَقَنَّع دُونَ الوالِدِ الوَلَدُ
لَمْ يُدنِهِ طَمَعٌ مِنْ دارِ مُخْزِيَةٍ وَلَمْ يَعِزّ له مِنْ نِعْمَةٍ بلَدُ
قَدْ كُنْتُ ذا جَلَدٍ في كُلِّ نائِبةٍ فبانَ منّي عَلَيْكَ الصَّبْرُ والجَلَدُ
لمّا تَسامتْ بِكَ الآمالُ وابْتَهَجَتْ بِكَ المُروءةُ واعْتَدَّتْ بِكَ العُدَدُ
وَلَمْ يَكُنْ لِفَتًى في نَفْسِهِ أَمَلٌ إلاّ إلَيْكَ بِهِ مِنْ أَرْضِهِ يَفِدُ
وَحِينَ جِئْتَ أَمَامَ السَّابقينَ وَلَمْ يَبلُلْ عِذارَكَ مَيْدانٌ ولا أَمَدُ
وَافاكَ يَوْمٌ على نَكْراء مُشْتَمِلٌ لَمْ يَنْجُ مِنْ مِثْلِهِ عادٌ ولا لُبَدُ
فما تَكَشَّفَ إلاّ عَنْ مُوَلْوِلَةٍ حَرَّى ومُكْتَئِبٍ أَحْشاؤُه تَقِدُ

قال: فبكَى الفضلُ وبكَى الناسُ معه، وما انْصَرَفوا يومئذ يتذاكرون غيرَ أبياتِ أشجع.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء، قال: حدثنا الحسنُ بن محمد بن طالب الدِّيناري قال: حدَّثني عليُّ بنُ الجهم، قال: دَخل أشجعُ على الرَّشيد وقد مات ابنٌ له، والناس يُعَزُّونه فأنشده قوله: [السريع]

نَقْصٌ مِنَ الدِّينِ وَمِنْ أَهْلِهِ نَقْصُ المَنايا مِنْ بَنِي هاشِمِ
قَدَّمْتَهُ - فَاصْبِرْ على فَقْدِهِ - إلى أبِيهِ وَأبي القاسِمِ

فقال الرَّشيد: ما عزَّاني اليوم أحدٌ أحسنَ من تَعْزِيَة أشجع، وأمرَ له بِصلة.

أَخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدَّثنا العَنَزِيّ، قال: حدثني عبدُ الرحمن بن النّعمان السّلميّ قال: كنَّا بِبابِ جعفر بنِ يَحيى وهو علِيل، فقال لنا الحاجِبُ: إنه لا إذْن عليه، فكتب إليه أشجع: [مخلع البسيط]

لـمَّا اشْتَكَى جَعْفَرُ بنُ يَحْيَى ... فـارقَـنِـي الـنَّـوْمُ والـقَـرارُ
ومَـرَّ عَـيْـشِـي عَـلَـيَّ حَـتَّـى ... كـأنَّـمـا طَـعْـمُـهُ الـمُـرارُ
خَوْفاً علـى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ... لا حُـقِّـقَ الـخَـوْفُ والـحِـذارُ
إنْ يُـعْـفِـهِ الله لا نُـحـاذِرْ ... مـا أَحْـدَثَ الـلَّـيْـلُ والـنَّـهـارُ

قال: فأوصل الحاجبُ رُقْعَتَه، ثم خَرج فأمره بالوصول وحده، وانْصَرف سائِرُ النَّاس.

أخبرني الحسن قال: حدثنا العَنَزِيّ، قال: حدّثني محمد بن الحُسَين، عن عمرو بن عليّ: أنَّ أشجعَ السُّلمِيّ كتب إلى الرشيد وقد أَبْطأ عنه شيءٌ أمرَ له به:

[الطويل]

أبـلِـغْ أَمِـيـرَ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ رِسـالَـةً ... لـهـا عَـنَـقٌ بَـيْـنَ الـرُّواةِ فَـسِـيـحُ[1]
بـأنَّ لِـسـانَ الـشِّـعْـرِ يُـنـطِـقُـهُ الـنَّـدى ... ويُـخـرِسُـهُ الإبْـطـاءُ وهـو فَـصِـيـحُ

فضَحِك الرشيدُ وقال له: لن يَخْرَس لِسانُ شِعرك، وأمر بتَعْجِيل صلته.

[أشجع وأخبار مدحه الآخرين]

أخبرني الحسن، ومحمد بن يَحْيى الصُّوليّ، قالا: حدثنا العَنَزيّ، قال: حدثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد، وكان يُقال لأبيه فَتى العسكر، قال: أقبل أشجعُ إلى باب أبي، فرأى ازْدحامَ الناس عليه، فقال: [الهزج]

عـلـى بـابِ ابـنِ مَـنْـصـورِ ... عـلامـاتٌ مِـنَ الـبَـذْلِ
جَـمـاعـات وَحَـسْـبُ الـبـا ... بِ نُـبْـلاً كَـثْـرَةُ الأَهْـلِ

فبلغ أبي بيتاه هذان، فقال: هما واللَّهِ أحبُّ مدائحه إليَّ.

---

(١) العَنَقُ: السير السريع.

أخبرني عَمِّي، والحسَن بنُ عليّ، قال: حدَّثنا الفضلُ بن محمد اليَزيدِيّ، قال: حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصِليّ، قال: لما وَلَّى الرشيدُ جعفرَ بن يَحْيى خُراسانَ جلس للناس فدخلوا عليه يُهَنِّئونه ثم دخلَ الشعراءُ فأنشدُوه؛ فقام أشجعُ آخرهم، فاستأذَن في الإنشاد فأذن له، فأنشدَه قوله: [المتقارب]

أتَصْبِرُ لِلْبَيْنِ أمْ تَجْزَعُ ... فَإنَّ الدِّيارَ غداً بَلْقَعُ[(١)]
غداً يَتَفَرَّقُ أهْلُ الهَوَى ... وَيَكْثُرُ باكٍ ومُسْتَرجِعُ

حتى انتهى إلى قوله:

وَدَوِّيَّةٍ بَيْنَ أقْطارِها ... مَقاطِيعُ أرْضِينَ لا تُقْطَعُ[(٢)]
تَجاوزْتُها فَوْقَ عَيْرانَةٍ ... مِنَ الرِّيحِ في سَيْرِها أسْرَعُ[(٣)]
إلى جَعْفَرٍ نَزَعَتْ رَغْبَةٌ ... وأيُّ فَتًى نَحْوَهُ تَنْزِعُ
فما دُونه لامْرِىءٍ مَطْمَعٌ ... ولا لامْرِىءٍ غَيْرِهِ مَقْنَعُ
ولا يَرْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطَّهُ ... ولا يَضَعُونَ الذي يَرْفَعُ
يُرِيدُ المُلوكُ مَدَى جَعْفَرٍ ... ولا يَصْنَعُونَ كما يَصْنَعُ
وَلَيْسَ بأوْسَعِهم في الغِنَى ... ولكنَّ مَعْرُوفَهُ أوْسَعُ
تَلُوذُ المُلوكُ بآرائِهِ ... إذا نالَها الحَدَثُ الأفْظَعُ
بَدِيهَتُهُ مِثْلُ تَدْبيرِهِ ... مَتَى رُمْتَهُ فهو مُسْتَجْمِعُ
وَكَمْ قائِلٍ إذْ رَأى ثَرْوتي ... وما في فُضولِ الغِنَى أصْنَعُ:
غدَا في ظِلالِ نَدَى جَعْفرٍ ... يَجُرُّ ثِيابَ الغِنَى أشْجَعُ
فَقُلْ لِخُراسانَ تَحْيا فَقَدْ ... أتاها ابنُ يَحْيَى الفَتَى الأرْوَعُ

فأقبل عليه جعفرُ بنُ يحيى ضاحكاً، واستحسن شِعرَه، وجَعَل يُخاطبه مخاطبةَ الأخ أخاه، ثم أمر له بألْف دينار.

قال: ثم بدا للرَّشيد في ذلك التَّدْبير، فعزل جعفراً عن خُرَاسان، بعد أن

---

(١) البلقع: الأرض القفر التي لا شيء فيها.
(٢) الدّوية: الصحراء الواسعة.
(٣) العيرانة: الناقة النشيطة.

أعطاه العهْد والكتب، وعقد له العقْد وأمَرَ ونَهى، فوَجِم لذلك جعفر، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول: [السريع]

أمْسَت خُراسانُ تُعَزَّى بما أخْطأها مِنْ جَعْفَرِ المُرتَجى
كانَ الرَّشِيدُ المُعتَلَى أمْرُهُ ولّى عَلَيْها المُشْرِقَ الأبلَجا
ثُمَّ أراهُ رَأْيُهُ أنَّهُ أمْسَى إليْهِ مِنْهمُ أحْوَجا
فكم بِهِ الرَّحْمٰنُ مِنْ كُرْبَةٍ في مُدَّةٍ تَقْصُرُ قَدْ فَرَّجا

فضحك جعفر ثم قال: لقد هوَّنتَ عليَّ العَزْل، وقُمتَ لأميرِ المؤمنين بالعُذْر، فسَلْني ما شِئتَ، فقال: قد كفاني جُودُكَ ذِلَّةَ السؤال، فأمر له بألفِ دينار آخر.

أخبرني عمّي، قال: حدَّثنا عبدُ اللّه بن أبي سَعْد، عن أبي دِعامة، عن أشْجَع، قال: دخلتُ على محمد الأمِين حين أُجلِسَ مَجْلس الأدب للتَّعْليم، وهو ابنُ أربعِ سِنين، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته:

مَلِكٌ أبُوه وأُمُّه مِنْ نَبْعَةٍ مِنها سِراجُ الأُمَّةِ الوَهَّاجُ
شَرِبَتْ بمكة في رُبا بَطْحائِها ماءَ النُّبوّةِ لَيْسَ فِيهِ مِزاجُ

يَعني النَّبعةَ. قال: فأمرتْ له زُبَيْدةُ بمائة ألف درهم. قال: ولم يملِك الخلافَة أحدٌ أبوه وأمُّه من بني هاشم إلا أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب صلوات الله عليه، ومحمد بن زبيدة.

أخبرني الحسن بنُ عليّ، ومحمد بن يَحْيَى الصوليّ، قالا: حدَّثنا الحسنَ بنُ عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدثنا المهْزِميّ، قال: لما وَلِيَ إبراهيمُ بنُ عثمان بنِ نُهَيْك الشرطةَ، دخل عليه أشجَعُ، فأنشدَه قولَه فيه: [الكامل]

لِمَنِ المَنازِلُ مِثْلُ ظَهْرِ الأرْقَمِ قَدُمَتْ وعَهْدُ أنِيسِها لَمْ يَقْدُم
فتَكَتْ بها سَنَتانِ تَعْتَوِرانِها بالمُعْصِفاتِ وَكُلِّ أسْحَمَ مُرزِمِ[1]
دِمَنٌ إذا اسْتَثْبَتَّ عَيْنَكَ عَهْدَها كَرَّتْ إلَيْكَ بِنَظْرَةِ المُتَوَهِّمِ
وَلَقَدْ طعَنْتُ اللَّيْلَ في أعْجازِه بالكَأْسِ بَيْنَ غَطارِفٍ كالأنْجُمِ
يَتمايَلُونَ على النَّعيمِ كأنَّهم قُضُبٌ مِنَ الهِنْدِيِّ لَمْ تَتَثَلَّمِ

---

(١) المرزم: المصوّت.

والـلَّـيْـلُ مُـشْـتَـمِـلٌ بـفَـضْـلِ رِدائِـهِ قَـدْ كـادَ يَـحْـسُـرُ عَـنْ أغـرَّ أَرْثَـمِ[(١)]
لِـبَـنِـي نُـهَـيـكٍ طـاعـةٌ لَـوْ أنَّـهـا زُجِـمـتْ بِـهضْـبِ مُـتالِـعٍ لـمْ تُـكْـلَـمِ
قـومٌ إذا غَـمَـزوا مَـنـاةَ عـدُوِّهِـمْ حَـطَـمـوا جَـوانِـبَـهـا بِـبَـأْسٍ مُـحْـطِـمِ
فـي سَـيْـفِ إبـراهـيـمَ خَـوْفٌ واقِـعٌ لِـذَوِي الـنِّـفـاقِ وفـيـه أَمْـنُ الـمُـسْـلِـمِ
وَيَـبِـيـتُ يَـكْـلأُ ـ والـعُـيـونُ هـواجِـعٌ ـ مَـالَ الـمُـضِـيـعِ ومُـهْـجَـةَ الـمُـسْـتَـسْـلِـمِ
لَـيْـلٌ يُـواصِـلُـهُ بِـضَـوْءِ نَـهـارِهِ يَـقْـظـانُ لَـيْـسَ يَـذُوقُ نَـوْمَ الـنُّـوَّمِ
شَـدَّ الـخِـطـامَ بِـأَنْـفِ كُـلِّ مُـخـالِـفٍ حَـتَّـى اسْـتَـقـامَ لَـهُ الَّـذِي لَـمْ يُـخْـطَـمِ
لا يُـصْـلِـحُ الـسُّـلـطـانَ إلا شِـدَّةٌ تَـغْـشَـى الـبَـرِيءَ بِـفَـضْـلِ ذَنْـبِ الـمُـجْـرِمِ
مَـنَـعَـتْ مَـهـابَـتُـكَ الـنُّـفـوسَ حَـدِيـثَـهـا بـالـشَّـيْءِ تَـكْـرَهُـهُ وإنْ لَـمْ تَـعْـلَـمِ
ونَـهَـجْـتَ فـي سُـبُـلِ الـسِّـيـاسَـةِ مَـسْـلَـكـاً فَـفَـهِـمْـتَ مَـذْهَـبَـهـا الـذي لَـمْ يُـفْـهَـمِ

فوصله وحمله وخلع عليه.

أخبرني محمد بن يَحْيَى الصُّوليّ، قال: حدثنا الغَلاَبيُّ قال: حدثنا مَهديُّ بنُ سابق قال: أعطى جعفرُ بنُ يحيى مروانَ بن أبي حَفْصَة ـ وقد مدحه ـ ثلاثينَ ألف درهم، وأعطى أبا البَصِير عشرين ألفاً، وأعطى أشْجعَ ـ وقد أنشدَه معهما ـ ثلاثة آلاف درهم، وكان ذلك في أول اتصاله به، فكتَب إليه أشجَع يقول:

[مجزوء الكامل]

أَعْـطَـيْـتَ مَـرْوانَ الـثَّـلا ثِـيـنَ الـتـي دَلَّـتْ رِعـاثَـهْ![(٢)]
وأبـا الـبَـصِـيـرِ وإنَّـمـا أَعْـطَـيْـتَـنِـي مِـنْـهـم ثـلاثَـهْ
مـا خـانَـنِـي حَـوْكُ الـقَـرِيـ ـضِ ولا اتَّـهَـمْـتَ سِـوَى الـحـداثَـهْ

فأمر له بعشرين ألف درهم أُخرى.

حدثني عليُّ بن صالح بنِ الهَيْثَم الأنبارِيُّ، قال: حدثني أبو هَفان، قال: حدثني سعيد بنُ هُرَيْم وأبو دِعامة، قالا: كان انْقطاعُ أشجع إلى العباس بنِ محمد بنِ عليّ بن عبد اللّه بن العباس، فقال الرّشيدُ للعباس يوماً: يا عمِّ، إن الشُّعَراء قد

(١) الأغر: الأبيض.
(٢) الرعاث: جمع رعثة: وهي عثنون الديك. وهنا يريد بتدلي رعاثه: أنه تكبَّر وزها.

أكثروا في مَدْح محمد بِسَببي وبسبب أُمّ جَعفر، ولم يقل أحدٌ منهم في المأمون شيئاً، وأنا أُحِبّ أن أَقَع على شاعر فَطِن ذكيّ يقول فيه، فذكر العَبّاسُ ذلك لأَشْجع، وأمرَه أن يقول فيه، فقال: [المديد]

بَـيْـعَـةُ الـمَـأْمـونِ آخِـذَةٌ بِـعِـنـانِ الـحَـقّ فـي أُفُـقِـهْ
أُحْكِـمَـتْ مِـرَّاتُـهـا عُـقـداً تَـمْـنَـعُ الـمُـخْـتـالَ فـي نَـفَـقِـهْ[1]
لَـنْ يَـفُـكَّ الـمَـرْءُ رِبْـقَـتَـهـا أو يَـفُـكَّ الـدِّيـنَ مِـنْ عُـنُـقِـهْ
ولـه مِـنْ وَجْـهِ والِـدِهِ صُـورةٌ تَـمَّـتْ وَمِـنْ خُـلُـقِـهْ

قال: فأتى بها العَبّاسُ الرَّشيدَ، وأنشده إيّاها فاستحسنها وسأله: لمن هي؟ فقال: هي لي، فقال: قد سررتَني مَرَّتين: بإصابَتِك ما في نَفْسي، وبأنها لك، وما كان لك فهو لي، وأمر له بثلاثين ألف دينار، فدفع إلى أشْجَع منها خمسةَ آلاف درهم، وأخذ باقيها لنفسه.

أخبرني عمّي: قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد اللّه بن مالك الخُزاعيّ، قال: وعد يَحْيَى بن خالد أشْجَعَ السُّلَمّي وعداً، فأخّره عنه، فقال له قوله:

رَأيْتُكَ لا تَسْتَلِذُّ المِطالَ وتُوفِي إذا غَدَرَ الخائِنُ
فماذا تُؤَخِّر مِنْ حاجَتِي وَأَنْتَ لِتَعْجِيلِها ضامِنُ!
أَلَمْ تَرَ أنَّ احْتِباسَ النَّوالِ لِمَعْرُوفِ صاحِبِهِ شائِنُ!

فلم يتعجَّلْ ما أراد، فكتب إليه: [الوافر]

رُويدَكَ إنَّ عِزَّ الفَقْرِ أدْنَى إلَيَّ مِنَ الثَّراءِ مَعَ الهَوانِ
وماذا تَبْلُغُ الأيّامُ مِنّي بِرَيْبِ صُرُوفِها ومَعِي لِساني

فبلغ قولُه جَعْفَراً فقال له: ويلك يا أشْجَع! هذا تهدُّدٌ فلا تَعُدْ لمثله، ثم كلّم أباه فقضى حاجتَه، فقال: [الطويل]

كَفانِي صُروفَ الدَّهْرِ يَحْيى بنُ خَالد فأصبَحْتُ لا أَرْتاعُ لِلحَدَثانِ
كَفانِي ـ كَفاه الله كُلَّ مُلِمَّةٍ ـ طِلابَ فُلانٍ مَرَّةً وفُلانِ
فأصبَحْتُ في رغْدٍ مِنَ العَيْش واسِعٍ أُقَلِّب فِيهِ ناظِري ولِساني

(١) المرات: جمع مرة: وهي طاقة الحبل.

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفِيّ قال: حدَّثنا العَنَزِيُّ عن ابن النَّطَّاح قال: ولَّى جَعفرُ بنُ يَحْيى أَشْجَعَ عملاً، فرفَع إليه أهلُه رفائِعَ[1] كَثِيرة، وتَظَلَّمُوا منه وشَكَوْه، فصرفه جعفر عنهم، فلما رَجَع إليه من عمله مَثَل بين يديه، ثم أنشأ يقول:

[الوافر]

أمُفسِدةٌ سُعادُ عَلَيَّ دِيني ... ولائِمتي على طُولِ الحَنِينِ
وما تَدْرِي سُعادُ إذا تَخَلَّتْ ... مِنَ الأَشْجَانِ كَيْفَ أَخُو الشُّجُونِ
تَنَامُ ولا أنامُ لِطُول حُزْنِي ... وأَيْنَ أَخُو السُّرور مِنَ الحَزِينِ!
لَقَدْ راعَتْكَ عِنْدَ قَطِينِ سُعْدَى ... رَواحِلُ غادِياتٌ بالقَطِينِ[2]
كأنَّ دُموعَ عَيْني يَوْمَ بانُوا ... عِياناً سَحُّ مُطَّرِدٍ مَعِينِ
لَقَدْ هَزَّتْ سِنانَ القَوْلِ مِنِّي ... رِجالُ رَفِيعَةٍ لم يَعْرِفُونِي
هُمُ جازُوا حِجابَك يابْنَ يحْيَى ... فَقالُوا بالذي يَهْوَوْن دُونِي
أَطافُوا بي لَدَيْكَ وغِبْتُ عَنْهم ... وَلَوْ أدْنَيْتَنِي لتَجَنَّبُونِي
وَقَدْ شَهِدَتْ عُيُونُهُمُ فَمالَتْ ... عَلَيَّ وغُيِّبَتْ عَنْهم عُيُونِي
وَلَمَّا أن كَتَبْتُ بما أرادُوا ... تَدَرَّعَ كُلُّ ذي غَمْزٍ دَفِينِ
كَفَفْتُ عَنِ المقاتل بادياتٍ ... وقد هَيَّأْتُ صَخْرةَ مَنْجَنُونِ[3]
ولو أَرْسَلْتُها دَمَغَتْ رِجالاً ... وصالَت في الأخِشَّةِ والشُّؤونِ[4]
وَكُنْتُ إذا هَزَزْتُ حُسامَ قَوْلٍ ... قَطَعْتُ بحُجَّتِي عَلَق الوَتِينِ[5]
لَعَلَّ الدَّهْرَ يُطلِقُ مِنْ لِسانِي ... لهم يَوْماً ويَبْسُطُ مِنْ يَمِيني
فأقضِيَ دَيْنَهم بِوَفاء قَوْلٍ ... وَأُثْقِلُهم لِصِدْقِي بالديونِ
وقد عَلِمُوا جَمِيعاً أنَّ قولي ... قَرِيبٌ حِينَ أدْعُوه يَجِيني

---

(١) الرفائع: القضية المرفوعة إلى الحاكم.
(٢) القطين: الخدم والحاشية.
(٣) المنجنون: الدولاب.
(٤) الأخشة: جمع خشاش: وهو العود يُجعل في عظم أنف البعير. والشؤون: جمع شأن: وهو العِرق الذي تجري منه الدموع.
(٥) الحسام: السيف. والعَلَقُ: الحبل. والوتين: عرق في القلب يجري منه الدم إلى العروق كلّها.

وكُنْتُ إذا هَجَوْتُ رَئِيسَ قَوْمٍ وَسَمْتُ على الذُّؤَابةِ والجَبِينِ
بِخَطٍّ مِثْلِ حَرْقِ النَّارِ باقٍ يَلُوحُ على الحَواجِبِ والعُيُونِ
أمائِلَةٌ بوُدِّكَ يابْنَ يَحْيَى رِجالاتٌ ذَوُو ضِغْنٍ كَمِينِ
يَشِيمونَ السُّيوفَ إذا رَأَوْني فَإنْ وَلَّيْتُ سُلَّتْ مِنْ جُفونِ[١]
وَلَوْ كُشِفَتْ سَرائِرُنا جَمِيعاً عَلِمْتَ مَنِ البَرِيءُ مِنَ الظَّنِينِ[٢]
علامَ ـ وَأَنْتَ تَعْلَمُ نُصْحَ جَنْبي وَأَخْذِي مِنْكَ بِالسَّبَبِ المَتِينِ
وعَسْفِي كُلَّ مَهْمَهَةٍ خلاءٍ إليكَ بِكُلِّ يَعْمَلَةٍ أَمُونِ[٣]
وإحْيائي الدُّجَى لكَ بالقَوافِي أُقِيمُ صُدُورَهُنَّ على المُتونِ ـ
تُقَرِّبُ مِنْكَ أَعْدائي وأُنْأَى وَيَجْلِسُ مَجْلِسي مَنْ لا يَلِيني!
ولو عاتَبْتَ نَفْسَكَ في مكاني إذاً لَنَزَلْتُ عِنْدَكَ باليَمِينِ
وَلَكِنَّ الشُّكُوكَ نَأَيْنَ عَنِّي بوُدِّكَ، والمَصِيرُ إلى اليَقِينِ
فإن أَنْصَفْتَنِي أحرَقْتَ مِنْهم بِنُضْجِ الكَيِّ أَثْباجَ البُطونِ[٤]

أخبرني محمدُ بنُ يَحْيَى الصَّوليُّ والحَسنُ بنُ عليّ، قالا: حدثنا العَنَزيّ قال: حدثنا عليّ بن الفضل السُّلميُّ قال: أوّلُ ما نَجَم به أَشجَعُ أنَّه اتَّصل بجعفر بنِ المَنْصور وهو حَدَثٌ، وصَلَه به أحمد بنُ يزيد السُّلَمِيّ وابنه عوف، فقال أَشجَعُ في جعفر بن المنصور قوله: [الخفيف]

اذكُروا حُرمَةَ العَواتِك مِنّا يا بَني هاشم بنِ عبدِ مَنافِ
قد وَلَدْناكُم ثَلاثَ ولادا تِ خَلَطْنَ الأَشْرافَ بالأَشْرافِ
مَهَّدَت هاشِماً نُجومُ قُصَيٍّ وَبَنُو فالِجٍ حُجُورٌ عَفافِ
إنَّ أَرْماحَ بُهْثَةَ بنَ سُلَيْم لِعِجافِ الأطْرافِ غَيْرُ عِجافِ
وَلأَسْيافِهم فِرًى غَيْرُ لَذٍّ راجِعٌ في مَراجِعِ الأَكْتافِ
مَعْشَرٌ يُطعِمُونَ مِنْ ذِرْوَةِ الشَّو لِ وَيَسْقُونَ خَمْرَةَ الأَقْحافِ[٥]

(١) يشيمون السيوف: يدخلونها في أغمادها.
(٢) الظّنين: المتهم.
(٣) اليعملة: الناقة النَّجيبة. والأمون: الوثيقة الخلق.
(٤) الأثباج: جمع ثبج، وهو الوسط من كل شيء.
(٥) الشول: الناقة. والأقحاف: جمع قحف: وهو قدح من خشب يشبه قحف الرأس، كأنه نصف قدح.

يَضرِبُونَ الجَبَّارَ في أخدَعَيْهِ ويُسَقُّونه نَقِيعَ الذُّعافِ[1]

فشاع شِعْره وبَلَغ البَصْرة، ولم يزل أمرُه يَتَراقى إلى أن وَصَلَتْه زُبَيْدَةُ بعد وفاة أبيها بزَوْجها هارون الرشيد، فأسْنَى جَوائِزَه، وألْحَقَه بالطَّبَقة العُلْيا من الشُّعَراء.

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثَنِي أحمدُ بن المرزُبان قال: حدَّثَنِي شَيْبَةُ بنُ أحمد بن هشام، قال: حَدَّثَنِي أحمدُ بن العباس الرَّبيعيُّ: أن الذي أوْصَلَ أشْجَع السُّلَمِيّ إلى الرَّشيد جدُّه الفَضل بن الربيع، وأنه أوصلَه له وقال له: هو أشْعَر شُعَراء أهْلِ هذا الزَّمان، وقد اقتطعَتْه عنك البَرامِكَة، فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء فَفَعَل، فَلَمَّا وَصَل إليه أنشدَه قوله: [الكامل]

قَصْرٌ عليه تَحِيَّةٌ وسَلامُ نَشَرَتْ عليه جَمالَها الأيَّامُ
فِيهِ اجْتَلَى الدُّنْيا الخَلِيفَةُ وَالْتَقتْ لِلمُلْكِ فِيهِ سلامَةٌ وسَلامُ
قَصْرٌ سُقوفُ المُزْنِ دُونَ سُقُوفِهِ فيه لأعْلامِ الهُدَى أعْلامُ
نَشَرَتْ عَلَيْهِ الأرْضُ كُسوتَها التي نَسَجَ الرَّبيعُ وزخرَفَ الإرْهامُ[2]
أدْنَتْكَ مِنْ ظِلّ النَّبِيِّ وَصِيَّةٌ وقرابَةٌ وُشِجَتْ بها الأرْحامُ
بَرَقَتْ سَماؤُك في العَدُوِّ وأمْطَرَتْ هَاماً لها ظِلُّ السُّيوفِ غَمامُ
وإذا سُيوفُكَ صافَحَتْ هامَ العِدَا طارَتْ لَهُنَّ عَنِ الرُّؤوسِ الهامُ
تُثْنِي عَلَى أيَّامِكَ الأيَّامُ وَالشَّاهِدانِ: الحِلُّ والإحْرامُ
وعَلَى عَدُوِّك يابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدانِ: ضَوءُ الصُّبْحِ والإظْلامُ
فَإذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ، وإذا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيوفَكَ الأحْلامُ

قال: فاسْتَحسنها الرَّشِيد، وأمر له بعشرين ألف درهم، فمدَح الفَضْل بنَ الرَّبيع، وشكر له إيصالَه إيَّاه إلى الرشيد، فقال فيه قَصِيدَته الَّتي أوَّلُها: [الكامل]

غَلَبَ الرُّقادُ على جُفونِ المُسْهَدِ وغَرِقْتُ في سَهَرٍ وَلَيْلٍ سَرْمَدِ[3]
قَدْ جَدَّ بي سَهَرٌ فَلَمْ أرْقُدْ لَهُ وَالنَّوْمُ يَلْعَبُ في جُفُونِ الرُّقَّدِ
وَلَطالَما سَهِرَتْ لِحُبِّيَ أعْيُنٌ أهْدَى السُّهادُ لها وَلَمَّا أسْهَدِ
أيّامَ أرْعَى في رِياضِ بَطالَةٍ وِرْدَ الصِّبا منها الذي لَمْ يُورَدِ

(١) الأخدعان: عرقان في صفحتي العنق.

(٢) الإرهام: المطر الخفيف.

(٣) الليل السرمد: الطويل.

لَهْوٌ يُساعِدُهُ الشَّبابُ ولم أجِدْ بَعْدَ الشَّبِيبَةِ في الهوَى مِنْ مُسْعِدِ[1]
وَخَفِيفَةِ الأحْشاءِ غَيْرِ خَفِيفَةٍ مَجْدُولَةٍ جَدْلَ العِنانِ الأجْرَدِ
غَضِبَتْ على أعْطافِها أردافُها فالحَرْبُ بين إزارها والمِجْسَدِ[2]
خالفتُ فيه عاذِلالِيَ ناصِحاً فَرَشَدْتُ حِينَ عَصيْتُ قَوْلَ المُرشِدِ
أأُقِيمُ مُحْتَمِلاً لِضَيْم حَوادِثٍ مَعَ هِمَّةٍ مَوْصولَةٍ بالفَرْقَدِ[3]
وَأرَى مخايِلَ لَيْسَ يُخلِفُ نَوْؤُها لِلفَضْلِ إنْ رَعَدتْ وإنْ لَمْ تَرْعَدِ
لِلفَضْلِ أمْوالٌ أطافَ بها النَّدَى حَتَّى جُهِدْنَ وجُودُهُ لم يَجْهَدِ
يابنَ الرَّبيع حَسرتُ شُكْرِي بالتي أوليْتَنِي في عَوْدِ أمْرِكَ والبَدِي
أوْصَلْتَنِي ورَفَدْتَنِي وكِلاهُما شَرفٌ فَقَأْتُ بِهِ عُيونَ الحُسَّدِ
وَوَصَفْتَنِي عِنْدَ الخَلِيفةِ غائِباً وأذِنْتَ لي فشَهِدْتُ أفْخَر مَشْهَدِ
وكفَيْتَنِي مِنَنَ الرِّجالِ بنائِلٍ أغْنَى يَدِي عَنْ أنْ تُمَدَّ إلى يَدِ

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال: حدثنا العَنَزيّ، قال: حدثني صخرُ بن أحمد السلميّ، عن أبيه، قال: كنت أنا وأشجع بالرَّقَّة جلوساً، فمرّ بنا غلامٌ أمردُ روميّ جميلُ الوجه، فكلَّمه أشجع وسأله هل يَبِيعُه مالِكُه؟ فقال: نعم، فقال أشجع يمدَحُ جَعْفَرَ بنَ يَحْيَى، وسأله ابتياعَه له فقال: [الوافر]

ومُضْطربِ الوِشاحِ لمُقْلَتَيْهِ علائِقُ ما لِوَصْلَتِها انْقِطاعُ
تعرَّض لِي بِنَظْرةِ ذِي دَلالٍ يُرِيعُ بمُقْلَتَيْهِ ولا يُراعُ
لِحاظٌ لَيْسَ تُحْجَبُ عَنْ قُلُوبٍ وَأمْرٌ فِي الَّذِي يَهْوَى مُطاعُ
وَوُسْعِي ضَيِّقٌ عَنْهُ وما لِي وَضِيقُ الأمْرِ يَتْبَعُه اتِّساعُ
وتَعْوِيلِي على مالِ ابنِ يَحْيَى إلَيْهِ حَنَّ شَوْقِي والنِّزاعُ
وَثِقْتُ بجَعْفَرٍ في كُلِّ خَطْبٍ فلا هُلْكٌ يُخافُ ولا ضَياعُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال: اشتَرِه بها فإن لم تَكْفِك فازدَدْ.

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا أحمدُ بنُ الحارث قال: كانت لأشْجَعَ

---

(١) مسعد: معين.
(٢) المجسد: ثوب يلي الجسد.
(٣) الفرقد: نجم.

جاريةٌ يقال لها: رِيمٌ، وكان يَجِد بها وَجْداً شَدِيداً، فكانت تحلِف له إن بقيتْ بعده لم تَعَرَّض لغيره، وكان يذكُرها في شعره، فمن ذلك قولُه في قصيدته التي يرثي بها الرشيدَ: [الطويل]

وَلَيْسَ لأَحْزانِ النِّساءِ تَطاوُلٌ ... ولٰكِنَّ أحْزانَ الرِّجالِ تَطُولُ
فلا تَبْخَلِي بالدَّمْعِ عَنِّي؛ فإنَّ مَنْ ... يَضِنُّ بدَمْعٍ عَنْ هَوًى لَبَخِيلُ
فلا كُنْتُ مِمَّنْ يُتْبِعُ الرِّيحَ طَرفَهُ ... دَبُوراً إذا هَبَّت له وقَبُولُ[1]
إذَا دارَ فَيْءٌ أَتْبَعَ الفَيْءَ طَرفَهُ ... يَمِيلُ مَعَ الأَيَّامِ حَيْثُ تَمِيلُ

قال: وقال فيها أيضاً: [الطويل]

إذا غَمَّضَتْ فَوْقِي جُفُونُ حَفِيرَةٍ ... مِنَ الأَرْضِ فابْكِيني بما كُنْتُ أَصْنَعُ
تُعَزِّكِ عَنِّي عِنْدَ ذلكَ سَلْوَةٌ ... وأَنْ لَيْسَ فِيمَن وَارَتِ الأَرْضُ مَطْمَعُ
إذا لَمْ تَرَيْ شَخْصِي وتُغْنِيكِ ثَرْوَتِي ... وَلَمْ تَسْمَعِي منّي ولا منْكِ أَسْمَعُ
فحِينَئِذٍ تَسْلِينَ عَنِّي وَإِنْ يَكُنْ ... بُكاءٌ فَأَقْصَى ما تُبَكِّينَ أَرْبَعُ
قَلِيلٌ ورَبِّ البَيْتِ يا رِيمُ ما أَرَى ... فَتاةً بمَنْ وَلّى به المَوْتُ تَقْنَعُ
بِمَنْ تَدْفَعِينَ الحادِثاتِ إذا رَمَى ... عَلَيْكِ بها عامٌ مِنَ الجَدْبِ يَطْلُعُ
فَحِينَئِذٍ تَدْرِينَ مَنْ قَدْ رُزِيتِهِ ... إذا جَعَلَتْ أَرْكانُ بَيْتِكِ تُنْزَعُ

قال: فشكته رِيم إلى أخيه أحمدَ بن عَمْرو، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها، ومدح فيه الفَضْل أيضاً فاختِير شعرُه على شعر أخيه وهو: [الطويل]

ذكرتُ فِراقاً والفِراقُ يُصدِّعُ ... وأيُّ حياةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ تَنْفَعُ!
إذا الزَّمنُ الغَرَّار فَرَّقَ بيننا ... فما لِيَ في طِيبٍ مِنَ العَيْشِ مَطْمَعُ
ولا كانَ يَوْمٌ يابْنَ عَمْرٍو ولَيْلَةٌ ... يُبَدَّدُ فيها شَمْلُنا ويُصَدَّعُ
ولا كانَ يَوْمٌ فيه تَثْوِي رَهِينَةً ... فتَرْوَى بِجِسْمي الحادِثاتُ وتَشْبَعُ
وَأَلْطُمُ وَجْهاً كُنْتُ فِيكَ أَصُونُهُ ... وَأَخْشَعُ مِمَّا لَمْ أَكُنْ مِنْهُ أَخْشَعُ
وَلَوْ أَنَّنِي غُيِّبْتُ في اللَّحْدِ لَمْ تَبَلْ ... وَلَمْ تَزَلِ الرَّاوُون لي تَتَوَجَّعُ
وَهَلْ رَجُلٌ أَبْصَرْتَهُ مُتَوَجِّعاً ... على امْرَأَةٍ أَوْ عَيْنُهُ الدَّهْرَ تَدْمَعُ!
ولكن إذا ولَّتْ يَقولُ لها: اذهبِي ... فمِثْلُكِ أخرَى سَوْفَ أَهْوَى وأَتْبَعُ
ولو أبصَرَتْ عَيْناك ما بي لأَبْصَرَتْ ... صَبابةَ قَلْبٍ غَيْمُها لَيسَ يُقْشَعُ

---

(١) الدبور: ريح تهبّ من الغرب. والقبول: ريح الصبا.

إلى الفَضْلِ فارْحَلْ بِالمدِيحِ فَإِنَّهُ ... مَنِيعُ الحِمَى مَعْرُوفُهُ لَيْسَ يُمْنَعُ
وزُرْه تَـزُرْ حِـلْمـاً وعِـلْمـاً وسُـودَداً ... وبَـأْسـاً بـه أنـفُ الـحـوادِثِ يُـجْـدَعُ
وَأبدِعْ إذا ما قُلْتَ في الفَضْلِ مِدحَةً ... كما الفَضْلُ في بَذْلِ المواهِبِ يُبْدِعُ
إذا ما حِياضُ المَجْدِ قَلَّتْ مِياهُها ... فَحَوْضُ أبي العَبَّاسِ بالجودِ مُتْرَعُ
وإن سَنَةٌ ضَنَّتْ بِخِصْبٍ على الوَرَى ... ففي جُودِهِ مَرْعًى خَصِيبٌ ومَشْرَعُ
وما بَعُدَتْ أَرْضٌ بها الفَضْلُ نازلٌ ... ولا خابَ مَنْ في نائِلِ الفَضْلِ يَطْمَعُ
فَنِعْمَ المُنادَى الفَضْلُ عِنْدَ مُلِمَّةٍ ... لِدَفْعِ خُطوبٍ مِثْلُها لَيْسَ يُدفعُ
إلَيْكَ أبا العَبَّاسِ سارَتْ نجائِبٌ ... لـهـا هِـمَـمٌ تَـسْـمُـو إلـيـك وتَـنْـزِعُ
بِـذِكْـرِكَ نَـحْـدُوهَـا إذا مـا تـأخَّـرَتْ ... فَتَمْضِي على هَوْلِ المُضِيّ وتُسْرِعُ
وما لِـلِسـانِ الـمَدْحِ دُونكَ مَشْرَعٌ ... ولا لـلـمَـطـايـا دُونَ بـابِـكَ مَـفْـزَعُ
إلـيـكَ أبـا الـعَـبَّـاسِ أَحْـمِـلُ مِـدْحَـةً ... مَطِيَّتُها - حَتَّى تُوافيك - أشْجَعُ
فَـزِعْـتُ إلـى جَـدْواكَ فـيـهـا وإنـمـا ... إلـى مَـفْـزَعِ الأمْـلاكِ يُـلْـجـا ويُـفْـزَعُ

قال: فأنشدَها أشجَعُ الفَضْلَ، وحدَّثه بالقِصَّة، فوصل أخاه وجاريَته ووصلَه.

وقال أحمدُ بنُ الحارث: فقيل لأحمد بن عمرو أخي أَشْجَع: ما لك لا تمدَح المُلوكَ كما يَمدَحُهم أَخُوك؟ فقال: إن أخِي بَلاءٌ عليَّ وإن كان فَخْراً، لأنِّي لا أمدَح أحداً مِمّن يُرضِيه دُون شِعْري ويُثِيب عليه بالكَثِير من الثَّواب إلا قال: أينَ هذا من قوْل أشجَع؟ فقد امتَنَعْتُ من مَدْح أحد لذلك.

قال أحمدُ بنُ الحارث: وقال أحمدُ بنُ عَمْرو يَهْجُو أخاه أشْجَع، وقد كان أحمدُ مدَح محمد بنَ جَمِيل بشعر قالَه فيه، فسأل أخاه أشْجَع إيصاله، ودَفع القَصِيدةَ إليه فتَوانَى عن ذلك، فقال يَهْجُوه - أخبرَني بذلك أحمدُ بنُ محمد بنِ جَمِيل -: [المتقارب]

وسـائِـلَـةٍ لِـيَ: مـا أَشْـجَـعُ؟ ... فَـقُـلْـتُ: يَـضُـرُّ ولا يَـنْـفَـعُ
قَـرِيـبٌ مِـنَ الـشَّـرِّ واعٍ لَـهُ ... أَصَـمُّ عَـنِ الـخَـيْـرِ مـا يَـسْـمَـعُ
بَـطِـيءٌ عَـنِ الأَمْـرِ أَحْـظَـى بِـهِ ... إلـى كُـلِّ مـا سـاءَنِـي مُـسْـرِعُ
شَـرُودُ الـودادِ عـلـى قُـرْبِـهِ ... يُـفَـرِّقُ مِـنْـهُ الـذي أَجْـمَـعُ
أُسَـبُّ بِـأَنِّـي شَـقِـيـقٌ لـه ... فَـأَنْـفِـي بـه أَبَـداً أَجْـدَعُ

أخبرني جعفرُ بنُ قُدَامَة قال: حدَّثنا حَمّادُ بنُ إسحاق، عن أبيه قال: دخلتُ على الفَضْل بنِ يَحْيى وقد بَلَغ الرشيدَ إطلاقُه يَحْيَى بن عبد الله بنِ حَسن، وقد كان

أمره بقتله فلم يُظهِر له أنه بلغه إطلاقه، فسأله عن خَبَره: هل قتلتَه؟ فقال: لا، فقال له: فأين هو؟ قال: أطلقته. قال: ولِمَ؟ قال: لأنه سألَني بحقِّ اللَّهِ وبحَقِّ رَسولِه وقَرابتِه منه ومنك، وحَلَفَ لي أنَّه لا يُحدِث حَدَثاً، وأنه يُجِيبُني مَتَى طلبتُه. فأطرق ساعة، ثم قال: امضِ بنَفْسِك في طَلَبه حَتى تَجيئَني به واخرُج الساعةَ، فخرَج. قال: فدخلْتُ عليه مهنِّئاً بالسَّلامة فقلت له: ما رأيتُ أثبَتَ من جنانك ولا أصحَّ من رَأيِك فيما جَرَى، وأنت واللَّهِ كما قال أشجَعُ: [الوافر]

بـديـهَـتُـهُ وَفِـكْـرَتُـهُ سَـواءٌ ... إذا مـا نـابَـهُ الـخَـطْـبُ الـكَـبِـيـرُ
وَأَحْـزَمُ مـا يَـكـونُ الـدَّهـرَ رَأيـاً ... إذا عَـيَّ الـمُـشـاوِرُ والـمُـشِـيـرُ
وصَـدرٌ فِـيـهِ لِـلْـهَـمِّ اتِّـسـاعٌ ... إذا ضـاقَـتْ بـمـا تَـحْـوِي الـصُّـدورُ

فقال الفَضْل: انظُروا كم أَخَذ أَشْجَع على هذه القَصِيدة، فاحمِلوا إلى أبي محمد مثلَه. قال: فوجَدَه قد أخذ ثَلاثِين أَلْف دِرْهَم، فحمِلتْ إليّ.

أخبرني الحُسَيْن بنُ القاسِم الكَوْكبيُّ إجازة، قال: حدَّثني محمد بنُ عَجْلان قال: حَدَّثَنا ابنُ خَلاّد، عن حُسَيْن الجُعْفِيّ قال: كان أشجَعُ إذا قدم بَغْدادَ ينزل على صَدِيقٍ له من أهلِها، فقَدِمها مَرَّة فَوَجَده قد مات، والنوحُ والبُكاء في دَاره، فَجَزِع لذلك وبَكَى، وأنشأ يَقولُ: [الخفيف]

وَيْـحَـهـا هَـلْ دَرَتْ عـلـى مَـنْ تَـنُـوحُ ... أَسَـقِـيـمٌ فُـؤادُهـا أم صَـحِـيـحُ!
قَـمَـرٌ أطـبَـقُـوا عـلـيـه بِـبَـغْـدا ... دَ ضَـرِيـحـاً، مـاذا أَجَـنَّ الـضَّـرِيـحُ!
رحِـمَ الله صـاحِـبِـي ونَـدِيـمِـي ... رَحْـمَـةً تَـغْـتَـدِي وأُخْـرَى تَـرُوحُ

وهذه القَصيدة التي فيها الأبيات المَذْكُورة والغِناء فيها، من قَصِيدة يمدَح بها أشجعُ الرَّشِيدَ ويُهَنِّئه بفَتْح هِرَقْلَةَ، وقد مَدَحه بذلك وهَنَّأه جماعَةٌ من الشُّعراء وغُنِّيَ في جَمِيعها، فذكرتُ خبرَ فَتْح هِرَقْلَة لذكر ذلك.

[غزاة الرشيد هرقلة وأسبابها وفتحها ومدح أشجع الرشيد]

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سُلَيمان الأخفَش، قال: حدَّثنا محمد بنُ يَزِيد، قال: كان من خَبر غَزاة الرَّشِيد هِرْقلة أن الرُّومَ كانت قد مَلَّكت امرأةً، لأنه لم يَكُن بَقِيَ في أهل زَمانها من أهْل بَيتها ـ بيتِ المملكة ـ غَيرُها، وكانت تكتُب إلى المَهْديّ والهادي والرَّشِيد أوَّلَ خِلافتِهِ بالتَّعْظِيم والتَّبْجِيل، وتدِرّ عليه الهدايا، حتى بَلَغ ابنٌ لها فحاز المُلكَ دُونها، وعاث وأفسد، وفاسد الرَّشِيدَ، فخافت على مُلْك الرّوم أن

يَذْهَب، وعلى بلادِهم أن تعطَب؛ لعِلمها بالرَّشيد وخوفها من سَطْوته، فاحتالت لابْنِها فَسَمَلَتْ عَيْنيْه[١]، فَبَطَل منه المُلك وعاد إليها، فاستَنْكر ذلك أهلُ المَمْلَكة وأبْغَضوها من أجْله، فخرج عليها نِقْفور وكان كاتِبَها، فأعانوه وعَضَّدُوه، وقام بأمْر المُلْك وضَبْط أمْر الرُّوم، فلمَّا قَوِيَ على أمره وتَمكَّن من مُلْكه كَتَب إلى الرشيد:

«من نَقْفُور مَلِك الرُّوم إلى الرَّشِيد مَلِك العرب، أما بعد؛ فإنَّ هذه المرأة كانت وَضَعَتْك وأباكَ وأخاك مَوْضِع المُلوكِ، ووضَعَت نَفْسها موضِعَ السُّوقَة، وإني واضِعُك بغير ذلك المَوْضِع، وعامل على تَطَرُّق بِلادِك[٢] والهجوم على أمصارِك، أو تُؤَدِّي إليَّ ما كانت المَرْأة تُؤَدِّي إليك، والسَّلام».

فَلمَّا وَرَد كِتابُه على الرَّشيد كتَب إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عَبْدِ اللّه هارونَ أميرِ المُؤْمنين إلى نَقْفور كَلْبِ الرُّوم، أما بَعد، فقد فهمت كِتابَك، وجَوابُك عندي ما تراه عِياناً لا ما تَسْمَعُهُ». ثم شَخَص من شهره ذلِك يَؤُمُّ[٣] بِلادَ الرُّوم في جَمْع لم يُسمَع بمثله، وقُوَّاد لا يُجارَوْن نجدَةً ورأياً، فلما بَلَغ ذلك نقفور ضاقت عليه الأرض بما رَحُبتْ، وشاوَر في أمره. وجَدَّ الرَّشيد يتوغَّل في بلاد الروم فيقتل ويَغْنَم ويَسْبِي، ويُخرِّب الحُصونَ ويُعَفِّي الآثار حتى صار إلى طُرُق مُتَضايِقَة دون قُسْطَنْطِينية، فلما بَلغها وَجدَها وقد أمر نقفور بالشَّجر فقُطِع ورُمِي به في تِلك الطُّرُق، وأُلْقِيت فيه النّار، فكان أوّلَ مَنْ لَبِس ثياب النَّفَّاطِين محمدُ بنُ يَزِيد بنِ مَزْيد، فخاضها، ثم اتَّبعَه الناس، فبعث إليه نقفور بالهدايا وخَضَع له أشَدَّ الخُضوع، وأدَّى إليه الجِزْيَة عن رأسه فَضْلاً عن أصحابه فقال في ذلك أبُو العَتاهِيَة: [الطويل]

إمامَ الهُدَى أَصْبَحْتَ بالدِّين مَعْنِيًّا ... وَأَصْبَحْتَ تَسْقِي كُلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيّا

لكَ اسْمانِ شُقَّا مِنْ رَشادٍ وَمِنْ هُدًى ... فَأنْتَ الذي تُدْعَى رَشيداً ومَهْدِيًّا

إذا ما سَخِطْتَ الشَّيْءَ كان مُسَخَّطاً ... وَإنْ تَرْضَ شَيْئاً كان في النَّاس مَرْضِيًّا

بَسَطْتَ لنا شَرْقاً وغَرْباً يَدَ العُلا ... فأوسعتَ شَرْقِيًّا وأوسَعْتَ غَرْبِيًّا

ووشَّيْتَ وَجْهَ الأرْضِ بالجُودِ والنَّدى ... فَأَصْبَحَ وَجْهُ الأرْضِ بالجُودِ مَوْشِيًّا

(١) سملت عينيه: فقأتهما بحديدة محماة.
(٢) عامل على تطرّق بلادك: عامل على السير إليها وغزوها.
(٣) يؤمّ: يقصد.

وأنت ـ أمير المؤمنين ـ فتَى التُّقَى   نَشَرْتَ مِنَ الإحْسانِ ما كان مَطْوِيًّا
قَضَى الله أَنْ يَبْقى لِهارونَ مُلْكُهُ   وكان قَضاءُ الله في الخَلْقِ مَقْضِيًّا
تجلَّلَتِ الدُّنيا لِهارُون ذِي الرِّضا   وَأَصْبَحَ نَقْفورُ لهارون ذِمِّيًّا

فرجع الرشيد ـ لَمَّا أعْطاه نَقْفور ما أعْطاه ـ إلى الرَّقة، فلما سَقَط الثَّلجُ وأمِن نَقْفُور أن يُغزَى اغترّ بالمُهْلة، وَنَقَض ما بَيْنه وبين الرشيد، ورَجَعَ إلى حالتِهِ الأولى، فلم يَجْترىء يَحْيى بنُ خَالِد ـ فَضْلاً عن غَيره ـ على إخبار الرَّشيد بغَدر نقفور، فَبَذَل هو وبَنُوه الأموالَ للشُّعَراء على أن يَقُولُوا أشعاراً في إعلامِ الرَّشيد بذلك، فكُلُّهم كَعَّ[1] وأشفَق إلا شاعراً من أهل جُدَّة كان يُكنَى أبا محمد، وكان مُجيداً قَوِيَّ النَّفْس قَوِيَّ الشِّعر، وكان ذو اليَمِينَيْن اختَصَّه في أيام المَأمون ورَفَع قَدرَه جِدًّا، فإنه أخذَ من يَحْيَى وبَنِيه مائةَ ألْف دِرْهم، ودخل على الرَّشيد فأنْشدَه: [الكامل]

نَقَضَ الذي أعْطاكَهُ نَقْفورُ   فَعَلَيْهِ دائِرَةُ البَوارِ تَدُورُ
أبْشِرْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ   فَتْحٌ أتاكَ بِهِ الإلهُ كَبِيرُ
فَلَقَدْ تَباشَرَتِ الرَّعِيَّةُ أن أتى   بالنَّقْضِ عَنْهُ وافِدٌ وبَشِيرُ
وَرَجَتْ بِيُمْنِكَ أَنْ تُعجِّل غَزْوَةً   تَشْفِي النُّفوسَ نَكالُها مَذْكُورُ
أعْطاكَ جِزْيَتَهُ وَطَأْطَأَ خَدَّهُ   حَذَرَ الصَّوارِمِ والرَّدَى مَحْذُورُ
فَأَجَرْتَهُ مِنْ وَقْعِها وكأنَّها   بأكُفِّنا شُعَلُ الضِّرام تَطِيرُ
وَصَرَفْتَ في طُولِ العَساكِرِ قافلاً   عَنْهُ وجارُكَ آمِنٌ مَسْرُورُ
نَقْفورُ إنَّك حِينَ تَغْدِر أنْ نأى   عَنْكَ الإمامُ لجاهِلٌ مَغْرورُ
أظَنَنْتَ حِينَ غَدَرْتَ أَنَّكَ مُفْلِتٌ   هَبِلَتْكَ أُمُّك ما ظَنَنْتَ غُرورُ
أَلْقاكَ حَيْنُكَ في زواخِرِ بَحْرِهِ   فَطَمتْ عَلَيْكَ مِنَ الإمَامِ بُحُورُ
إنَّ الإمامَ على اقْتِسارِكَ قادِرٌ   قَرُبَت دِيارُكَ أو نَأَتْ بِكَ دُورُ
لَيْسَ الإمامُ وإن غَفِلْنا غافِلاً   عما يَسُوسُ بحزْمِهِ ويُدِيرُ
مَلِكٌ تَجَرَّدَ لِلْجِهادِ بِنَفْسِهِ   فَعَدُوُّه أبَداً بِهِ مَقْهُورُ
يا مَنْ يُرِيدُ رِضا الإله بِسَعْيِهِ   والله لا يَخْفَى عَلَيْهِ ضَمِيرُ
لا نُصْحَ يَنْفَعُ مَنْ يَغُشُّ إمامَهُ   والنُّصْحُ مِنْ نُصَحائِهِ مَشْكُورُ
نُصْحُ الإمامِ على الأنامِ فَرِيضَةٌ   ولأهْلِهِ كفَّارَةٌ وطَهُورُ

(١) كعّ: جبن.

قال: فلما أنشده، قال الرَّشيد: أو قد فَعَل! وعلم أن الوُزراء احتالُوا في إعلامه ذلك فغَزاه في بقيَّة من الثلج، فافتتح هِرقلة في ذلك الوقت، فقال أبو العَتَاهِيَة في فَتْحه إياها: [الوافر]

ألا نـادَتْ هِـرقـلـةُ بـالـخـرابِ مِنَ الـمَـلِـكِ الـمُـوَفَّـقِ لـلـصَّـوابِ
غَـدَا هـارونُ يُـرْعِـدُ بـالـمـنـايـا ويُـبـرِقُ بـالـمُـذَكَّـرَةِ الـقِـضـابِ
وراياتٍ يَـحُـلُّ الـنَّـصْـرُ فـيـهـا تَـمُـرُّ كـأنَّـهـا قِـطَـعُ الـسَّـحـابِ
أَمِـيـرَ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ ظَـفِـرْتَ فـاسْـلَـمْ وَأَبْـشِـرْ بـالـغَـنِـيـمَـةِ والإيـابِ

قال محمد: وجعَلَ الرشيدُ قبل وصوله إلى هِرَقْلَةَ يفتح المدنَ والحصونَ ويخرِّبها، حتى أناخَ على هِرقلةَ وهي أوثق حِصْنٍ وأعزّه جانباً وأمنَعه رُكْناً، فتحصَّن أهلُها، وكان بابُها يطل على وادٍ، ولها خَنْدَق يطيف بها، فحدَّثني شيخ من مشايخ المُطَّوّعة ومُلازِمي الثُّغور يقال له عليّ بن عبد اللّه، قال: حدَّثني جماعة أنَّ الرَّشيد لما حَصَر أهلَ هرقلَة وغمهم وألحَّ بالمَجانِيق والسهام والعَرَّادات[١] فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك فإذا برجل من أهلها كأكمل الرّجال قد خرج في أكمل السلاح، فنادى: قد طالَت مُوَاقَعتُكم إيانا فليَبْرز إليّ منكم رجلان، ثم لم يَزل يزيد حتى بَلغ عِشرين رجلاً، فلم يُجِبه أحد، فدخل وأغلق بابَ الحِصن وكان الرَّشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه، فغضب ولام خَدمَه وغِلمانه على تركهم إنْباهَه، وتأسف لفَوْته، فقيل له: إنّ امتناعَ الناس منه سيُغْويه ويُطْغِيه، وأحْرِ به أن يخرُج في غَدٍ فيطلُب مثلَ ما طلب، فطالت على الرَّشيد ليلَتُه وأصبح كالمُنْتَظِر له، ثم إذا هو بالبابِ قد فُتح وخَرج طالِباً للمُبارَزَة، وذلك في يوم شديد الحرّ، وجعل يدعو بأنه يَثبُت لعشرين منهم، فقال الرَّشيد: مَنْ له؟ فابتَدرَه جِلَّة القُوَّاد كَهرثَمة، ويَزِيدَ بن مَزْيد، وعبد اللّه بن مالك، وخُزَيْمةَ بن حازم، وأخيه عبد اللّه، ودَاود بنِ يَزيد، وأخِيه، فعزَم على إخراج بعضهم، فضَجَّت المُطَّوِّعة حتى سمع ضجيجَهم، فأذن لعشرين منهم، فاستأذنوه في المَشُورة فأذِن لهم، فقال قائلهم: يا أميرَ المؤمنين، قُوّادُك مشهُورُون بالبأس والنَّجْدة وعُلُوّ الصوت ومُدَاوَسَة الحُرُوب[٢]، ومتى خرج واحدٌ منهم فقتل هذا العِلْج[٣] لم يكبُر ذلك، وإن قتله العِلْج كانت

---

(١) العرادات: جمع عرادة، وهي آلة حربية كالمنجنيق لكنها أصغر.
(٢) مداوسة الحروب: المران عليها والتمرّس بها.
(٣) العلج: الرجل الضخم، أو الكافر من كفار العجم.

وَضيعة[١] على العسكر عَجِيبة وثُلمَة لا تُسَدّ، ونحن عامَّة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يَصْلُح للعامَّة، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يُخَلِّيَنا نختارُ رجلاً فنخرجه إليه، فإن ظَفِرَ عَلِم أهلُ الحِصْن أنَّ أميرَ المؤمنين قد ظَفِر بأعزّهم على يَد رجل من العامَّة، ومن أفناء الناس ليس ممن يُوهِن قتلُه ولا يُؤَثِّر، وإن قُتِل الرَّجل فإنما استُشْهِد رجلٌ ولم يُؤَثِّر ذهابه في العَسْكر ولم يُثْلِمه، وخرج إليه رجل بعده مِثله حتى يقضي الله ما شاء، قال الرَّشيد: قد استَصْوبْتُ رأيكم هذا. فاختاروا رجلاً منهم يُعرَف بابن الجزريّ، وكان معروفاً في الثَّغْر بالبأس والنجدة، فقال الرشيد: أتخرج؟ قال: نعم، وأستَعِين الله، فقال: أعطُوه فَرَساً ورُمْحاً وسيفاً وتُرساً، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا بفَرَسي أوثَق، ورُمْحِي بيدي أشدّ، ولكني قد قَبِلت السيفَ والتُّرس، فلبِس سلاحه واستَدْناه الرَّشيد فودَّعه، واستَتْبَعَه الدُّعاء، وخرج معه عشرون رجلاً من المُطَوِّعة، فلما انقَضّ في الوادِي قال لهم العِلْج وهو يَعُدُّهم واحداً واحداً: إنما كان الشَّرطُ عشرين وقد زِدتُم رجلاً، ولكن لا بأس، فنادَوْه: ليس يخرُج إليك منا إلا رجلُ واحد. فلما فصَل منهم ابن الجزريّ تأمَّله الرُّوميُّ وقد أشرف أكثرُ الرّوم من الحِصن يتأمَّلُون صاحبَهم والقِرْنَ حتى ظَنُّوا أنه لم يَبْق في الحِصن أحدٌ إلا أشرف، فقال الرُّوميّ: أتصدُقُني عما أسْتَخْبِرُك؟ قال: نعم، فقال: أنتَ بالله ابنُ الجزري؟ قال: اللهم نعم، فكفَّر له[٢]، ثم أَخَذَا في شأنهما فاطَّعنا حتى طال الأمرُ بينهما، وكاد الفَرَسانِ أن يقوما وليس يَخدش واحدٌ منهما صاحبه، ثم تحاجزا بشيء، فَزَجَّ كلُّ واحد منهما برمحه، وأَصْلَت سيفه، فتجالدا مَلِيّاً، واشتدَّ الحرّ عليهما، وتبلَّد الفَرَسان، وجَعل ابن الجزريّ يَضْرِب الرُّوميّ الضربة التي يَرى أنه قد بَلَغ فيها فيَتقيها الروميُّ، وكان تُرسه حديداً؛ فيُسمَع لذلك صوت منكر، ويضربه الرُّوميّ ضرب مُعذِّر؛ لأن تُرْس ابن الجزريّ كان دَرَقَةً، فكان العِلْج يخاف أن يَعضّ بالسَّيْف فيعطب، فلما يُئِس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزَمَ ابنُ الجزريّ؛ فدخلت المسلمين كآبَة لم يَكْتَئِبُوا مثلها قطّ، وعَطْعَطَ[٣] المشركون اخْتِيالاً وتَطاوُلاً، وإنما كانت هزيمتُه حيلةً منه؛ فاتبعه

---

(١) الوضيعة: العار.
(٢) كَفَّر له: انحنى له.
(٣) عطعط المشركون: اختلطت أصواتهم وتتابعت.

العِلْج، وتمكّن منه ابن الجزريّ فَرَماه بوَهَق[١] فوقع في عُنقه وما أخطأه، وركَضَ فاستلَّه عن فرسه، ثم عَطف عليه فما وصل إلى الأرض حَيّاً حتى فارقه رأسُه، فكبَّر المسلمون أعلى تَكْبير، وانخذل المشرِكون وبادروا الباب يُغلقِونه، واتصل الخبر بالرَّشيد فصاح بالقُوّاد: اجعلوا النار في المَجانِيق وارموها فليس عند القوم دَفْع، ففعلوا وجعلوا الكَتّان والنِّفط على الحجارة وأضرَموا فيها النار ورَموا بها السور، فكانت النار تلصَق به وتأخُذُ الحجارة، وقد تصدَّع فتهافتت، فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مُسْتَأْمِنين ومُسْتَقْبِلين، فقال الشاعر المَكِّيّ الذي كان ينزل جُدَّة:

صوت

[البسيط]

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أن رأتْ عَجَباً حَوائِماً تَرْتَمِي بالنِّفْطِ والنَّارِ
كأنَّ نِيرَانَنا في جَنْبِ قَلْعَتِهِم مُصبَّغاتٌ على أرْسانِ قَصَّارِ

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر.

قال محمد بن يزيد: وهذا كلام ضعيف لين، ولكنَّ قدرَه عظيم في ذلك الموضع والوقت، وغَنَّى فيه المُغَنُّون بعد ذلك. وأعظم الرَّشيدُ الجائزة للجُدّيّ الشاعر، وصُبّت الأموالُ على ابن الجزريّ وقُوِّد[٢]، فلم يقبل التَّقْوِيد إلا بغير رِزْق ولا عِوَض، وسأل أن يُعفَى ويُنْزَل بمكانه من الثَّغْر، فلم يزل به طول عمره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثنا أحمدُ بن عليّ بن أبي نَعِيم المَرْوَزِيّ قال: خرج الرّشيد غَازياً بلادَ الرُّوم فنزل بهِرَقلةَ، فدخل عليه ابنُ جامع فغنّاه: [البسيط]

هَوَتْ هرَقْلةُ لَمَّا أنْ رأت عَجَباً حَوائِماً ترتَمِي بالنِّفْطِ والنّارِ

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جِيءَ بها، فظنَّ أن الطاغية قد أتاه؛ فخرج يركُض على فرس له وفي يده الرُّمح، وتَبِعه الناس، فلما تبيَّن له أنها ماشية رجَعوا، فغنَّاه ابنُ جامع:

---

(١) الوهق: الحبل في طرفيه أنشوطة.
(٢) قوِّد: عين قائداً.

صوت

رَأى في السَّما رَهْجاً فيَمَّمَ نَحْوَهُ يَجُرُّ رُدَيْنِيّاً وَلِلرَّهْجِ يَسْتَقْرِي[١]
تَنَاوَلْتَ أَطْرافَ البِلادِ بِقُدرَةٍ كأنَّكَ فيها تَقْتَفِي أَثَرَ الخِضْرِ

الغناء لابن جامع ثاني ثقيل عن بَذْل وابن المَكّيّ.

أخبرني هاشم بنُ محمد أبو دُلَف الخُزَاعيّ، قال: حدثني الفَضْلُ بنُ محمد اليَزيديُّ، عن إسحاق المَوْصِلي، قال: لمَّا انصرفَ الرشيدُ من غَزاةِ هِرَقْلَةَ قدم الرَّقَّة في آخر شهر رمضان، فلما عيَّد جلس للشعراء، فدخلوا عليه وفيهم أَشْجع، فبَدرهم وأنشأ يقول: [البسيط]

لا زِلْتَ تَنْشُرُ أعياداً وتَطْويها تَمْضِي بِهَا لَكَ أيامٌ وتَثْنِيها
مُسْتَقبلاً زِينةَ الدُّنيا وبَهْجَتَها أيامُنا لَكَ لا تَفْنَى وتُفْنِيها
ولا تَقَضَّت بكَ الدُّنيا ولا بَرِحَتْ يَطوي لكَ الدَّهْرُ أيّاماً وتَطْويها
ولْيَهْنِكَ الفَتْحُ والأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ إِلَيْكَ بِالنَّصْرِ مَعْقُوداً نواصِيها
أَمْسَتْ هِرقْلَةُ تَهْوِي مِنْ جَوانِبِها وناصِرُ الله وَالإِسْلام يَرْمِيها
مُلِّكْتَها وقَتَلْتَ النَّاكِثِينَ بها بِنَصْرِ مَنْ يَمْلِكُ الدُّنْيا وما فيها
ما رُوعِي الدِّينُ والدُّنيا على قَدَمٍ بِمِثْلِ هارُونَ رَاعِيهِ وراعِيها

قال: فأمر له بألف دينار، وقال: لا يُنشدني أحدٌ بعده، فقال أشجع: واللَّهِ لأمرُه بألاّ ينشدَه أحدٌ بعدي أحبُّ إليَّ من صلته.

حدثني أحمدُ بنُ وصيف، ومحمدُ بنُ يَحْيَى الصّوليّ قالا: حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: حدَّثني عبدُ اللّه بن عمرو الوراق، قال: حدَّثني أحمدُ بنُ محمدِ بن مَنْصُور بنِ زِياد عن أبيه، قال: دخل أشجَعُ على الرَّشيد ثاني يوم الفِطر فأنْشَده:

صوت

[الكامل]

استَقْبِلِ العِيدَ بِعُمْرٍ جَدِيدِ مَدَّتْ لكَ الأيَّامُ حَبْلَ الخُلُودِ
مُصَعِّداً في دَرَجاتِ العُلاَ نَجْمُكَ مَقْرُونٌ بِسَعْدِ السُّعُودِ

---

(١) الرهج: الغبار. ويستقري: يستطلع.

وَاطْوِ رِداءَ الشَّمْسِ ما أَطْلَعَتْ نُوراً جَدِيداً كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدِ
تَمْضِي لكَ الأَيَّامُ ذا غِبْطَةٍ إذا أَتى عِيدٌ طَوَى عُمْرَ عِيدِ

فوصله بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يُغَنَّى في هذه الأبيات.

أخبرني محمد بنُ جعفر النَّحْويّ، قال: حدثنا محمد بنُ موسى بن حَمَّاد، قال: حدثني أبو عبدِ اللّه النَّخَعيّ، قال: دخل أشجَعُ على الرشيد فأنشده قوله:

[المتقارب]

أَبَتْ طَبرِسْتانُ غَيْرَ الذِي صَدَعْتَ بِهِ بَيْنَ أَعْضائِها
ضَمَمْتَ مَناكِبَها ضَمَّةً رمَتْك بما بَيْنَ أَحْشائِها
سَمَوْت إليها بِمِثْلِ السَّماءِ تَدَلَّى الصَّواعِقُ في مائِها
فَلَمَّا نَظَرْتَ إلى جُرْحِها وضَعْتَ الدَّواءَ على دَائِها
فَرَشْتَ الجِهادَ ظُهُورَ الجِيادِ بِأَبْنائِهِ وبِأَبْنائِها
بِنَفْسِكَ تَرْمِيهِمُ والخُيولِ كَرَمْيِ العُقابِ بأَفْلائِها[1]
نَظَرْتَ بِرَأْيِكَ لَمَّا هَمَمْـ ـتَ دُونَ الرِّجالِ وآرائِها

قال: فأمر له بألف دينار.

أخبرني محمد بنُ جعفر، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ مُوسَى، قال: حدثني أبو عَمْرو الباهِليُّ البصريُّ قال: دخل أشجَعُ بنُ عَمْرو السُّلَمِيّ على هارون الرَّشيد حين قدم من الحَجّ، وقد مُطِر الناس يوم قدومه، فأنشده يقول: [الخفيف]

إنَّ يُمْنَ الإمامِ لَمَّا أتانا جَلَبَ الغَيْثَ مِنْ مُتونِ الغَمامِ
فابْتِسامُ النَّباتِ في أَثَرِ الغَيْـ ـثِ بِنُوَّارِهِ كَسُرْجِ الظَّلامِ[2]
مَلِكٌ مِنْ مَخافة الله مُغْضٍ وهو مُغْضَى له مِنَ الإعظامِ
أَلِفَ الحَجَّ والجِهادَ فما يَنْـ ـفَكُّ مِنْ سَفْرَتَيْنِ في كُلِّ عامِ
سَفَرٍ للجِهادِ نَحْوَ عَدُوٍّ والمطايا لِسَفْرَةِ الإحرامِ
طَلَبَ الله فهو يَسْعَى إليهِ بالمَطايا وبالجِياد السَّوامِي
فيَداهُ يَدٌ بِمَكَّةَ تَدْعو هُ وأُخْرَى في دَعْوَةِ الإسْلامِ

---

(١) الأفلاء: الصغار الذين فُطِموا وعزلوا عن أمهم.

(٢) السُّرُج: جمع سراج، وهو المصباح.

أخبرني محمد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن موسى بن حَمَّاد قال: أخبرني أبو عبد اللّه النَّخَعِيّ، قال: أمر الرَّشيدُ بحفر نهر لبعض أهل السَّوادِ، وقد كان خرِب وبطل ما عليه، فقال أشجَع السُّلَمِيّ يمدحه: [مخلع البسيط]

أَجْرَى الإِمامُ الرَّشيدُ نَهْراً عاشَ بِعُمرانِهِ المَواتُ
جادَ عَلَيْهِ بِريقِ فِيهِ وسِرّ مَكْنُونه الفُراتُ
أَلْقَمَهُ دِرَّةً لَقُوحاً يَرْضَعُ أَخْلافَها النَّباتُ[(١)]

أخبرني جَحْظة، قال: حدَّثني مَيْمُون بن هارون قال: رأى الرَّشيد فيما يَرَى النَّائِم كأنّ امرأة وقَفت عليه وأخذَت كَفَّ تُراب ثم قالت له: هذه تُربتك عن قليل، فأصبحَ فَزِعاً، وقَصّ رُؤْياه، فقال له أصحابه: وما هذا؟ قد يَرَى النَّاس أكْثر مِمَّا رأيتَ وأَغْلَظ ثم لا يضرّ. فركب وقال: والله إني لأَرَى الأمرَ قد قَرُب، فَبَيْنا هو يَسِير إذ نَظَر إلى امرأة واقفة من وراء شُبَّاك حَدِيد تَنْظر إليه، فقال: هذه واللَّهِ المرْأة التي رَأيتُها، ولو رأيتها بين ألْف امرأةٍ ما خَفِيتْ عليّ، ثم أمرها أن تأخذَ كَفَّ تُراب فَتدْفَعُه إليه، فضربَت بِيَدِها إلى الأرض التي كانت عليها فأَعْطَتْه منها كَفَّ تُراب، فَبَكى ثم قال: هذه وَاللَّهِ التُّربةُ التي أُرِيتُها، وهذه المَرأةُ بعَيْنها. ثم مات بعد مُدَّة، فدُفن في ذلك المَوْضِع بعَينه، اشتُري له ودُفِن فيه، وأتَى نعيُه بغداد، فقال أشجَعُ يَرْثِيه: [مجزوء الرمل]

غَرَبَتْ بالمَشْرِق الشَّمْـ ـسُ فَقُلْ لِلْعَيْنِ تَدْمَعْ
مَا رَأَيْنَا قَطُّ شَمْساً غَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ تَطْلَعْ

أخبرني عَمِّي، قال: حدَّثنا محمد بنُ مُوسَى، قال: حدَّثَنا عَبدُ اللّه بنُ أَبِي سعْد، قال: حدثني محمد بنُ عبدِ اللّه بن مالك، قال: كان حَرْبُ بنُ عَمْرو الثَّقفِيُّ نَخّاساً، وكانت له جاريةٌ مُغَنِّية، وكان الشعراءُ والكُتَّاب وأهلُ الأَدَب بِبَغْداد يَخْتَلِفُون إليها يسمعونها، ويُنْفِقُون في منزله النَّفقاتِ الواسِعةَ، ويَبَرُّونه ويُهْدُون إليه، فقال أشْجَع: [السريع]

جارِيةٌ تَهْتَزُّ أَرْدافُها مُشْبَعةُ الخَلْخالِ وَالقُلْبِ[(٢)]
أَشْكُو الذي لاقَيتُ مِنْ حُبِّها ويُغْضِ مَوْلاها إلى الرَّبِّ

(١) الدرّة: اللبن، أو كثرته. والأخلاف: جمع خلف، وهو حلمة ضرع الناقة.
(٢) القلب: السوار.

مِنْ بُغْضِ مَوْلاها وَمِنْ حُبِّها سَقِمْتُ بَيْنَ البُغْضِ والحُبِّ
فاختَلَجا في الصَّدْرِ حَتَّى اسْتَوى أَمْرُهما فاقْتَسَما قَلْبي
تَعَجَّلَ اللهُ شِفائي بِها وعَجَّلَ السُّقْمَ إلى حَرْبِ

قال مُؤَلف هذا الكتاب: فأخَذَ هذا المَعْنى بَعضُ المُحْدَثين من أهْل عَصْرنا، فقال في مُغَنِّية تُعرَف بالشَّاة:

بِحُبِّ الشّاةِ ذُبْتُ ضَنًى وطالَ لِزَوْجِها مَقْتِي[1]
فَلَوْ أنِّي مَلَكْتُهما لأُسْعِدَ في الهَوَى بَخْتِي
فأُدْخِلُ في اسْتِها أيْري ولِحْيَةَ زَوْجِها في اسْتِي

أخبرني أبو الحَسَن الأسدِيُّ، قال: حدثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال: حدثني صالح بن سليمان، قال: اعتلّ يَحْيَى بنُ خَالِد ثم عُوفِيَ، فدخل النَّاسُ يهنّئونه بالسَّلامة، ودخل أشجَع فأنْشدَه: [الوافر]

لَقَدْ قَرَعَتْ شَكاةُ أبي عَليٍّ قُلوبَ مَعاشِرٍ كانوا صِحاحا
فإن يَدْفَع لنا الرَّحْمٰنُ عَنْهُ صُرُوفَ الدَّهْرِ والأَجَلِ المُتاحَا
فَقَدْ أَمْسَى صَلاَحُ أبِي عَليٍّ لأهْلِ الدِّينِ والدُّنْيا صَلاحَا
إذا ما المَوْتُ أخطأَهُ فَلَسْنا نُبالي المَوْتَ حَيْثُ غَدَا وَراحَا

قال: فما أذِن يومئذ لأحد سواه في الإنشاد لاختصاص البَرامكة إيَّاه.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ القَاسِم بن مَهْرُويه، قال: حَدَّثَنا محمد بن عمران الضّبّيّ، قال: سمعتُ محمدَ بنَ أبي مالك الغَنَوِيّ يقول: دخَل أشجَعُ السُّلَمِيّ على عليّ بن شُبْرُمَة يَعودُه، فأنشأ يقول: [الطويل]

إذا مَرِض القاضي مَرِضْنا بأسْرنا وإنْ صَحَّ لَمْ يُسْمَعْ لنا بِمَريض
فَأَصْبَحْتُ ـ لمَا اعتَلَّ يَوْماً ـ كَطائِرٍ سَما بجَناحٍ للنُّهوضِ مَهِيضِ[2]

قال: فشَكَره ابنُ شُبْرُمَة وحَمَله على بغلة كانت له.

أخبرني الحَسَنُ، قال: حَدَّثَنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدَّثَني محمد بنُ عِمْران، قال: سَمِعت محمد بنَ أبِي مالِك يقول: جاء أشجَعُ ليَدْخُل على أبان بنِ الوليد

(١) المقت: البغض.
(٢) الجناح المهيض: الجناح المكسور.

البَجَلِيّ، فمنعه حاجِبُه، وانتهره غِلمانُه، فقال فيه: [الطويل]

ألا أيُّها المُشْلِي عَلَيَّ كِلابَهُ ... وَلِي - غير أنْ لَمْ أشْلِهِنَّ - كِلابُ[1]

رُوَيْدَكَ لا تَعْجَلْ عَلَيَّ فَقَدْ جَرَى ... بِخِزْيِكَ ظَبْيٌ أعْضَبٌ وغُرابُ[2]

عَلامَ تَسُدُّ البابَ والسِّرُّ قَدْ فَشا ... وَقَدْ كُنْتَ مَحْجُوباً وما لك بابُ

فَلَوْ كُنْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الخَمْرَ سادِراً ... إذاً لم يَكُنْ دُوني عليك حِجابُ

ولكنَّه يَمْضِي ليَ الحَوْلُ كامِلاً ... وما لِيَ إلاَّ الأبْيَضَيْنِ شَرابُ[3]

مِنَ الماءِ أوْ مِنْ شَخْبِ دَهْماء ثَرَّةٍ ... لها حالِبٌ لا يَشْتَكِي وحِلابُ[4]

أخبرني أحمدُ بنُ جعفر جَحظة، قال: حَدَّثني مَيْمُونُ بنُ هارون قال: حدَّثنا عليُّ بن الجَهْم قال: حدثني ابنُ أَشْجع السُّلميّ، قال: لما مَرَّ أبي وعَمّاي أحمدُ وَيزيدُ - وقد شَرِبوا حتى انْتَشَوْا - بقَبْر الوَلِيد بن عُقْبَة وإلى جانِبِه قَبْر أبِي زَبِيد الطَّائِيّ - وكان نَصْرانِيّاً - والقَبْران مُخْتَلِفان كلٌّ واحِدٍ منهما مُتَوَجِّه إلى قِبْلَة مِلَّته، وكان أبو زَبِيد أوصَى لَمَّا احتُضِر أن يُدْفَن إلى جنب الوَلِيد بالبَلِيخ[5] قال: فوقَفُوا على القَبريْن، وجَعَلوا يتحَدَّثون بأخبارِهما وَيَتَذاكَرون أحادِيثَهما، فأنشأ أبِي يَقول: [الوافر]

مَرَرْتُ على عِظامِ أبِي زَبِيدٍ ... وَقَدْ لاحَتْ بِبَلْقَعَةٍ صَلُودِ

وكان له الوَلِيدُ نَديمَ صِدْقٍ ... فنادَمَ قَبْرُهُ قَبْرَ الوَلِيدِ

أَنِيسا أُلْفَةٍ ذَهَبَتْ فأمْسَتْ ... عِظامُهُما تَآنسُ بالصَّعِيدِ

وما أَدْرِي بِمَنْ تَبْدا المَنايا ... بأحْمَدَ أو بأَشْجَعَ أو يَزِيدِ

قال: فماتُوا والله كما رَتَّبَهُم في الشّعر، أولُهم أحمد، ثم أشْجَع، ثم يَزِيد.

صوت

[الخفيف]

حَيِّ ذا الزَّوْرَ وانْهَهُ أن يَعودَا ... إنَّ بالبابِ حارِسِينَ قُعودَا

مِنْ أساوِيرَ ما يَنُونَ قِياماً ... وخلاخِيلَ تُذهِلُ المَوْلُودا

---

(١) أشلَى الكلب: أغراه.

(٢) الأعضب: المكسور القرن.

(٣) الأبيضان: الماء واللبن.

(٤) الدهماء: هنا الخالصة الحمرة. والثرَّة: الغزيرة. وشخب اللبن: حلبه.

(٥) البليخ: نهر بالرقة. (معجم البلدان ١/ ٤٩٣).

لا ذَعَرتُ السَّوامَ في فَلَقِ الصُّبْـ ـحِ مُغِيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدَا
يوم أُعْطِي مخافَةَ المَوْت ضَيْماً والمَنايا يَرْصُدْنَنِي أَنْ أَحِيدا

الشِّعر لِيَزِيدَ بنِ رَبيعَة بن مُفَرِّغ الْحِميريّ، والغِناء لسياط خَفِيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصر عن إسحاق، وذكر أحمد بن المَكّي أنه لأبيه يَحْيى، وذكر الهِشاميُّ أنه لفليح. قال: ومن هذا الصوت سُرق لحن:

تِلْكَ عِرْسِي تلُومُنِي في التَّصابي

أخبار ابن مفرغ ونسبه

[توفي ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م]

[اسمه ونسبه]

هو يَزيد بنُ ربيعَة بن مُفَرِّغ ـ ولُقّب جَدُّه مُفَرِّغاً لأنه راهن على سِقاء لَبن أن يَشْرَبه كلّه فشَربه كله حتى فرّغه، فلقب مُفرِّغاً ـ ويُكنى أبا عُثمان، وهو من حِمْير فيما يَزْعم أهلُه. وذكَر ابنُ الكلبي وأبُو عُبَيْدة أن مُفَرِّغاً كان شَعّاباً[١] بتَبالة[٢]، فادَّعَى أنَّه من حمير. وقال عليُّ بنُ محمد النّوْفليّ: لَيْس أحَدٌ بالبَصْرة من حِمْير إلاَّ آلَ الحَجَّاج بن ناب الحِمْيريّ وبَيْتاً آخر ذَكرَه، ودَفَع بَيْتَ ابن مُفَرِّغ.

أَخبَرني محمد بنُ خَلَف بنِ المرزبان، قال: أخبرني أحمدُ بنُ الهيْثم القُرشيّ قال: أخبرني العُمريّ، عن لَقِيط بنِ بكْر المُحَاربيّ، قال: هو يَزيدُ بنُ رَبيعة بنُ مفَرِّغ الحِميريّ حلِيفُ قُرَيْش، ثم حليف آل خالِد بن أسيد بن أبي العِيص بن أُميّة بن عبد شَمْس. قال العمَريّ: وكان ابن المَكّي يقول: كان مُفَرِّغ عَبداً للِضَّحاك بن عَبد عَوْف الهِلالي فأنْعَم عليه.

قال محمد بنُ خَلف: أخبرَني محمد بنُ عبدِ الرّحمن الأسدِيّ، عن مُحمّد بن رزين، قال: قال الأخفَش: كان رَبيعَةُ بنُ مفَرّغ شَعّاباً بالمدينة وكان يُنْسب إلى حمْير، وإنّما سُمّي مُفرِّغاً لتَفْرِيغِه العُسّ[٣] وكان شاعراً غَزِلاً محسناً، والسّيِّدُ[٤] من ولده.

---

(١) الشعّاب: من يصلح الصدوع.

(٢) تبالة: موضع ببلاد اليمن. (معجم البلدان ٢/ ٩).

(٣) العسّ: القدح الضخم.

(٤) السِّيد: إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري. المتوفى سنة ١٧٣ هـ.

أخبرَني محمدُ بن خَلف بنِ المَرزُبان، قال: حدّثني أبو العَيْناء قال:

سُئِل الأَصمعيّ عن شعر تُبَّع وقِصته ومَنْ وضعهما: فقال: ابنُ مُفرّغ؛ وذلك أنَّ يزيدَ بنَ مُعاوية لَمَّا سيّره إلى الشَّام وتخَلَّصه من عَبّاد بن زِياد أنزله الجَزيرةَ، وكان مُقيماً برأس عَيْن، وزعم أنّه من حِمْير، ووضع سيرةَ تُبَّع وأشعاره، وكان النّمِر بنُ قاسِط يَدَّعي أنّه منهم.

وقال الهيْثَم بنُ عدِيّ: هو يَزِيدُ بنُ زِياد بن رَبِيعة بنِ مُفرِّغ اليَحْصُبي، من حِمْير، يَحْصُب بن مالك بن زَيْد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوْف بن عَدِيّ بن مالك ابنِ زَيْد بن سَهْل بن عمرو بن قَيْس بن مُعاوية بن جشم بن عبد شَمْس بن وائل بن الغوث بن الهَمَيسَع بنِ حمْير بن سبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحطان.

أَخْبرَني بِخَبره جماعة من مَشايخنا، منهم أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوْهريّ، عن عُمر بن شَبَّة ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، عن جماعة من أصحابه، وأحمد بن عبدِ العزيز الجَوْهَرِيّ، عن عَليِّ بنِ محمد النّوفليّ، عن أبيه، فما اتّفَقتْ رِواياتُهم من خبره جَمَعْتها في ذكره، وما اختلفت أفردْتُ كلَّ مُنْفرد منهم بروايته.

[خبره مع عباد بن زياد]

أخبرَني محمد بنُ الحَسَن بنِ دُرَيد قال: حدّثنا أبُو حاتم، عن أبي عُبَيْدة، عن مَسْلمة بن مُحارب، وأخبَرني الجوهريّ قال: حَدَّثنا عُمر بنُ شبّة، وأخبرنا محمد ابنُ العَبّاس اليزيديُّ قال: قرأت على محمد بنِ الحَسن بن دُريد، عن ابن الأعرابيّ، وأخبرَني محمد بنُ خَلف بن المَرْزُبان قال: حدَّثَنا أحمدُ بنُ الهيْثم قال: حدثنا العُمْريّ، عن لَقيط بنِ بكير، قالوا جميعاً:

لَمَّا ولِيَ سَعيدُ بنُ عُثمان بن عَفّان خُراسان، استَصْحب يزيدَ بنَ رَبيعة بن مُفرّغ، واجتهد به أن يَصحبه، فأبى عليه وصَحِب عبّاد بن زياد، فقال له سَعيدُ بن عُثمان: أما إذْ أبيتَ أن تصحبني وآثرت عَبّاداً فاحفظ ما أُوصيك به: إن عبّاداً رجل لئيم، فإيّاك والدّالّة عليه، وإن دَعاك إليها من نفسه فإنها خدْعة منه لك عن نَفسك، وأقللْ زيارته، فإنّه طَرِفٌ[1] ملول، ولا تفاخِره وإن فاخرَك، فإنّه لا يَحْتمل لك ما

(١) الطَّرِف: الذي لا يثبت على صحبة صاحب.

كنْتُ أحتمله. ثمّ دَعا سَعيد بمال فدفعه إلى ابن مُفرِّغ، وقال: استعِنْ به على سَفرك، فإن صلح لك مكانك من عبّاد وإلا فمكانُك عندي مُمَهَّدٌ فائْتِنِي. ثم سار سَعيد إلى خُراسان، وتخلّف ابنُ مفرّغ عنه، وخرَج مع عبّاد.

قال ابنُ دُرَيْد في خبره، عن مَسلَمَة بن مُحارب: فلما بلغَ عُبَيْدَ اللّه بن زِياد صُحْبَةُ ابنِ مُفرّغ أخاه عَبَّاداً شق عليه، فلما سارَ أخوه عَبَّادٌ شيَّعه وشيّع الناسُ معه، وجعلوا يودِّعونه ويودِّع الخارجون مع عَبَّاد عُبَيْدَ اللّه بن زياد، فلما أراد عبيدُ اللّه أن يودع أخاه دعا ابنَ مُفرِّغ، فقال له: إنك سألت عَبَّاداً أن تصحبه وأجابك إلى ذلك، وقد شَقَّ عَليَّ، فقال له ابنُ مُفرّغ: ولِم أصلَحَك الله؟ قال: لأن الشاعر لا يُقنِعه من الناس ما يُقنع بعضهم من بعض؛ لأنه يَظُن فيجعل الظنَّ يقيناً، ولا يَعذِر في موضع العُذْر، وإن عَبَّاداً يَقْدَم على أرض حرب فيشتغل بحُرُوبه وخراجه عنك، فلا تعذره أنت، وتُكْسِبنا شرّاً وعاراً، فقال له: لست كما ظنَّ الأمير، وإنّ لِمَعْرُوفه عندي لشكراً كثيراً، وإنَّ عندي ـ إن أغْفَل أمري ـ عذراً مُمَهَّداً، قال: لا، ولكن تَضْمَن لي إن أبطأ عنك ما تُحِبُّه ألاّ تعجل عليه حتى تكتبَ إليَّ، قال: نعم. قال: امضِ إذاً على الطائِر الميمُون. قال: فقَدِم عَبَّادٌ خُراسان، واشتغل بحَرْبه وخَراجه، فاستبطأه ابنُ مُفرّغ ولم يكتب إلى عُبَيْد اللّه بن زِياد يشكوه كما ضَمِنَ له، ولكنه بسط لسانَه فَذَمَّه وهجاه.

وكان عبَّادٌ عظِيمَ اللِّحية كأنها جُوالَق، فسارَ يَزِيدُ بنُ مُفرِّغ يوماً مع عبّاد، فدخلت الريح فَنَفَشَتْها، فضحك ابنُ مُفرِّغ، وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه قوله: [الوافر]

ألا لَيْتَ اللِّحى كانَتْ حَشِيشاً فَنعلِفَها خُيولَ المُسلِمِينا

فسعى به اللَّخْميُّ إلى عَبَّاد، فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال: لا يَجمُل بي عقوبتُه في هذه الساعة مع الصحبة لي، وما أُؤخِّرها إلا لأشفيَ نفسي منه، لأنه كان يقوم فَيَشْتُم أبي في عِدَّة مواطن، وبلغ الخبرُ ابنَ مُفرّغ فقال: إني لأجِد رِيحَ الموت من عَبَّاد.

ثم دخل عليه فقال له: أيُّها الأمير، إني كنتُ مع سَعِيد بن عثمان، وقد بلغَك رأيُه فيّ، ورأيت جَمِيلَ أثَرِه عليّ، وإنّي اخْتَرتك عليه، فلم أَحْظَ منك بطائِل، وأُرِيدُ أن تَأذَن لي في الرُّجوع، فلا حاجَة لي في صُحْبَتك، فقال له: أمَّا اخْتيارُك

إيّاي فإني اخْتَرْتُك كما اخْتَرْتَنِي، واسْتَصحَبْتُك حين سَألْتَنِي، وقد أعْجَلْتَنِي عن بُلوغ مَحَبَّتي فيك، وقد طلبت الإِذْن لترجِعَ إلى قَوْمك، فتَفْضحني فيهم، وأنتَ على الإِذن قادر بعد أن أقضي حَقَّك، فأقام. وبلغ عَبَّاداً أنه يَسُبُّه ويَذْكُره وينالُ من عِرْضه، وأجْرَى عَبَّاد الخَيل فجاء سابقاً، فقال ابنُ مُفرّغ.

سَبَق عَبَّادٌ وصَلَّت[1] لِحْيَتُه

وطلب عليه العلَل، ودَسّ إلى قوم كان لهم عليه دَيْن، فأمرهم أن يقدموه إليه، ففعلوا، فحبَسه وأضرَّ به، فبعث إليه أنْ بِعْني الأَراكةَ وبُرْداً، وكانت الأراكةُ قَيْنةً لابن مُفرِّغ، وبُردٌ غُلامَه، رَبَّاهُما وكان شَديدَ الضَّنِّ بهما، فبعث إليه ابنُ مُفرِّغ مع الرَّسُول: أيَبيعُ المرءُ نَفسَه أو وَلدَه؟ فأَضَرَّ به عبّاد حتى أخذهما منه. هذه رواية مسلمة.

وأمَّا لَقِيط وعُمرُ بنُ شَبَّة فإنهما ذكرا أنه باعهما عليه، فاشْتراهما رجل من أهل خُراسان. قال لقِيط: فلمَّا دَخلا منزِله قال له بُرْد، وكان داهيَةً أرِيباً: أتَدْرِي ما اشْتَرَيْت؟ قال: نعم، اشتريْتُك وهذه الجارية. قال: لا والله ما اشتريْتَ إلاَّ العَارَ والدَّمَارَ والفَضيحة أبداً ما حَييت، فَجَزِع الرجلُ وقال له: كيف ذلك؟ ويلك! قال: نحن ليَزِيدَ بنِ ربيعةَ بن مُفرّغ، والله ما أصارَه إلى هذه الحال إلا لِسانُه وشَرُّه، أفَتَراه يَهْجُو ابنَ زِياد ـ وهو أمِيرُ خُراسان، وأخوه أمير العِراقَيْن[2]، وعَمُّه الخَلِيفة ـ في أن استَبْطأه ويُمْسِك عنك، وقد ابْتَعتَنِي وابتَعْتَ هذه الجارية وهي نَفْسُه التي بين جنبيه؟ والله ما أرى أحداً أدخلَ بيته أشأَمَ على نفسه وأهله مما أدخلتَه مَنْزِلك، فقال: فاشهدْ أنَّك وإيَّاها له، فإن شِئْتُما أن تَمْضِيا إليه فامْضِيا، على أنِّي أخافُ على نَفْسي إنْ بَلَغَ ذلك ابنَ زياد، وإن شِئْتُما أن تَكُونا له عِنْدِي فافعلا، قال: فاكتب إليه بذلك. فكتَب الرجلُ إلى ابن مُفرّغ في الحَبْس بما فَعَله، فكتب إليه يَشْكُر فِعلَه، وسأله أن يَكُونا عنده حتى يُفرِّج اللَّهُ عنه.

قال: وقال عَبَّاد لحاجبه: ما أرى هذا ـ يعني ابن مُفَرّغ ـ يُبالي بالمُقام في الحَبْس، فَبِعْ فَرَسه وسِلاحَه وأثاثه، واقسِم ثَمَنها بين غُرمائه، ففعل ذلك وَقَسَم

(١) صَلَّت: جاءت تالية.
(٢) العراقان: الكوفة والبصرة.

الثَّمَنَ بينهم، وبَقِيت عليه بَقِيَّةٌ حَبَسه بها. فقال ابنُ مُفرِّغ يذكُر غُلامه بُرْداً وجارِيَتَه الأراكةَ وبَيْعَهما:

شَرَيْتَ بُرْداً ولو مُلِّكْتَ صَفْقَتَهُ ... لَما تَطلَّبْتَ في بَيْعٍ لَهُ رَشَدا

لَوْلا الدَّعِيُّ ولولا ما تَعرَّض لي ... مِنَ الحَوَادِثِ ما فارقْتُهُ أَبَدا[1]

يا بُرْدُ ما مَسَّنَا بَرْدٌ أَضَرَّ بنا ... مِنْ قَبْلِ هذا ولا بِعْنا له وَلَدا

أمّا الأراكُ فكانَتْ مِنْ مَحارِمِنا ... عَيْشاً لَذِيذاً وكانَتْ جَنَّةً رَغَدا

كانَتْ لنا جَنَّة كُنَّا نَعِيشُ بها ... نَغْنَى بها إن خَشِينَا الأَزْلَ والنَّكَدا[2]

يا لَيْتني قَبْلَ ما نابَ الزَّمانُ بِهِ ... أَهْلي لَقِيتُ على عُدْوانِه الأَسدَا

قَدْ خانَنا زَمَنٌ لَمْ نَخْشَ عَثْرَتَهُ ... مَنْ يَأْمَنُ اليَوْمَ أم مَنْ ذا يَعِيشُ غَدا!

لامَتْنِيَ النَّفْسُ في بُرْدٍ فَقُلْتُ لها ... لا تَهْلَكِي إثْرَ بُرْدٍ هَكَذا كَمَدا

كَمْ مِنْ نَعِيمٍ أَصَبْنا مِنْ لذاذَتِهِ ... قُلْنَا لَهُ إذْ تَوَلَّى لَيْتَهُ خَلَدَا

قالوا: وعَلم ابن مُفَرِّغ أنه إن أقام على ذَمّ عبَّاد وهجائه وهو في مَحْبسه زاد نفسَه شرّاً؛ فكان يَقولُ للنَّاس إذا سألوه عن حَبْسه ما سَبَبُه؟: رجل أدَّبه أميرهُ ليُقَوِّم من أَوَده، أو يَكُفَّ من غَرْبه، وهذا لعَمْري خَيرٌ من جَرِّ الأميرِ ذيلَه على مُداهنة لصاحِبه. فلما بلغ عَبّاداً قَوْلُه رَقَّ له وأخرجه من السِّجن، فهَرَب حتى أتى البَصرة، ثم خرج منها إلى الشَّام وجَعَل ينتقل في مدنها هارباً ويهْجُو زِياداً وولدَه.

وقال المدائنيّ في خبره: لمَّا بلغ عَبَّادَ بن زِيادٍ أنَّ ابنَ المُفرّغ قال:

سَبَقَ عَبَّادٌ وصَلَّتْ لِحْيَتُهُ

دعا ابنَه والمجلسُ حافلٌ فقال له: أنشِدْني هِجاءَ أبيك الذي هُجِيَ به، فقال: أيُّها الأمير، ما كُلِّف أحدٌ قطُّ ما كلَّفْتَني، فأمر غُلاماً له أعْجَميًّا وقال له: قُمْ على رأسِه، فإن أنشد ما أمرتُه به وإلا فصُبَّ السّوطَ على رأسِه أبداً أو يُنْشِده، فأنشدَه أبياتاً هُجِيَ بها أبوه أولها: [الكامل]

قَبَحَ الإلهُ ولا يُقبِّحُ غَيْرُهُ ... وَجْهَ الحِمارِ رَبِيعةَ بن مُفرِّغِ

(١) الدعيّ: المشكوك بنسبه.

(٢) الأزل: الشدة، الضيق.

وجعل عَبّاد يَتَضاحَك به، فخرج ابنُ ابنِ مُفرِّغ من عنده وهو يقُول: والله لا يَذْهب شَتْم شيْخي باطلاً، وقال يهجوه بقَوله: [مجزوء الكامل]

أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أُمامَهْ ... مِنْ بَعْدِ أَيَّام بِرامَهْ
فالرِّيحُ تَبْكِي شَجْوَها ... والبَرْقُ يَضْحَكُ في الغَمامَهْ
لَهَفِي على الأمْرِ الذِي ... كانت عواقِبُهُ نَدَامَهْ
تَرْكِي سَعِيداً ذَا النَّدى ... والبَيْت تَرْفَعُه الدِّعامهْ
فُتِحَت سَمَرقَنْدٌ له ... وَبَنى بعَرْصتِها خِيامَهْ
وتَبِعْتُ عَبْدَ بَنِي عِلا ... ج، تِلْكَ أشْراطُ القِيامَهْ[1]
جاءَت به حَبَشِيّةٌ ... سَكَّاءُ تحسَبُها نَعامَهْ[2]
وشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَنِي ... مِنْ بَعدِ بُردِ كُنْتُ هامهْ
أو بُومَةً تدعُو صَدًى ... بَيْنَ المُشَقَّرِ واليَمامَهْ[3]
فالهَوْلُ يركَبُهُ الفَتَى ... حَذَرَ المَخازِي والسَّآمَهْ
والعَبْد يُقْرَعُ بالعَصَا ... والحُرُّ تَكْفِيه المَلامَهْ

قال: ثم لَجَّ في هجاء بني زِياد حتى تَغَنّى أهلُ البصرة في أشعاره، فطلبه عُبَيْد اللّه طلباً شديداً حتى كاد يُؤخذ، فلحق بالشام.

واختلفت الرُّواةُ فيمن ردَّه إلى ابن زياد، فقال بعضهم: مُعاوِية، وقال بعضهم: يَزِيدُ، والصّحيحُ أنه يَزِيد؛ لأن عَبَّادَ بنَ زِياد إنما وَلِي سِجِسْتانَ في أيام يزيد. وقال بعضُهم: بل الذي وَلاّه مُعاوِية، وهو الذي ولّى سَعِيد بن عُثمان خُراسان.

أخبرني مُحمّد بنُ العبَّاس اليَزِيديُّ، وعُبَيْد اللّهِ بنُ محمد الرازيّ قالا: حدثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنيّ قال: دخل سَعِيدُ بنُ عُثمان على مُعاوِيَة بن أبي سُفْيان فقال: علام جعلتَ يَزِيدَ وَلِيَّ عهدك دوني؟ فواللّهِ لأبي خَيْر من أبيه، وأُمِّي خير من أمه، وأنا خير منه، وقد وَلَّيناك فما عزلناك، وبِنَا نِلْتَ ما نِلْتَ، فقال له معاوية: أمّا قولك: إنّ أباكَ خَير من أبيه فقد صدقت لعَمْرُ اللّه؛ إن عُثمانَ لخير

---

(١) بنو علاج: بطن من ثقيف.
(٢) سكّاء: صغيرة الأذنين.
(٣) المشقَّر: حصن بالبحرين، وقيل: بين نجران والبحرين. (معجم البلدان ٥/ ١٣٤).

منّي، وأما قولك: إن أمك خير من أُمِّه، فحسب المرأةِ أن تكونَ في بيت قَومِها وأن يَرْضَاها بَعلُها وأن يَنْجُب ولدُها. وأما قولُك: إنَّك خيرٌ من يَزيد، فواللهِ يا بنيّ ما يَسُرُّني أنّ لي بيزِيدَ ملءَ الغُوطَة مثلك. وأما قولُك: إنكم ولَّيتموني فما عَزَلْتُموني، فما وَلَّيْتُموني، وإنما ولاّني من هو خير منكم عُمَر، فأقْرَرْتُموني، وما كنتُ بئس الوَالِي لكم، لقد قمتُ بثَأرِكم، وقتلتُ قَتَلَةَ أبيكم، وجعلتُ الأمرَ فيكم، وأغنيتُ فَقيرَكم، ورفعتُ الوَضِيعَ منكم، فكلَّمه يَزِيدُ في أمره فولاَّه خُرَاسَان.

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرغ

[تنقله في قرى الشام وهجاؤه بني زياد]

قالوا: فلم يَزَل يَنْتَقِل في قُرَى الشام ونواحيها، ويَهْجُو بني زياد، وأشعارُه فيهم تَرِد البَصْرة وتنتشر وتبلُغهم، فكتب عُبَيْدُ اللّه بنُ زياد إلى مُعاوِية، وقال الآخرون: إنه كتب إلى يَزِيدَ وهو الصحيح، يقول له: إن ابنَ مُفَرِّغ هَجا زياداً وبني زِياد بما هَتَكه في قبره، وفضح بنيه طُولَ الدهر، وتعدَّى ذلك إلى أبي سُفْيان، فقذفه بالزنى وسَبَّ ولده، فهرب من خُراسانَ إلى البَصْرة، وطَلَبْتُهُ حتى لَفَظَتْه الأرض، فلجأ إلى الشام يَتَمَضَّغ لحومَنا بها، ويهتِك أعراضَنا، وقد بعثتُ إليك بما هَجَانا به لتَنْتَصِف لنا منه. ثم بعث بجميع ما قاله ابنُ مُفَرِّغ فيهم.

فأمر يَزِيدُ بطلبه، فجعل ينتقل من بلد إلى بلد، فإذا شاع خبرهُ انتقل حتى لَفَظَتْه الشام، فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قَيْس، فالتجأ به واستجار، فقال له الأحنف: إني لا أُجير على ابن سُمَيّة فأُعزَل، وإنما يُجِير الرجلُ على عَشيرته، فأما على سُلطانه فلا، فإن شئت أجَرْتُك من بني سَعْد وشعرائهم، فلا يَرِيبُكَ أحدٌ منهم، فقال له ابنُ مُفَرِّغ: بِأَسْتاه بني سعد وما عساهم أن يقولوا فِيَّ؟ هذا ما لا حاجة لي فيه.

ثم أتى خالدَ بنَ عبدِ اللّه بن خالد بن أَسِيد فاستجار به، فأبى أن يُجيره، فأتى عُمَر بنَ عُبَيْد اللّه بن مَعْمَر فوعده، وأتى طَلْحَة الطَّلَحات فوعده، وأتى المُنْذِرَ بن الجَارُود العَبْدِيَّ فأجاره؛ وكانت بَحْرِيَّةُ بنتُ المُنْذِر تحت عُبَيْد اللّه. وكان المنذر من أكرَم النَّاس عليه، فاغترّ بذلك وأَدَلَّ بمَوْضعه منه، وَطلَبَه عُبيدُ اللّه وقد بَلَغه ورُودُه البصرة فقيل له: أجاره المنذر بن الجارود، فبعث عبيد اللّه إلى

المنذر فأتاه، فلما دَخل عليه بعث عُبيدُ اللّه بالشُّرَط، فكَبسوا[١] دَاره وأتوْه بابن مُفرّغ، فلم يَشعر المنذر إلا بابن مُفرّغ قد أُقيم على رأسه، فقام المنذر إلى عُبَيْد اللّه فكلّمه فيه فقال: أُذكِّرُك اللَّهَ ـ أيُّها الأمير ـ أن تَخْفِرَ جِواري[٢] فإني قد أجرتُه، فقال عُبيْد اللّه: يا مُنذِر ليمدَحنَّ أباك وليمدَحنَّك، ولقد هَجاني وَهَجَا أبي ثم تُجيرهُ عليّ، لا هَا الله[٣] لا يكونُ ذَلك أبداً، ولا أغفِرُها له، فغَضِب المنذر، فقال له: لعلَّك تُدِلّ بكريمتك عندي، إن شئت والله لأُبيننَّها بتطليق البَتَّة، فخرَج المنذر من عنده، وأقبل عُبيد اللّه على ابن مُفرّغ فقال له: بِئسما صَحِبت به عَبّاداً. قال: بِئسما صَحبني به عَبَّاد، اخترتُه على سعيد وأنْفقْت على صُحْبته كلّ ما أفَدْته وكلّ ما أملكه، وظننتُ أنه لا يخلو من عَقْلِ زياد وحِلْم مُعاوية وسماحة قريش، فَعَدل عن ظنّي كله. ثمَّ عاملِني بكل قبيح، وتناوَلني بكلّ مكْرُوه، مِنْ حبْس وغُرْم وشَتْم وضَرْب، فكنتُ كمن شام برْقاً خُلَّباً[٤] في سحاب جَهام، فأَراق ماءه طمعاً فيه فماتَ عطَشاً، وما هَرَبتُ من أخيك إلا لما خِفْتُ من أنْ يَجريَ فيَّ إلى ما يندم عليه، وقد صرتُ الآن في يَدك، فشأنك فاصنع بي ما أحببت، فأمَر بحبسِه.

وكتب إلى يزيد بن مُعاوية يسأله أن يأْذَن له في قتله، فكتب إليه: إيّاك وقتْلَه، ولكن عاقِبْه بِما يُنَكِّله ويشدُّ سلطانَك، ولا تبلُغ نفسَه، فإنّ له عشيرةً هي جُندي وبطانتي، ولا تَرْضَى بقتله مِني، ولا تَقنع إلا بالقَود منك، فاحذر ذلك، واعلم أنّه الجِدُّ منهم ومني، وأنك مُرْتَهَن بنفسه، ولك في دون تلفها مَندوحةٌ تشفي من الغَيظ. فورد الكتاب على عُبيد اللّه بن زياد، فأمرَ بابن مُفرّغ فسُقِيَ نبيذاً حُلواً قد خُلط معه الشُّبرمُ[٥] فأسهل بطنَه، وطِيفَ به وهو في تلك الحال، وقُرن بِهِرَّة وخِنزيرة، فجعل يسلح والصبيان يتبعُونه ويقولون له بالفارسية:

أين چيست؟ فيقول: [مجزوء الخفيف]

آبَســتَ نــبيــذَ اسْــت عُــصــاراتُ زبــيــبــسْــت
سُــمَّــيــة رُوسْــبــيــد اسْــت

(١) كبسوا داره: هاجموها فجأة.
(٢) خفر جواره: نقض عهده وغدر به.
(٣) لا هاالله: لا والله.
(٤) البرق الخلب: الذي لا يعقبه مطر.
(٥) الشُّبْرُم: نبات له حبّ كالعدس مسهل.

وجعل كلما جرّ الخنزيرة ضجت، فجعَل يقول:

ضَـجّـتْ سُـمـيّـة لـمـا لَـزَّهـا قَـرَنـي لا تَـجزَعي إنَّ شَرَّ الشّيمةِ الجَزَعُ[1]

فجعل يُطافُ به في أسواق البصرة والصِّبيان خلفَه يصيحون به، وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط، فعرَف ابنُ زياد ذلك، فقيل: إنه لما به لا نأمن أن يَموت، فأمر به أن يُغسَل، ففعلوا ذلك به، فلما اغتسل قال: [الخفيف]

يَـغْـسِـلُ الـمـاءُ مـا فَـعَـلْـتَ وَقَـوْلِـي راسخٌ مِـنْـكَ فـي الـعِـظـامِ الـبَـوالـي

[عبيد اللّه يردّه إلى الحبس]

فردَّه عُبيدُ اللّه إلى الحبس، وأمر بأن يُسلَم مِحجماً وقدَّموا له عُلوجاً، وأُمِر بأن يَحجُمهم، فكان يأخذُ المشارط فيَقطع بها رقابهم فيَتوارَون منه، فتركه وردّه إلى محبسه، وقامت الشُّرَط على رأسه تَصبّ عليه السياط ويقولون له: احْجُمهم، فقال:

ومـا كُـنْـتُ حَـجَّـامـاً ولـكـن أَحَـلَّـنـي بِـمَـنْـزِلَـةِ الـحَـجَّـام نـأْيِـي عَـنِ الأَهْـلِ

وقال عمرُ بنُ شَبَّة في خبره: جَمع عبّاد بن زياد كلَّ شيء هَجاه به ابنُ مفرِّغ، وكتب به إلى أخيه عُبَيْدِ اللّه وهو يومئذ وافدٌ على معاوية، فكان فيما كتب إليه قوله: [الوافر]

إذا أَوْدَى مَـعَـاويـةُ بـنُ حَـرْبٍ فَـبَـشِّـرْ شَـعْـب قَـعْـبِـكَ بـانـصـداعِ[2]
فـأَشْـهَـدُ أَنَّ أُمَّـكَ لَـمْ تُـبـاشِـرْ أبـا سُـفْـيـان واضـعـةَ الـقِـنـاعِ
ولـكـن كـانَ أَمْـرٌ فِـيـهِ لَـبْـسٌ عـلـى وَجَـل شَـدِيـدٍ وامْـتِـنـاعِ

وقوله: [الوافر]

أَلاَ أَبْـلِـغْ مُـعـاويـةَ بـنَ حَـرْبٍ مُـغـلْـغَـلـةً مِـن الـرّجـل الـيـمَـانِـي
أَتَـغْـضَـبُ أنْ يُـقـالَ أبـوكَ عَـفٌّ وتَـرْضَـى أنْ يُـقـال أبُـوك زَانِـي
فَـأَشْـهَـدُ أنَّ رِحْـمَـكَ مِـنْ زِيـادٍ كـرِحْـم الـفِـيـل مِـنْ وَلَـدِ الأتـانِ
وَأَشْـهَـدُ أَنَّـهـا وَلَـدَتْ زيـاداً وَصَـخْـرٌ مِـنْ سُـمَـيَّـةَ غَـيْـرُ دَانِـي

---

(١) لزها قرني: شدّها.

(٢) القعب: القدح الضخم. والانصداع: الانكسار.

فدخل عُبَيد اللّه بنُ زياد على مُعاوية، فأنشده هذه الأشعار، واستأْذنه في قتله فلم يَأْذَن له وقال: أَدِّبه أدباً وَجيعاً مُنكِّلاً، ولا تَتجاوَزْ ذلك إلى القَتْل، وذكر باقي الحديث كما ذكره من تقدم.

قالوا جميعاً: وقال ابنُ مُفرّغ يَذْكُر جِوار المُنْذِر بنِ الجارُود إيَّاه وأمانه:

[الطويل]

تَرَكْتُ قُرَيشاً أَنْ أُجاوِر فِيهِمُ وجاوَرْتُ عَبْدَ القَيْسِ أَهْلَ المُشَقَّرِ
أُناسٌ أَجارُونا فَكَانَ جِوارُهم أعاصِيرَ مِنْ فَسْوِ العِراقِ المُبَذَّرِ
فَأَصْبَحَ جارِي مِنْ خُزَيْمَةَ قائِماً ولا يَمْنَعُ الجِيرانَ غَيْرُ المُشَمِّرِ[1]

وقال أيضاً في ذلك:

[البسيط]

أَصْبَحْتُ لا مِنْ بَنِي قَيْس فَتَنصُرنِي قَيْسُ العِراقِ وَلَمْ تَغْضَبْ لنا مُضَرُ
وَلَمْ تَكَلَّمْ قُرَيْشٌ في حَلِيفِهِمُ إذ غَابَ ناصِرُه بالشَّام واحْتَضَرُوا
والله يَعْلَمُ ما تُخْفي النُّفوسُ وما سَرَّى أُمَيَّةُ أو ما قالَ لي عُمَرُ
وقالَ لي خالِدٌ قَوْلاً قَنِعتُ بِهِ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّى يَطْلُعُ القَمَرُ
لو أَنَّنِي شَهِدَتْنِي حِمْيرٌ غضِبَتْ دُونِي فكان لهم فيما رَأَوا عِبَرُ
أو كُنْتُ جَارَ بَنِي هِنْدٍ تَداركني عَوْفُ بنُ نُعْمانَ أو عِمْرانُ أو مَطَرُ

وقال أيضاً يذكُر ذلك وما فَعَل به ابنُ زِياد:

[الخفيف]

دَارَ سَلْمى بالخَبْتِ ذِي الأَطْلالِ كَيْفَ نَوْمُ الأَسِيرِ في الأغلالِ[2]
أَيْنَ مِنِّي السَّلامُ مِنْ بَعْدِ نَأْيٍ فَارْجِعِي لي تَحِيَّتِي وسُؤَالِي
أينَ مِنِّي نَجائبي وجِيادِي وغَزالِي، سَقَى الإلٰهُ غَزالِي
أينَ لا أينَ جُنَّتِي وسِلاحي ومَطايا سَيَّرتُها لارْتِحالي
هَدَمَ الدَّهْرُ عَرْشَنا فَتَداعَى فَبَلِينا إذ كُلُّ عَيْشٍ بالِي
إِذْ دَعانا زَوالُهُ فأَجَبْنا كُلُّ دُنْيا ونِعْمَةٍ لِزَوَالِ
أم قَضَيْنا حاجاتنا فإلى المَوْ تِ مَصِيرُ المُلوك والأقيالِ
لا وصَوْمِي لِرَبِّنا وزَكاتِي وصَلاتِي أدعُو بها وابْتِهالِي

(١) المشمِّر: الجادّ المصمم.

(٢) الخبت: سهل في الحرة، وقيل صحراء بين مكة والمدينة وقيل: ماء لكلب. (معجم البلدان ٢/ ٣٤٣).

مَا أَتَيْتُ الغَداةَ أَمْراً دَنِيّاً ... وَلَدَى الله كابِرُ الأَعْمالِ
أَيُّها المالِكُ المُرهَّبُ بالقَتْـ ... ـلِ بَلَغْتَ النَّكالَ كُلَّ النَّكالِ
فاخْشَ ناراً تَشْوِي الوُجوهَ ويَوْماً ... يَقْذِفُ النَّاسَ بالدَّواهِي الثِّقالِ
قَدْ تَعَدَّيْتَ في القِصاصِ وأَدْرَكْـ ... ـتَ ذُحولاً لِمَعْشَرٍ أَقْتالِ(١)
وكَسَرْتَ السِّنَّ الصَّحِيحةَ مِنّي ... لا تُذِلَّنْ فمُنْكَرٌ إِذْلالِي
وقَرَنْتُم مَعَ الخَنازِيرِ هِرّاً ... وَيَمِيني مَغْلُولةٌ وشِمالِي
وكِلاباً يَنْهَشْنَنِي مِنْ وَرائِي ... عَجِبَ النَّاسُ ما لهُنَّ ومَا لِي!
وأَطَلْتم مَعَ العُقُوبةِ سِجْناً ... فكَم السِّجْنُ أو مَتَى إِرْسالِي!
يَغْسِلُ الماءُ ما صَنَعْتَ وقَوْلِي ... راسِخٌ مِنْك في العِظام البَوالي
لو قَبِلْتَ الفِدَاءَ أو رُمْتَ مالي ... قُلْتُ: خُذْه فِداءَ نَفْسِيَ مالي
لو بِغَيْري مِنْ مَعْشَري لَعِبَ الدَّهْـ ... ـرُ لما ذَمَّ نُصْرَتي واحْتِيالي
كَمْ بَكَانِي مِنْ صاحِبٍ وخَلِيلٍ ... حافِظِ الغَيْبِ حامِدٍ للخِصالِ
لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ الحَلِيفَ لِلَخْمٍ ... وجُذامٍ أو طَيِّئٍ الأَجْمالِ
بَدَلاً مِنْ عِصابَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ... أَسلَمُوني للخَصْم عِنْدَ النِّضالِ
البَهالِيلُ مِنْ بَنِي عَبْد شَمْسٍ ... فَضَلُوا النّاسَ بالعُلاَ والفِعالِ(٢)
وَبَنُو التَّيْم تَيْم مُرَّة لَمَّا ... لَمَع المَوتُ في ظِلالِ العَوالي
مَنَعُوا البَيْتَ بَيْتَ مَكَّةَ ذا الحِجْـ ... ـرِ إِذِ الطَّيْرُ عُكَّفٌ في الظِّلالِ
والبَهاليلُ خالِدٌ وسعيدٌ ... شَمْسُ دَجْنٍ وَوُضَّحٌ كالهِلالِ
في الأَروماتِ والذُّرَى مِنْ بَنِي العِيـ ... ـصِ قُرومٌ إذا تُعَدُّ المَعالِي
كُنْتُ مِنْهُم، ما حَرَّموا فحَرَامٌ ... لَمْ يُرامُوا، وحِلُّهُم مِنْ حَلالِ
وذوو المَجْدِ مِنْ خُزاعةَ كانُوا ... أَهْلَ وُدِّي في الخَصْبِ والإِمْحالِ
خذلوني وَهُم لذاكَ دعوْني ... لَيْسَ حامي الذِّمارِ بالخَذّالِ
لا تَدَعْنِي فِداكَ أَهْلِي ومالِي ... إِنَّ حَبْلَيْكَ مِنْ مَتِينِ الحِبالِ
حَسْرَتا إِذ أَطَعْتُ أَمْرَ غُواتِي ... وَعَصَيْتُ النَّصِيحَ ضَلَّ ضَلالِي

وقال يَهْجُو عَبَّادَ بنَ زِيادٍ ويذكر سَعيد بن عُثمان:

أَيُّها الشاتِمُ جَهْلاً سَعِيداً ... وَسَعِيدٌ في الحَوادِثِ نابُ

---

(١) الذحول: جمع ذحل، وهو العداوة والثأر. والأقتال: جمع قِتْل، وهو المقاتل الشجاع.

(٢) البهاليل: جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير.

مـا أبُـوكـم مُـشـبِـهـاً لأبِـيـهِ فَـاسْـألُـوا الـنَّـاسَ بِـذاكُـم تُـجـابُـوا
سـاد عَـبّـادٌ ومُـلِّـكَ جَـيْـشـاً سَـبَّـحـت مِـنْ ذَاكَ صُـمٌّ صِـلاَبُ
إنّ عـامـاً صِـرْتَ فِـيـهِ أمِـيـراً تَـمْـلِـكُ الـنّـاسَ لـعَـامٌ عُـجـابُ

قال: واتصل هِجاؤه زِياداً وولده وهو في الحبس، فردَّه عُبَيدُ اللّه إلى أخيه عَبّاد بسِجِسْتان، ووكَّل به رجالاً ووجههم معه، وكان لما هرب من عَبَّاد يهجوه ويكتب كُلَّ ما هجاه به على حيطان الخانات، وأمر عُبيْدُ اللّه المُوكَّلين به أن يأخذوه بِمَحْوِ ما كتبه على الحيطان بأظافِيره، وأمرهم ألاّ يتركوه يُصلّي إلا إلى قِبْلة النصارى إلى المشْرق. فكانوا إذا دخلوا بعضَ الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئاً مما كتبه من الهجاء، أخذوه بأن يَمْحُوَه بأظافره، فكان يفعل ذلك ويَحكُّه حتى ذهبت أظافرُه، فكان يَمحوه بعظام أصابعه ودمه، حتى سَلَّموه إلى عَبّاد فحبسه وضَيَّق عليه. قال عُمرُ بن شَبَّة في خبره: فقال ابنُ مُفَرِّغ: [الطويل]

سَرَتْ تحت أقطاع من اللّيل زَينَبُ سلامٌ عليكم هَلْ لِما فاتَ مَطْلَبُ!

ويروى:

ألاَ طَـرقـتْـنـا آخـرَ الـلَّـيـل زَيْـنَـبُ

أَصابَ عَذابِي اللَّوْنَ فاللَّوْنُ شاحِبٌ كما الرَّأسُ مِنْ هَوْلِ المَنِيَّةِ أشْيَبُ
قُـرِنْـتُ بِـخِـنْـزِيـرٍ وهِـرٍّ وكَـلْـبـةٍ زمانـاً وشَانَ الجِلْدَ ضَرْبٌ مُشَذِّبُ
وجُـرِّعْـتُـهـا صَـهْـبـاءَ مِـنْ غَـيْـرِ لَـذَّة تُـصَـعَّـدُ في الجُـثـمـانِ ثُـمَّ تُـصوِّبُ
وأُطْـعِـمْـتُ مـا إن لا يَـحِـلُّ لآكِـلٍ وَصَلَّيْتُ شَرْقاً بَيْتُ مَكَّةَ مَغربُ
مِنَ الطَّفِّ مَجْنوباً إلى أرْضِ كابُلٍ فـمَـلُّوا وما مَلَّ الأسيـرُ المُـعذَّبُ
فلـو أنَّ لَـحْـمِـي إذ هَـوَى لَـعِـبَـتْ بـه كِـرامُ الـمُـلـوكِ أو أُسـودٌ وأذْؤُبُ
لَـهَـوَّنَ وَجْـدِي أو لَـزَادَتْ بَـصِـيـرتِـي ولـكـنـمـا أودَتْ بِـلَـحْـمِـيَ أكْـلُـبُ
أعـبَّـادُ مـا لِـلُّـؤْمِ عَـنْـكَ مُـحَـوَّلٌ ولا لَـكَ أُمٌّ فـي قُـرَيْـشٍ ولا أبُ
سيَـنـصُـرني مَـنْ لَـيْـسَ تَـنْـفَـعُ عِـنْـدَهُ رُقـاكَ وقَـرْمٌ مِـنْ أُمـيَّـة مُـصْـعَـبُ(١)
وقـل لِـعُـبَـيْـد الـلّـه: مـا لَـكَ والِـدٌ بحَـقٍّ ولا يَدرِي امْرُؤٌ كَيْفَ تُنْسَبُ!

في أول هذا الشعر غناء نسبته:

---

(١) القرم: السيد. والمصعب: الفحل.

صوت

[الطويل]

أَلا طـرَقـتـنـا آخِـرَ الـلَّـيْـلِ زَيْـنَـبُ سلامٌ عَلَيْكُم هَلْ لِما فاتَ مَطْلَبُ!
وقـالَـتْ: تَـجَـنَّـبْـنـا ولا تَـقْـرَبَـنَّـنَـا فَكَيْفَ وأنـتُـم حـاجَـتِـي أتـجَـنَّـبُ!

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ.

وقالوا جميعاً: فلما طال مُقام ابن مُفَرِّغ في السجن استأجر رسولاً إلى دمشق، وقال له: إذا كان يومُ الجمعة فقفْ على درج جامع دمشق، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يُمكِنُك من صوتك، وكَتَبهما في رُقعة، وهما: [البسيط]

أَبْلِغْ لَـدَيْـكَ بَـنِـي قَـحْـطـانَ قـاطِـبـةً عَـضَّـتْ بـأيْـرِ أبـيـهـا سـادةُ الـيَـمَـنِ
أَضْـحَـى دَعِـيُّ زِيـادٍ فَـقْـعَ قَـرْقَـرَةٍ ـ يا لَلْعجائب ـ يَلْهو بابن ذِي يَزَنِ![1]

ففعل الرسولُ ما أمره به، فحَمِيت اليمانيةُ وغضبوا له، ودخلوا على مُعاوية فسألوه فيه فدَفَعَهم عنه، فقاموا غضاباً، وعرف معاوية ذلك في وجوههم، فردَّهُم ووهبَه لهم، ووجَّه رجلاً من بني أسد يقال له خَمْخام ـ ويقال جِهنام ـ بَريداً إلى عبَّاد، وكتب له عهداً، وأمرَه بأن يَبدأ بالحبْس فيُخرِج ابنَ مُفرِّغ منه ويُطْلِقَه، قبل أن يعلَم عَبَّاد فيمَ قدِم فيغتاله، ففعل ذلك به، فلما خرج من الحبس قُرِّبتْ إليه بغلة من بغال البريد فركبها، فلما استوى على ظهرها قال:

عَـدَسْ مـا لِـعَـبَّـادٍ عـلـيـكِ إمـارةٌ نَـجـوتِ وهـذا تَـحْـمِـلـيـن طَـلِـيـقُ[2]
فـإن الَّـذي نَـجَّـى مِـنَ الـكَـرْبِ بَـعْـدَ مـا تَـلاحَـمَ فـي دَرْبٍ عـلـيـكِ مـضـيـقُ
أتـاكِ بـخَـمْـخـامٍ فـأنْـجـاكِ فـالْـحقـي بـأَهْـلِـكِ لا تُـحـبَـسْ عـلـيـكِ طَـرِيـقُ
لَـعَـمْـري لَـقَـدْ أَنْـجَـاكِ مِـنْ هُـوَّةِ الـرَّدَى إمَـامٌ وحَـبْـلٌ لـلأنـامِ وَثِـيـقُ
سَـأَشْـكُـرُ مـا أَوْلَـيْـتَ مِـنْ حُـسْـنِ نِـعـمـةٍ ومِـثْـلـي بِـشُـكْـرِ الـمُـنْـعِـمـيـنَ حَـقِـيـقُ

---

(١) أذلّ من فقع بقرقر أو بقرقرة: أذل من كمأة في أرض منخفضة، لأنه يداس بالأرجل ولا يستطيع الامتناع على من جناه. وهو مثل للذليل الحقير.

(٢) عدس: كلمة زجر للبغال، أو اسم البغلة.

[عفو معاوية عنه]

قال عمرُ بن شَبَّة في خبره، ووافقه لقيط بن بكير: فلما أُدخِل على مُعاوية بكى وقال: ركِب مني ما لم يَرْكَب من مسلم قطّ، على غير حدث في الإسلام ولا خَلْع يدٍ من طاعَةٍ ولا جُرْم، فقال: ألست القائل: [الوافر]

أَلاَ أَبْـلِـغْ مُـعـاوِيَـةَ بـنَ حَـرْبٍ ... مُـغَـلْـغَـلَـةً مِـنَ الـرَّجُـلِ الـيَـمَـانِـي

أَتَـغْـضَـبُ أن يُـقـالَ أَبـوكَ عَـفٌّ ... وتَـرضَـى أن يُـقـال أبـوكَ زانِ!

فـأشـهَـدُ أنَّ رِحْـمَـك مِـنْ زِيـادٍ ... كـرِحْـم الـفِـيـل مِـنْ وَلَـدِ الأَتَـانِ

وأشـهَـدُ أنَّـهـا وَلَـدَتْ زِيـاداً ... وصَـخْـرٌ مِـنْ سُـمَـيَّـةَ غَـيْـرُ دانِ

فقال: لا والذي عَظَّم حقَّك يا أميرَ المؤمنين ما قُلتُه، ولقد بلغني أنَّ عبد الرحمن بن الحكَم قاله ونسبه إليَّ. قال: أفلم تقل: [الوافر]

شَـهِـدْتُ بـأنَّ أُمَّـكَ لَـمْ تُـبـاشِـرْ ... أبـا سُـفْـيـانَ واضِـعـةَ الـقِـنـاعِ

ولـكـن كـانَ أَمْـرٌ فِـيـهِ لَـبْـسٌ ... عـلـى وَجَـلٍ شَـدِيـدٍ وارْتِـيـاعِ

أولستَ القائل: [المنسرح]

إنَّ زِيـاداً ونـافِـعـاً وأبَـا ... بَـكْـرةَ عِـنْـدِي مِـنْ أعْـجَـب الـعَـجَـبِ

إنَّ رِجـالاً ثَـلاثَـةً خُـلِـقُـوا ... فـي رَحْـمِ أُنـثَـى مـا كُـلـهـم لأبِ

ذا قُـرَشِـيٌّ كـمـا يَـقُـولُ، وذا ... مَـوْلَـى، وهـذا بـزَعْـمِـهِ عَـرَبـي

في أشعار كثيرة قُلتَها في هِجاء زِياد وبنيه، اذهَبْ فقد عفوتُ عن جُرْمك، ولو إيَّانا تعامل لم يكُنْ شيء مما كان، فاسكُن أيّ أرضٍ شِئْتَ. فاختار الموصلَ فنزلها، ثمّ ارتاح إلى البصرة فقدمها، فدخل على عُبَيد الله بن زياد، واعتذَر إليه وسأله الصَّفْح والأمان، فأمَّنه وأقام بها مُدّة، ثمّ دَخل عليه بعد أنْ أمَّنَه فقال: أصلَحَ اللّهُ الأمير، إني قد ظَننْت أنَّ نفسك لا تَطيب لي بخير أبداً، ولي أعداء لا آمن سعيَهم عليّ بالباطل، وقد رأيتُ أن أتباعد، فقال له: إلى أين شئت؟ فقال: كَرْمان، فكَتَب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقَطِيعة وكُسْوة، فشَخص فأقام بها حتى هَرَب عُبَيْد الله من البَصْرة، فعَاد إليها. هذه روايةُ عُمَر بن شَبَّة.

[وفد قريش ووفد اليمن إلى يزيد للعفو عنه]

وقال محمد بنُ خلَف في روايته، عن أحمَد بنِ الهيْثم، عن المَدائنيّ، وعن العمريّ، عن لقيط: إنَّ ابنَ مُفرِّغ لمّا طالَ حَبسُه وبلاؤه، ركب طلْحةُ الطَّلحات إلى الحجَاز، ولقي قُرَيْشاً ـ وكان ابنُ مُفَرِّغ حَليفاً لبني أُميَّة ـ فقال لهم طَلحة: يا مَعْشَر قُريش، إنَّ أخاكم وحَليفكم ابنَ مُفرِّغ قد ابتُلي بهذه الأعبُد من بني زياد، وهو عَديدكم وحليفكم ورجُلٌ منكم، ووالله ما أُحب أن يُجْرِيَ الله عافيتَه على يدي دونكم، ولا أفوز بالمكرمة في أمره وتخلوا منها، فانهضُوا معي بجماعتكم إلى يزيدَ بن مُعاوية، فإنَّ أهلَ اليمن قد تحرّكوا بالشَّام. فركب خَالدُ بنُ عبد اللّه بن خالد بن أسيد، وأُمية بن عبد اللّه أخوه، وعُمرُ بن عبيد اللّه بن معمر، ووجوه خُزاعة وكنانة وخَرجُوا إلى يزِيد، فبَيْنا هم يَسيرُون ذات ليلة إذ سَمِعوا راكباً يتغنَّى في سواد الليل بقول ابنِ مُفرِّغ ويقول: [الخفيف]

إنَّ تـركِـي نَـدَى سَـعيـدِ بـنِ عُـثـمـا ... نَ بـنِ عـفَّـانَ نـاصِـري وعَـدِيـدِي
واتِّـبـاعـي أخَـا الـضَّـرَاعـةِ والـلُّـؤ ... مِ لَـنَـقْـصٌ وفَـوْتُ شَـأوٍ بَـعـيـدِ
قُـلْـتُ والـلَّـيْـلُ مُـطـبِـقٌ بـعُـراه: ... لَـيْـتَـنِـي مِـتُّ قَـبْـلَ تَـرْكِ سـعـيـدِ
لـيتني مِتُّ قَبْلَ تَـرْكـي أخـا الـنَّجْـ ... ـدَةِ والـحَـزْمِ والـفَـعـالِ الـسَّـديـدِ
عَـبْـشَـمـيٌّ أبُـوه عَـبْـدُ مَـنـافٍ ... فـازَ مـنـهـا بِـتـاجِـهـا الـمَـعـقُـودِ
ثُـمّ جُـودٌ لـو قِـيـلَ: هَـلْ مِـنْ مَـزيـدٍ ... قُـلْـتُ لـلـسائِـلـيـنَ: مـا مِـنْ مَـزيـدِ
قُـلْ لـقـوْمـي لَـدَى الأبـاطـحِ مِـنْ آ ... لِ لُـؤَيٍّ بـنِ غـالـبٍ ذِي الـجُـودِ:
سـامَـنـي بَـعْـدَكُـم دَعِـيُّ زيـادٍ ... خُـطَّـةَ الـغـادِرِ الـلَّـئِـيـمِ الـزَّهـيـدِ
كـانَ مـا كـانَ فـي الأراكـة واجْـتَـ ... ـبَّ بـبُـرْدٍ سَـنـامَ عِـيـسِـي وجـيـدِي
أوْغـلَ الـعَـبـدُ فـي الـعُـقـوبـةِ والـشَّـتْـ ... ـم وأوْدَى بـطـارِفـي وتـلـيـدِي
فـارْحَـلُـوا فـي حـلِـيـفـكـم وأخـيـكـم ... نَـحْـوَ غـوْثِ الـمُـسْـتَـصْـرِخِـيـنَ يـزيـدِ
فـاطْـلُـبُـوا الـنَّـصـفَ مِـنْ دَعـيِّ زِيـادٍ ... وَسَـلُـونـي بـمـا ادَّعَـيْـتُ شُـهُـودي

قال: فدعا القوم بالراكب فقالوا له: ما هذا الذي سَمعْناه منك تغنِّي به؟ فقال: هذا قولُ رجل والله إنَّ أمرَه لعجَب، رجل ضائعٌ بين قريش واليمن، وهو رجل الناس! قالوا: ومن هو؟ قال: ابنُ مفرِّغ، قالوا: والله ما رحلنا إلا فيه، وانتسبوا له، فضحك وقال: أفلا أُسمعكم من قوله أيضاً؟ قالوا: بلى، فأنشدَهم قولَه:

لَعمْرِيَ لو كانَ الأَسِيرُ ابنَ مَعْمرٍ وصاحبَهُ أو شِكلَه ابنَ أسِيدِ
ولو أنَّهم نالوا أُميَّةَ أَرقلَتْ براكِبِها الوَجْناءُ نَحْوَ يزيدِ[1]
فَأبْلَغْتُ عُذْراً في لؤيِّ بنِ غالبٍ وَأتْلَفْتُ فيهم طارِفي وتَليدي
فإن لَمْ يُغَيِّرْها الإمامُ بحقِّها عَدَلْتُ إلى شُمٍّ شَوامِخَ صِيدِ
فَنَادَيْتُ فِيهم دَعوةً يَمنيَّةً كما كان آبائِي دَعَوْا وَجُدُودِي
ودافَعْتُ حَتَّى أبلغ الجهدَ عنهمُ دِفاعَ امْرِئٍ في الخَيْرِ غَيْر زَهيدِ
فإنْ لَمْ تَكُونوا عِنْدَ ظَنِّي بِنَصْرِكم فَلَيْسَ لها غَيْرُ الأغَرِّ سَعِيدِ
بِنَفسي وأهْلي ذَاكَ حَيّاً ومَيِّتاً نُضارٌ وَعودُ المَرْءِ أكْرَمُ عُودِ
فَكم مِنْ مُقامٍ في قُرَيْشٍ كَفَيْتَهُ وَيَوْم يُشِيبُ الكاعِباتِ شَديدِ
وخَصْم تحاماه لُؤيُّ بنُ غالِبٍ شَبَبْتُ له نارِي فَهابَ وَقُودِي
وَخَيْرٍ كَثِيرٍ قَدْ أَفَأْتُ عَلَيْكُم وَأنْتُم رُقودٌ أو شَبِيهُ رُقودِ

قال: فاستَرْجع القومُ لقَوْله وقالوا: والله لا نَغْسِل رؤوسنا في العرب إن لم نَغْسِلها بفكّه. فأغذَّ القومُ السّير حتى قدموا الشَّأم.

وبَعث ابنُ مُفرِّغ رَجُلاً من بني الحارث بن كَعْبٍ، فقامَ على سُور حِمْص، فنادى بأعْلَى صَوتِهِ الحُصيْنَ بنَ نُمير - وكان والي حمص - بهذه الأبيات وكان عظيمَ الجبهة: [البسيط]

أَبْلِغْ لدَيكَ بنِي قَحْطَانَ قاطبةً عَضَّتْ بأيْر أبيها سادَةُ اليَمَنِ
أَمْسَى دَعِيُّ زِيادٍ فَقْعَ قَرقَرَةٍ يا لَلْعجائِبِ يَلهو بابن ذِي يَزَنِ!
والحِميَريُّ طَرِيحٌ وسطَ مَزْبلةٍ هذا لعَمرُكمُ غَبنٌ مِنَ الغَبنِ
والأَجْبَهُ ابنُ نُمير فَوْقَ مَفْرَشِهِ يَدْنُو إلى أحْوَر العَيْنَيْنِ ذي غُنَنِ[2]
قُوموا فقُولُوا: أميرَ المؤمنين لنا حَقٌّ عليك ومَنٌّ لَيْسَ كَالمِنَنِ
فَاكْفُفْ دَعِيَّ زِيادٍ عَنْ أكارِمِنا ماذا يُريدُ على الأحقادِ والإحَنِ!

فاجتمعت اليمانية إلى حُصَيْن، فعيّروه بما قاله ابنُ مُفرِّغ، فقال الحُصَيْن: ليس لي رأيٌ دُونَ يزيد بنِ أسد، ومَخْرمة بن شُرَحْبيل، فأرسل إليهما، فاجْتَمعوا في منزلِ الحُصَيْن، فقال لهما الحُصَيْن: اسمعَا ما أهْدَى إليَّ شاعرُكم وقاله لكم في

(١) أرقلت: أسرعت: والإرقال ضرب من الخبب.
(٢) الغنن: جمع غنة وهي صوت من اللهاة والأنف.

أخِيكم ـ يعني نَفْسَه ـ وأنشدهم، فقال يَزيدُ بنُ أسَد: قد جِئتُكم بأعظَم مِنْ هذا، وهو قَولُه: [الطويل]

ومـا كُـنْـتُ حَـجَّـامـاً ولـكِـنْ أحَـلَّـنِـي بِـمَـنْـزِلـةِ الـحَـجَّـام نَـأْيي عَـنِ الأَصْـلِ

فقال الحُصَين: والله لقد أساءَ إلينا أميرُ المؤمنين في صاحِبنا مرَّتين، إحداهما أنه هَرَب إليه فلم يُجِرْه، وأُخرى أنَّه أمرَ بعَذابه غيرَ مُراقِب لنا فيه، وقال يزيدُ بن أسد: إنّي لأظن أنَّ طاعَتنا ستَفسُد ويَمحوها ما فعل بابن مفرِّغ، ولقد تطلَّع من نفسي شيء، لَلموْت أحبُّ إليَّ منه. وقال مَخْرمةُ بنُ شُرحْبيل: أيها الرَّجلان، اعقِلا فإنه لا مُعاوية لكما، واعْرِفا أنَّ صاحِبَكما لا تقدَح فيه الغِلْظة، فاقْصِدا التَّضَرُّع. فركب القومُ إلى دمشْقَ وقَدِموا على يزيدَ بن مُعاوية، وقد سَبقهم الرَّجل، فنادَى بذلك الشِّعر يوم الجمعة على دَرَج مَسْجِد دِمشْق، فثارت اليمانية وتكلَّموا، ومَشى بَعضُهم إلى بعض، وقدِم وفدُ القُرشيِّين في أمره مع طلحة الطَّلحات، فسبَقوا القُرشيين، ودخلوا على يَزيدَ بن مُعاوية، فتكلم الحُصَينُ بن نُمَيْر، فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم، وقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الذي أتاه ابنُ زياد إلى صاحبنا، لا قرارَ عليه، وقد سامنا عُبيدُ اللّه وعَبَّادٌ خُطَّةَ خَسْف، وقَلَّدانا قِلادَةَ عار، فأنصِف كريمَنا من صاحِبه، فواللّهِ لئن قدرْنا لنَعْفُونّ، وَلَئن ظُلمنا لننتَصرنّ. وقال يزيد بنُ أسد: يا أمير المؤمنين، إنّا لو رَضينا بمُثْلَةِ ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه، لم يَرْضَ الله عزّ ذكره بذلك ولئنْ تقرّبنا إليك بما يُسخطُ الله ليُباعدنَّنا الله منك، وإن يَمانيّتك قد نَفَرتْ لصاحبها نَفرةً طار غُرابُها، وما أدري متى يَقع، وكل نائرةٍ[1] تقدَح في المُلك وإن صَغُرَتْ لم يُؤمن أن تكبر، وإطفاؤها خيرٌ من إضرامها لا سيما إذا كانت في أنفٍ لا يُجْدَع، ويد لا تُقْطَع، فأنْصِفنا من ابنيْ زياد.

وقال مَخْرَمَة بنُ شُرَحْبِيل، وكان مُتألِّهاً عظيمَ الطاعة في أهل اليمن: إنه لا يد تَحجُزك عن هواك، ولو مَثَّلتَ بأخينا وتولَّيتَ ذلك منه بنفسك لم يَقُم فيه قائم ولم يُعاتِبك فيه مُعاتِب، ولكنَّ ابْنَيْ زياد استَخَفَّانا بما يثْقُل عليك من حقِّنا، وتَهاوَنا بما تُكرِمُه منّا، وأنت بيننا وبين الله، ونحن بينك وبين الناس، فأنصفنا من صاحِبَيْك، ولينفَعْنا بلاؤُنا عندك.

فقال يزيد: إنَّ صاحِبَكم أتى عَظِيماً؛ نفى زياداً من أبي سُفْيان، ونفى عَبَّاداً

---

(١) النائرة: العداوة والشحناء.

وعُبَيْدَ اللّه من زياد، وقَلَّدَهم طوقَ الحمامة، وما شَجَّعه على ذلك إلا نَسَبُه فيكم، وحِلفُه في قُرَيْش، فأمَّا إذ بَلَغ الأمرُ ما أرى، وأشْفَى بكم على ما أشْفَى، فهو لكم، وعليَّ رضاكم.

قال: وانتهى القُرشِيُّون إلى الحاجب فاستأذن لهم، وقال لليَمانِيِّين: قد أتتْكم بُرَى الذهب من أهل العراق، فدخلوا وسلَّمُوا والغضبُ يَتَبَيّن في وجوههم، فظنَّ يَزِيدُ الظنون، وقال لهم: ما لكم؟ انفَتَق فَتْقٌ أو حَدَث حدَثٌ فيكم؟ قالوا: لا، فسَكَن. فقال طَلْحة الطَّلَحات: يا أميرَ المؤمنين، أما كفى العربَ ما لَقِيتْ من زِياد، حتى استَعْمَلْتَ عليها ولدَه يستَكثِرُون لك أحقادَها، ويُبَغِّضُونَك إليها، إنّ عُبَيْد اللّه وأخاه أتَيا إلى ابن مُفرِّغ ما قد بلغك، فأنصِفْنا منهما إنصافاً تَعْلَم العرب أنَّ لنا منك خَلَفاً من أبيك، فوالله، لقد خَبَأ لك فعلُهما خَبْئاً عند أهل اليمن لا نَحْمَدُه لك، ولا تَحْمَدُه لنفسِك.

وتكلَّم خالدُ بن عبد اللّه بن خالد بن أسِيد فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ زياداً رُبِّيَ في شَرِّ حِجْر، ونشأ في أخْبَث نَشْءٍ، فأثْبتُّم نِصابَه في قريش، وحَمَلْتُموه على رِقاب الناس، فَوَثَب ابْناه على أخِينا وحَليفِنا وحَلِيفك، ففَعلا به الأفاعِيل التي بَلغَتْك، وقد غضبت له قريشُ الحجاز ويمَنُ الشَّأم ممّن لا أُحِبُّ والله لك غَضَبه، فأنصِفْنا من ابْنَيْ زِياد. وتكلم أخوه أُميّةُ بنحو ممّا تكلم أخوه وقال: والله يا أميرَ المؤمنين لا أحُطُّ رَحلي، ولا أخلع ثِيابَ سفري، أو تُنْصِفنا من ابْنَي زياد، أو تَعْلَمَ العربُ أنك قد قَطعْتَ أرحامنا، ووصلْتَ ابنَي زِياد بقَطْعِنا، وحكمتَ بغير الحقِّ لهما علينا.

وقال ابنُ معْمَر: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ ابنَ مُفرِّغ طالما ناضَل عن عِرْضِك وعِرْضِ أبيك وأعراضِ قومك، ورمى عن جَمْرة أهلك، وقد أتى بنو زِياد فيه ما لو كان مُعاوِيةُ حَيّاً لم يَرضَ به، وهذا رجل له شَرَفٌ في قومه، وقد نَفَرُوا له نَفْرة لها ما بعدها، فأعْتِبْهم وأنصِف الرجلَ ولا تُؤْثِر مَرْضاةَ ابْنَي زِيادٍ على مَرْضاةِ الله عز وجل.

فقال يَزِيدُ: مرحباً بكم وأهلاً، والله لو أصابه خالدٌ ابني بما ذَكَرتم لأنصفتُه منه، ولو رحلتم في جميع ما تُحيط به العراق لوهَبْتُه لكم، وما عندي إلا إنصافُ المظلومِ، ولكنَّ صاحبكم أسرَف على القَوم. وكتبَ يَزِيدُ ببناء داره، وردّ مالِه وتَخْلِية سَبيله، وألاَّ إمرةَ لأحد من بني زِياد عليه، وقال: لولا أنّ في القَوَد بعد ما

جرى منه فَساداً في المُلك لأقدْتُه من عَبَّاد.

وسرَّح يَزِيدُ رجلاً من حِمْير يقال له خَمْخام، وكتب معه إلى عَبّاد بن زياد: نَفْسَكَ نَفْسَك وإن تَسقُط من ابن مُفَرِّغ شعْرَةٌ فأُقِيدَك والله به، ولا سُلطانَ لك ولا لأخيك ولا لأحدٍ غيري عليه. فجاء خَمْخامٌ حتى انتزعه جهاراً من الحبس بمحضر الناس وأخرجه.

قالوا: فلما دخل على يَزِيدَ قال له: يا أمير المؤمنين، اخْتَر مِنِّي خَصْلةً من ثلاث خصال، وفي كلِّها لي فَرَج: إما أن تُقِيدَني من ابن زِياد، وإما أن تُخَلِّي بيني وبينه، وإما أن تُقَدِّمَني فتضرِب عُنقي. فقال له يَزيدُ: قَبَّح الله ما اخترته وخَيَّرتَنيه؛ أما القَوَد من ابن زِياد فما كنتُ لأُقيدَك من عامل كان عليك، ظلمتَه وشتَمتَ عرِضَه وعِرْضِي معه، وأما التَّخْلِية بينك وبينه فلا، ولا كَرَامة، ما كنتُ لأُخَلِّي بينك وبين أهلِي تقطع أعراضَهم، وأما ضَرْبُ عُنُقِك، فما كنتُ لأضربَ عُنُقَ مسلم من غير أنْ يستَحِقَّ ذلك، ولكني أفعلُ ما هو خير لك مما اخْتَرْتَه لنفسك؛ أُعطيك دِيَتَك، فإنهم قد عَرَّضُوكَ للقتل، واكفُفْ عن ولد زِياد، فلا يَبْلغني أنك ذكرتَهم، وانزِل أيَّ البلاد شئتَ، وأمر له بعشرة آلافِ درهم.

فخرج حتى أتى المَوْصِل وأقام بها ما شاء اللَّهُ، ثم خَرَجَ ذات يوم يَتَصَيَّد، فلقي دِهْقاناً على حمار له، فقال: من أين أقبلت؟ قال: من العراق. قال: من أيها؟ قال: من البصرة، ثم من الأهواز. قال: فما فعل المَسْرُقان[1]؟ قال: على حاله، قال: أفتَعْرِف أناهِيدَ بنت أعْنق؟ قال: نعم، قال: ما فعلت؟ قال: على أحْسَن ما عَهِدْت. قال: فضَرَب بِرْذَوْنَه وسار حتى أتى الأهْوَازَ، ولم يعلم أهلُه ولا غيرُهم بمَسِيره. ثم أتى عُبَيْدَ اللّه بنَ زِياد، فدخل عليه واعتذر إليه، وسأله الأمانَ فأمَّنه، ثم سأله أن يَكْتُب له إلى شَرِيك بن الأعور فكتب له ووصَلَه.

[غلب ابن الزبير على العراق وفرار عبيد اللّه بن زياد]

وخرج فأقام بكَرْمان[2] حتى غَلب ابنُ الزُّبَير على العراق، وهرب ابنُ زِياد

(١) المسرقان: نهر بخوزستان عليه عدة قرى وبلدان. (معجم البلدان ٥/ ١٢٥).

(٢) كرمان: ناحية كبيرة ذات بلدان وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. (معجم البلدان ٤/ ٤٥٤).

وكان أهلُ البصرة قد أجمعُوا على قَتله، فخرج عن البصرة هارباً، فعاد ابن مُفَرّغ إلى البصرة، وعاود هِجاءَ بني زِياد، فقال يذكر هَرَب عُبَيْد اللّه وتركَه أُمَّه بقوله:

[الكامل]

أعُبَيْدُ هَلاّ كُنْتَ أوّلَ فارسٍ يَوْمَ الهِياجِ دَعا بِحَتْفِك داعِ
أسْلَمْتَ أُمَّكَ والرِّماحُ تَنوشُها يا ليتَنِي لَكَ لَيْلَةَ الإفزاعِ
إذ تَسْتَغيثُ وما لِنَفْسِكَ مانِعٌ عَبْدٌ تردِّدُهُ بِدارِ ضَياعِ
هلاّ عجوزك إذ تُمَدُّ بِثَدْيِها وتَصيحُ ألاّ تَنْزِعُنَّ قِناعِي
أنْقَذْتَ مِنْ أيدي العُلوجِ كأنها رَبْداءُ مُجفِلَةٌ بِبَطْنِ القاعِ
فَرَكِبْتَ رَأْسَكَ ثُمَّ قُلْتَ: أرَى العِدَا كَثُروا وأخلفَ مَوْعِدي أشْياعِي
فانْجي بنَفْسِكِ وابْتَغِي نَفَقاً فما لي طاقَةٌ بك والسلامُ وَداعِي
لَيْسَ الكَريمُ بِمَنْ يُخَلِّفُ أُمَّهُ وَفَتاتَهُ فِي المَنزِل الجَعْجاعِ[1]
حَذَر المَنِيَّةِ والرِّماحُ تَنوشُه لَمْ يَرْمِ دُونَ نِسائِهِ بِكُراعِ
مُتأبِّطاً سَيْفاً عليهِ يَلْمَقٌ مِثْلَ الحِمارِ أثرتَهُ بِيَفاعِ[2]
لا خَيْرَ في هَذِرٍ يهُزُّ لِسانَهُ بِكَلامِهِ وَالقَلْبُ غَيْرُ شُجاعِ
لابنُ الزُّبيرِ غَداةَ يَذْمُر مُنْذِراً أوْلى بغايَة كُلِّ يَوْم وِقاعِ[3]
وَأَحَقُّ بِالصَّبْرِ الجَميلِ مِنِ امْرِئٍ كَزٍّ أنامِلُهُ قَصيرِ الباعِ
جَعْدِ اليَدين عَنِ السَّماحةِ والنَّدى وَعَنِ الضَّريبةِ فاحِشٍ مَنّاعِ
كَمْ يا عُبَيْد اللّه عِنْدَكَ مِنْ دَمٍ يَسْعَى لِيُدْرِكَهُ بِقَتْلِكَ ساعِ
وَمَعاشِرٍ أُنُفٍ أبَحْتَ حَريمَهُم فَرَّقتَهم مِنْ بَعْدِ طُولِ جِماعِ
اذْكُرْ حُسَيْناً وابنَ عُروَةَ هانِئاً وابنَي عَقِيلٍ فارِسِ المِرْباعِ

وقال أيضاً يذكر هربه:

[الطويل]

أقَرَّ بِعَيْني أنّهُ عَقَّ أُمَّهُ دَعتْهُ فَوَلاّها اسْتَهُ وهو يَهرُبُ
وقال: عليكِ الصَّبْرَ كُوني سَبِيَّةً كما كُنْتِ أو مُوتِي؛ فذلكَ أقْرَبُ
وَقَدْ هَتَفَتْ هِنْدٌ: بماذا أمَرْتَني؟ أبِنْ لي وحَدِّثني إلى أينَ أذْهَبُ؟
فقال: اقْصِدِي للأزْدِ في عَرَصاتِها وبَكْرٍ فما إن عَنهُمُ مُتَجَنَّبُ

---

(١) الجعجاع: الضيق الخشن الغليظ.
(٢) اليلمق: القباء.
(٣) يذمر: يهدد.

أخافُ تَميماً والمَسالِحُ دُونَها ... ونيرانُ أعدائي عَلَيَّ تَلَهَّبُ
وَوَلَّى وماءُ العَيْنِ يَغسِلُ وَجْهَها ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ والدَّهر بالنَّاسِ قُلَّبُ
بما قَدَّمَتْ كَفَّاكَ لا لَكَ مَهْرَبٌ ... إلى أيِّ قَوْمٍ والدِّماءُ تَصَبَّبُ
فكَمْ مِنْ كَريمٍ قَدْ جَرَرْتَ جَريرَةً ... عليه فمَقْبورٌ وعانٍ يُعَذَّبُ[1]
وَمِنْ حُرَّةٍ زَهْراءَ قامَتْ بسُحْرةٍ ... تُبكِّي قَتيلاً أو صَدًى يَتَأَوَّبُ[2]
فَصَبْراً عُبَيْدُ بنَ العَبيد فإنَّما ... يُقاسِي الأُمورَ المُسْتَعِدُّ المُجَرِّبُ
وذُقْ كالذي قَدْ ذاقَ مِنْكَ معاشِرٌ ... لَعِبْتَ بهم إذْ أنت بالنَّاسِ تَلْعَبُ
فَلَوْ كُنْتَ حُرًّا أو حَفِظْتَ وَصِيَّةً ... عطَفْتَ على هِنْدٍ وهِنْدٌ تُسَحَّبُ
وقاتَلْتَ حتى لا تُري لك مَطْمَعاً ... بِسَيْفِك في القومِ الذين تَحزَّبُوا
وقلتَ لأُمِّ العَبْدِ أُمِّك: إنني ... وإنْ كَثُرَ الأعداءُ حامٍ مُذَبِّبُ[3]
ولكن أبَى قَلْبٌ أُطيرَتْ بَناتُهُ ... وعِرْقٌ لكم في آل مَيْسانَ يَضرِبُ

وقال في ذلك أيضاً: [الوافر]

ألا أَبْلِغْ عُبَيْدَ اللَّهِ عَنِّي ... عُبَيدَ اللُّؤمِ عَبْدَ بَني عِلاجِ
عَلَيَّ لَكُمْ قلائِدُ باقِياتٌ ... يُثِرْنَ عليكُمُ نَقْعَ العَجاجِ
تَدَعَّيْتَ الخضارِمَ مِنْ قُرَيْشٍ ... فما في الدِّينِ بَعْدكَ مِنْ حِجاجِ[4]
أَبِنْ لي هل بِيَثْرِبَ زَنْدَ وَرْدٍ ... قُرَى آبائك النَّبَطِ العَجاجِ![5]

وقال فيه أيضاً: [الوافر]

عُبَيدُ اللّهِ عَبْدُ بني عِلاجٍ ... كذاكَ نِسْبَتُهُ وكذاكَ كانا
أعَبْدَ الحارِثِ الكِنديِّ ألاّ ... جَعَلْتَ لاسْتِ أُمِّكَ دَيْدبانا[6]
فَتَسْتُرَ عَوْرَةً كانَتْ قَديماً ... وَتَمْنَعَ أُمَّكَ النَّبَطَ البِطانا

وقال يَهجُو عُبَيْد اللّهِ وَعبَّاداً، أنْشَدناه جماعة، منهم هاشِمُ بن محمد

---

(١) العاني: الأسير.
(٢) يتأوَّب: يرجع.
(٣) المذبِّب: المدافع.
(٤) الخضارم: جمع خضرم، وهو السيد الحمول، أو الجواد الكريم الكثير العطاء.
(٥) زندورد: مدينة قرب واسط مما يلي البصرة. (معجم البلدان ٣/ ١٥٤). والعجاج: الرعاع.
(٦) الديدبان: الرقيب.

الخُزاعيُّ، عن دَماذ، عن أبي عُبَيْدة، وهذا من قصيدة له طوِيلة أوّلها: [الوافر]

جَرَتْ أُمُّ الظِّباءِ بِبَيْنِ لَيْلَى ... وَكُلُّ وِصالِ حَبْلٍ لانْقِطاعِ

يقول فيها:

ولا لاَقَيْتُ مِنْ أيّام بُؤْسٍ ... ولا أَمْرٍ يَضِيقُ به ذِرَاعِي
وَلَمْ تَكُ شِيمَتِي عَجْزاً وَلُؤْماً ... وَلَمْ أَكُ بالمُضلَّلِ في المَساعي
سِوَى يَوْمِ الهَجِينِ ومَنْ يُصاحِبْ ... لِئامَ النَّاسِ يُغْضِ على القَذاعِ[1]
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ لو سلاحي ... بِكَفِّي إذْ تُنازِعُني مَتاعِي
لباشَرَ أُمَّ رَأسِكَ مَشْرَفِيٌّ ... كذاكَ دَواؤنا وَجَعَ الصُّداعِ[2]
أَفِي أَحْسابِنا تُزرِي علينا ... هُبِلْتَ وأنتَ زائدَةُ الكُراعِ[3]
تبغَّيْتَ الذُّنوب عَليّ جَهْلاً ... جُنوناً ما جُنِنتَ ابنَ اللُّكاعِ
فما أسَفي على تَرْكي سَعِيداً ... وإسحاقَ بنَ طَلحةَ واتّباعِي
ثَنايا الوَبْرِ عَبْدَ بَنِي عِلاجٍ ... عُبَيْدةَ فَقْعَ قَرْقَرةٍ بِقاعِ
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... وَوَدَّعَ أَهْلُها خَيْرَ الوَداعِ
فَأَيْرٌ في اسْتِ أُمِّكَ مِنْ أميرٍ ... كذاك يُقالُ للحَمِقِ اليَراعِ[4]
وَلا بُلَّتْ سَماؤكَ مِنْ أميرٍ ... فبِئْسَ مُعَرَّسُ الرَّكْبِ الجِياعِ[5]
أَلَمْ تَرَ إذْ تُحالِفُ حِلْفَ حَرْبٍ ... عليك غَدَوْت مِنْ سَقَط المَتاعِ
وكدتَ تَمُوتُ أنْ صاحَ ابن آوَى ... ومثلُك ماتَ مِنْ صَوْتِ السِّباعِ
ويَوْمَ فَتَحْتَ سَيْفَكَ مِنْ بَعيدٍ ... أُضِعْتَ وَكُلُّ أمرِكَ للضَّياعِ
إذا أَوْدَى مُعاويةُ بنُ حَرْبٍ ... فبَشِّرْ شَعْبَ قَعْبِكَ بانْصِداعِ
فأشهدُ أنَّ أُمَّكَ لَمْ تُباشِر ... أَبا سُفيانَ واضِعةَ القِناعِ
ولكن كانَ أمراً فيهِ لَبْسٌ ... على عَجَلٍ شَدِيدٍ وارْتِياعِ[6]

---

(١) القذاع: الفحش، المشاتمة.
(٢) المشرفيّ: السيف.
(٣) الكراع من كل شيء: طرفه.
(٤) الحمق: الأحمق. واليراع: الجبان الذي يروعه ويفزعه أي شيء.
(٥) لا بُلّت سماؤك: يدعو عليه بالجدب والقحط. والمعرَّس: مكان التعريس، وهو نزول المسافرين ليلاً للاستراحة. والرَّكْب: الجماعة الراكبون.
(٦) الارتياع: الخوف.

قال: وكان عبّاد في بعض حروبه ذاتَ لَيلة نائماً في عَسكره، فصاحت بنَاتُ آوى، فثارت الكِلابُ إليها، ونفر بعضُ الدَّوَابّ ففزع عبّاد وظنها كَبْسَةً من العدوّ، فركب فرسه ودَهِش، فقال: افتَحوا سيفي، فعيّره بذلك ابنُ مفرّغ. ومما قاله ابن مُفرّغ في هجاء بني زياد وغُنّي فيه:

صوت

[البسيط]

كَمْ بـالـدُّروبِ وأرضِ الـهِـنْـدِ مِنْ قَدَمِ ... ومِـنْ جَـمـاجـمِ قَـتْـلَـى مـا هُـمُ قُـبِـرُوا

وَمِـنْ سَـرابِـيـلِ أَبْـطـالٍ مُـضَـرَّجَـةٍ ... ساروا إلى المَوْتِ ما خامُوا ولا ذُعِرُوا(١)

بـقُـنْـدُهـارَ ومَـنْ تُـحْـتَـمْ مَـنـيَّـتُـهُ ... بـقُـنْـدهـارَ يُـرَجَّـمْ دُونَـهُ الـخَـبَـرُ(٢)

غنى في هذه الأبيات ابنُ جامع.

أَجَـدّ أَهْـلُـكَ، لا يـأتـيـهِـمُ خَـبَـرٌ ... مـنَّـا ولا مـنـهـم عَـيْـنٌ ولا أَثَـرُ

وَلَـمْ تَـكَـلَّـمْ قُـرَيْـشٌ فـي حَـلِـيـفِـهِـمُ ... إِذْ غابَ أنصارُه بـالشَّامِ واحْتُضِروا

لـو أنَّـني شـهِـدَتْني حِـمْـيَـرٌ غَـضِـبتْ ... إذاً فـكـان لـهـا فـيـمـا جَـرَى غِـيَـرُ

رَهْـطُ الأغـرِّ شـرَاحِـيـلِ بـن ذِي كَـلَـعٍ ... وَرَهْـطُ ذي فـائِـشٍ مـا فَـوْقَـهـم بَـشَـرُ

قُـولا لِـطَـلْـحـةَ مـا أَغْـنَـتْ صَـحِـيـفَـتُـكم ... وَهَـلْ لِـجـارِكَ إِذْ أَوْرَدْتَـهُ صَـدَرُ!

فـمَـنْ لـنـا بـشَـقِـيـقٍ أو بـأُسْـرَتِـهِ ... وَمَـنْ لـنـا بِـبَـنِـي ذُهْـلٍ إذا خَـطَـرُوا!

هُـمُ الَّـذِيـنَ سَـمَـوْا والـخَـيْـلُ عـابِـسَـةٌ ... والـنَّـاسُ عِـنْـدَ زِيـادٍ كُـلُّـهُـم حَـذِرُ

لَـوْلاهُـمُ كـانَ سـلاَّمٌ بِـمَـنْـزِلَـتـي ... أَوْلَـى لَـهُـمْ ثُـمَّ أَوْلَـى بَـعْـدَ مـا ظَـفِـرُوا

أخبرني محمد بنُ خَلَف، عن أبي بكر العامريّ، عن إسحاق بنِ محمد، عن القَحْذَمِيّ قال: هجا سلامٌ الرّافعيُّ مقاتلَ بنَ مِسْمَع فقال فيه: [الطويل]

أَبَـى لَـكَ يـا ذا الـمَـجْـدِ أَنَّ مُـقـاتِـلاً ... زَنَى واسْتَحَلَّ الفارِسِيَّ المُشَعْشَعَا(٣)

في أبيات هَجاه بها فحَبَسه مقاتل بالعربة(٤) فركب شَقِيقُ بنُ ثَوْر في جماعة

---

(١) خام: جبن.

(٢) قندهار: مدينة بالسند أو بالهند (معجم البلدان ٤/٤٠٣). وتحتم منيته: يكون قدره الموت فيها. ويرجَّم: يظنّ، تكثر حوله الظنون والأخبار.

(٣) الفارسي: الخمر. والمشعشع: المخلوط بالماء.

(٤) العربة: قرية في أول وادي النخل من جهة مكة. (معجم البلدان ٤/٩٦).

من بَنِي ذُهْل إلى الحَبْس فأخرجه؛ فضَرَب به ابنُ مفرِّغ المَثَل في الشِّعر الماضي.

أخبرني محمدُ بنُ خَلَف بن المَرْزُبان، قال: حدَّثني أبو عبد اللّه اليمانيُّ، قال: حدَّثَنا الأصمَعِيُّ، عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال: قال لي عُبَيْدُ اللّه بنُ زياد: ما هُجِيتُ بشيءٍ أَشَدَّ عليَّ من قَوْل ابنِ مُفرِّغ: [البسيط]

فَكِّرْ؛ ففي ذاكَ إن فَكَّرْتَ مُعْتَبَرٌ ... هَلْ نِلْتَ مَكْرُمَةً إلا بتَأْمِيرِ!
عاشَتْ سُمَيَّةُ ما تَدْرِي وقد عَمَرَتْ ... أَنَّ ابْنَها مِنْ قُرَيْشٍ في الجَماهِيرِ

وروى اليَزِيدِيُّ في رِوايته عن الأَحْوَل: قال أبو عبيدة: كان زياد يزعمُ أن أُمَّه سُمَيَّة بنْتَ الأعور من بني عبد شَمْس بن زيد مَناة بن تَميم، فقال ابنُ مُفرّغ يردّ ذلك عليه: [الوافر]

فأُقْسِمُ ما زِيادُ مِنْ قُرَيْشٍ ... ولا كانَتْ سُمَيَّةُ مِنْ تَمِيمِ
ولكِنْ نَسْلُ عَبْدٍ من بَغِيٍّ ... عَرِيقِ الأَصْلِ في النَّسَبِ اللَّئِيمِ

أخبرني هاشِمُ بنُ محمد قال: حدَّثَنا أبو غَسَّان دَماذ قال: أنشدني أبو عُبَيْدة لابن مُفرّغ يَهْجو ابنَ زِياد ويرميه بالأُبْنَة. [الكامل]

أَبلِغْ قريشاً قَضَّها وقَضِيضَها ... أَهْلَ السَّماحةِ والحُلُومِ الرَّاجِحَهْ[1]
أنِّي ابتُلِيت بحَيَّةٍ ساوَرْتُهُ ... بيَدٍ لعَمْرِي لَمْ تَكُنْ لِيَ رابِحَهْ
صَفَقَ المُبَخَّلُ صَفْقَةً مَلْعُونَةً ... جَرَّتْ عليه مِنَ البلايا فادِحَهْ
شَتّانَ مَنْ بَطْحاءُ مَكَّةَ دارُه ... وَبَنُو المُضافِ إلى السِّباخ المالحهْ[2]
جَعُدَتْ أنامِلُه ولامَ نِجارُهُ ... وبذاكَ تُخبِرُنا الظِّباءُ السانِحَهْ[3]
فإذَا أُمَيَّةُ صَلْصَلَتْ أَحْسابُها ... فَبَنُو زياد في الكلابِ النَّابِحَهْ
قالوا: يُناكُ، فَقُلْتُ: في جَوْفِ اسْتِهِ ... وبذاك خَبَّرنِي الصَّدوقُ الفاضِحَهْ
لَمْ يَبْقَ أَيرٌ أسودٌ أو أبيضٌ ... إلاّ له استُكَ في الخَلاءِ مُصافِحَهْ

[مقتل عبيد اللّه بن زياد وقول ابن مفرغ فيه]

وأخبرني إبراهيم بنُ السريّ بن يحيى، قال: حدَّثني أبي، عن شعيب، عن

(١) قضها وقضيضها: كلها. والحلوم: العقول.
(٢) السباخ: جمع سبخة، وهي الأرض المالحة النازّة.
(٣) لام نجاره: لؤم أصله.

سيف، قال: لما قُتِل عُبَيْدُ اللّه بن زياد يوم الزَّاب، قَتَلَهُ أصحابُ المُخْتار بن أبي عُبَيد ويقال: إن إبراهِيمَ بنَ الأَشْتَر حمل على كَتِيبته فانهَزَموا، ولَقِيَ عُبَيْدَ اللّه فضَرَبه فقتله، وجاء إلى أصحابه فقال: إنّي ضربتُ رجلاً فقدَدْتُه نِصْفَين فشرَّقَتْ يداه وغَرَّبتْ رِجْلاه، وفاح منه المِسْك، وأظنُّه ابنَ مُرْجانَة، وأومأ لهم إلى مَوْضِعِه، فجاءوا إليه وَفَتَّشُوا عليه، فوجدوه كما ذكر، وإذا هو ابنُ زِياد، فقال ابنُ مُفرّغ يَهْجُوه: [البسيط]

إنَّ الَّـذِي عـاش خَـتَّـاراً بـذِمَّـتِـهِ ... وعـاشَ عَـبْـداً قَـتِـيـلُ الله بـالـزَّابِ[1]
الـعَـبْـدُ لـلـعـبـدِ لا أصْـلٌ ولا طَـرَفٌ ... ألْـوَتْ بـه ذَاتُ أظْـفـارٍ وأنْـيـابِ[2]
إنَّ الـمَـنـايـا إذا مـا زُرْنَ طـاغِـيـةً ... هَـتَـكْـن عَـنْـهُ سُـتـوراً بَـيْـنَ أبْـوابِ
هَـلاَّ جُـمـوعَ نِـزارٍ إذ لَـقِـيـتَـهـمُ ... كُـنْـتَ امـرَأً مِـنْ نِـزارٍ غَـيْـرَ مُـرْتـابِ
لا أنـتَ زاحَـمْـت عَـنْ مُـلْـكٍ فَـتَـمْـنَـعَـهُ ... ولا مَـدَدْتَ إلـى قَـوْمٍ بـأسْـبـابِ
مـا شُـقَّ جَـيـبٌ ولا نـاحَـتْـكَ نـائِـحـةٌ ... ولا بَـكَـتْـكَ جِـيـادٌ عِـنـد أسْـلابِ
لا يَـتْـرُكِ الله أنْـفـاً تَـعْـطِـسُـون بـهـا ... بـنـي الـعَـبِـيدِ شُـهُـوداً غَـيْـرَ غُـيَّـابِ
أقـولُ بُـعْـداً وسُـحْـقـاً عـنـدَ مَـصْـرَعِـهِ ... لابْـنِ الخَـبِـيثَةِ وابْـنِ الـكَـوْدَنِ الـكَـابِـي[3]

والقَصِيدَةُ المَذْكُورَة بها غِناء فيه منها. وقال: [الخفيف]

حَـيِّ ذَا الـزَّوْرَ وانـهَـهُ أن يَـعُـودَا ... إنَّ بـالـبـابِ حـارِسِـيـنَ قُـعـودَا
مِـنْ أسـاوِيـرَ مـا يَـنُـونَ قِـيـامـاً ... وخَـلاخـيـلَ تُـذْهِـلُ الـمَـوْلُـودا
وطَـمـاطِـيـمَ مِـنْ مَـشـايِـخِ جُـونٍ ... ألْـبَـسُـونِـي مَـعَ الـصَّـبـاحِ قُـيُـودا[4]
أيَّ بَـلْـوى مَـعِـيـشَـةٍ قَـدْ بَـلَـوْنـا ... فَـنَـعِـمْـنـا ومـا رَجـونـا خُـلـودا
وَدُهـورٍ لَـقِـيـنَـنـا مُـوجِـعـاتٍ ... وزمـانٍ يُـكَـسِّـرُ الـجُـلْـمـودا
فَـصَـبـرنـا عـلـى مَـواطِـنِ ضِـيـقٍ ... وَخُـطـوبٍ تُـصَـيِّـرُ الـبِـيـضَ سُـودا
ظَـلَّ فـيـهـا الـنَّـصِـيـحُ يُـرسِـلُ سِـرًّا ... لا تُـهـالَـنَّ إن سَـمِـعْـتَ الـوَعِـيـدا
أفـإنْـسٌ مـا هـكـذا صَـبْـرُ إنْـسٍ ... أم مِـنَ الـجِـنِّ أم خُـلِـقـتَ حَـدِيـدَا
لا ذَعَـرْتُ الـسَّـوامَ فـي فَـلَـقِ الـصُّـبْـ ... ـحِ مُـغِـيـراً ولا دُعِـيـتُ يـزيـدا

(١) الختار: الغدّار.
(٢) الطرف: الشرف.
(٣) الكودن: البرذون، أو البغل، أو الهجين.
(٤) الطماطيم: الأعاجم الذين في لسانهم طمطمة أي عجمة فهم لا يفصحون.

يَوْمَ أُعْطِي مَخافةَ المَوْتِ ضَيْماً والمنايا يَرْصُدْنَنِي أنْ أحِيدا

قال: وهي قصيدة طويلة.

وتَمثَّل الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ صَلوات الله عليه بهذيْن البَيْتَيْنِ لَمَّا خرج من المدينة إلى مكة عند بيعة يزيد:

لا ذَعَرْتُ السوَّامَ في فَلَق الصُّبْـ ـح مُغِيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدَا
يَوْمَ أُعْطِي مَخَافَةَ المَوْتِ ضَيْماً والمَنَايَا يَرْصُدْنَنِي أنْ أحِيدَا

حدَّثني أحمدُ بنُ عِيسَى أبو مُوسَى العِجْليّ العَطَّار بالكوفة فقال: حدَّثني الحُسَين بن نصر بن مُزاحم المِنْقرِيُّ، قال: حدَّثَنِي أَبِي، قال: حدَّثَنا عمر بن سعد، عن أبي مِخْنَف، قال: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبي سعيد المَقْبريّ قال: والله لرأَيْتُ حُسَيْناً عليه السلام وهو يمشي بين رَجُلَين، يعتَمِد على هذا مَرَّة، وعلى هذا مرة، حتى دَخَل المَسْجِد وهو يقولُ:

لا ذَعَرتُ السوَّام... البيتين.

قال: فقلت عند ذلك: إنّه لا يلبَثُ إلا قلِيلاً حتى يَخْرُج، فما لَبِث أن خَرَج فلَحِق بمكة، فلما خَرَج من المَدِينة قال: **﴿فخَرج منها خائِفاً يترقَّب قال رَبِّ نَجِّني من القَوْم الظَّالِمِين﴾**[1]. ولما تَوَّجه نحو مكة قال: **﴿ولما تَوجَّه تِلقاء مَدْيَنَ قال عَسَى رَبِّي أن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيل﴾**[2].

[ابن مفرغ ومروان بن الحكم]

أخبرني جَعفرُ بن قُدامة، قال: حدَّثنا عبدُ اللّه بن أبي سعد قال: حدَّثني عليّ بن الصبَّاح، عن ابن الكلبيّ قال: لما قَدِم ابنُ مُفرِّغ إلى مُعاوية مع خَمْخام الذي وجَّهه إليه، فانتزعه من عبّاد بن زياد، نزل على مروان بن الحكم وهو يومئذ عند معاوية، فأعطاه وكساه، وقام بأمره واسترفد له كُلَّ مَنْ قدر عليه من بَنِي أبي العاص بن أمية، فقال ابنُ مُفَرِّغ يَمْدَحُه من قصيدته: [الكامل]

وأقَمْتُمُ سُوقَ الثَّناءِ وَلَمْ تَكُنْ سُوقُ الثَّناءِ تُقامُ في الأَسْوَاقِ

---

(١) سورة القصص، الآية ٢١.
(٢) سورة القصص، الآية ٢٢.

فكأنّما جعل الإلهُ إليكُمُ قَبْضَ النُّفوسِ وَقِسْمَةَ الأَرْزاقِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي، قال: حدَّثنا أبو غسَّان دَماذ، عن أبي عبيدة قال: كان ابنُ مُفَرِّغ يهوَى أناهِيدَ بنتَ الأعنق، وكان الأعنَق دِهْقاناً[1] من الأهواز، له ما بين الأهْواز وسُرَّقَ[2] ومَناذِر[3] والسُّوس[4]، وكان لها أخوات يقال لهنَّ: أسماء والجُمانَةُ، وأُخرى قد سقط اسمها عن دَمَاذ، فكان يذكُرُهن جميعاً في شعره، فمن ذلك قولُه في صاحبتِه أناهِيد من أبيات: [البسيط]

سِيرِي أَنَاهِيدُ بالعَيْرَيْنِ آمِنَةً قَدْ سَلَّمَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ بِهِم طَبَعُ[5]
لا بارَكَ اللهُ فِيهِم مَعْشراً جُبُناً ولا سَقَى دارَهُم قَطْراً ولا رُبِعوا
السَّارِقِينَ إذا جاءوا نَزِيلَهُمُ والأَخْبَثِينَ بُطُوناً كُلَّما شَبِعُوا
لا تَأْمَنَنَّ حِزامِيًّا نَزَلْتَ بِهِ قَوْمٌ لَدَيْهِم تَنَاهى اللُّؤمُ والضَّرَعُ
جاوِرْ بَني خَلَفٍ تَحْمَدْ جِوارَهُمُ الأَعْظَمِينَ دِفاعاً كُلَّما دَفَعوا
والمُطْعِمينَ إذا ما شَتْوَةٌ أَزَمَتْ فالنَّاسُ شتَّى إلى أبْوابِهم شَرَعُ
هُم خَيْرُ قَوْمِهمُ إن حَدَّثوا صَدَقُوا أو حاوَلُوا النَّفْعَ في أشْياعِهم نَفَعوا
المانِعِينَ مِنَ المخزاةِ جارَهُمُ والرَّافِعِينَ مِنَ الأَدْنَيْنَ ما صَنَعُوا
انزِلْ بِطَلْحةَ يَوْماً إنَّ مَنْزِلَهُ سَهْلُ المباءَةِ بالعَلْياءِ مُرْتَفِعُ

وفي أسماء أختها يقول: [الطويل]

تَعَلَّقَ مِنْ أَسْماءَ ما قَدْ تَعَلَّقا وَمِثْلُ الذي لاقَى مِنَ الحُبِّ أَرَّقا
وحَسْبُكَ مِنْ أَسْماءَ نَأْيٌ وَأَنَّها إذا ذُكِرتْ هاجَتْ فُؤاداً مُعَلَّقا
سَقَى هَزِمُ الإرْعادِ مُنْبَجِسُ العُرَى مَنَازِلَها بالمَسْرُقانِ فَسُرَّقا[6]
وتُستَر لا زالَتْ خَصِيباً جَنابُها إلى مَدْفَعِ السُّلَّانِ مِنْ بَطْنِ دَوْرَقا
إلى الكَوثَجِ الأَعْلَى إلى رامَهُرْمُزٍ إلى قَرياتِ الشِّيحِ مِنْ فَوْقِ سَفْسَقا

رامهرمز: بلد من أعمال الأهواز معروف.

---

(١) الدهقان: رئيس الإقليم، والتاجر.
(٢) سُرَّق: كورة بالأهواز (معجم البلدان ٣/ ٢١٤).
(٣) مناذر: مناذر الصغرى ومناذر الكبرى: بلدتان بخوزستان (معجم البلدان ٥/ ١٩٩).
(٤) السوس: بلدة بخوزستان. (معجم البلدان ٣/ ٢٨٠).
(٥) الطبع: الشين والعيب.
(٦) المسرقان: نهر بخوزستان عليه عدة قرى. (معجم البلدان ٥/ ١٢٥).

بِـلادُ بِـنـاتِ الـفـارِسِـيَّـةِ إنَّـهـا سَـقَـتْـنـا عَـلَـى لَـوْحِ شَـراباً مُـعَـتَّـقـا

أخبرني عمِّي، قال: حدثنا الكُرانِيّ، قال: حدّثنا العُمَريّ، عن الهيثم بن عديّ. وأخبرنا هاشم بن محمد قال: حدثنا دَماذُ أبو غَسَّان، عن أبي عبيدة، قالا: لما فَصَل ابنُ مفرِّغ من عند معاوية، نزَل بالمَوْصل على أخواله من آل ذي العشراء من حمير، قال الهيثم في روايته: فزوَّجوه امرأةً منهم - ولم يذكُر ذلك أبو عُبَيْدة - فلما كان اليوم الذي يكونُ البناء في لَيلَته، خرج يَتصيَّد ومعه غلامه بُرد، فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عِطراً وأدهاناً. فقال له ابنُ مفرِّغ: من أين أقبلت؟ قال: من الأهواز، قال: ويحك! كيف خلّفت المَسرُقانَ وبَرْدَ مائِه؟ قال: على حاله. قال: ما فعلتْ دِهْقانَةٌ يقال لها أناهِيدُ بنت أعنق؟ قال: أصديقةُ ابنِ مُفرِّغ؟ قال: نعم، قال: ما تَجِفُّ جُفونُها من البكاء عليه، فقال لغلامه: أيْ بُرد، أما تسمع؟ قال: بلى. قال: هو بالرَّحْمن كافرٌ إن لم يكن هذا وجهي إليها، فقال له بُرد: أكرمك القومُ وقاموا دُونك، وزوَّجوك كريمَتَهم، ثم تصنع هذا بهم، وتُقدِم على ابن زِياد بعد خلاصك منه من غير أمْرِه ولا عَهْد منه ولا عَقْد! أَبْقِ أيها الرجل على نفسك، وأقم بمَوْضِعِك، وابنِ بأهلِكَ، وانظُر في أمرك، فإن جَدَّ عَزْمُك كنتَ حينئذ وما تختاره. قال: دَعْ ذا عنك، هو بالرحمن كافر إن عَدَل عن الأهواز ولا عرَّج على شيء غيرها، ومضى لوجهه من غير أن يُعلِم أهلَه، وقال قصيدته: [الوافر]

سَمَا بَرْقُ الجُمانَةِ فاسْتَطارا لَعَلَّ البَرْقَ ذاكَ يَحورُ نارا[1]
قَعَدْتُ لَهُ العِشاءَ فهاجَ شَوْقِي وذَكَّرَنِي المَنازِلَ والدِّيارا
دِيارٌ للجُمانَةِ مُقْفِراتٌ بَلِينَ وهِجْنَ لِلْقَلْبِ ادِّكارا
فَلَمْ أَمْلِكْ دُموعَ العَيْنِ مِنِّي ولا النَّفْسَ التي جاشَت مِرارا
بِسُرَّقَ فالقُرَى مِنْ صَهرتاجٍ فَدَيْرِ الرَّاهِبِ الطَّلَلِ القِفارا[2]
فَقُلْتُ لِصاحِبِي: عرِّجْ قَليلاً نُذاكِرْ شَوْقَنا الدُّرسَ البَوارا
بآيَةِ ما غَدَوْا وهُمُ جَمِيعٌ فكادَ الصَّبُّ يَنْتَحِرُ انْتِحارا
فَقالَ: بَكَوْا لِفَقْدِكَ مِنْذُ حِينٍ زَماناً ثُمَّ إنَّ الحَيَّ سَارا
بِدِجْلَةَ فاسْتَمَرَّ بِهِم سَفِينٌ يَشُقُّ صُدُورُها اللُّجَجَ الغِمارا

---

(١) يحور: يرجع.

(٢) سرّق وصهرتاج ودير الراهب مواضع بالأهواز.

كَأَنْ لَمْ أَغْنَ في العَرَصاتِ منها ... وَلَمْ أَذْعَرْ بِقاعَتِها صُوارا[1]
وَلَمْ أَسْمَعْ غِناءً مِنْ خَليلٍ ... وَصَوْتَ مُقَرْطَقٍ خَلَعَ العِذارا

قال: فقَدِم البصرة فذُكِر لعُبَيْد اللّه بن زِياد مَقدمُه، فلم يَعرِض له، وأرسل إليه أن أقم آمناً، فأقام بالبصرة أشهراً يختلف من البصرة إلى الأَهْواز، فيزورُ أناهِيدَ، ويُقيم عندها.

ثم أتى عُبَيْدَ اللّه بن زِياد فقال له: إني امرُؤٌ لي أعداء، ولستُ آمنُ بعضَهم أن يقولَ شيئاً على لساني يُحْفِظ الأميرَ عليَّ، وأُحِب أن يأذن لي أن أتنحَّى عنه، فقال له: حُلَّ حيث شئت، فخرج حتى قدم على شَرِيك بن الأعور الحارثيّ وهو يومئذ عامِلُ عُبَيْد اللّه بن زِياد على فارِسَ وكَرْمان، فأعطاه ثلاثين ألف درهم، فقَدِم بها الأهواز فأعطاها أناهِيدَ.

[بينه وبين عبيد اللّه بن أبي بكرة]

أخبرني أحمدُ بن عُبَيْد اللّه بن عَمَّار، قال: حدَّثنا سُلَيمان بن أبي شيخ، قال: حدَّثني محمد بن الحكم، عن عَوانة: أنَّ عُبَيْدَ اللّه بن أبي بَكْرة كتب إلى يزيدَ بن مُفرِّغ: إني قد توجهت إلى سجستانَ فالحَقْ بي، فلعلك إن قدِمتَ عليَّ ألاّ تندم ولا يُذَمّ رأيُك. فتجهَّزَ ابنُ مفرّغ وخرج حتى قدم سِجِسْتانَ مُمْسِياً، فدخل عليه فشغله بالحديث، وأمر له بمنزل وفَرْش وخدم، وجعل يُطاوِلُه حتى علم أنه قد استَتَمَّ له ما أمر له به، ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هُيّىء له، ثم دَعَا به في اليوم الثاني فقال له: يابن مُفرِّغ، إنَّكَ قد تجشَّمتَ إليّ شُقّة بعيدة، واتَّسع لك الأملُ فرحلتَ إليَّ لأقضي عنك دَينَك ولأُغنيَك عن الناس، وقلتَ: أبو حاتم بسِجِسْتان فَمنْ لي بالغِنى بعده! فقال: والله ما أخطأتَ أيُّها الأمير ما كان في نَفْسي، فقال عُبَيْدُ اللّه: أما والله لأفعلنّ ولأُقِلَّنَّ لبثك عِنْدي ولأُحسِنَنّ صِلتَك! وأمر له بمائة ألف دِرْهم، ومائةَ وَصيفة ومائةَ نَجِيبة، وأمرَ له بما يُنفِقه إلى أن يبلغ بَلده سوى المائة الألف، وبِمَنْ يكفيه الخِدْمةَ من غِلْمانه وأعوانه، وقال له: إن من خِفَّة السَّفر ألاّ تهتمَّ بخُفٍّ ولا حافرٍ، وكان مقامُه عنده سبعةَ أيَّام. ثم ارتحل وشيَّعه عُبَيدُ اللّه إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها: زالِقُ[2]، ثم قال له: يابن مفرّغ، إنه ينبغي للمودَّع

(١) الصوار: قطيع البقر الوحشي.
(٢) زالق: بلد في سجستان. (معجم البلدان ٣/ ١٢٧).

أن ينصرف، وللمتكلِّم أن يسكُت، وأنا مَنْ قد عرَفت، فأبْقِ على الأمل وحُسْن ظنّك بي ورجائكَ فيَّ، وإذا بدا لك أنْ تَعودَ فَعُد، والسلام.

قال: وسار ابنُ مُفرّغ حتى أتى رامَهُرْمُزَ[1]، فنزل بقرْية أبجَر، فنزلَت إليه بنتُ الأبجر فقالت: يابن مفرّغ، لمنْ هذا المال؟ قَال: لابنة أعنق دهقانة الأهواز، وإذا رسولها في القافلة بكتابها: إنك لو كنتَ على العهد الأول لتعجّلت إليّ ولم تساير ثَقَلك[2]، ولكن قد علمتُ أن المال الذي أعطاكه عُبَيدُ اللّه قد شغلك عنّي، قال: فأعطى رسولها مالاً على أن يقول فيه خيراً، وقد قال لابنةِ أبجر في جواب قولها له: [الطويل]

حَباني عُبَيْدُ اللّه يابنةَ أبْجرٍ ... بهذا، وهذا للجُمانَةِ أجْمعُ
يَقَرّ بِعَيْنِي أنْ أراها وَأَهْلَها ... بِأَفْضَل حالٍ ذاكَ مَرْأى ومَسمَعُ
وخُبِّرْتُها قَالَتْ: لَقَدْ حالَ بَعْدَنا ... فَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي إِلَيْها تَطَلَّعُ[3]
وَقُلْتُ لَها لَمَّا أَتَانِي رَسُولُها ... وأيُّ رَسُولٍ لا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
أُحِبُّكِ ما دامَتْ بنَجْدٍ وَشِيجةٌ ... وما رُفِعَتْ يَوْماً إلى الله إصْبَعُ[4]
وإنِّي مَلِيءٌ يا جُمانةُ بالهَوَى ... وصِدْقِ الهوى إنْ كانَ ذلكَ يُقْنِعُ

قال: فلما انتهت رُسُل عُبَيْد اللّه بن أبي بكْرة معه إلى الأهواز قالوا له: قد بلغنا حيث أُمِرنا، قال: أجل، ثم أمر ابنةَ أعنَق أن تَفْتح الباب وقال لها: كلُّ ما دَخل دارَك فهو لك.

[مدحه عبيد اللّه بن أبي بكرة]

وَأقام بالأهواز، ودَعا نُدماءَ كانوا له من فِتْيان العرب فلم يبق ظَرِيفٌ وَلاَ مُغَنٍّ إلا أتاه، واستَماحه جماعةٌ قَصدُوه من أهل البَصْرة والكوفة والشَّام فأعطاهم، ولم يُفارق أناهيدَ ومعه شيء من المالِ، وجعل القومُ يَسألونَه عن عُبَيْد اللّهِ بنِ أبي بكْرة وكيف هو وأخلاقه وجوده فقال: [الطويل]

يُسائِلُني أَهْلُ العِراقِ عَنِ النَّدَى ... فَقُلْتُ: عُبَيْدُ اللّهِ حِلْفُ المكارِمِ

---

(١) رامهرمز: مدينة مشهورة بخوزستان (معجم البلدان ٣/ ١٧).
(٢) الثَّقَل: المتاع.
(٣) حالَ: تغيّر.
(٤) الوشيجة: عرق الشجرة.

فَتًى حاتِمِيٌّ في سِجستانَ رَحْلُهُ ... وحَسبُكَ جُوداً أنْ يَكُونَ كحاتِمِ
سَما لِينالَ المكْرُماتِ فنالَها ... بِشِدّة ضِرْغامٍ وبَذْلِ الدّراهمِ
وحِلْمٍ إذا ما سَوْرةُ الحِقْدِ أطلَقت ... حُبَا القَوْم عند الفادِحِ المُتفاقِمِ[1]
وإنّ لَهُ في كُلِّ حَيٍّ صَنيعةً ... يُحدِّثها الرُّكبانُ أهْلَ المَواسِمِ
دَعانِي إليه جُودُه ووَفاؤُه ... ومِنْ دُون مَسراهُ عُداةُ الأعاجِمِ
فلَمْ أبْقَ إلا جُمْعةً في جِوارِهِ ... ويَوْمَيْنِ حَلاً مِنْ ألِيَّةِ آثِمِ[2]
إلى أن دَعانِي زَانَه الله بالعُلاَ ... فأنْبَتَ رِيشِي مِنْ صَمِيم القَوادِمِ
وقالَ: إذا ما شِئْتَ يابنَ مُفرِّغٍ ... فعُدْ عَوْدَةً لَيْسَتْ كأضْغاثِ حالِمِ
فَقُلْتُ لَهُ - لا يُبْعِدِ الله دارَهُ -: ... أعودُ إذا ما جِئْتُكم غَيْرَ حاشِمِ
وأحْمَدْتُ وِرْدِي إذْ وَرَدْتُ حِياضَهُ ... وكُلُّ كَريمٍ نُهزَةٌ للأكارِمِ[3]
فأصْبَحَ لا يَرْجُو العِراقُ وأهْلُهُ ... سِواه لِنَفْعٍ أو لِدَفْعِ العَظائِمِ
وإنّ عُبَيْدَ الله هَنَّأ رِفْدَهُ ... سَرَاحاً وأعْطَى رِفْدَهُ غَيْرَ غانِمِ

وقال الهيثم في خبره: كان عَمرُو بنُ مُفرِّغ، عمُّ يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ، رجلاً له جاه وقَدْر عند السُّلطان، وكان ذا مال وثروة، وذا دِين وفَضْل وصَلاح، فكان يُعنِّف ابنَ أخيه في أمر أناهِيدَ عَشيقَته، ويعذِله ويُعيِّره بها، فلما أكثر عليه أتاه يوماً فقال له: يا عمّ، جُعِلتُ فداك، إنّ لي بالأهْواز حاجةً، ولي على قوم بها نحوٌ من ثلاثين ألفَ دِرْهم قد خفْتُ أن تَتْوَى[4] عليّ، فإن رأيتَ أن تتجشَّم العَناء معي إليها حتى تطالبَ لي بحقي، وتُعِينني بجاهك على غُرمائي. وكان عَمْرُو بن مُفرِّغ قد استَخْلفه ابنُ عبّاس عليها؛ إذ كان عامِلَ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى آله على البصرة، وكان عاملَ الأهواز - حين سأل ابنُ مُفرِّغ عَمّه أن يخرج معه - ميمونُ بنُ عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم الميمونية. فلم يزل ابنُ مفرّغ بعمه حتى أجابه إلى الخُروج فاستأجر سَفينة وتوجّه إلى الأهواز، وكتب إلى أناهِيد أن تَهَيَّئِي وتزيَّني بأحسن زينتك، واخرُجي إليَّ مع جواريك فإني موافيك، ومنزلُها يومئذ بين سُرَّق ورامهُرْمز.

(١) سَوْرَة الحقد: شدته وحدته.
(٢) الألِية: القسم.
(٣) نهزة: فرصة.
(٤) تتوى: تهلك.

فلما نزلوا منزلها خرجَتْ إليهم، وجلست معهم في هَيئتها وزيّها وحُليِّها وآلتها، فلما رآها عمُّه قال له: قبّحك الله! أفهلاً إذ فعلتَ ما فعلتَ كنت عَلِقت مثل هذه، فقال: يا عمّ أو قد أعجبتك؟ فقال: ومن لا تعجبه هذه؟ قال: ألجِدُّ هذا منك؟ قال: نعم والله، قال: فإنها والله هذه بعينها، فقال: يا خبيث إنما أشخصتَني لهذا، يا غلام ارحَلْ بنا. فانصرف عمُّه إلى البصرة وأقام هو معها، ولم يزل يتردّد كذلك حتى مات في الطاعون في أيام مصعب بن الزبير.

أَخبَرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهريّ وحبيب بن نَصْر المُهَلَّبيُّ قالا: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنا القَحذميُّ قال: لزِم يزيدَ بنَ مُفرّغ غُرماؤه بدَيْن، فقال لهم: انطلقوا نَجْلس على باب الأمير، عسى أن يَخْرجَ الأشرافُ من عنده فيَرَوْني فيَقْضوا عنّي، فانطلَقوا به، فكان أوّل مَنْ خَرج إما عُمَرُ بنُ عبيد الله بن مَعْمَر وإما طلْحةُ الطَّلحات، فلما رآه قال: أبا عُثمان، ما أقْعدَك ها هنا؟ قال: غرمائي هؤلاء لزموني بدَيْن لهم عليّ، قال: وكم هو؟ قال: سبعون ألفاً، قال: عليّ منها عَشرةُ آلاف درهم. ثمّ خرج الآخرُ على الأثر، فسأله كما سأل صاحبه، فقال: هل خَرَج أحدٌ قبلي؟ قالوا: نعم، فلان، قال: فما صنع؟ قالوا: ضمن عشرة آلاف درهم، قال: فعليَّ مثلُها.

قال: ثمّ جعل الناس يَخْرُجون، فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك، حتى ضَمِنوا أربعين ألفاً. وكان يأمُل عُبَيدَ الله بن أبي بكرة، فلم يخرج حتى غربت الشمس، فخرج مبادراً، فلم يَره حتى كاد يبلغ بيتَه، فَقِيل له: إنك مررتَ بابْنِ مُفرّغ ملزوماً[١]، وقد مرَّ به الأشرافُ فَضمِنوا عنه، فقال: وا سَوْأتاه! إنّي أخاف أن يُظَنَّ أنّي تغافَلْتُ عنه، فكرَّ راجعاً، فوجده قاعداً، فقال له: أبا عُثمان ما يجلسك ها هنا؟ قال: غرمائي هؤلاء يلزمونني، قال: كم عليك؟ قال: سبعون ألفاً، قال: وكم ضُمِن عنك؟ قال: أربعون ألفاً، قال: فاستَمْتِعْ بها وعليّ دَينُك أجْمع، فقال فيه يخاطب نفسه: [السريع]

لَوْ شِئتِ لَمْ تَعْنَيْ وَلَمْ تَنْصَبِي عِشْتِ بأسبابِ أبي حاتِمِ
عِشْتِ بأسبابِ الجَوادِ الذي لا يَخْتِمِ الأَمْوالَ بالخاتَمِ[٢]

(١) الملزوم: الذي يلزمه مال واجب عليه دفعه لِدَيْن لحق به أو نحوه.
(٢) الجواد: الكريم.

مِـنْ كَـفـفّ بُـهـلـولٍ لَـهُ عُـدَّةٌ ... مـا إن لِـمَـنْ عـاداهُ مِـنْ عـاصِـمِ(١)
الـمُـطْـعِـمِ الـنّـاسَ إذا حـارَدَتْ ... نَـكْـبـاؤهـا فـي الـزَّمَـنِ الـعـارِمِ(٢)
والـفـاصِـلِ الـخُـطَّـةِ يَـوْمَ الـلِّـجـا ... لِـلأَمْـرِ عِـنْـدَ الـكُـرْبَـةِ الـلازِمِ
جـاوَرْتُـهُ حِـيـنـاً فـأَحْـمَـدْتُـهُ ... أُثْـنـي ومـا الـحـامِـدُ كـالـلائِـمِ
كَـمْ مِـنْ عَـدُوٍّ شـامِـتٍ كـاشِـحٍ ... أخـزَيْـتَـهُ يَـوْمـاً وَمِـنْ ظـالِـمِ
أذقْـتَـهُ الـمَـوْتَ عـلـى غِـرَّةٍ ... بِـأَبْـيَـضَ ذِي رَوْنَـقٍ صـارِمِ

أخبرني عمّي قال: حدّثني أبو أيّوب المدينيّ، قال: حدَّثني حَمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: قدم بُدَيح الكُوفة، فغَنّى بها دهراً، وأصاب مالاً كثيراً، ثمّ خَرَج إلى البصرة، ثمّ أتى الأهواز، ثمّ عاد إلى البَصرة، فصَحب ابنَ مُفرّغ في سفينة حتى إذا كان في نهر مَعْقِل(٣) تغنَّى وهو لا يعرفُ ابنَ مُفرّغ بقوله: [الوافر]

سَمَـا بـرقُ الـجُـمـانـةِ فـاسْـتَـطـارا ... لَـعَـلَّ الـبَـرْقَ ذاكَ يـعـودُ نـارا

قال: فَطرب ابنُ مُفرّغ وقال: يا مَلاَّح، كُرّ بنا إلى الأهواز، فكرّ وهو يُغنّيه، ثم كَرَّ راجعاً إلى البصرة، وكرّوا معه، وهو يُعِيد هذا الصوت. قال: ووصل ابن مُفرّغ بُدَيْحاً وكساه.

صوت

[الطويل]

رَضِيتُ الـهَـوى إذ حَـلَّ بي مُـتَـخَـيِّـراً ... نَـدِيـمـاً ومـا غَـيْـري لَـهُ مَـنْ يُـنـادِمُـهْ
أُعـاطِـيـهِ كَـأْسَ الـصَّـبْـرِ بَـيـنِي وَبَـيْـنَـهُ ... يُـقـاسِـمُـنِـيـهـا مَـرَّةً وأُقَـاسِـمُـهْ

يقال: إنَّ الشِّعر لبشَّار، والغناء للزُّبير بن دَحْمان، هزج بالوسطى عن الهِشاميّ وأحمد بن المكّيّ.

---

(١) البهلول: السيد الجامع لصفات الخير.
(٢) حاردت السنة: قل مطرها. والنكباء: الريح الشديدة. والزمن العارم: الشديد.
(٣) نهر معقل: نهر بالبصرة. (معجم البلدان ٥/٣٢٣).

أخبار الزبير بن دحمان

[علاقته بالرشيد وغناؤه]

قد مَضَت أخبارُ أبيه، ونَسبُه ووَلاؤُه في متقدّم الكتاب، وكان الزُّبيرُ أحدَ المُحسنِين المُتْقِنين الرّواة الضُّرَّاب، المتَقدِّمين في الصَّنْعَة، وقَدِم على الرشيد من الحجاز، وكان المغنون في أيَّامِه حزْبين: أحدُهما في حِزْب إبراهيم المَوْصليّ وابنه إسحاق، والآخر في حزْب ابن جامِع وابن المَهْدِيّ، وكان إبراهيمُ بنُ المَهْدِيّ أَوْكَدَ أسبابِ هذا التَّحزُّب والتَّعصُّب لِما كان بَيْنه وبين إسحاق، وكان الزبيرُ بن دَحمان في حِزب إسحاق، وأخوه عبيد اللّه في حِزب إبراهيم بن المهديّ.

فأخبرني محمدُ بن مزيد قال: حدَّثني حَمَّادُ بنُ إسحاق، عن أبيه قال: لما قَدم الزُّبيْرُ بنُ دَحْمان على الرَّشِيد من الحِجاز، قَدِم رَجُلٌ ما شِئْتَ من رَجُل: عَقْلاً ونُبْلاً ودِيناً وأدباً وسُكُوناً ووَقاراً، وكان أبُوه قبله كذلك، وقدم معه أخُوه عُبَيْد اللّه، فلما وصلا إلى الرشيد، وجلسا معنا، تَخيَّلْتُ في الزُّبيْر الفَضل فقلت لأبي: يا أبتِ، أخلِقْ بالزُّبير أن يكون أفضلَ من أخيه، فقال: هذا لا يجيء بالظَّنّ والتَّخيُّل، والجَوادُ إِنَّما يُمتَحن في الميدان، فقلت له: فالجَوادُ عينه فِرارُه[1]، فضَحِك وقال: نَنظُر في فِراسَتِك. فلما غَنّيا بان فَضْلُ الزُّبَير وَتَقدُّمه، فاصْطَفاه أبِي واصْطَفَيْتُه لأنفُسنا، وقَرَّظْناه[2] وَوَصَفْناه، وصار في حَيِّزنا. وغَنَّى الرَّشيدَ غِناء كثيراً من غناء المتَقدِّمين فأجادَ وأحسَن، وسأله الرَّشيدُ أن يُغَنِّيه شيئاً من صَنْعَتِه، فالْتَوَى بعضَ الالْتِواء وقال: قد سمع أميرُ المُؤمِنين غِناءَ الحُذَّاق من المتقدمين وغناءَ مَنْ بحَضْرته مِن خَدَمه، ومَنْ وفَدَ عليه من الحِجازِيّين، وما عسى أن يَأتِيَ من صَنْعَتي؟ فأقسَم

(١) الجواد عينه فراره: مثل يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه.

عليه أن يُغَنِّيه شيئاً من صَنْعَتِهِ، وجَدَّ به في ذلك، فكان أولَ صَوتٍ غَنَّاه منها:

صوت

[الخفيف]

ارحَلاَ صاحِبَيَّ حانَ الرَّحِيلُ ... وابْكِيانِي فَلَيْسَ تَبْكِي الطُّلُولُ
قَدْ تَولَّى النَّهارُ وانقَضتِ الشَّمْـ ... ـسُ يَمِيناً وحانَ مِنْها أُفولُ

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل.

قال: فسمعتُ والله صَنْعة حَسنة مُتْقَنة لا مَطْعَن عليها، فَطرِب الرَّشِيدُ واستعاده هذا الصَّوتَ ثلاثَ مَرَّات، وأمر له بثلاثين ألف درهم، ولأخيه بعِشْرين ألف درهم. ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحد منا، وانحاز عُبَيْد اللّه إلى جنبة إبراهيم بن المهديّ، فكان معه. قال حمّاد: فقلتُ لأبي: كيف كانت صَنْعة عُبَيْد اللّه؟ قال: أنا أُجمِل لك القَول، لو كان زبير مملوكاً لاشتَرَيْتُه بِعِشْرِين أَلْف دينار، ولو كان عُبَيْد اللّه مملوكاً ما طابت نَفسِي على أن أَشْتَرِيَه بأكثر من عشرين ديناراً، فقلت: قد أجبْتَنِي بما يَكْفِيني.

حدثنِي رضوان بنُ أحمد الصَّيْدلانِيّ قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بنُ المَهدِيّ، ومحمد بن الحارث بن بسْخُنَّر: أنَّ الرَّشيد كتب في إِشْخاصِ الزّبَير بنِ دَحْمانَ إلى مدينة السَّلام[1]، فوافاها واتَّفقَ قُدومُه في وقت خروج الرَّشِيد إلى الرَّيّ لمحاربَة بنْدارهُرمُز أصبهبذ طَبَرسْتان، فأقام الزُّبيرُ بمدينة السَّلام إلى أنْ دَخَل الرَّشيد، فلما قدم دخل عليه بالخَيْزُرانَة، وهو الموضع الذي يعرف بالشَّمَّاسِيّة[2] فغنّاه في أول غنائه صَوْتاً في شِعْر قاله هو أيضاً في الرَّشيد مَدَحه به، وذكر خُرُوجَه إلى طبرستان وهو:

صوت

ألاَ إنَّ حِزْبَ الله لَيْسَ بِمُعْجِزِ ... وَأَنْصارُهُ في مَنْعَةِ المُتَحَرِّزِ
أَبَى الله أن يُعصَى لِهارُونَ أَمْرُهُ ... وذُلَّتْ لَهُ طَوْعاً يَدُ المُتَعَزِّزِ
إذا الرَّايَةُ السَّوداءُ راحَتْ أوِ اغْتَدَتْ ... إلى هارِبٍ مِنْها فَلَيْسَ بِمُعْجِزِ

---

(١) مدينة السلام: بغداد.

(٢) الشماسية: محلة ببغداد (انظر معجم البلدان ٣/ ٣٦١).

لَطَاعَتْ لِهارُونَ العُداةُ لَدَى الوَغَى وكَبَّرَ للإسْلامِ بنْدارُ هُرْمُزِ

لم أجِدْ هذا الصّوتَ منسوباً في شيءٍ من الكُتُب إلاّ في كتاب بَذْل، وهو فيه غير مُجنس. وذكر إبراهيمُ بنُ المَهدِي أنَّ الشِّعر للزُّبَيْر بنِ دَحْمان، وهذا خطأ؛ الشِّعر لأبي العَتاهِيَة وهو مَوْجود في شِعْرِه من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد.

قال أبو إسحاق: فاستَحسَن الرَّشِيدُ الشِّعْرَ والغِناءَ، وأمَر له بألْفِ دِينار فدُفِعَت إليه، ومكث ساعة ثم غَنَّى صوتاً ثانياً وهو:

صوت

[المتقارب]

وَأَحْوَرَ كالغُصْن يَشْفِي السَّقَامَ وَيَحْكِي الغَزَالَ إذا ما رَنا
شَرِبْتُ المُدامَ على وَجْهِهِ وعاطَيْتُهُ الكَأْسَ حَتَّى انْثَنَى
وقُلْتُ مَدِيحاً أُرَجِّي بِهِ مِنَ الأَجْرِ حَظًّا وَنَيْلَ الغِنَى
وَأَعْنِي بِذَاكَ الإمامَ الذي بِهِ الله أعْطَى العِبادَ المُنَى

لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق.

قال: فما فَرَغ من الصَّوْت حتى أمر له بألْف دِينار آخر فَقبَضه، وخَفَّ على قَلبِهِ واستَظْرفَه، فأغْناه في مُدَّة يَسِيرة من الأيّام.

أخبرني عيسَى بنُ الحُسَيْن الوَرَّاق، قال: حَدَّثَنا عبدُ اللّه بنُ أَبِي سَعْد قال: حدثني أبو توبة، عن القطرانيّ، عن محمد بن حبيب قال: كان الرَّشيد بعد قَتْله البرامِكة شديدَ الأسفِ عليهم، والتَّنَدُّم على ما فعَله بهم، ففَطِن لذلك الزُّبَيْرُ بنُ دَحْمان، فكان يُغَنِّيه في هذا المعنى ويُحَرّكه، فغَنَّاه يوماً والشعر لامرأة من بني أَسَد:

[البسيط]

مَنْ لِلخُصوم إذا جدّ الخِصامُ بهم يَوْمَ النِّزالِ ومَنْ لِلضُّمَّر القُودِ[1]
ومَوقفٍ قَدْ كَفَيْتَ النّاطِقِينَ بِهِ في مَجْمَعٍ مِنْ نَواصِي النَّاسِ مَشْهودِ[2]
فَرَّجْتَهُ بِلِسانٍ غَيْرِ مُلْتَبِسٍ عِنْدَ الحِفاظِ وَقَوْلٍ غَيْرِ مَرْدُودِ

فقال له الرَّشيد: أَعِدْ، فأعاد، فقال له: وَيْحَك! كأَنَّ قائِلَ هذا الشّعر يَصِف

(١) الضمر: الخيول المضمَّرة. والقود: جمع أقود وهو من الخيل الذلول المنقاد.

(٢) نواصي الناس: أشرافهم والمتقدمون منهم.

به يَحْيَى بنَ خالد، وجَعْفَر بن يَحْيى. وبَكَى حتى جَرَت دُموعُه، وَوَصَل الزُّبيرَ صِلةً سَنِيَّة.

[بينه وبين إسحاق الموصلي]

أخبرني الحُسَيْن بنُ يَحْيى، عن حماد قال: كان أبي يقول: ما كان دَحْمان يُساوي على الغِناء أرْبَعمائة دِرْهم، وأشبهُ خَلْق اللَّهِ به غناء ابنه عبيد اللّه، وكان يُفَضِّل الزبيرَ بن دحمان على أبيه وأخيه تفضيلاً بعيداً. وفي الزبير يقول إسحاقُ وله فيه غناء وهو:

صوت

[الكامل]

أسعِدْ بِدَمْعِك يا أبا العَوَّامِ ... صَبًّا صريعَ هَوًى ونِضْوَ سقامِ
ذَكَرَ الأحِبَّةَ فاسْتُجِنَّ وهاجَهُ ... للشَّوْقِ نَوْحُ حَمامةٍ وحَمامَ
لَمْ يُبدِ ما في الصَّدْرِ إلاَّ أنَّهُ ... حَيَّا العِراقَ وَأهْلَهُ بسلامَ
ودَعاه داعٍ للهَوَى فَأجابَهُ ... شَوْقاً إلَيْهِ وقادَهُ بِزِمامَ

الشّعر والغِناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرّقّة مع الرّشيد يتشوّق إلى العراق.

أخبرني عمّي قال: حدثني عليّ بن محمد بن نصر قال: حدَّثني جدّي حَمْدون بن إسماعيل قال: قال لي إسحاق: كنَّا مع الرشيد بالرَّقَّة، وخرج يوماً إلى ظَهْرِها يَصِيد، وكنتُ في موكِبه أُسايرُ الزُّبَيْر بنَ دَحْمان فذَكَّرني بغدادَ وطِيبَها وَأهْلِي وإخواني وحُرَمِي فتَشوَّقتُ لذلك شَوْقاً شديداً، وعَرض لي هَمٌّ وفِكْرٌ حتى أبْكاني، فقال لي الزُّبَيْر: ما لك يا أبا محمد؟ فشكَوتُ إليه ما عَرَض، وقلت:

أسعِدْ بِدَمْعِكَ يا أبا العَوَّامِ ... صَبًّا صرِيعَ هَوًى ونِضْوَ سَقامِ

وذكر باقي الأبياتِ، وعلمت أن الخَبَر سيَنْمِي[1] إلى الرشيد، فصَنَعتُ في الأبياتِ لَحْناً، فلما جلس الرَّشيدُ للشُّرْب ابتَدأتُ فَغَنَّيتُه إياه، فقال لي: تشوَّقْتَ واللهِ يا إسحاق وشوَّقتَ وبلغْتَ ما أردْتَ وأمَر لي بثَلاثِين ألفَ دِرْهَم، ولِلزُّبَيْرِ بِعِشْرِين ألفاً، ورحَل إلى بغداد بعد أيَّام.

---

(١) يَنمي: ينتقل.

أخبرني يَحْيى بنُ عليّ بنِ يحيى المُنَجِّم قال: أخبرني أبي قال: قال لي إسحاق، وأخبرني به الحَسن بنُ عليّ قال: حدَّثنا عبدُ اللّه بن عمرو بن أبي سَعْد قال: حدَّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك، عن إسحاق قال: جاءني الزُّبَيْر بنُ دَحْمان ذات يوم مُسَلِّماً، فاحتبستُه فقال: قد أمرني الفَضْل بنُ الرَّبِيع بأن أصِيرَ إليه فقلت: [الطويل]

أقِمْ يا أبا العَوَّام وَيْحك نَشْرَبُ ونَلْهُو مَعَ اللاَّهِينَ يَوْماً ونَطْرَبُ
إذا ما رَأَيْت اليَوْمَ قَدْ جاءَ خَيْرُهُ فَخُذْهُ بِشُكْرٍ واتْرُكِ الفَضْلَ يَغْضَبُ

قال: فأقام عندي فشَرِبنا باقي يومنا، ثم سار الزُّبَير إلى الفَضْل، فسأله عن سبب تأخره عنه، فحدَّثه بالحديث، وأنشده الشعر، فغضب وحوّل وجهه عنّي، وأمر عَوناً حاجبه ألاَّ يُدْخِلني اليوم ولا يستأذن لي عليه، ولا يُوصِّل لي رُقعة إليه، قال: فقلت: [الطويل]

حَرامٌ عَلَيَّ الكَأسُ ما دُمْتَ غَضْبانا وما لَمْ يَعُدْ عنِّي رِضاكَ كما كانا
فأحسِنْ فإنِّي قَدْ أسَأْتُ وَلَمْ تَزَلْ تُعَوِّدُني عِنْدَ الإساءَةِ إحْسانا

قال: وأنشدته إياهما، فضحك ورضي عنّي، وعاد لي إلى ما كان عليه.

وأخبرني الحسين بن يَحْيَى، عن حمّاد، عن أبيه بهذا الخبر، فذكر نحو ما ذكره الآخران وزاد فيه: وقلت في عَوْن حاجِبه:

عَوْنُ يا عَوْنُ ليسَ مثلَكَ عَوْنُ أنْتَ لي عُدَّةٌ إذا كانَ كَوْنُ
لَكَ عِنْدِي واللَّهِ إن رَضِيَ الفَضْـ ـلُ غُلامٌ يُرْضِيكَ أو بِرْذَوْنُ

فأتى عونٌ الفَضْلَ بالشِّعْرَيْن جميعاً، فلما قرأهما ضحك وقال له: ويلك إنما عَرَّض لك بقوله: «غُلامٌ يرضيك» بالسَّوْأة، فقال: قد وعدني ما سمعتَ، فإن شئتَ أن تَحْرِمنيه فأنتَ أعلم، فأمَره أن يُرسل إليَّ وأتاني رسولُه، فصرت إليه ورَضي عَنِّي.

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ قال: حدّثني عبدُ اللّه بن أبي سعد قال: حدَّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك قال: حدَّثني إسحاقُ قال: كان عندي الزُّبَيْر بن دَحْمان يوماً، فغنَّيت لحن أبي: [الطويل]

أشاقَكَ مِنْ أرْضِ العِراقِ طُلُولُ تَحَمَّلَ منها جِيرَةٌ وحُمولُ!

فقال لي الزُّبَيْر: أنت الأستاذ وابن الأُستاذ السيد، وقد أخذتُ عن أبيك هذا الصوت وأنا أُغنِّيه أحسن، فقلت له: والله إني لا أُحِبُّ أن يكون ذلك كذلك! فَغضِب وقال: فأنا والله أحسنُ غِناءً منك. وتلاحَيْنا طويلاً، فقلتُ له: هلُمَّ نخرج إلى صحراء الرَّقَّة، فيكون أكلُنا وشربُنا هناك، ونَرْضَى في الحكم بأول من يَطلعُ علينا، قال: أفعلُ. فأخرجنا طعامَنا وشرابَنا وجلَسنا نشرب على الفُراتِ، فأقبلَ حَبَشِيٌّ يحفِر الأرض بالبال[1]، فقلت له: أترضى بهذا؟ قال: نعم، فدعَوْناه فأطعَمْناه وسَقَيْناه وبدرني[2] الزبير بالغناء، فغنَّى الصوت، فطَرِب الحَبشِيُّ وحرّك رأسَه حتى طمع الزبير فيّ، ثم أخذت العود فغنيته فتأملني الحبشيُّ ساعة ثم صاح: وأيّ شيطان هوه! ومدَّ بها صوته، فما أذكُر أني ضحِكت مثلَ ضَحكي يومئذ، وانخزل الزُّبَيْر.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الطويل]

أشـاقَـكَ مِـنْ أَرْضِ الـعِـراقِ طُـلـولُ ... تَـحَـمَّـلَ مـنـهـا جِـيـرةٌ وحُـمُـولُ!

وَكَـيْـفَ أَلَـذُّ الـعَـيْـشَ بَـعْـدَ مَـعـاشِـرٍ ... بـهـم كُـنْـتُ عِـنْـدَ الـنَّـائِـبـاتِ أَصُولُ!

الشعر لأبي العتاهية، والغِناء لإبراهيم ثَقِيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر، عن أحمد بن المكّيّ، وفيه للحسين بن محرز ثقيل أوّل بالوسطى.

وهذان البيتان من قصيدة مَدَح بها أبو العتاهية الفَضْلَ بن الرَّبيع، قال: أنشَدَنيها عبدُ الله بن الرَّبيع الربيعيّ، قال: أنشدنيها أبو سُوَيد عبدُ القَويّ بنُ محمد بن أبي العَتاهِية لجدّه يمدحُ الفَضلَ بن الربيع، وإنما ذكرتُ ذلك ها هنا لأنَّ من الناس من يَنْسُبُهما إلى غيره، فذكرتُ الأبيات الأُول، وفيها يقولُ في مدح الفَضْل بن الرَّبيع:

[الطويل]

قَـبـائِـلُ مِـنْ أَقْـصَـى وأَدْنَـى تَـجَـمَّـعَـتْ ... فَـهُـنَّ عَـلـى آلِ الـرَّبـيـعِ كُـلـولُ

تَـمُـرُّ رِكـابُ الـسَّـفْـرِ تُـثْـنِـي عَـلَـيْـهِـمُ ... عَـلَـيْـهـا مِـنَ الـخَـيْـرِ الـكَـثِـيـرِ حُـمولُ

إلـيـكَ أبـا الـعَـبَّـاسِ حَـنَّـتْ بِـأَهْـلِـهـا ... مَـغـانٍ وحَـنَّـتْ أَلْـسُـنٌ وعُـقـولُ

---

(١) البال: آلة يعمل بها في الزرع.

(٢) بدرني: سبقني.

وَأَنْتَ جَبِينُ المُلْكِ بَلْ أَنْتَ سَمْعُهُ وَأَنْتَ لِسانُ المُلْكِ حِينَ تَقولُ
وَلِلْمُلْكِ مِيزانٌ يَداكَ تُقِيمُهُ يَزُولُ مَعَ الإِحْسانِ حَيْثُ يَزُولُ

حدثني الصُّوليُّ قال: حدثني المُغِيرَةُ بنُ محمد المهلَّبيّ، قال: حدَّثنا الزُّبَيْر قال: حدثني رجل من ثَقِيف، قال: غضب الرشيد على أُمِّ جَعْفَر[١]، ثم ترضَّاها فأبَت أن تَرْضَى عنه، فأرِق ليلتَه ثم قال: افرِشُوا لي على دَجْلة، ففعلوا، فقعد يَنظُر إلى الماء وقد رأى زِيادَةً عَجِيبة، فسمع غِناءً في هذا الشعر:

صوت

[الطويل]

جَرَى السَّيْلُ فاستَبْكانِيَ السَّيْلُ إذ جَرَى وفاضَت له من مُقْلَتَيَّ غُرُوبُ
وما ذاكَ إلاّ حِينَ خُبِّرْتُ أَنَّهُ يَمُرُّ بوادٍ أنْتِ منه قَرِيبُ
يكونُ أُجاجاً ماؤُه فإذا انْتَهَى إليكم تَلقَّى طِيبَكُمْ فَيَطِيبُ[٢]
فيا ساكِنِي شَرْقِيِّ دِجْلَةَ كُلُّكُمْ إلى القَلْبِ مِنْ أجْلِ الحَبِيبِ حَبِيبُ

الشعر للعَبَّاس بن الأحنَف، والغناء للزُّبَير بن دَحْمان، خفيف رمل بالوسطى، عن الهشاميّ.

فسألَ عن النّاحية التي فيها الغِناء فقيل: دارُ ابنِ المُسَيَّب، فبعث إليه أن ابْعَثْ بالمُغَنِّي، فإذا هو الزُّبَير بنُ دَحْمان، فسأله عن الشعر فقال: هو للعَبَّاس بن الأحنَف، فأُحضِر واستَنْشَدَه، فأنشده إياه، وجعل الزُّبَير يُغَنِّيه وعبَّاس يُنشده، وهو يَسْتَعِيدُهما، حتى أصبح، وقام فدخَل إلى أمّ جعفر، فسألتْ عن سبب دخوله فعُرِّفَتْه، فوجَّهتْ إلى العَبَّاس بألفِ دِينار، وإلى الزُّبَير بألف دينارٍ أُخرى.

أخبرني عمِّي، قال: حدَّثني عليُّ بنُ محمد، عن جدِّه حَمْدون قال: تشوَّق الرَّشيد بغدادَ وهو بالرَّقَّة، فانحدر إليها، وأقام بها مدّة، وخلّف هناك بعضَ جواريه، وكانت حَظِيَّةٌ[٣] له فيهن خلَّفها لِمُغاضَبةٍ كانت بينه وبينها، فتشَوَّقَها تَشَوُّقاً شديداً، وقال فيها:

---

(١) أم جعفر: زوجته السيدة زبيدة.
(٢) الأجاج: المالح.
(٣) حظية: محبية، مكرمة.

صوت

[المتقارب]

سَلامٌ علـى النَّازح المُغْتَرِبْ ... تَـحِيَّـةَ صَبٍّ بِـهِ مُـكْـتَـئِـبْ
غَـزالٌ مَراتِـعُـه بالبَلِيـخ ... إلى دير زَكَّى فجِسْرِ الخَشَبْ[1]
أيا مَنْ أعانَ على نَفْسِـهِ ... بِتَخْلِيفِه طائِعاً مَنْ أحَبْ
سَأَسْتُرُ والسِّتْرُ من شِيمَتِي ... هَوَى من أُحِبُّ لمن لا أُحِبْ

وجمع المغنين، فحضر إبراهيم الموصليّ، وابن جامع، وفُلَيح، وزبير بن دحمان، والمُعَلَّى بن طريف، وحسين بن محرز، وسليم بن سلام، ويَحْيى المكّي، وابنه، وإسحاق، وأبو زَكار الأعمى[2]، وأعطاهم الشعر وقال: لِيَعْمَلْ كل واحد منكم فيه لحناً. قال: فلقد عملوا فيه عشرين لحناً، فما أُعجِب منها إلا بلحن الزُّبَير وحده، أُعجِب به إعجاباً شديداً، وأجازه خاصَّة دون الجماعة بجائزة سَنِيَّة.

غنّى إبراهيمُ في هذه الأبيات ولحنه ماخوريّ بالوسطى، ولفُلَيح فيها ثاني ثقيل بالوسطى، ولابن جامع رمل بالبنصر، ولابن المَكّيِّ ثقيل أول بالوسطى، وللزبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر، وللمُعَلَّى خفيف رمل بالوسطى، ولإسحاق رمل بالوسطى، وللحُسَيْن بن محرز هزج بالوسطى.

صوت

[الرجز]

يا ناعِشَ الجَدِّ إذا الجَدُّ عَثَرْ ... وجابِرَ العَظْمِ إذا العَظْمُ انْكَسَرْ[3]
أنْتَ رَبِيعِي والرَّبِيعُ يُنْتَظَرْ ... وخَيرُ أنواءِ الرَّبِيعِ ما بَكَرْ

الشعر للعُمانِيّ الراجز، والغِناء لشَارِيةَ خفيف رمل، من كتاب ابن المعتز وروايته.

---

(١) البليخ: نهر بالرقة. ودير زكّى: دير بالرها. (انظر معجم البلدان ١/٤٩٣، و ٢/٥١٢).
(٢) أبو زكار الأعمى: مغنٍّ بغدادي من قدماء المغنين. ورد ذكره في الجزء السابع من الأغاني.
(٣) الجدّ: الحظّ وجمعه جُدُود.

نسب العمانيّ وخبره

[توفي ٢٢٨ هـ/ ٨٤٣ م]

[اسمه ونسبه وطبقته في الشعر والرجز]

اسمه محمد بنُ ذُؤَيْب بن مِحْجن بن قُدامَة بن بَلْهِيَّة الحَنْظَلِيّ ثمّ الدَّارِمِيّ صَلِيبَة، وقيل له: العُمَانيُّ، وهو بَصْريٌّ؛ لأنه كان شديدَ صُفرة اللون، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان، وكان شاعراً راجِزاً متوسطاً، من شعراء الدولة العباسية، ليس من نُظَراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره، مثل أشْجَع وسَلْم ومَرْوان، ولكنه كان لطيفاً داهِياً مقبولاً، فأفادَ بشعره أموالاً جليلة.

[مدحه الرشيد]

أخبرني ابنُ أبي الأزْهر قال: حدَّثنا حَمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه، عن جَبْر بن رياط الأسدِيّ: أنَّ عبدَ المَلك بنَ صالح أدخل العُمانِيَّ على الرَّشِيد فأنشده:

[الرجز]

يـا نـاعِـشَ الـجَـدِّ إذا الـجَـدّ عَـثَـرْ وجـابـرَ الـعَـظْـمِ إذا الـعَـظْـمُ انـكَـسَـرْ
أنـتَ رَبِـيـعـي والـرَّبِـيـعُ يُـنْـتَـظَـرْ وَخَـيْـرُ أنـواءِ الـرَّبِـيـعِ مـا بَـكَـرْ

فقال له الرشيد: إذاً يَبكُر عليك رَبِيعُنا، يا فَضْل، أعطه خمسة آلاف دينار، وخمسين ثوباً.

قال إسحاق: قال جَبْر: لما دخل الرَّشيدُ الرَّقَّةَ استقبله العُمانِيّ، فلما بَصُر به ناداه:

هـارونُ يـابـنَ الأكْـرمِـيـنَ مَـنْـصِـبـا لـمـا تـرحَّـلْـتَ فَـصِـرْتَ كَـثَـبـا

مِـنْ أَرْضِ بَـغْـدادَ تَـؤُمُّ الـمَـغْـرِبـا طـابَـتْ لـنـا رِيحُ الجَنُـوبِ والـصَّـبـا
ونَـزَلَ الـغَـيْـثُ لـنـا حَـتَّـى رَبـا مـا كـانَ مِـنْ نَـشْـزٍ ومـا تَـصَـوَّبـا[١]
فـمَـرْحَـبـاً ومَـرْحَـبـاً ومَـرْحَـبـا

فقال له الرَّشيد: وبك مرحباً يا عُمانِيّ وأهلاً، وأجْزل صِلتَه.

أخبرني محمد بنُ جعفر النَحويُّ صِهرُ المُبَرّد المعروف بابن الصَّيْدلانِيّ قال: حدَّثنا محمدُ بنُ موسَى عن حَمَّاد قال: قال العُتْبِيّ: لما وجّه الفَضلُ بنُ يَحْيى الوفدَ من خُراسان إلى الرَّشيد يَحُضُّونه على البَيْعة لابنه مُحمّد قَعَد لهم الرّشيد، وتكلم القومُ على مراتبهم، وأظهروا السرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه، وكان فيمن حضر محمد بن ذُؤَيب العُمانِيُّ، فقام بين صفوف القُوَّاد، ثم أنشأ يقول: [الرجز]

لـمَّـا أتـانـا خَـبَـرٌ مُـشَـهَّـرُ أَغَـرُّ لا يَـخْـفَـى عـلـى مَـنْ يُـبـصِـرُ
جـاء بـه الـكُـوفِـيُّ والـمُـبَـصِّـرُ والـرَّاكِـبُ الـمُـنـجِـدُ والـمُـغَـوِّرُ[٢]
يُـخَـبِّـرُ الـنّـاسَ ومـا يَـسْـتَـخْـبِـرُ قُـلْـتُ لأَصْـحـابـي ووَجْـهِـي مُـسْـفِـرُ
ولـلـرِّجـالِ: حَـسْـبُـكُـم لا تُـكْـثِـرُوا فـازَ بـهـا مُـحَـمَّـدٌ فـأَقْـصِـرُوا
قَـدْ كـانَ هـذا قَـبْـلَ هـذا يُـذكَـرُ فـي كُـتُـبِ الـعِـلْـم الـتـي تُـسَـطَّـرُ
فَـقُـلْ لِـمَـنْ كـانَ قَـدِيـمـاً يَـتْـجَـرُ: قَـدْ نُـشِـرَ الـعَـدْل فـبِـيـعُـوا واشْـتَـرُوا
وشَـرِّقُـوا وغَـرِّبُـوا وبَـشِّـرُوا فـقـد كَـفَـى الله الـذي يُـسْـتَـقْـدَرُ
بـمَـنِّـهِ أَفْـعـالَ مـا قَـدْ يُـحْـذَرُ والـسَّـيْـفُ عَـنَّـا مُـغْـمَـدٌ مـا يُـشْـهَـرُ
وقُـلِّـدَ الأَمْـرَ الأَغَـرُّ الأَزْهَـرُ نَـوْءُ الـسِّـمـاكَـيْـنِ الـذي يُـسْـتَـمْـطَـرُ
بِـوَجْـهِـهِ إن كـانَ عـامٌ أَغْـبَـرُ سُـرَّتْ بِـهِ أَسِـرَّةٌ ومِـنْـبَـرُ[٣]
وابْـتَـهَـجَ الـنَّـاسُ بـه واسـتَـبْـشَـرُوا وهَـلَّـلُـوا لـرَبِّـهِـم وكَـبَّـرُوا
شُـكْـراً ومِـنْ حَـقِّـهِـمُ أن يَـشْـكُـروا إذ ثَـبَـتَـتْ أَوْتـادُ مُـلْـكٍ يَـعْـمُـرُ
مِـنْ هـاشِـمٍ فـي حَـيْـث طـابَ الـعُـنْـصرُ وطـاحَ مَـنْ كـان عـلـيـهـا يـزفِـرُ
إنّ بَـنـي الـعَـبّـاسِ لـم يُـقَـصِّـروا إذ نَـهَـضـوا لِـمُـلْـكِـهـم فـشَـمَّـرُوا
وعَـقَـدوا ونَـزَعـوا وأمَّـرُوا ودَبَّـرُوا فـأَحْـكَـمُـوا مـا دَبَّـرُوا

(١) النشز: المرتفع من الأرض. وتصوّب: تحدّر.
(٢) المنجد: السائر في النجد، والمغور: السائر في الغور.
(٣) عام أغبر: سنة قاحلة قليلة المطر.

وأَوْرَدُوا بالحَزْمِ ثُمَّ أَصْدَرُوا والحَزْمُ رَأْيٌ مِثْلُهُ لا يُنْكَرُ
إذا الرِّجال في الرِّجال خُيِّروا يا أَيُّها الخَلِيفَةُ المُطَهَّرُ
والمُؤْمِنُ المُبارَكُ المُوقَّرُ والطَّيِّب الأَغْصانِ والمُظَفَّرُ
ما النَّاسُ إلا غَنَمٌ تَنَشَّرُ إنْ لَمْ تَدارَكْهُمْ بِراعٍ يَخْطِرُ
على قَوَاصِي طُرْقِها وَيَسْتُرُ وَيَمْنَعُ الذِّئْبَ فلَا يُنفِّرُ
فامْنُنْ علينا بِيَدٍ لا تُكْفَرُ مَشْهورةٍ ما دامَ زَيْتٌ يُعْصَرُ
وانْظُرْ لنا وَخَلِّ مَنْ لا يَنْظُرُ واجْسِرْ كما كان أبوك يَجْسِرُ
لا خَيْرَ في مُجَمْجَمٍ لا يَظْهَرُ ولا كِتابِ بَيْعةٍ لا يُنْشَرُ[1]
وَقَدْ تَرَبَّصْتَ فَلَيْسَ تُعْذَرُ فَلَيْتَ شِعْرِي ما الذي تَنْتَظِرُ!
أَأَنْتَ قائِمٌ بِهِ أَمْ تَسْخَرُ ما لَكَ في مُحَمَّدٍ لا تَعْذِرُ!
وَلَيْتَ شِعْرِي والحَدِيثُ يُؤْثَرُ أَتَرْقُدُ اللَّيْلَ وَنَحْنُ نَسْهَرُ!
خَوْفاً على أُمُورِنا ونَضْجَرُ وَاللَّهِ وَاللَّهِ الذي يُسْتَغْفَرُ
لأنْ يَموتَ مَعْشَرٌ ومَعْشَرُ خَيْرٌ لنا من فِتْنَةٍ تَسَعَّرُ
يَهلِك فيها دينُهم ويُوزَروا وقد وَفَى القَوْمُ الذينَ انْتَصَروا[2]
لصاحِبِ الرُّوم وذاكَ أصْغَرُ مِنْهُ وهذا البَحْرُ لا يُكَدَّرُ
وذاكم العِلْجُ وهذا الجَوْهرُ يَنْمِي به مُحَمَّدٌ وَجَعْفَرُ[3]
والخُلَفاءُ والنَّبِيُّ الأكبَرُ ونَبْعَةٌ مِنْ هاشِمٍ وعُنْصُرُ
واعْلَمْ وأنتَ المَرْءُ لا يُبَصَّرُ والله يُبْقِيكَ لنا وَتَجْبُرُ
منا ذوِي العُسْرةِ حتى يُوسِرُوا أَنَّ الرِّجالَ إنْ وَلُوها آثَرُوا
ذَوِي القَراباتِ بها، واسْتَأْثَرُوا بها، وضَلَّ أمْرُهُم واسْتَكْبَرُوا
والمُلْكُ لا رِحْمَ لَهُ فيأْصِرُ ذا رَحِمٍ والنَّاسُ قَدْ تَغَيَّرُوا
فأَحْكِمِ الأَمْرَ وَأنْتَ تَقْدِرُ فمِثْلُ هذا الأمْرِ لا يُؤَخَّرُ

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد: أَبشِرْ يا عُمانيّ بولاية محمد العَهْد، فقال: إي والله يا أمير المؤمنين، بُشْرَى الأرض المُجدِبة بالغَيث، والمرأةِ النَّزُور بالوَلد، والمَريض المُدنَف بالبُرء، قال: ولم ذاك؟ قال: لأنه نسيج وحده، وحامي

(١) المجمجَم: السرّ الخفيّ في صدر الإنسان، لا يبوح به.
(٢) يُوزروا: يحاسبوا على أوزارهم وجناياتهم.
(٣) العلج: الرجل الضخم من كفار العجم.

مجده، ومُورِي زَنده. قال: فما لك في عبد اللّه[١]؟ قال: مَرعًى ولا كالسَّعدان[٢]، فتَبسّم الرّشيد وقال: قاتله الله من أعرابيّ ما أعرَفه بمواضع الرغبة، وأسرعَه إلى أهل البَذْل والعائدة، وأبعدَه من أهْل الحزْم والعَزْم، والذين لا يُستَمنح ما لديهم بالثّناء، أما والله إني لأعرف في عبدِ اللّه حَزْمَ المنصور ونُسْكَ المهدِيّ، وعِزَّ نَفْس الهادي، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرَّابعة لنسبْتُه إليها.

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ، قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مهْرُويه قال: حدثنا عليّ بن الحسَن الشيبانيّ، وأخبرني به محمد بن جعفر، عن محمد بن موسى، عن حمّاد، عن أبي محمد المطبخيّ، عن عليّ بن الحسن الشّيبانِيّ قال: أخبرني أبو خالِد الطائيّ، عن جبير بن ضُبينة الطائيّ، قال: أخبرني الفضلُ قال: حضرتُ الرّشيد يوماً وجلس للشعراء، فدخل عليه الفضلُ بنُ الرَّبيع وخلفه العُمانيّ، فأدْناه الرّشيد واستنشده، فأنشَده أرجوزةً له فيه، حتى انتَهى إلى هذا الموضع: [الرجز]

قُلْ لِلإمام المقْتدَى بِأُمِّهِ: ما قاسمٌ دُونَ مَدى ابنِ أُمِّهِ[٣]

وقد رَضِيناه فَقُمْ فَسَمِّهِ

قال: فتبَسّم الرّشيد ثم قال: ويحك! أما رَضِيتَ أن أُولِّيه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رِجلي! فقال له العُمانيُّ: ما أردتُ يا أمير المؤمنين قِيامَك على رِجْلَيكَ؛ إنما أردتُ قِيام العَزم، قال: فإنا قد وَلّيناه العهد، وأمر بالقاسم أن يحضر. ومرّ العُمانيّ في أرجوزته يهذِر حتى أتى على آخرها، وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد، فجلس مع أَخَويه فقال له: يا قاسم، عليك جائزة هذا الشَّيخ، فقد سَألنا أن نُولِّيَك العهد وقد فعلنا، فقال: حكمك يا أمير المؤمنين فقال: وما أنا وهذا! بل حكمك، وأمر له الرَّشيد بجائزة، وأَمر له القاسم بجائزة أُخرى مُفردَة.

أخبرني محمدُ بنُ مزيد، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: دخل محمد بن ذُؤيب العُمانِيّ على أبي الحُرّ التّميميّ بالبصرة، فأطعَمه وسقاه وجَلَّله

---

(١) عبد اللّه: هو المأمون بن الرشيد، وقد ولي الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين.

(٢) السعدان: نبت ذو شوك، وهو من أنجع مراعي الإبل. وفي المثل: مرعى ولا كالسعدان.

(٣) أمّ القوم: كان لهم إماماً وقدوة.

بكساء فقال فيه: [الرجز]

إن أبـا الـحُـرِّ لَـعَـيْـنُ الـحُـرِّ ... يَـدْفَـعُ عَـنَّـا سَـبَـراتِ الـقُـرِّ[١]

بـالـلَّـحْـم والـشَّـحْـم وخُـبْـزِ الـبُـرِّ ... ونُـطْـفَـةٍ مَـكْـنُـونَـةٍ فـي الـجَـرِّ[٢]

يَـشْـرَبُـهـا أَشْـيـاخُـنَـا فـي الـسِّـرِّ ... حـتـى نَـرَى حَـدِيـثَـنـا كـالـدُّرِّ

[مدحه عبد الملك بن صالح متوسلاً به للوصول إلى الرشيد]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد قال: حدَّثنا حمّاد، عن أبيه قال: قصد العُمانيُّ عبدَ الملك بن صالح الهاشميَّ مُتوسِّلاً به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء، ومدح عبدَ الملك بقصيدته التي يقول فيها: [المتقارب]

نـمَـتْـهُ الـعَـرانـيـنُ مِـنْ هـاشِـم ... إلـى الـنَّـسَـب الأَوْضَـح الأصْـرَحِ[٣]

إلـى نـبْـعـةٍ فـرْعُـهـا فـي الـسَّـمـاءِ ... ومَـغْـرِسُـهـا سُـرَّةُ الأبْـطَـحِ

فأدخله عبد الملك إلى الرشيد بالرقَّة فأنشده:

هـارونُ يـابـنَ الأكْـرَمـيـن حَـسـبَـا ... لـمـا تـرحَّـلْـتَ فَـكُـنْـتَ كَـثَـبـا

مِـنْ أَرْضِ بَـغْـدادَ تـؤمُّ الـمـغـرِبـا ... طـابَـتْ لـنـا رِيـحُ الـجَـنُـوبِ والـصَّـبـا

وَنَـزَلَ الـغَـيْـثُ لـنـا حـتـى رَبـا ... مـا كـان مِـنْ نَـشْـزٍ ومـا تَـصَـوَّبـا

فـمـرْحـبـاً ومَـرْحـبـاً ومـرْحـبـا

فأعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً.

أخبرني عَمِّي والحُسَيْنُ بنُ القاسم الكوكبيّ، قالا: حَدثنا عبد اللّه بنُ أبي سعد، قال: حَدَّثنا إسحاق بن عبد اللّه الأزديّ، عن محمد بنِ عبد اللّه العامرِيِّ القُرشيِّ، عن العُمانيِّ الشاعر: أنه تغدّى مع محمد بن سليمان بن عليّ، فكان أوّل ما قُدِّم إليهم فُرْنيَّةٌ[٤] في لبن عليها سكر، ثم تتابع الطّعام، فقال له: قل فيما أكلت شعراً تصفه، فقال: [الرجز]

جـاءُوا بـفُـرْنَـى لـهـم مَـلْـبـونِ ... بـات يُـسَـقَّـى خَـالِـصَ الـسُّـمُـونِ

(١) سبرات القرّ: الغدوات الباردة.

(٢) الجرّ: جمع جرّة وهي إناء من خزف.

(٣) عرانين هاشم: سادة بني هاشم.

(٤) الفرنية: خبز مستدير.

مُصَوْمَعٍ أكومَ ذي غُضون ... قد حُشِيتْ بالسكّر المَطحونِ[1]
وَلَوّنوا ما شِئْتَ مِنْ تَلْوينِ ... مِنْ باردِ الطّعامِ والسّخينِ
وَمِنْ شراسيفَ وَمِنْ طُرْدينِ ... وَمِنْ هُلامٍ وَمَصُوصٍ جُونِ[2]
وَمِنْ إوَزٍّ فائِقٍ سَمينِ ... وَمِنْ دَجاجٍ قِيتَ بالعجينِ
فالشَّحْمِ في الظُّهور والبُطونِ ... وأتبَعُوا ذلك بالجَوْزِينِ
وبالخَبيصِ الرَّطْبِ واللَّوْزِينِ ... وَفَكِّهُوا بِعِنَبٍ وتينِ
والرُّطَبِ الأزاذِ والهَيْرونْ ... مُحَمَّدٍ يا سَيِّدَ البَنِينِ[3]
وبِكْرِ بِنْتِ المُصطفى الأمينِ ... الصادِقِ المُبارَكِ المَيْمُونِ
وابنِ وُلاةِ البيْتِ والحَجُونِ ... اسْمَعْ لِنَعْتٍ غَيْرِ ذي تَفْنِينِ
يَخْرُج مِنْ فَنٍّ إلى فُنونِ ... إنَّ الحديثَ فيكَ ذو شُجونِ

أخبرَنا الحَسن بن عليّ قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدَّثني أحمد بنُ أبي كامل قال: حَدَّثني أبو هاشم القَيْنيّ قال: كان محمد بن ذُؤَيْب العُمانيُّ الراجز من أهل البَصْرة، ويُكنى أبا عبد الله وإنَّما قِيل له العُمانيّ لأنَّه أقبل يوماً وقد خرج من عِلّة ووجهُه أصفَر، فقال له بعضُ أصحابِنا: يا أبا عبد الله قد خرجت من هذه العِلّة كأنك جمل عُمانيّ. قال: وكانت جِمال عُمان تحمِل الوَرْس من اليَمن إلى عُمان فتَصفرّ، قال: وهو من بني تميم، ثم من بني فُقَيم.

قال: فقَدم على عيسى بن موسى، فلمَّا وصل إليه أنشَده مديحاً له وَفد إليه به، فاستَحسنَه وَوصله واقْتَطَعَه إليه وخصَّه، وجعله في جُلَسائه، فقال العُمانيُّ فيه:

[الرجز]

ما كُنْتُ أدري ما رَخاءُ العَيْشِ ... ولا لَبِسْتُ الوَشْيَ بَعْدَ الخَيْشِ
حتى تَمَدَّحْتُ فَتَى قُرَيْشِ ... عِيسى، وعِيسى عِنْدَ وَقْتِ الهَيْشِ[4]
حِينَ يَخِفُّ غَيْرُهُ للطَّيْشِ ... زَيْنُ المُقِيمِينَ وعِزُّ الجَيْشِ

(١) مصومع: مجمَّع كالصومعة.

(٢) الشراسيف: جمع شرسوف، وهو مقطّ الضلع وهو الطرف المشرف على البطن. والطردين والهلام والمصوص: أنواع من الأطعمة في زمن الرشيد.

(٣) الأزاذ: نوع من التمر الجيد. والهيرون: البريّ من التمر والرطب. ومحمد: هو محمد الأمين ابن هارون الرشيد وأمه زبيدة وهي ابنة عم الرشيد.

(٤) الهَيْش: الفتنة.

راش جَـنـاحَـيَّ وفـوق الـرَّيـشِ

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصْر المهلبيّ قال: حدَّثَنا عبدُ اللّه بن أبي سعد قال: حَدَّثَنِي أحمدُ بنُ عليّ بن أبي نعيم قال: حدَّثَنا مُوسَى بنُ صُبيح المروزيّ قال: خرج الرَّشيدُ غازِياً بِلادَ الرُّوم، فنزلَ بِهرَقْلَةَ[1] وَنَصَب الحَربَ عليها، فدخل عليه العُمانِيّ وهو يذكر بغداد وطِيبَها وما فيه أهلُها من النِّعْمة، فأنشده العُمانيّ قَصِيدةً له في هذا المَعْنَى، يذكرُ فيها طِيبَ العَيْش بِبَغْدادَ، وسَعَة النعم، وكَثرةَ اللَّذَّات، يقول فيها: [الرجز]

ثُـمَّ أَتَـوْهـم بـالـدَّجـاج الـدُّجَّـجِ ... بَـيْـنَ قَـدِيـدٍ وَشِـواءٍ مُـنـضَـجِ
وَبِـعَـبِـيـطٍ لَـيْـسَ بـالـمُـلَـهْـوَجِ ... فَـدُقَّ دَقَّ الـكـودَنـيّ الـدَّيْـزَجِ
حـتـى مَـلاَ أعـفـاجَ بَـطْـنٍ نُـفَّـجِ ... وقـال لـلـقَـيْـنَـة: صُـبِّـي وامـزُجِـي[2]

قال: فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف دِرْهم.

ثم دخل إليه ابنُ جامع وقد أمرَ الرَّشيد أن يُوضَع الكِبريتُ والنِّفط الأبيضُ على الحِجارة، وتُلَفّ بالمُشاقَة[3]، وتُوقد فيها النار، ثم تُوضَع في كِفَّة المنجنيق ويُرْمَى بها السُّور، ففعلوا ذلك، وكانت النار تَثْبُت في السُّور وتُصَدِّعه حتى طلبوا الأمان حينئذ، فغَنَّاه ابنُ جامع وقال: [البسيط]

هَـوَتْ هِـرَقْـلـةُ لَـمَّـا أنْ رَأتْ عَـجَـبـاً ... حَـوائِـمـاً تَـرْتَـمِـي بـالـنِّـفْـطِ والـنَّـارِ
كـأنَّ نِـيـرانَـنَـا فـي جَـنْـبِ قَـلْـعَـتِـهِـم ... مُـصَـبَّـغـاتٌ عـلـى أرْسـانِ قَـصَّـارِ

فأمر له بثَلاثِين ألفَ درهم أُخرى.

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال: حدَّثني أبو هِفّان قال: حَدَّثني أحمدُ بنُ سليمانَ قال: قال يَزِيد بنُ عِقال: كنا وُقوفاً والمَهدِيُّ قد أجرى الخَيْلَ فسَبَقها فَرسٌ له يُقال له الغَضْبان، فطلب الشُّعراءَ فلم يحضُر أحدٌ منهم إلا أبو دُلامة، فقال له: قلِّده يا زَنْدُ، فلم يفهم ما أراد فقلَّده عِمامتَه، فقال له المَهدِيّ: يابْنَ اللَّخْناء، أنا أكثرُ عَمائم منك؛ إنما أردتُ أن تُقلِّدَه شِعْراً، ثم قال: يا لَهَفي على العُمانيّ، فلم يَتَكَلَّم

---

(١) هرقلة: مدينة ببلاد الروم فتحها الرشيد. (معجم البلدان ٥/ ٣٩٨).
(٢) أكثر كلمات الأبيات الثلاثة أسماء أطعمة في العصر العباسي.
(٣) المشاقة: ما سقط من الكتان ونحوه بعد مشقه بالممشقة.

بها حتى أقْبل العُمانيّ، فقيل له: ها هو ذا قد أَقْبَل الساعة يا أمير المؤمنين، فقال: قدِّموه، فقدَّموه فقال: قُلْ في فَرَسي هذا، فقال غير مُتَوقف: [الرجز]

قد غَضِبَ الغَضْبانُ إذ جَدَّ الغَضَبْ وجاءَ يَحْمِي حَسَباً فَوْقَ الحَسَبْ
مِنْ إرْثِ عَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبْ وجاءَت الخَيْلُ بِهِ تَشْكو التَّعَبْ
لـه عليها ما لَكُم على العَرَبْ

فقال له المَهدِيُّ: أحسنتَ واللَّهِ، وأمَر له بعشرة آلاف درْهَم.

صوت

[البسيط]

لَقَدْ عَلِمْتُ وما الإِسْرافُ مِنْ خُلُقي أَنَّ الذي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فيُعَنِّيني تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتاني لا يُعَنِّيني

الشعر لعُرْوَةَ بن أُذَيْنَة، والغِناء لمُخارق ثَقيل أول بالبنصر عن عمرو.

أخبار عروة بن أُذينة ونسبه

[توفي ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م]

[اسمه ولقبه ونسبه]

هو عُروةُ بنُ أُذَيْنَةَ، وأُذَيْنَةُ لَقَبُه، واسمُه يَحْيَى بنُ مالِك بنِ الحارِث بنِ عَمْرو ابنِ عبد الله بن زُحَل بنِ يَعْمُر، وهو الشَّدّاخ بنُ عَوْف بنِ كَعب بنِ عامِر بنِ لَيْث بنِ بكر بن عبدِ مَناة بنِ كِنانَة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بنِ إِلْياس بنِ مُضَر بنِ نِزار. وسُمّي يعمرُ بالشّدّاخ لأنه تحمَّلَ دِيات قتلى كانت بين قُرَيش وخُزاعة، وقال: قد شَدخْتُ هذه الدِّماء تحت قدميّ، فسُمّي الشَّدَّاخ. قال ابنُ الكَلْبِيّ: الشُّدَّاخ، بِضَمّ الشِّين.

[عروة الفقيه المحدث الشاعر]

ويُكنَى عُروةُ بنُ أُذينة أبا عامر، وهو شاعر غَزِل مُقدَّم، من شُعَراء أهل المَدِينة، وهو مَعدُودٌ في الفُقَهاء والمُحدِّثين، روى عنه مالِكُ بنُ أنَس، وعُبَيْدُ الله ابنُ عِمر العَدَويّ. أخبرني بذلك أحمدُ بنُ عبدِ العزيز الجَوْهرِيّ، عن عُمَر بنِ شَبَّة، ورَوى جَدُّه مالِكُ بنُ الحارِث عن عَلِيّ بنِ أبي طالب عليه السلام.

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ قال: حدَّثَنا محمد بنُ مُوسَى قال: حدَّثَنا أحمدُ بنُ الحَارِث، عن المَدائنيّ، عن ابنِ دَأْب، عن عُروَة بن أُذَيْنَة، عن أَبِيه قال: حَدَّثَنِي أبي مالِكُ بنُ الحارِث قال:

خَرَج مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام رجلٌ من قومي كان مُصْطَلَماً[١]، فخرجتُ في أثره وخَشِيت انقراضَ أهْلِ بيْته، فأردْتُ أن أستأذِن له من عليّ، فأدركتُ

---

(١) مصطلماً: مقطوعاً.

عَلِيّاً عليه السلام بالبَصْرة، وقد هَزَم النَّاسَ ودَخَل البصْرة، فجئتُه فقال: مرحَباً بك يابنَ الفُقَيْمة، أبدا لك فينا بَداءٌ؟[١] قلتُ: والله إنّ نُصْرتَك لحَقٌّ، وإنّي لَعَلى ما عهِدْتَ أُحِبّ العُزلة، ثم ذاكرتُه أمرَ ابن عَمّي ذلك، فلم يبعد عنه، فكنت آتيه أتحدَّث إليه. فركب يوماً يَطُوف وركبت معه، فإني لأسِير إلى جانبه إذْ مَرَرْنا بقَبْر طَلْحة، فَنَظَر إليه نَظَراً شَدِيداً، ثم أقبل عليّ فقال: أمسى واللّهِ أبو محمد بهذا المَكان غريباً، ثم تَمَثَّل: [الوافر]

وما تَدْرِي وَإِنْ أَزْمَعْتَ أَمْراً ... بِأيِّ الأَرْضِ يُدْرِكُكَ المَقِيلُ

والله إنّي لأكْرَه أن تكون قريش قَتْلَى تحت بُطون الكَواكِب. قال: فوقع العِراقِيُّون يَشْتُمون طَلْحةَ وسكَتَ عَليٌّ وسكَتُّ، حتى إذا فَرَغوا أقبل عليٌّ عليه السلام عليَّ فقال: إيه يابْنَ الفُقَيْمة، والله إنه وإن قالوا ما سَمعت لكما قال أخو جُعْفِيّ:

[الطويل]

فَتًى كان يُدْنِيهِ الغِنى مِنْ صَدِيقِهِ ... إذا ما هُوَ اسْتَغْنَى ويُبْعِدُهُ الفَقْرُ

ثم أردتُ أن أُكلِّمَه بشيء فقلت: يا أميرَ المُؤْمِنين، فقال: وما مَنَعَك أن تَقُول: يا أبَا الحَسَن! فقلتُ: أبَيْتُ، فقال: والله إنّها لأحبُّهما إليّ لولا الحَمْقَى، وَلَوَدِدْتُ أني خُنِقْت بحَبْل حتى أمُوت قبل أن يَفْعَل عُثْمان ما فَعَل، وما أعْتَذِر من قِيامٍ بحَقٍّ، ولَكِنَّ العافيةَ مما ترى كانَتْ خَيراً.

[رؤيته حريق الكعبة]

حدَّثنا محمد بن خَلَف وَكِيع، والحَسنُ بن عليّ الخَفّاف، قالا: حَدَّثنا الحارث بنُ أبي أُسامة قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ سَعْد، عن الواقديّ، عن عبدِ اللّه بنِ يَزِيد، عن عُرْوَة بنِ أُذَيْنة قال: قَدِمْتُ مع أبي مَكّة يوم احْتَرَقَت الكَعْبة، فرأيتُ الخَشب وقد خَلَصتْ إليه النَّارُ، ورَأيْتُ الكَعْبَة مُتَجَرِّدَة، من الحَريق، ورأيتُ الرُّكن قد اسوَدَّ وتَصدّع من ثَلاَثةِ أمْكِنة، فقلتُ: ما أصاب الكَعْبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب ابن الزُّبَيْر فقالوا: هذا احْتَرَقتْ بسببه؛ أخذَ قَبَساً في رأس رُمْح، فطَيَّرت الرِّيح منه شَيْئاً، فضَرَبتْ أستارَ الكَعْبة فيما بَيْن اليَمانِيّ إلى الأسود.

(١) البداء: ظهور الرأي بعد أن لم يكن.

[وفوده على هشام بن عبد الملك]

حدَّثني محمد بن جَرير الطَّبَرِيّ وحفِظْتُه، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيّ، وحبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِيّ قالوا: حدثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال: حدَّثني عُمَر بن مَحْرُوس الورَّاق بن أُقَيْصَر السُّلمِيُّ قال: حَدَّثنا يَحْيَى بن عُروة بن أُذَيْنَة قال: أتى أبي وجماعةٌ من الشعراء هِشَام بن عبد الملك، فَنَسَبهم، فلما عرف أبي قال له: أنت القائل: [البسيط]

لَقَدْ عَلِمْتُ وما الإِسْرافُ مِنْ خُلُقِي ... أنَّ الذي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى له فيُعَنِّينِي تَطَلُّبُهُ ... ولو جَلَسْتُ أتانِي لا يُعَنِّينِي[1]

هذان البيتان فقط ذكرهما المُهَلَّبِيُّ والجَوْهَرِيُّ، وذكر محمد بن جَرير في خبره الأبيات كلها:

وأنَّ حَظَّ امْرِئٍ غَيْرِي سَيَبْلُغُهُ ... لاَ بُدَّ لاَبُدَّ أن يَحْتَازَهُ دُونِي
لا خَيْرَ في طَمَعٍ يُدْنِي لِمَنْقَصةٍ ... وغُفَّةٍ مِنْ قَوامِ العَيْشِ تَكْفِينِي[2]
لا أَرْكَبُ الأَمْرَ تُزْرِي بي عَوَاقِبُه ... ولا يُعابُ به عِرْضِي ولا دِينِي
كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِيِّ النَّفْسِ تَعْرِفُهُ ... وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرِ النَّفسِ مِسْكِينِ
وَمِنْ عَدُوٍّ رَمَانِي لو قَصَدْتُ له ... لم يَأْخُذِ النِّصفَ مني حِينَ يرمِينِي
ومن أخٍ لي طَوَى كَشْحاً فَقُلْتُ له: ... إنَّ انطِوَاءَك عني سَوْفَ يَطْوِيني
إني لأَنطِقُ فيما كان مِنْ أَرَبِي ... وَأُكْثِرُ الصَّمْتَ فيما لَيْسَ يَعْنِينِي
لا أَبْتَغِي وَصْلَ مَنْ يَبْغِي مفارَقَتي ... ولا أَلِينُ لِمَنْ لا يَشْتَهِي لِينِي

فقال له ابنُ أُذَيْنة: نعم أنا قائلها، قال: أفلا قعدتَ في بيتِك حتى يأتيك رزقُك!

وغَفل عنه هِشامٌ، فخرج من وقته وركب راحلَته ومضى مُنصرفاً، ثم افتقده هِشامٌ فعرفَ خَبرَه، فأتبَعه بجائزة وقال للرَّسُول: قل له: أردتَ أن تُكَذِّبنا وتُصَدِّق نفسَك. فمضى الرسولُ فلحقه وقد نزل على ماء يَتَغَدّى عليه، فأبلغه رسالتَه ودفَع الجائزة. فقال: قل له: صَدَّقني رَبّي وكَذَّبك.

---

(١) يعنِّيني: يصيبني بالعناء والتعب الشديد.

(٢) الغُفَّة: بلغة العيش.

قال يَحيى بنُ عُروة: وفرض له فريضتين، فكنت أنا في إحداهما.

أخبرنا وَكِيع قال: حدَّثنا هارُون بن محمد بن عبد الملك قال: حدَّثني الزُّبَير ابنُ بَكَّار قال: حَدَّثني أبو غَزِيَّة قال: حدَّثني أَنَسُ بنُ حَبِيب قال: خرج ابنُ أُذَيْنَة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وَفَدوا عليه، وكان ابنُه مَسْلَمة بن هشام سَنَة حَجَّ أذن لهم في الوفود عليه، فلما دخلوا على هِشام انْتَسَبوا له وسلَّموا عليه، فقال: ما جاء بك يابن أُذَيْنة؟ فقال: [المتقارب]

أَتَـيْـنَـا نَـمُـتُّ بِـأَرْحَـامِـنَـا ... وجِـئْـنَـا بِـإِذْن أبـي شَـاكِـرِ
فَـإِنَّ الـذي سَـارَ مَـعْـرُوفُـهُ ... بِـنَـجْـدٍ وَغـارَ مـع الـغَـائِـرِ
إلـى خَـيْـرِ خِـنْـدِفَ فـي مُـلْـكِـهـا ... لِـبـادٍ مِـنَ الـنَّـاسِ أو حَـاضِـرِ

فقال له هِشام: ما أراك إلا قد أَكْذَبْتَ نفسك حيث تقول: [البسيط]

لَقَدْ عَلِمْتُ وما الإِسْرافُ مِنْ خُلُقِي ... أنَّ الـذي هُـوَ رِزْقِـي سَـوْفَ يَـأْتِـيـنِـي
أَسْـعَـى لـه فـيُـعَـنِّـيـنِـي تَـطَـلُّـبُـهُ ... ولـو جَـلَـسْـتُ أتـانِـي لا يُـعَـنِّـيـنـي

فقال له ابن أُذَيْنة: ما أكذبْتُ نفسي يا أميرَ المؤمنين، ولكني صدَّقْتُها، وهذا من ذاك. ثم خرجَ من عِنده فركب راحِلَته إلى المدينة، فلما أمَر لهم هِشامٌ بجَوَائزِهم فَقَده، فقال: أين ابنُ أُذَيْنَة؟ فقالوا: غَضِب من تَقْريعك له يا أميرَ المؤمنين، فانصرف راجعاً إلى المدينة، فَبَعَث إليه هِشام بجائزتِهِ.

أخبرنا وَكِيع قال: حدَّثنا هارونُ بنُ محمد قال: حدّثنا الزُّبَيرُ بنُ بَكَّار قال: حدَّثني عَمِّي، عن عُرْوَة بنِ عُبَيْد اللّه قال: كان عُروَةُ بن أُذَيْنَة نازلاً مع أبي في قصر عُروَة بالعَقِيق، وخرج أبي يوماً يمشي وأنا معه وابنُ أُذَيْنة، ونظر إلى غنم كانت له في يَديْ راعٍ يقال له كَعْب، وهي مُهْمَلة، وكَعْب نَائِم حَجْرةً[1]؛ فجعل ابن أُذَيْنَة يَنْزو حوله وهو يَضربُه ويقول: [الرجز]

لـو يَـعْـلَـم الـذِّئْـبُ بِـنَـوْم كَـعْـبِ ... إذاً لأَمْـسَـى عِـنْـدنـا ذا ذَنْـبِ
أضْـرِبُـهُ ولا يَـقُـولُ حَـسْـبِـي ... لا بُـدَّ عِـنْـدَ ضَـيْـعَـةٍ مِـنْ ضَـرْبِ

أخبرني أحمدُ بنُ عبدِ العزيز الجَوهريُّ، وحَبِيبُ بنُ نَصْرِ المُهلَّبِيُّ، وإسماعيل ابنُ يونُس الشِّيعيّ قالوا: حَدَّثنا عُمرُ بنُ شَبَّةَ قال: حَدَّثني أبو غسّان محمد بنُ

(١) حجرةً: ناحيةً.

يحيى، عن بعض أصحابه، قال: مرَّ ابنُ عائشة المُغني بعُرْوةَ بنِ أُذَيْنة، فقال له: قل لِي أبياتاً هزَجاً أُغنِّي فيها، فقال له: اجلس، فجلس، فقال:

صوت

[الهزج]

سُلَيْمَى أجمَعَتْ بَيْنا فأينَ تَقُولُها أيْنا!
وَقَدْ قَالَتْ لأتْرابٍ لها زُهْرٍ تلاقَينا:
تَعالَيْنَ فَقَدْ طابَ لنا العَيْشُ تَعالَيْنا
وغابَ البَرِمُ اللَّيْلة والعَيْنُ فلا عَيْنا[1]
فأَقْبَلْنَ إليها مُسْرِعاتٍ يَتَهادَيْنا
إلى مِثْلِ مَهاةِ الرّمـلِ تَكْسُو المَجلسَ الزَّينا
تَمَنَّيْنَ مُناهُنّ فَكُنَّا ما تمنّينا

قال أبو غَسَّان: فحُدِّثتُ أنّ ابنَ عَائِشَة رَواها، ثم ضحك لمّا سَمِع قوله:

[الهزج]

تَمَنَّيْنَ مُناهُنَّ فكُنَّا ما تَمنَّينا

ثم قال: يا أبا عامر تَمنَّيْنَك لمَّا أقبل بَخرُك وأدبر ذَكَرُك.

قال عمرُ بن شَبَّة: قال أبو غَسَّان: فَحَدَّثني حَمَّاد الحُسَينيُّ قال: ذُكِر ابنُ أذينة عند عمرَ بنِ عبد العزيز: فقال: نِعْمَ الرَّجل أبو عامر، على أنه الذي يقول:

[الهزج]

وقدْ قالَتْ لأتْرابٍ لها زُهْرٍ تَلاقَينَا

وأخبَرني بهذا الخَبر وكيع قال: حدّثني هارُونُ بن محمد بنِ عبد الملك الزّياتُ، عن الزُّبَير، عن محمد بن يَحيى، عن إسحاق بنِ إبراهيم، عن قسطاس قال: مَرَّ ابنُ عائِشة بابنِ أُذَيْنة، ثمَّ ذكر الخَبرَ مِثْلَ الذي قبله.

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر المُهلَّبيّ، والحَرَميّ بنُ أبي العَلاء قالا: حدَّثنا الزُّبيرُ ابنُ بَكّار قال: حدثني أبو مُعاوية عبدُ الجَبّار بنُ سَعيد المساحقيّ، وأخبرنا به وكيع

---

(١) البَرِم: الضجر.

قال: حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ، عن الحارث بنِ محمد العَوْفيّ قال: وقفت سُكَينةُ بنتُ الحُسين بنِ عليّ عليهما السلام على عُرْوَةَ بن أُذينة في موكبها ومعها جَوارِيها، فقالت: يا أبا عامِر، أنت الذي تَزعمُ أن لك مُروءَةً، وأنّ غَزَلك من وراء عِفّة وأنّك تقيٌّ؟ قال: نعم. قالت: أفأنتَ الذي تقول:

صوت

[البسيط]

قَدْ كُنْتَ عِنْدِي تُحِبُّ السّترَ فاستَترِ ... قالت وأَبْثَثْتُها وَجْدِي فبُحتُ به:
غَطّى هواكِ وما أَلقَى على بَصرِي ... أَلَسْتَ تُبصِر مَنْ حَوْلي؟ فَقُلْتُ لها:

قال لها: بلى، قالت: هُنَّ حَرائر إن كان هذا خَرج مِن قلْبٍ سليمٍ، أو قالت: من قلْبٍ صحيحٍ.

في هذيْن البيتين لِعَلُّويه رَمَل بالبنصر، وفيهما لإسحاق هَزَج بالوسطى، وفيهما لمخارِق ثَقِيل أول بالبنصر، عن الهشاميّ وعمرو بن بانة، وذكر حَبَش أنّ الثقيل الأول لمعبد اليَقطِينيّ.

وذكر عليُّ بنُ محمد بن نصر البسَّاميّ أن خاله أبا عبد الله بنَ حمدون بنِ إسماعيل قال: كنت جالساً بين يدي المُتَوكل، وبين يديه المنتصر، فأحضر المعتَز وهو صَبيّ صغير، فلعبَ فأفْرَط في اللّعب، والمنتصر يرمُقه كالمنكِر لِفعله، فنظَر إليه المُتَوكِّل عدَّة دفَعات، ثم التفتَ إلى المُنْتصِر فقال: يا محمد: [البسيط]

قد كُنتَ عندي تُحِبُّ السّترَ فاسْتتِرِ ... قالتْ وَأَبْثَثْتُها وَجدِي فبُحتُ به:

قال: فاعتذر إليه المنتصرُ عُذراً قبله وهو مُقطّب مُعرِض. قال: وكان المنتصرُ أشدَّ خلْقِ الله بُغضاً للمعتز، وطَعناً عليه. ولقد دخلْتُ إليه يوماً ودخل إليه أبو خالد المُهَلَّبيُّ بعد قتل المتوكل وإفضاء الخلافة إليه، ومع المُهلبيّ دِرْع كأنها فضة، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذه دِرْع المُهلَّب، فأخذها وقام فلبسها، ورأى المُعتزَّ وعليه وشيٌ مُثقل وما أشْبهَ ذلك، فتمثّل ببيتِ جرير: [الطويل]

عَلَيْهِ وشاحا كُرَّجٍ وجلاجِلُهْ[1] ... لَبِسْتُ سِلاحِي والفَرَزْدَقُ لُعبةٌ

أخبرني وكيع قال: حدثني هارُونُ بنُ محمد قال: حدَّثني عبدُ الله بن شُعَيب

(١) الكُرَّج: مهر خشبي يلعب به الأطفال. والجلاجل: جمع جلجل وهو الجرس.

الزُّبَيْريّ قال: حدثني عبدُ العزيز بنُ أبي سَلَمة قال: مرّت امرأةٌ بابْنِ أُذَيْنة وهو بِفناء دارِه فقالت له: أأَنْتَ ابنُ أُذَيْنة؟ قال: نعم، قالت: أأنتَ الذي يَقولُ النّاس إنَّك امرؤٌ صالح، وأنتَ الّذِي تقول: [البسيط]

إذا وَجَـدْتُ أُوارَ الـحُـبِّ فـي كَـبـدِي ... عَـمَـدتُ نَـحْـوَ سِـقَـاءِ الـقَـوْم أبْـتَـرِدُ[١]

هَـبْـنِـي بَـرَدْتُ بِـبَـرْدِ الـمـاءِ ظـاهِـرَهِ ... فـمَـنْ لِـحَـرٍّ عـلـى الأَحْـشـاءِ يَـتَّـقِـدُ!

[إعجاب أبي السائب المخزومي بشعره]

أخبرني الحَرَمِيّ بنُ أبي العَلاء قال: حدَّثنا الزُّبيْر بنُ بَكّار قال: حدَّثني عَمّي، عن عُروَة بنِ عبدِ اللّه، وأخبرنا به وَكِيعٌ، عن هارونَ بن الزَّيَات، عن الزُّبَيْريّ، عن عمه، عن عُرْوَةَ بنِ عبد اللّه، وذكره حمّاد، عن أبيه، عن الزُّبَيْريّ، عن عروة هذا قال: كان عُروةُ بنُ أُذَيْنة نازلاً في دار أَبِي بالعَقِيق، فسَمِعَه ينشد:

صوت

إنَّ الـتـي زَعَـمَـتْ فُـؤادَكَ مَـلَّـهـا ... جُعِلَتْ هَواكَ كما جُعِلْتَ هوًى لها

فَبكَ الَّذِي زَعَمَتْ بها وكلاكُما ... يُبدِي لِصاحِبه الصَّبابةَ كُلَّها

وَيَبِيتُ بَيْنَ جَوانِحي حُبٌّ لها ... لو كان تحت فِراشها لأقَلَّها[٢]

ولَعَمْرُها لو كان حبُّكَ فَوْقها ... يَوْماً وقد ضَحِيَتْ إذاً لأظلَّها

وإذا وَجَدْتُ لها وَساوِسَ سَلْوَةٍ ... شَفَعَ الفُؤادُ إلى الضَّمِير فسلَّهَا

بَيْضاءُ باكَرَها النَّعِيمُ فَصاغَها ... بِلَباقَةٍ فأدَقَّها وأَجَلَّها

لما عَرضْتُ مُسَلِّماً لي حاجَةٌ ... أرجُو مَعُونَتَها وأَخْشَى دَلَّها

مَنَعَتْ تَحِيَّتَها فَقُلْتُ لصاحِبي: ... ما كان أكْثَرَها لنا وأقَلَّها

فدنا فقال: لَعَلَّها مَعْذُورةٌ ... مِنْ أَجْلِ رِقْبَتِها، فَقُلْتُ: لَعَلَّها[٣]

قال: فأتاني أبو السَّائِب المَخْزُومِيُّ وأنا في دارِي بالعَقيق، فقلت له بعد التَّرحِيب: هل بدت لك حاجَة؟ فقال: نعم، أبيات لعُرْوة بن أذينة، بلغني أنّك سمعتها منه، فقلت له: وأيَّة أبيات؟ فقال: وهل يَخْفى القَمَر؟ قوله:

---

(١) أوار الحب: شدة حرارته واشتعال نيرانه.

(٢) أقلها: رفعها.

(٣) الرِّقبة: المراقبة.

إنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فؤادك مَلَّها

فأنشدْتُه إيّاها، فلما بَلَغْتُ إلى قوله: «فقلت: لَعَلَّها». قال: أحسن والله، هذا والله الدّائمُ العَهْد، الصادِقُ الصبابة، لا الذي يقول: [الكامل]

إن كان أَهْلُكِ يَمْنَعونَكِ رَغْبةً ... عَنّي فأَهْلِي بي أَضَنُّ وأَرغَبُ[1]

اذهَبْ لا صَحِبك الله ولا وَسَّع عليك - يَعْنِي قائِلَ هذا البيت لقد عدا الأعرابيُّ طَوْرَه، وإني لأَرجُو أن يَغْفر الله لصاحِبك - يَعْنِي عُرْوةَ - لحسْن ظَنِّه بها، وطَلَبِه العُذْر لها. قال: فعَرْضتُ عليه الطَّعام فقال: لا، والله ما كُنْتُ لآكُل بهذه الأبيات طَعاماً إلى اللّيل، وانصرف.

ذكر ما في هذا الخبر من الغناء

في الشِّعر المذكور فيه لعُرْوة في البَيْت الأول والرّابع من الأبيات خَفِيف رَمَل بالوسطى، نسبه ابنُ المَكِّيّ إلى ابن مِسجح، وقيل: إنّه من مَنْحُوله إليه، وفيهما وفي البيت الثالث من شعر ابنِ أُذَيْنة خَفِيف ثَقِيل لابن الهِرْبِذ، والبَيْت: [الكامل]

وَيَبِيتُ بَيْنَ جَوَانِحِي حُبٌّ لَها ... لَوْ كانَ تَحْتَ فِرَاشِها لأَقَلَّها

أخبرني الحَرَمِيّ بنُ أبِي العَلاء قال: حدَّثنا الزُّبَيْر بنُ بكّار قال: حدَّثنا عُمرُ بن أبي بَكْر المُؤَمِّليُّ قال: أخبرنا عبدُ اللّه بن أبي عُبَيدة قال: قلتُ لأبي السَّائِب المَخْزُومي: ما أحسَن عُروة بنُ أُذَيْنة حيث يقول:

صوت

[الكامل]

لَبِثُوا ثَلاثَ مِنًى بِمَنْزِل غِبْطةٍ ... وهُم على غَرَضٍ لَعَمْرُك ما هُمُ[2]
مُتَجاوِرِين بِغَيْرِ دارِ إقامَةٍ ... لَوْ قَد أَجَدَّ رَحِيلُهم لَمْ يَنْدَمُوا
ولَهُنَّ بالبَيْتِ العَتِيقِ لُبانَةٌ ... وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ
لو كانَ حَيّاً قَبْلَهُنَّ ظَعائِناً ... حَيّا الحَطِيمُ وُجُوهَهُنَّ وزَمْزَمُ
وَكَأَنَّهُنَّ وَقَدْ حَسَرْنَ لَواغِباً ... بَيْضٌ بِأَكْنافِ الحَطِيمِ مُرَكَّمُ

---

(١) أضنّ: أبخل.

(٢) الغبطة: السرور.

في هذه الأبيات الثّلاثة لابنِ سُرَيج ثاني ثَقِيل بِالبِنْصَر عن عمرو.

قال: فقال: لا، واللّهِ ما أَحسنَ ولا أجملَ، ولكنّه أَهْجَر وأَخْطَل في صِفَتِهِنَّ بهذه الصفة، ثم لا يَنْدَم على رَحِيلهن، أهكذا قال كُثَيِّر حيث يقول:

صوت

[الطويل]

تَفرّق أَهْواءُ الحَجِيجِ على مِنًى ... وَصدَّعَهُم شَعْبُ النَّوَى صُبْحَ أَرْبَعِ
فَرِيقانِ: مِنْهُم سَالِكٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ ... وآخَرُ منهم سَالِكٌ بَطْنَ تَضْرُعِ[1]

ـ في هذين البيتين للدلال ثاني ثقيل بالوسطى عن الهِشامِيّ وحَبَش ـ

فَلَمْ أَرَ داراً مِثْلَها دارَ غِبْطَةٍ ... وَمَلْقًى إذا التَفَّ الحَجِيجُ بِمَجْمَعِ
أَقَلَّ مُقِيماً راضِياً بِمَكانِهِ ... وَأَكْثَرَ جاراً ظاعِناً لم يُوَدِّعِ

انْظُرْ إليه كيف تَقدَّمت شهادتُه عِلمَه وكبا لسانُه ببيانه، وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به، ولكن مُكْرَهٌ أَخُوكَ لا بَطَل، والعَرْجيّ كان أوفى بالعَهْد منهما وَأَوْلَى بالصَّواب، حين تَعرَّض لها نافرةً من مِنًى، فقال لها عاتباً مُسْتَكِيناً: [الكامل]

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلِّمي جَبْرُ ... فِيمَ الصُّدودُ وأَنْتُمُ سَفْرُ![2]
ما نَلْتَقِي إلاّ ثَلاثَ مِنًى ... حَتَّى يُفرِّقَ بَيْنَنا النَّفْرُ[3]

في هذين البيتين غناء قد تَقدّمت نِسْبَتُه في أخبار ابنِ جامِع في أَوَّل الكِتاب.

أخبرني الحَرَمِيُّ بنُ أبِي العَلاء قال: حدَّثنا الزُّبَيْر بنُ بَكّار قال: حَدَّثني جعفر ابنُ مُوسى اللَّهْبِي قال: كان عبدُ الملك بنُ مَرْوان إذا قَدِم مَكّة أَذِن للقُرشِيِّين في السَّلام عليه، فإذا أراد الخُروج لم يأْذَن لأَحد منهم وقال: أكذبنا إذاً قول المُلَحّى ـ يعني كُثَيِّراً ـ حيث يَقولُ: [الطويل]

تَفرّق أَهْواءُ الحَجِيجِ على مِنًى ... وَصَدَّعَهُم شعْبُ النَّوى صُبْحَ أَرْبَعِ

وذَكَر الأبيات الأربعة.

---

(١) نخلة: اسم لعدة مواضع. (انظر معجم البلدان ٥/ ٢٧٧). وتَضْرُع: جبل لكنانة قرب مكة. (معجم البلدان ٢/ ٣٢).

(٢) السَّفر: الجماعة المسافرون.

(٣) النَّفر: يوم ينفر الناس من منى.

أخبرنا عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدَّثنا محمدُ بنُ يَزِيد قال: حَدَّثَ الزبيريّ، عن خالد صامة ـ وكان أحدَ المُغَنّين قال ـ: قَدِمتُ على الوَلِيد بن يَزِيد، فدخلت إليه وهو في مجلِس نَاهِيك به، وهو على سرير، وبين يَدَيْه مَعْبد ومالك وابنُ عائشة وأبو كامِل، فجَعَلوا يُغنّون، حتى بلغت النَّوبَةُ إليَّ فغَنَّيته:

صوت

[الوافر]

سَرَى هَمِّي وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِي ... وغَارَ النَّجْمُ إلاَّ قِيسَ فِتْرِ[1]
أُرَاقِبُ في المَجَرَّةِ كُلَّ نَجْمٍ ... تَعَرَّض للمَجَرَّة كيفَ يَجْرِي
لِهَمٍّ ما أزالُ له مُدِيماً ... كَأنَّ القَلْبَ أُضْرِمَ حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخِي وَلَّى حَمِيداً ... وأيُّ العَيْشِ يَصْفُو بَعْدَ بَكْرِ!

فقال لي الوَلِيدُ: أَعِد يا صام، ففعلتُ، فقال لي: مَنْ يقولُ هذا الشِّعر؟ قُلْتُ: عروة بن أُذينة يَرْثي أخاه بَكْراً. فقال لي: وأيّ العَيْش لا يَصْفُو بعده هذا العَيْش واللّهِ الذي نحن فيه على رغْم أَنْفه، والله لقد تَحَجَّر واسعاً[2].

لابن سُرَيْج في هذه الأبيات ثاني ثَقيل بالوُسْطى عن عَمْرو وابْنِ المَكّيّ وغيرهما وفيها رمل يُنْسَب إلى ابن عباد الكاتب، وإلى حاجب الحَزَوّر، وإلى مسكين بن صدقة.

حدَّثنا الأخفش، عن محمد بن يزيد قال: قال الزُّبَيري: حُدِّثتُ أن سُكَيْنَة بنتَ الحُسَين عليها السلام أُنشدت هذا الشعر فقالت: مَنْ بَكْر هذا؟ أليس هو الأسودُ الدَّحْداح[3] الذي كان يَمُرُّ بنا؟ قالوا: نعم، فقالت: لقد طابَ كلُّ شيء بعده حتى الخُبز والزَّيت.

وأخبرني الحسَنُ بن عليّ الخَفَّاف قال: حدَّثنا أحمدُ بن سَعيد الدِّمَشْقيّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدثني عمِّي قال: لقِيَ ابن أبي عَتِيق عُروةَ بن أُذَيْنَة فأنشده قوله:

[مخلع البسيط]

لا بَكْرَ لي إذ دَعَوتُ بَكْراً ... ودُونَ بَكْرٍ ثَرًى وطِينُ

---

(١) غار النجم: غاب. وقِيس فتر: قدر فتر.
(٢) تحجر واسعاً: ضيّق على نفسه.
(٣) الدحداح: القصير.

حتى فرِغَ منها، ثم أنشده:

سَـرَى هَـمِّـي وَهَـمُّ الـمَـرْءِ يَـسْـرِي

حتى بلغ إلى قوله:

وأيُّ الـعَـيْـش يَـصْـلُـحُ بَـعْـد بَـكْـرِ!

فقال له ابنُ أبي عَتيق: كلُّ العَيْش والله يصلُح بعده حتى الخبز والزيت. فغَضِب عُروةُ من قوله، وقام عن مَجْلِسه، وحلف ألاَّ يُكَلِّمه أبداً، فماتا مُتهاجِرَين.

ذكر مخارق وأخباره

[توفي ٢٣١ هـ/ ٨٤٥ م]

[اسمه ونسبه وولاؤه وكنيته]

هو مُخارِق بنُ يحيى بن ناووس الجَزَّار مَوْلَى الرَّشيد، وقيل: بل ناوُوس لقَب أبيه يحيى، ويكنى أبا المُهَنَّأ، كناه الرشيد بذلك.

وكان قبله لعاتِكة بنت شُهْدَة، وهي من المُغَنِّيات المُحْسِنات المُتقدِّمات في الضَّرب، ذكر ذلك مُخارِقٌ واعترفَ به. ونَشَأ بالمدينة، وقيل: بل كان مَنْشَؤُه بالكُوفة. وكان أبوه جَزَّاراً مملوكاً، وكان مُخارِق وهو صبي ينادي على ما يبيعُه أبوه من اللحم، فلما بانَ طِيبُ صوتِه عَلَّمته مولاتُه طَرَفاً من الغِناء، ثم أرادت بيعَه، فاشتراه إبراهيمُ الموصِليُّ منها، وأهداه للفَضْل بن يَحْيى، فأخذه الرَّشيد منه، ثم أعتقَه. أخبرني الحُسَين بن يحيى قال: قال حَمَّاد: حدَّثني زَكرِيَّا مولاهم، وأخبرني محمدُ بن يَحْيى الصُّولِيُّ قال: حدّثني عُبَيْدُ اللّه بن محمد بن عبدِ المَلِك قال: حدّثنا حَمّادُ بن إسحاق عن زَكَرِيّا مَوْلاهم قال:

[اشتراه إبراهيم الموصلي ووهبه للفضل البرمكي وصار إلى الرشيد]

قَدِمَتْ مَولاةُ مُخارِق به من الكُوفة، فنزلت المُخرِّم[1]، وصار إبراهيمُ إلى جَدِّي الأَصْبغ بن سِنان المُقَيِّن[2] وسِيرين بن طَرْخان النَّخَّاس، فقالا له: إن ها هنا امرأةً من أهل الكُوفة قد قَدِمت ومعها غلام يَتَغَنّى، فأُحِبّ أن تنفعها فيه. قال:

---

(١) المخرِّم: محلة كانت ببغداد. (معجم البلدان ٥/ ٧١).

(٢) المقيِّن: المزيِّن، أو تاجر القيان، وهن الجواري.

فوجَّهني مع مولاته لأحمِلَهُ، فوجدته مُتَمرِّغاً في رمل الجزيرة التي بإزاء المُخَرِّم وهو يلعب، فَحَمَلتُه خلفي وأتيتُ به إبراهيمَ، فتغنّى بين يديه فقال لها: كم أَمَلُكِ فيه؟ قالت: عشرة آلاف درهم، قال: قد أخذتُه بها وهو خَيرٌ منها. فقالت: أَقِلْني قال: قد فَعلتُ، فكم أَمَلُك فيه؟ قالت: عشرون ألفاً، قال: قد أخذتُه بها وهو خَيرٌ منها. فقالت: والله ما تَطيبُ نفسي أن أمتَنِع من عشرين ألف درهم بكَبِدٍ رطبة، فهل لك في خَصْلة تُعطِيني به ثلاثين ألفَ درهم ولا أستَقِيلُك[1] بعدها؟ فقال: قد فَعلتُ وهو خَير منها، فَصفَقَت على يَدِه وبايعَتْه، وأمر بالمال فأُحْضِر، وأمرَ بثلاثةِ آلاف درهم فَزِيدَت عليه، وقال: تكونُ هذه لِهَدِيَّة تُهْدِينها أو كُسْوة تَكْتَسِينها، ولا تَثْلَمِين المال.

وراح إلى الفَضْل بن يحيى فقال له: ما خبرُ غلام بلغني أنك اشتريتَه؟ قال: هو ما بلغَك، قال، فأرِنيه، فأحضَره، فلما تَغَنَّى بين يدَي الفَضْل قال له: ما أرى فيه الذي رأيت، قال: أنتَ تُريد أن يكون في الغِناء مثلي في ساعة واحدة، ولم يَكُن مثلُه في الدّنيا ولا يكون أبداً. فقال: بكم تَبِيعُه؟ فقال: اشتريتُه بثلاثة وثلاثين ألف درهم، وهو حُرّ لوجه الله تعالى إن بعتُه إلا بثلاثة وثلاثين ألف دِينار، فغضِب الفَضْل وقال: إنما أردتَ أن تَمْنَعنيه أو تجعله سبباً لأن تأخذَ منّي ثلاثةً وثلاثين ألف دِينار، فقال له: أصنَعُ بك خَصلة؛ أبيعُك نِصفَه بِنِصْف هذا المال، وأكون شَريكك في نصفه وأُعلّمه، فإن أعْجَبك إذا علّمتُه أتممتَ لي باقي المال. وإلا بِعتُه بعد ذلك وكان الرِّبحُ بيني وبينك. فقال له الفَضْل: إنما أردتَ أن تأخذ منّي المال الذي قَدَّمتَ ذِكرَه، فلما لم تقدِر على ذلك أردتَ أن تأخُذَ نصفَه. وغضِب، فقال له إبراهيمُ: فأنا أَهَبُه لك، على أنه يُساوي ثلاثةً وثلاثين ألفَ دِينار، قال: قد قَبِلْتُه، قال: قد وهَبْتُه لك! وغَدَا إبراهيمُ على الرَّشيد، فقال له: يا إبراهيم ما غُلامٌ بَلَغني أنك وهبتَه للفَضْل؟ قال: فقلتُ: غُلام يا أميرَ المؤمنين لم تملِك العَربُ ولا العَجَمُ مِثلَه، ولا يكون مِثله أبداً، قال: فوجَّه إلى الفَضْل فأمره بإحضاره، فوجَّه به إليه فتَغَنَّى بين يديه، فقال لي: كَمْ يُساوِي؟ قال: قلت: يُساوي خَراجَ مِصْر وضِياعَها. فقال لي: ويلك، أتَدْري ما تقول! مبلغُ هذا المال كذا وكذا، فقلتُ: وما مِقْدارُ هذا المال في شيء لم يَملِكْ أحدٌ مِثلَه قَطّ! قال: فالتفتَ إلى مسرور الكبير وقال:

(١) لا أستقيلك: لا أطلبُ منك فسخ صفقة البيع.

قد عَرَفتَ يميني ألاّ أسألَ أحداً من البرامِكة شيئاً بعد فَنْفَنَة[1]. فقال مَسْرور: فأنا أمضي إلى الفَضْل فأسْتَوْهِبُهُ منه، فإذا وهبه لي وكان عَبْدِي فهو عَبْدك، فقال له: شَأنك. فمضى مَسْرور إلى الفَضْل فقال له: قد عَرفْتُم ما وَقَعْتُم فيه من أمر فَنْفَنَة، وإن مَنَعْتُموه هذا الغُلام قامَت القيامة، واستَوْهَبه منه فَوهَبه له، فبلَغ ما رأيت. فكان عَلُويه إذا غَضِب على مُخارق يقول له ـ حيث يقول: أنا مَولَى أميرِ المؤمنين ـ: متى كنت كذلك؟ إنما أنت عَبْدُ الفَضْل بن يحيى أو مَوْلَى مَسْرُور.

أخبرني ابنُ أبي الأزْهر قال: حدَّثنا حَمَّادُ بنُ إسحاق، عن أبيه قال: كان مُخارِقُ بن ناوُوس الجَزَّار؛ وإنما لُقِّب بناوُوس لأنه بايعَ رجلاً أنه يمضي إلى نَاوُوس[2] الكُوفَة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تَنْضَج، فطَرَح رَهْنه بذلك، فدسَّ الرجلُ الذي راهَنَهُ رَجُلاً، فألقى نفسَه في النَّاوُوس بين المَوْتَى، فَلمَّا فَرَغ من الطَّبِيخ مَدَّ الرَّجل يدَه من بين الموتى وقال له: أطعِمني، فغرَف مِلْءَ المِغْرَفة من المَرَقة فصبَّها في يد الرجل فأحرقَها، وضَربَها بالمِغْرفة وقال له: اصبر حتى نُطعِم الأحياءَ أولاً ثم نتفرَّغ للمَوْتى، فلُقِّب بناووس لذلك، فنشأ ابنُه مُخارِق، وكان يُنادِي عليه إذا باعَ الجَزورَ، فخرَج له صوتٌ عَجِيب، فاشتراه أبي وأهداه للرَّشيد فأمرَه بتعْلِيمِهِ فعَلَّمه حتى بلغ المَبْلَغ الذي بلغه.

[غناؤه للرشيد وعلاقته ببني العباس]

وكان يقِف بين يدي الرَّشيد مع الغِلمان لا يجلِس، ويُغَنِّي وهو واقف، فغَنَّى ابنُ جَامِع ذاتَ يوم بين يَدي الرَّشيد: [البسيط]

كَأَنَّ نِيرانَنا في جَنْبِ قَلْعَتِهِمْ ... مُصَبَّغاتٌ على أرْسانِ قَصَّارِ[3]
هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أنْ رَأَتْ عَجَباً ... حَوَائِماً تَرْتَمِي بِالنِّفْطِ وَالنَّارِ

فطَرب الرشيد واستعاده عِدّة مَرّات، وهو شعر مُدِح به الرشيد في فتح هِرَقْلة، وأقبل يومئذ على ابن جامِع دُون غيره، فغَمز مُخارِقٌ إبراهيمَ بعينه، وتقدَّمه إلى الخَلاء، فلما جاءه قال له: ما لي أراكَ مُنكسراً؟ قال: أما ترى إقبالَ أمير المؤمنين

(١) لعله اسم جارية.
(٢) الناووس: مقبرة النصارى.
(٣) القصار: الذي يغسل الثياب ويحورها.

على ابن جامع بسبب هذا الصوت؟ فقال: قد واللَّهِ أخذتُه، فقال له: وَيْحَك إنه الرَّشيد، وابنُ جامع مَنْ تَعلم، ولا يُمكن مُعارَضَتُه إلا بما يَزيد على غِنائه، وإلا فهو الموت، قال: دَعْني وخلاَك ذَمٌّ، وعرِّفه أَنّي أُغَنّي به، فإنْ أَحسنتُ فإليك يُنسَب، وإنْ أسأتُ فإليّ يَعود. فقال لِلرشيد: يا أميرَ المُؤمنين، أراكَ مُتعجباً من هذا الصوت بغير ما يَستَحقه وأكثر مِمَّا يَسْتَوْجِبهُ، فقال: لقد أحسن ابن جامع ما شاء! قال: أو لابن جامع هو؟ قال: نعم، كذا ذكر، قال له: فإن عبدَك مُخارقاً يغنّيه، فَنَظر إلى مخارق، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: هاتِه، فغَنّاه وتحفَّظَ فيه، فأتى بالعجائِب؛ فَطرب الرّشيد حتى كاد يطير فَرحاً، وشَرِب، ثم أَقبل على ابنِ جامع فقال له: وَيْلك، ما هذا! فابتدأ يَحلِف له بالطّلاق وكلّ مُحرِجَةٍ أنّه لم يُسْمَع ذلك الصوت قطّ إلاّ منه، ولا صَنَعَه غيرُه، وأَنّها حِيلةٌ جَرَتْ عليه، فأقبل على إبراهيم وقال: أصدقني بحياتي، فَصدَقَه عن قِصَّة مُخارق، فقال له: أكذلك هو يا مُخارق؟ قال: نعم يا مولاي، فقال: اجلِس إِذَن مع أصحابك، فقد تجاوزْتَ مَرْتبةَ مَنْ يَقومُ، وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار، وأقطعه ضَيْعةً ومَنْزِلاً.

أخبَرني محمدُ بنُ خَلَف وكيع، وحَدَّثني محمدُ بنُ خَلَف بنِ المَرْزُبان قال وَكيع: حَدَّثني هارُون بنُ مُخارق، وقال ابن المَرْزُبان: ذكر هارونُ بن مُخارق قال: كان أبي إذا غنى هذا الصوت: [البسيط]

يا رَبْعَ سَلْمَى لَقَدْ هَيَّجْتَ لي طَرَبا ... زِدْتَ الفُؤَادَ على عِلاّتِهِ وَصَبَا[1]
رَبْعٌ تَبَدَّلَ مِمَّنْ كانَ يَسْكُنُهُ ... عُفْرَ الظِّباءِ وظِلْماناً بِهِ عُصَبا[2]

يبكي ويقول: أنا مَوْلى هذا الصَّوت، فقلتُ له: وكيف ذاكَ يا أبَتِ؟ فقال: غَنَّيته مولاي الرَّشيد فبكى وشَرب عليه رطلاً، ثمَّ قال: أحسنْتَ يا مُخارق فسَلني حاجتَك، فقلتُ: أن تَعْتِقَني يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النَّار، فقال: أنت حُرٌّ لوجه الله، فأَعِدِ الصوتَ، فأَعَدْتُه فبكى وشرب رطلاً ثم قال: أحسنتَ يا مُخارق فسَلْني حاجتَك، فقلت: ضَيْعة تُقيمُنِي غَلّتُها، قال: قد أمرتُ لك بها، أَعِدِ الصوت، فأعدْتُه فبكى وقال: سَلْ حاجتك، فقلتُ: يا أمير المؤمنين تأمر لي بمنزل وفرش وخادم، قال: ذلك لك، أعِد الصَّوت، فأعدته، فبكى وقال: سَلْ حاجتَك،

---

(١) الوصب: المرض، الوجع.

(٢) الظلمان: جمع الظليم وهو ذكر النعام. والعصب: جمع عصبة، وهي الجماعة.

فقبَّلتُ الأَرْض بين يديه وقلت: حاجتي أن يُطِيل الله بقاءك ويُدِيم عزَّك ويجعلني من كلّ سوءٍ فداءَك! فأنا مَولى هذا الصوت بعد مولاي.

وذكر محمدُ بنُ الحسن الكاتِب أنَّ أبان بن سعيد حَدَّثَه أنَّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ومخارق فقال: يا أمير المؤمنين إذا تغنَّى إبراهيمُ بنُ المَهديّ بعلمه فَضَل[1] مخارقاً، وإذا تَغَنَّى مخارق بطبعِه وَفَضْلِ صوته فَضَل إبراهيم، فقال له: صدقت.

أخبرني عليُّ بنُ سُليمان الأَخْفش قال: حدَّثنا المُبَرّدُ بهذا الخبر فقال: حدَّثَني بعضُ حاشية السلطان أنَّ إبراهيم المَوْصليّ غَنّى الرَّشيدَ يوماً هذا الصوت فأُعجب به وطرب له واستعاده مراراً، فقال له: فكيف لو سمعتَه من عَبْدِك مُخارِق، فإنَّه أَخَذَه عَنِّي وهو يَفْضُل فيه الخَلْقَ جميعاً ويَفْضُلني! فدعا بمخارق فأمره أن يُغَنِّيه، وذكر باقي الخبر مِثْلَ الذي تَقدّم.

أَخبَرَنِي الحسَنُ بنُ عليّ قال: حدثنا ابنُ أبي الدُّنيا، عن إسحاق بن محمد النَّخَعيّ، عن الحُسَين بنِ الضّحّاك، عن مُخارق: أن الرَّشيد قال يوماً للمُغنِّين وهو مُضْطبح: من منكم يُغنِّي:

يا رَبْعَ سَلْمَى لقد هَيَّجتَ لي طَرَبا

فقمتُ فقلتُ: أنا يا أميرَ المؤمنين، فقال: هاتِه، فغنّيتُه، فطَرِب وشَرِب ثم قال: عليّ بهَرثمةَ بنِ أَعْيَنَ، فقلتُ في نفسي: ما يُريد منه؟ فجاءوا بهرثمة، فأُدخِل إليه وهو يَجُرّ سيفَه، فقال له: يا هَرْثمة، مُخارق الشاري الذي قَتلناه بناحية المَوْصل ما كانت كُنيته؟ فقال: أبو المُهَنَّأ، فقال: انصَرِفْ، فانصرفَ، ثم أقبل عليّ وقال: قد كنَيْتُك أبا المُهَنَّأ لإحسانك، وأمر لي بمائة ألف درهم، فانْصَرفْتُ بها وبالكُنْية.

أخبرني جعفر بن قُدامةَ قال: حدثني عليُّ بنُ محمد بن نَصْر البَسَّامِيّ قال: حَدَّثَني خالي أبو عبد اللّه بن حَمدُون قال: رُحْنا إلى الواثق وأُمُّه عَليلة[2]، فلمّا صلّى المغرب دخل إلى أُمه، وأَمَر بألاّ نَبرح، وكان في الصحن حُصُرٌ غيرُ مَفْرُوشة. فقال لي مخارق: امْضِ بنا حتى نفرش حصيراً من هذه الحصر فنجلس

(١) فَضَلَ: فاق.

(٢) عليلة: مريضة.

على بعضه ونتكىء على المُدَرَّج منه، وكانت ليلةً مُقمِرةً، فمضينا ففرشنا بعض تلك الحُصْر، واستلقينا وتحدثنا، وأبطأ الواثق عند أُمِّه، فاندفع مُخارق فغنّى: [الطويل]

أيـا بَـيْـتَ لَـيْـلَـى إنَّ لَـيْـلَـى غَـرِيـبَـةٌ بِـراذانَ لا خَـالٌ لَـدَيْـهَـا ولا ابـنُ عَـمْ[1]

فاجتمع علينا الغلمان وخرج الواثق فصاح: يا غلام، فلم يُجبه أحدٌ، ومشى من المجلس إلى أن تَوسّط الدَّار، فلما رأيتُه بادرتُ إليه، فقال لي: وَيْلك، هل حدَث في داري شيء؟ فقلت: لا يا سيِّدي، فقال: فما لِي أصِيح فلا أجاب! فقلت: مُخارق يغني والغِلمان قد اجتمعوا عليه، فليس فيهم فضْلٌ لسماع غيرِ ما يسمعونه منه، فقال: عُذْرٌ والله لهم يابن حمْدُون وأيُّ عُذْر! ثم جلس وجَلسْنا بين يديه إلى السَّحَر.

وذكر هارونُ بن محمد بن عبدِ الملك أنّ مُخارقاً كان ينادي على اللّحْم الذي يَبيعه أبوه، فيُسمع له صوتٌ عجيب، فاشترته عاتكةُ بنتُ شُهدة وعلّمته شيئاً من الغناء ليس بالكثير، ثم باعَتْه من آل الزّبير، فأخذَه منهم الرّشيد وسلمه إلى إبراهيم المَوْصِليّ، فأخذ عنه، وكان إبراهيم يُقدِّمه ويُؤثِره ويخُصّه بالتّعليم لما تَبَيَّنه منه ومن جودة طبعه.

أخبرني عليُّ بنُ عبدِ العزيز الكاتب قال: حدَّثني ابن خُردَاذبَه قال: كان مُخارق بن يحيى بن ناوُوس الجَزّار، وكان عبداً لعَاتكة بنْتِ شهدة، وكانت عاتكة أحذقَ الناس بالغِناء، وكان ابنُ جَامع يلوذ منها بالتَّرْجيع[2] الكثير، فتقول له: أينَ يُذهب بك؟ هلُمّ إلى معظم الغناء ودَعْنِي من جُنونك. قال: فحدَّثني مَنْ حَضَرهما أنَّ عاتكة أفرطت يَوْماً في الردِّ على ابن جامع بحضْرة الرَّشيد، فقال لها: أيْ أُمَّ العبَّاس، أنا ـ يَشْهد الله ـ أُحِبّ أن تَحْتَكّ شِعْرَتِي بِشعرتِك، فقالت له: اسكت قَطع الله لسانَك، ولم تُعاود بعد ذلك أذِيّته. قال: وكانت شُهدةُ أمُّ عاتكة نائحة. هكذا ذكر ابنُ خُردَاذْبَه، وليس الأمر في ذلك كما ذكره.

حدَّثني محمد بنُ يحيى الصُّوليّ قال: حدَّثنا الغلابيُّ قال: حدَّثني عليٌّ بن محمد النَّوفليّ عن عبد اللّه بنِ العبَّاس الرَّبيعيّ، أنّه كان هو وابنُ جامع وإبراهيمُ المَوْصليُّ وإسماعيلُ بنُ عليّ عند الرَّشيد، ومعهم محمدُ بن داودَ بنِ عليّ، فغنَّى

(١) راذان: كورة بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة. (انظر معجم البلدان ٣/ ١٢).
(٢) رَجَّع: ردَّد الصوت في حلقه.

المُغَنُّون جميعاً، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه:

صوت

[الكامل]

أُمَّ الوَلِيدِ سَلَبْتِنِي حِلْمِي وَقَتَلْتِنِي فتَحَلَّلِي إثْمِي[1]
بِاللَّهِ يا أُمَّ الوَلِيدِ أمَا تَخْشَيْنَ فِيَّ عَواقِبَ الظُّلْمِ!
وتَرَكْتِني أبْغِي الطَّبِيبَ وَمَا لِطَبِيبِنا بالدَّاءِ مِنْ عِلْمِ

قال: فاستحسنه الرَّشيد وكلُّ مَنْ حضر وطربوا له، فسأله الرَّشيدُ: عمَّنْ أخذتَه، فقال: أخذتُه عن شُهدة جاريةِ الوَليد بنِ يزيد، قال عبدُ اللّه بن العَبَّاس وهي أُمُّ عاتكةَ بنْتِ شُهدة.

الأبياتُ المذكورة التي فيها الغِناء لعُبيد اللّه بن قَيْس الرُّقيَّاتِ، وتمامُها:

لِلَّهِ دَرُّكِ في ابْنِ عَمِّكِ قَدْ زَوَّدْتِهِ سُقْماً على سُقْمِ
في وَجْهِهَا مَاءُ الشَّبابِ وَلَمْ تُقْبِلْ بِمَكْرُوهٍ ولا جَهْمِ

والغناء فيه لابنِ مُحْرِز لحنان، كلاهما له، أحدهما ثقيل الأوّل بالخِنصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن عمرو بنِ بانةَ، وفيه لمالك ثاني ثَقيل عن الهِشاميّ وحَبَش، وفيه لسليمانَ خفيف رمل بالبِنْصر عنهما، وثقيل أوَّل للحسين بن مُحْرِز.

وقال هارونُ بنُ محمد بنِ عبد الملك الزَّيات: قال أبي: قال الواثقُ أميرُ المؤمنين: خَطأُ مخارِق كصواب عَلُّويه، وخطأُ إسحاق كصَواب مُخارق، وما غنّاني مُخارِق قَطّ إلا قَدّرت أنّه من قلبي خُلِق، ولا غَنَّاني إسحاق إلا ظننت أنه قد زِيد في ملكي ملكٌ آخر.

قال: وكان يقول: أتريدون أن تَنظروا فَضلَ مخارق على جميع أصحابه؟ انظرُوا إلى هؤلاء الغِلمان الذين يقفون في السِّماط. فكانوا يتفقَّدونهم وهم وُقوف، فكلهم يسمَعُ الغناءَ مِن المُغنين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه، فإذا تغنَّى مخارِق خرجوا عن صُوَرِهم فتحرَّكت أرجلُهم ومناكِبُهم، وبانت أسبابُ الطَّرب فيهم، وازْدحمُوا على الحَبل الذي يقِفون من ورائه.

(١) تحللي إثمي: سلي أن أجعلك في حلٍّ من إثمي.

قال هارون: وحُدِّثتُ أنه خرج مرّة إلى باب الكُناسة[١] بمدينة السَّلام[٢]، والنَّاسُ يرتحلون للخُروج إلى مكة، فنظر إليهم واجتماعهم وازْدِحامهم، فقال لأصحابه الذين خرجوا معه: قد جاء في الخبر أنّ ابنَ سُرَيْج كان يَتغنّى في أيّام الحجِّ، والنَّاس بمنى فيَستوقفُهم بغنائه، وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وَأَسْتلهِيهم جميعاً، لتعلمُوا أنه لم يكن ليفضُلني إلاّ بصنعته دون صَوته، ثم اندفع يؤذّن، فاستوقف أولئك الخَلْق واستلهاهم، حتى جعلت المحاملُ يغشَى بعضُها بعضاً، وهو كالأعمى عنها لِما خامر قَلْبَه من الطَّرب لحُسن ما يسمع.

[أخباره مع الشعراء والمغنين والناس]

أخبرني أحمدُ بن جعفر جحظة قال: حدثني ابنُ أخت الحاركيّ وأبو سعيد الرّامَهرمُزِيُّ، وأخبرني عليُّ بنُ سُليمان الأخفش قال: حدَّثنا محمد بنُ يزيد الأزديّ، عن أحمد بن عيسى الجَلوديّ عن محمدِ بن سعيد التِّرمذِيّ - وكان إسحاقُ إذا ذكر محمداً وصفَه بحسن الصّوت، ثم قال: قد أُفلِتْنا منه، فلو كان يُغنّي لتقَدَّمنا جَميعاً بصوته - قالوا:

جاء أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه واستَفتح، فإذا مخارق قد خرج إليه، فقال له أبُو العتاهية: يا حُسَّان[٣] هذا الإقليم، يا حَكيمَ أرض بابل، اصبُبْ في أُذني شيئاً يَفرحُ به قلبي، وتنعم به نفسي، فقال: انزلوا، فنزلنا، فغنَّانا. قال محمدُ ابنُ سعيد: فكدت أسعى على وَجهِي طرباً. قال: وجعل أبو العتاهية يبكي، ثم قال له: يا دواءَ المَجانين لقد رَقَّقْتَ حتّى كِدتُ أَحْسوك، فلو كان الغِناءُ طعاماً لكان غِناؤك أُدماً، ولو كان شراباً لكان ماءَ الحياة.

نَسختُ من كتاب ابن أبي الدُّنيَا: حدَّثني بعضُ خَدَم السُّلطان قال: قال رجل لأبي العتاهية وقد حضَرتْه الوفاةُ: هل في نفسك شيءٌ تَشْتهيه؟ قال أن يَحضر مخارق الساعة فيُغنِّيني: [الطويل]

سَيُعْرَضُ عن ذِكْرِي وتُنْسَى مَوَدَّتِي ... وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ
إذا ما انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي ... فَإنَّ غَنَاءَ الباكِياتِ قَلِيلُ

(١) الكناسة: محلة ببغداد.
(٢) مدينة السلام: بغداد.
(٣) الحُسّان: الحسن.

أخبرني عمِّي قال: حدَّثنا محمدُ بن عليّ بن حمزة العلويُّ قال: حدَّثنا علي بن الحسين بن الأعرابيّ قال: لقي مُخارِقٌ أبا العتاهية، فقال له: يا أبا إسحاق، أأنت القائل: [مجزوء الكامل]

اصْـرِفْ بـطَـرْفِـكَ حَـيْـثُ شِـئْـتَ فَـلَـنْ تَـرَى إلاَّ بَـخِـيـلا

قال له: نَعَمْ. قال: بخَّلتَ الناسَ جميعاً، قال: فاصْرِف بطرفك يا أبا المُهنّأ فانْظُر فإنَّك لن ترى إلاَّ بخيلاً، وإلا فأكْذِبني بجواد واحد، فالتَفت مُخارقٌ يميناً وشمالاً ثم أقبل عليه فقال: صَدَقْتَ يا أبا إسحاق، فقال له أبو العتاهية: فَديتُك، لو كنتَ ممَّا يُشْرَب لذُررْتَ على الماء وشُرِبْت.

أخبرني إسماعيلُ بنُ يونُس الشّيعيُّ قال: حدثنا عمرُ بن شبَّة قال: حدَّثني بعضُ آل نُوبَخْت قال: كان أبي وعبدُ اللّه بنُ أبي سهل وجماعةٌ من آل نُوبَخْت وغيرهم وُقوفاً بكُناسةِ الدَّوابّ في الجانب الغربيّ من بغداد يتحدَّثون، فإنهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود، وعليه قميص رَقيق ورداءٌ مُسَهَّم[١]، قال: فِيمَ كنتم؟ فأخبرُوه، فقال: دَعُوني من وَسْواسِكم هذا، أيُّ شيء لي عليكم إن رميْتُ بنفْسي بين قبرين من هذه القُبور وغطَّيتُ وجهي وغنَّيت صوْتاً، فلم يبق أحدٌ بهذه الكُناسة ولا في الطَّريق من مشترٍ ولا بائِع ولا صادرٍ ولا واردٍ إلا ترك عمله وقرُب منِّي واتَّبع صَوْتي؟ فقال له عبد اللّه: إنِّي لأُحِبّ أن أرَى هذا، فقل ما شِئتَ، فقال: فَرسُك الأشقرُ الذي طلبتُه منك فَمنعْتَنِيه، قال: هو لك إن فعلتَ ما قلتَ، ثمّ دَخَلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطّى بردائه، ثمّ انْدَفع يُغنِّي فغنَّى في شعر أبي العتاهية: [الكامل]

نـادَتْ بِـوَشْـكِ رَحِـيـلِـكَ الأيّـامُ أفَـلَـسْـتَ تَـسْـمَـعُ أمْ بِـكَ اسْـتِـصْـمـامُ!

قال: فرأيتُ الناسَ يتقوَّضُون[٢] إلى المقبرة أرسالاً[٣] من بين راكب وراجل وصاحب شَوْل[٤] وصاحِب جَدْي ومارٍّ بالطريق، حتى لم يبق بالطريق أحدٌ، ثم قال لنا من تَحْت ردائه: هل بَقِيَ أحد؟ قلنا: لا، وقد وجب الرَّهن، فقام فركب

(١) رداء مُسَهَّم: فيه صور سهام.
(٢) يتقوضون: يجيئون.
(٣) الأرسال: الجماعات من الناس.
(٤) الشول: الناقة التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها.

حمارَه، وعاد النَّاسُ إلى صَنائِعهم، فقال لعبدِ اللّه: أَحْضِر الفَرسَ، فقال: على أن تُقيم اليومَ عندي، قال: نعم، فانصرفنا معهما، وسَلَّم الفرس إليه وبَرّه وأحسن إليه وأحسن رفده.

نسبة هذا الصوت

صوت

نـادتْ بِـوَشْـك رَحِـيـلِـك الأيّـامُ أَفَلَسْتَ تَسْمَعُ أم بكَ استِصمامُ!
وَمَضَى أمامَكَ مَنْ رَأَيْتَ وأنْتَ لِلْـ بَاقِينَ حَتَّى يَلْحَقُوك إمامُ
ما لِي أرَاكَ كأنَّ عَيْنَكَ لا تَرَى عِبَراً تَمُرُّ كأنَّهُنَّ سِهامُ
تَمْضِي الخُطُوبُ وأنْتَ مُنْتَبِهٌ لَها فإذا مَضَتْ فَكأنَّها أَحْلامُ[1]

الشِّعْر لأبي العَتاهية، والغناء لإبراهيمَ ثقيل أول بالوسطى، وفيه لمُخارِق هزَج بالوُسطى، كلاهما عن عمرو، وفيه رمل يقال إنه لعلُّويه، ويقال: إنه لمخارق عن الهشاميّ.

أخبرَني جحْظةُ قال: ذكر ابنُ المكّيّ المرتَجَلُ عن أبيه: أَنَّ أبا العَتاهيةَ دخل يوماً إلى صديق له وعنده جارية تغنِّي، فقال: أبا إسحاق إن هذه الجارية تُغنِّي صوتاً حسناً في شعرٍ لك، أفتنشَط إلى سماعه؟ قال: هاتِيه، فغنَّته لحْناً لعَمْرو بن بانة في قوله:

نـادَت بِـوَشْـكِ رَحِـيـلِـكَ الأيَّـامُ

فعَبَس وبَسَر وقال: لا جَزى الله خيراً مَنْ صنع هذه الصَّنعةَ في شِعْري، قال: فإنَّها تُغنِّي فيه لحناً لمخارِق، قال: فلتُغَنِّه فغنَّته، فأعجبَه وطرب حتى بكى ثم قال: جَزى اللَّهُ هذا عنِّي خيراً، وقام فانصرف.

وقد روى هذا الخبرَ هارونُ بنُ الزَّيات، عن حمَّادِ بن إسحاق عن أبيه، عن غَزْوان: أنه كان وعُبيْد اللّه بنُ أبي غسان، وأبو العتاهية، ومحمد بنُ عمرو الروميّ، عند ابن أبي مَرْيم ومعهم مُغنِّية يقال لها بنتُ إبليس، فغنّى عبيدُ اللّه بن أبي غسَّان في لحن مخارق:

---

(١) الخطوب: جمع خطب، وهو المصيبة.

نــادَتْ بِــوشْــكِ رَحِــيــلِــكَ الأيَّــامُ

فلم يَسْتحسِنه أبو العتاهية، ثمَّ غنَّى فيه لحناً لإبراهيم بن المهديّ فأطربه، وقال: جزى الله عنِّي هذا خيراً.

أخبرني إسماعيلُ بنُ يونُس الشّيعيّ قال: حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال: بلغني أنَّ المتوكل دخل إلى جارية من جواريه وهي تُغنِّي:

صوت

[مجزوء الوافر]

أمِــنْ قَــطْــرِ الــنَّــدَى نَــظَّــمْــتَ ثَــغْــرَكَ أمْ مِــنَ الــبَــرَدِ!
وَرِيــقُــكَ مــن سُــلافِ الــكَــرْمِ أمْ مِــنْ صَــفْــوَةِ الــشُّــهُــدِ![1]
أيــا مَــنْ قــد جَــرَى مِــنِّــي كَــمَــجْــرَى الــرُّوحِ فــي الــجَــسَــدِ
ضَــمِــيــرُكَ شــاهِــدِي فِــيــمــا أُقــاسِــيــهِ مِــنَ الــكَــمَــدِ

والغناء لمخارق رمَل، فقال لها: وَيْحك، لِمَنْ هذا الغناء؟ فقالت: أخذتُه من مُخارق، قال: فألقِيه على الجواري جميعاً، ففعلت، فلما أخَذْنَه عنها أمر بإخراجهن إليه، ودعا بالنَّبيذ، وأمر بألاَّ يغنِّينه غَيرَه ثلاثة أيام متوالية، وكان ذلك بعد وفاة مخارق.

وأخبرنا إسماعيلُ بنُ يونُس الشّيعيّ قال: حدَّثنا عمرُ بنُ شبَّة قال: قال عُمَرُ بن نوح بن جرير: سألْتُ أبا المَضاء الأسديّ أن يُنشِدني فقال: أُنشِدُك من شِعْري وشيْئاً قُلتُه لرجل لقيتُه على الجسر ببغداد، فأعجبه مني ما يرى من دماثتي، وأقبلتُ أحدِّثُه وهو يُنصِت لي، وأُنْشِده وهو يُحسِن الإصغاء إلى إنشادي، ويُحدِّثني فيُحسن الحديث، حتى بَلغْنا منزله، فأدْخلني فغدَّاني ثم لم يَرِمْ حتى كساني وسقاني فروّاني، ثم أسمعني والله شيئاً ما طار في مسامعي شيء قطّ أحسن منه، فلما خرَجتُ سألت عنه، فقال لي غِلمانُه: هذا أبو المُهنَّا مُخارق، فقلتُ فيه: [الوافر]

أعــادَ الــلَّــهُ يــومَ أبــي الــمُــهَــنَّــا عَــلَــيْــنــا إنَّــهُ يَــوْمٌ نَــضِــيــرُ
تَــغَــيَّــبَ نَــحْــسُــهُ عَــنَّــا وَأَرْخَــى عَــلَــيْــنــا وابِــلٌ جَــودٌ مَــطِــيــرُ[2]

---

(١) سلاف الكرم: الخمرة المصنوعة من الكَرْم. والشُّهْد: العسل.

(٢) الجَوْد: المطر الغزير.

فَلَمَّا أنْ رَأَيْتُ القَطْرَ فَوْقِي وَأَقْداحاً يَحُثُّ بِها المُدِيرُ
وَأَسْعَدَنا بِصَوْتٍ لَوْ وَعاهُ وَلِيُّ العَهْدِ خَفَّ بِهِ السَّرِيرُ
تَذَكَّرْتُ الحَبِيبَ وَأَهْلَ نَجْدٍ وَرَوْضاً نَبْتُهُ غَضٌّ نَضِيرُ

قال: فقلتُ له: ولم ذكرتَ نَجْداً مع ما كنتَ فيه، وكان ينْبغي لك أن تنساه؟ قال: كلاَّ إنّ المرء إذا كان فيما يُحِبّ تذكَّرَ أهلَه. قلت: فما غَنَّاك؟ قال: غَنَّاني:

وما رَوْضَةٌ جادَ الرَّبِيعُ بهطْلِهِ عَلَيْها فَرَوَّاها وَرَقَّتْ غُصُونُها
وَهَبَّتْ عَلَيْها الرِّيحُ حَتَّى تَبَسَّمَتْ وَحَتَّى بَدَتْ فَوْقَ الغُصُونِ عُيُونُها
بِأَحْسَنَ مِنْها إذْ بَدَتْ وَسْطَ مَجْلِسٍ وَفِي يَدِها عُودٌ فَصِيحٌ يَزِينُها
وَقَدْ أَنْطَقَتْهُ وَالشَّمالُ جَرِيَّةٌ على عَقْدِ ما تُلْقِي عَلَيْها يَمِينُها

قال: فلم يزل يُرَدِّدُه عليّ حتى قَضَيْتُ وطري من لَذَّتي وحَفِظْتُه عنه.

أخبرني جَحْظة قال: حدّثني حمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه قال: دخلتُ على جدِّك إبراهيم وهو جالِسٌ بين بابَيْن له: ومُخارقٌ بين يديه يُغنِّيه: [الكامل]

يا رَبْعَ بِشْرَةَ إنْ أضَرَّ بِكَ البِلَى فَلَقَدْ رَأَيْتُكَ آهِلاً مَعْمُورا

قال: واللَّحنُ الذي كان يُغنِّيه لمالِك، وفيه عِدَّة ألحان مشتركة، فرأيتُ دُموعَ أبي تَجْري على خَدّيه من أربعة أماكن وهو يَنْشِج[1] أحرَّ نشيج، فلمّا رآني قال: يا إسحاق هذا والله صاحبُ اللواء غداً إن مات أبوك.

أخبرني الحَسنُ بن عليّ الخَفَّاف قال: حدَّثني محمد بنُ القاسم بن مَهْرويه قال: حدثني هارونُ بنُ مُخارق، عن أبيه قال: رأيتُ وأنا حَدَثٌ كأنَّ شيْخاً جالساً على سرير في روضة حسنة قد دعاني، فقال لي: غنِّني يا مُخارق، فقلت: أصوتاً تقترحه أم ما حضر؟ فقال: ما حضر، فغنّيته بصَنْعتي في:

صوت

[الطويل]

دَعِي القَلْبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مَعَ الذي بِه منكِ أو داوِي جَواهُ المُكَتَّما[2]
وَلَيْسَ بِتَزْوِيقِ اللِّسانِ وَصَوْغِهِ وَلٰكِنَّهُ قَدْ خالَطَ اللَّحْمَ وَالدَّما

(١) ينشج: يبكي بكاء شديداً.
(٢) الخبال: الفساد.

ولحنُ مُخارق فيه ثقيلٌ أول، وفيه لابن سُرَيج رمل.

قال: فقال لي: أحسنتَ يا مُخارق، ثم أخَذ وتراً من أوْتار العود فلفَّه على المِضراب، ودَفعه إليّ، فجعل المِضرابُ يَطُول ويغلُظ، والوتر ينْتَشِر ويَعرُض حتى صار المِضرابُ كالرُّمح، والوتر كالعَذبة عليه، وصار في يدي علماً. ثم انتَبهْتُ فحَدّثْتُ برؤياي إبراهيم المَوْصليّ، فقال لي: الشّيخُ، بلا شك، إبْليسُ، وقد عقَد لك لواء صَنْعتك، فأنت ما حييتَ رَئيسُ أهلها.

قال مؤلّف هذا الكتاب: وأظُنّ أنّ الشاعرَ الذي مدح مخارقاً إنما عَنى هذه الرؤيا بقوله: [الطويل]

لَقَدْ عَقَدَ الشَّيْخُ الَّذِي غَرَّ آدماً ... وأَخْرَجَهُ مِن جَنَّةٍ وحدائقِ
لِواءَيْ فُنُونِ لِلْقَرِيضِ وَلِلْغِنا ... وَأَقْسَمَ لا يُعْطِيهِما غَيْرَ حَاذِقِ

وذكر محمدُ بنُ الحسن الكاتب، أنّ هارونَ بنَ مُخارق حدَّثَه فقال:

كان الواثِقُ شديدَ الشَّغف بأبي، وكان قد اقْتَطعه عنّا، وأمر له بحُجْرة في قصره، وجعل له يوماً في الأسبوع لنَوْبته في منزِله، وكان جَواريه يَخْتلفن لذلك اليوم، قال: فانصرف إلينا مرَّة في نَوْبته فصلّى الغداةَ مع الفجر على أسِرَّة في صحن الدّار في يوم صائفٍ وجلس يُسبِّح، فما راعنا إلا خَدمٌ بيضٌ قد دخلوا فسَلّموا عليه وقالوا: إن أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة، فأعَدْنا عليه الصوتَ الذي طرحته علينا فلم يَرْضَه من أحدٍ منا، وأمرنا بالمصير إليك لنصحِّحه عليك، قال: فأمر غلمانَه فطرحوا لهم عِدَّة كراسيّ فجلسوا عليها، ثم قال لهم: رُدّوا الصوت، فردُّوه، فلم يرضَه من أحدٍ منهم، فدعا بجاريته عَمِيم، فردَّته عليهم، فلم يرضَه منها، قال: فتَحَوَّل إليهم ثم اندفع فَردّ الصوت على الخَدَم، فخرج الوصائفُ مِنْ حُجَر جَواريه حتى وَقفنَ حوالَي الأسِرَّة، ودَخَل غلامٌ من غِلمانه وكان يستقي الماءَ، فهَجَم على الصَّحْن بدلوه، وجاءت جارية على كتفِها جرّة من جِرار المُزَمَّلات[1]، حتى وقفتْ بالقُرب منه، قال: وسبقتني عيناني فما كففتُ دموعهما حتى فاضت.

ثمّ قطع الصوتَ حين استوفاه، فرجع الوصائفُ الأصاغرُ سَعياً إلى حُجَر

(١) المزمّلات: جرار يُبَرَّد فيها الماء، واحدتها مزمّلة.

الجواري، وخَرج الغُلام السَّقّاء يشتدُّ إلى بغلة، ورجعت الجاريةُ الحاملة الجرة المُزمَّلة شَدّاً إلى الموضع الذي خرجت منه، فتبَسَّم أبي وقال: ما شأنُك يا هارون؟ فقلت: يا أَبتِ جَعلنِي اللّهُ فداءَك، ما ملكتُ عَيْنِي، قال: وأبوك أيضاً لم يملك عينَه.

وذكر هارونُ بن الزَّيات عن أصحابه قال: جمع إبراهيم بنُ المهديّ المغنِّين ذات يوم في منزله، فأقاموا، فلمَّا دخَلوا في الليل ثمِل مُخارِق وسَكِر سُكراً شديداً، فسألوه أن يغني صوتاً، فغنّى هذا البيت من شعر عمرَ بن أبي ربيعةَ المَخزُوميّ: [الخفيف]

قـالَ: سـارُوا وأمْـعَـنُـوا واسْـتَـقَـلُّـوا وَبِـرَغْـمِـي لَـوِ اسْـتَـطَـعْـتُ سَـبِـيـلا

فانتهى منه إلى قوله: واستقلوا، وانثنى نائماً. فقال إبراهيم بن المهديّ: مَهِّدُوه[1] ولا تُزعجُوه، فمهَّدُوه ونام، حتى مضى أكثر الليل، ثم استقلَّ من نَوْمه فانتبه وهو يُغني تمام البيت:

وَبِـرَغْـمِـي لَـوِ اسْـتَـطَـعْـتُ سَـبِـيـلا

وهو تمام البيت من حيث قطعه وسكت عليه من صوته. قال: فجعل إبراهيم يتعَجّب منه، ويَعْجب منه مَنْ حَضَره، من جودة طَبْعه وذكائِه وصِحَّة فهمه.

حدثنا يحيى بنُ عليّ بن يحيى المُنجّم قال: حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق قال: قال محمد بن الحسن بن مصعب: قلت لإسحاق يوماً: أسألك بالله إلاَّ صدَقْتَنِي في مُخارق وإبراهيم بن المَهديّ، أيهما أحذَق وأحسنُ غِناءً؟ فقال لي إسحاق: أجادٌّ أنت؟ والله ما تقاربا قطّ، والدَّليل على فضل مُخارق عليه أنَّ إبراهيم لا يؤدِّي صوتاً قديماً ثقيلاً جيِّداً أبداً ولا يستوفيه، وإنما يُغنِّي الأهزاج والغناء الخفيف، وأمَّا الذي فيه عمل شديد فلا يُصِيبه.

أخبرني يحيى قال: حدَّثنا أبو أيُوب المَدِينيّ قال: حدثني بعضُ ولد سعيد بن سَلْم قال: دخل مُخارقٌ على سَعيد بن سَلْم فسأله حاجَةً، فلما خرج قيل له: أما تعرف هذا؟ هذا مُخارق، فقال: ويحكم! دخل ولم نَعرفه، وخرج ولم نَعرفه، رُدُّوه، فردُّوه، فقال له: دَخلْتَ علينا ولم نعرفك، فلمَّا عَرفناك أحبَبْنا ألاّ تخرُج

---

(١) مَهِّدوه: ضعوه في المهد، وهو السرير.

حتى نسمعك، فقال له: أيّ شيء تشتهي أن أُسمِعك؟ فقال: [المنسرح]

يـا رِيـحُ مـا تـصْـنَـعِـيـنَ بِـالـدِّمَـنِ كَمْ لَـكِ مِنْ مَحْوِ مَنْظَرٍ حَسَنِ![1]

فغنَّاه مُخارق، فلمَّا خَرَج قال لبعض بنيه: أبوكم هذا نِكْس يتشهَّى[2] على مثلي:

يـا رِيـحُ مـا تَـصْـنَـعِـيـنَ بـالـدِّمَـنِ

أخبرنا يحيى بنُ عليّ قال: حدّثنا حمَّاد بنُ إسحاق قال: حدَّثني عمِّي محمد قال: سمعتُ أبي يقول وقد غنَّى مُخارق: نعم الفسيلة[3] غَرْس إبليس في الأرض.

أخبرني عمِّي قال: حدَّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حدَّثني محمد بن محمد قال: سمع محمد بن سعيد القارىء مهدِيَّةَ جارية يعقوب بن السَّاحر تغني صوتاً لمخارق بحضرته، وقد كانت أخذته عنه وهو: [الخفيف]

مـا لِـقَـلْـبِـي يَـزْدادُ فـي الـلَّـهْـوِ غَـيَّـا وَالـلَّـيـالـي قَـدْ أنْـضَـجَـتْـنِـي كَـيَّـا

سَـهُـلَـتْ بَـعْـدَكَ الـحَـوادِثُ حَـتَّـى لَـسْـتُ أَخْـشَـى ولا أُحـاذِر شَـيَّـا

فأحسَنتْ فيه ما شاءت، وانصرف محمد بن سعيد، وقرأ على لحنه: ﴿يا يحيى خُذِ الكِتاب بقُوَّة﴾[4].

حدَّثني عمِّي قال: حدثنا عبدُ اللّه قال: حدثني محمد قال: كنتُ عند مُخارق أنا وهارون بنُ أحمد بن هشام، فلعب مع هارون بالنَّرد فقَمَره[5] مُخارق مائتي رطل باقلاّ طريّاً، فقال مُخارق: وأنتم عندي أُطعِمكم من لحم جَزُور من الصناعة، يعني من صِناعة أبيه يحيى بن ناوُوس الجزَّار.

قال: ومرَّ بهارون بن أحمد فصيلٌ يُنادَى عليه، فاشتراه بأربعة دنانير، ووجَّه به إلى مُخارق، وقال: يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل، فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جَزُوريَّةً، وعمل من سنامه وكبده ولحمه غَضائر[6] شُويت في التَّنُّور، وعمل من

(١) الدمن: آثار الديار، واحدتها: دمنة.
(٢) النكس: الضعيف.
(٣) الفسيلة: النخلة الصغيرة.
(٤) سورة مريم، الآية ١٢.
(٥) قمره: غلبه في القمار.
(٦) الغضائر: القطع.

لحمه لوناً يشبه الهريسة بشعير مقشَّر في نهاية الطِّيب، فأكلنا وجلسنا نشرب، فإذا نحن بامرأة تصيح من الشّطّ: يا أبا المُهنّأ، الله الله فيَّ، حلَف زوجي عليَّ بالطّلاق أن يَسْمع غناءك ويَشْرب عليه، فقال: اذهبي وجيئي به، فجاء فجلس، فقال له: ما حَمَلك على ما صنَعْتَ، فقال له: يا سيِّدي، كنتُ سَمِعت صوتاً من صَنْعتك فطَرِبْتُ عليه حتى استَخفَّني الطّربُ، فحلفت أنْ أسمعَه منك ثِقةً بإيجابك حقَّ زَوْجتي، وكانت زوجتُه دايةَ هارُون بنِ مُخارِق. فقال: وما هو الصوت؟ فقال:

صوت

[الكامل]

بَـكَـرَتْ عَـلَـيَّ فَـهَـيَّـجَـتْ وَجْـدَا ... هُـبـوجُ الـرِّيـاحِ وأذْكَـرَتْ نَـجْـدَا[1]

أتَـحِـنُّ مِـنْ شَـوْقٍ إذا ذُكِـرتْ ... نَـجْـدٌ وأنْـت تَـرَكْـتَـهـا عَـمْـدَا

الشعر لحُسَين بن مُطَير، والغِناء لمُخارق ثقيل أول، وفيه لإسحاق ثَقيل أول آخر، فغنَّاه إياه وسقاه رِطْلاً، وأمَره بالانصراف، ونهاه أن يُعاودَ وخرَج فما لبِثنا أن عادت المرأةُ تصرُخ: الله اللَّهَ فيَّ يا أبا المُهنَّأ، قد أعادَ زوْجي المشؤوم اليمينَ أنك تُغنِّيه صوتاً آخر، فقال لها: أحضْريه، فأحضرتْه أيضاً، فقال له: ويلك، ما لي ولك! أيُّ شيء قصَّتك! فقال له: يا سيِّدي أنا رَجل طَرُوب، وكنتُ قد سمِعتُ صوتاً لك آخر فاستفزَّني الطّرَبُ إلى أن حَلَفت بالطلاق ثلاثاً أنّي أسمعه منك، قال: وما هو؟ قال لَحنُك:

[البسيط]

أبْـلِـغْ سَـلامَـةَ أنَّ الـبَـيْـنَ قَـدْ أفِـدا ... وَأنَّ صَـحْـبـكَ عَـنْـهـا رائـحُـونَ غَـدَا[2]

هـذا الـفِـراقُ يَـقِـيـنـاً إنْ صَـبَـرْتَ لَـهُ ... أوْ لا فـإنَّـكَ مـنـهـا مَـيِّـتٌ كَـمَـدا[3]

لا شَـكَّ أنَّ الـذي بي سَوْفَ يُـهلِكُـني ... إنْ كـانَ أهْـلَـكَ حُـبٌّ قَـبْـلَـهُ أحَـدَا

فَغَنَّاه إيّاه مُخارق وسقَاه رطلاً، وقال له: احذَرْ ويْلك أن تُعاود، فانصرف. ولم تَلبَثْ أن عاوَدت الصِّياح تَصرُخ: يا سيِّدي، قد عاود اليمينَ ثلاثة، اللَّهَ اللَّهَ فيّ وفي أولادي، قال: هاتِيه، فأحضرتْه، فقال لها: انصرفي أنت، فإن هذا كلما انصرف حَلَفَ وعاد، فدَعيه يُقيم يومه كلَّه، فتركَتْه وانصرَفَتْ، فقال له مُخارق: ما

(١) هوج الرياح: الرياح الشديدة.
(٢) أفد: دنا، وقرب. والبين: الفراق، والبعاد.
(٣) كمداً: حزناً.

قِصَّتكَ أيضاً؟ قال: قد عَرَّفتك يا سَيِّدي أنَّني رجُل طَرُوبٌ، وكنت سَمِعت صوتاً من صَنْعتِك فاستخفني الطَّربُ له فحلفتُ أنّي أسمَعُه منك، قال: وما هو؟ قال:

[مجزوء الرمل]

أَلِـفَ الـظَّـبْـيُ بِـعـادِي وَنَـفَـى الـهَـمُّ رُقـادِي
وعَـدَا الـهَـجْـرُ عـلـى الـوَصْـلِ بـأَسْـيـافٍ حِـدادِ
قُـلْ لِـمَـنْ زَيَّـفَ وُدِّي: لَـسْـتَ أهْـلاً لِـودادِي

قال: فغَنَّاه إيّاه وسَقاه رطْلاً، ثم قال: يا غُلام، مَقارِعَ، فجيء بها، فأمرَ به فبُطِح، وأمر بضَرْبه فَضُرِب خمسين مِقْرعةً، وهو يستغِيث فلا يُكلِّمه، ثم قال له: احلِفْ بالطَّلاق أنك لا تذكرني أبداً، وإلاَّ كان هذا دأبك إلى الليل، فحلف بالطَّلاق ثلاثاً على ما أمرَه به، ثمّ أُقِيم فأُخرِج عن الدار، فجعلنا نَضحك بقيَّة يَوْمِنا من حُمْقه.

أخبرني عَمِّي قال: حَدّثنا عبدُ اللّه بنُ أبي سَعْد قال: حدَّثنا أحمد بنُ محمد قال: حدَّثني إسحاقُ بنُ عُمرَ بنِ بَزيع قال: أتيتُ مُخارقاً ذات يوم ومعي زُرْزُورٌ الكبير لنُقيمَ عنده، فوجدتُه قد أخرج رأسَه من جناح له، وهو مُشرف على المقابر يُغنِّي هذا البيتَ ويبكِي:

أيْـنَ الـمُـلُـوكُ الـتـي كـانَـتْ مُـسَـلَّـطـةً

قال: فاستَحْسنَّا ما سمعناه منه استحسانَ مَنْ لَمْ يَسْمع قطّ غناءً غيره، فقال لنا: انصَرِفوا، فليس فيَّ فضلٌ اليوم بعد ما رأيتُم. قال محمد: وكان والله مُخارق مِمّن لو تنفّس لأَطْرب مَنْ يسمعه استماع نَفَسِه.

[أثر غنائه في الناس والظباء]

وذكر محمد بنُ الحسن الكاتب أنَّ محمد بنَ أحمد بنِ يحيى المكِّيَّ حدَّثه عن أبيه قال: خرَج مُخارق مع بعض إخوانه إلى بعض المتنَزَّهات، فنظر إلى قوسٍ مُذْهَبة مع أحد مَن خرج معه، فسأله إيَّاها، فكأنَّ المسؤول ضنَّ بها قال: وسَنَحتْ ظباء بالقرب منه، فقال لصاحب القَوْس: أرأيتَ إن تغنَّيتُ صوتاً فعَطفتُ عليك به خُدودَ هذه الظباء، أتدفع إليّ هذه القَوْسَ؟ قال: نعم، فاندفع يغني:

صوت

[المجتث]

مـــاذا تَـــقُـــولُ الـــظِّـــبـــاءُ أفُـــرْقَـــةٌ أمْ لِـــقـــاءُ!
أمْ عَـهْـدُهـا بِـسُـلَـيْـمَـى وَفِـي الـبَـيـانِ شِـفـاءُ!
مَـــرَّتْ بِـــنـــا سانِـــحـــاتٍ وَقَـــدْ دَنـــا الإمْـــســـاءُ
فـــمـــا أحَـــارَتْ جـــوابـــاً وطـــالَ فِـــيـــهـــا الـــعَـــنـــاءُ

في هذه الأبيات ليَحيى المكِّيّ ثقيل أول بالوسطى.

قال: فعَطفت الظِّباء راجِعةً إليه حتى وقفت بالقرب منه، مُستَشرفةً تنظر إليه مصغية تَسمعُ صوته، فعَجِب مَنْ حضر من رجُوعها ووقوفها، وناوله الرّجلُ القوسَ فأخذَها وقَطَع الغِناء، فعاودت الظِّباء نِفارَها، ومضَتْ راجعةً على سَنَنِها[1].

قال ابنُ المكِّيّ: وحدَّثني رجلٌ من أهل البصرة كان يألف مُخارقاً ويَصحبه قال: كنتُ معه مرَّة في طيَّار[2] ليلاً وهو سكران، فلما توسَّط دجْلة اندفَع بأعلى صوته فغنّى، فما بقي أحَدٌ في الطّيَار من ملاَّح ولا غلام ولا خادم إلا بكَى من رِقَّة صوته، ورأيت الشَّمع والسرج من جانبي دجلة في صُحون القُصور والدُّور يتساعَون بين يَدي أهلها يستمعون غناءه.

حدَّثني الصُّوليُّ قال: حدثني محمدُ بنُ عبد الله التَّميميُّ الحزنبل قال:

كنا في مجلس ابنِ الأعرابيّ إذ أقبل رجلٌ من ولد سعيد بن سَلْم كان يلزم ابن الأعرابيّ، وكان يُحِبّه ويأنس به، فقال له: ما أخَّرك عنِّي؟ فاعتذر بأشياء منها أنه قال: كنتُ مع مُخَارق عند بعض بني الرَّشِيد، فوهَب له مائة ألف دِرْهم على صوت غنّاه إياه، فاستكثر ابنُ الأعرابيّ ذلك واستهوله، وعجب منه وقال له: بأيِّ شيء غنَّاه؟ قال: غنَّاه بشعر العبَّاس بنِ الأحنَف:

صوت

[الهزج]

بَـــكَـــتْ عَـــيْـــنِـــي لأنْـــواعِ مِـــنَ الـــحُـــزْنِ وأوْجـــاعِ
وَإنِّـــي كُـــلَّ يَـــوْمٍ عِـــنْـــدَكُـمْ يَـحْـظَـى بِـيَ الـسَّـاعِـي

---

(١) على سننها: على طريقتها.
(٢) الطيار: قارب سريع.

فقال ابنُ الأعرابِيّ: أمَّا الغناء فما أدرِي ما هو، ولكن هذا والله كلام قريب مليح.

لَحْن مخارق في هذين البيتين ثقيل أول من جامع صنعته، وفيهما لإبراهيم المَوْصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عَمْرو بنِ بانة. وذكَر حَبَش أنّ فيهما لإبراهيم بن المهديّ لحناً ماخوريّاً.

أخبرني أحمدُ بنُ جعفر جَحظةُ قال: حدَّثني هِبةُ اللّه بنُ إبراهيم بن المهديّ قال: غنّت شاريةُ يوماً بحضرة أبي صَوْتاً، فأحدَّ النظر إليها وصَبر حتى قطَعتْ نَفَسَها ثم قال لها: أمسِكي، فأمسكت، فقال لها: قد عرَفتُ إلى أيِّ شيءٍ ذهبتِ؛ أردت أن تَتشبَّهي بمُخارق في تزايُدِه، قالت: نعم يا سيدي. قال: إيّاكِ ثمّ إياك أن تَعُودي، فإن مُخارقاً خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونَفَسه، يتصرّف في ذلك أجمعَ كيف أحَبّ، ولا يلحقه في ذلك أحد، وقد أراد غَيرُك أن يتشبه به في هذه الحال فهلك وافتضح ولم يلحقه، فلا أسمَعنَّك تَتعرّضِين لمثل هذا بعد وقتك هذا.

أخبرني عمِّي قال: حدَّثني عليّ بن محمد بن نصر البسّامي قال: حدثني خالي أبو عبد اللّه عن أبيه قال: كُنّا بين يَديِ المُعْتصِم ذاتَ ليلة نَشْرب إلى أن سَكِرْنا جميعاً، فقام، فنام وتوَسَّدْنا أيْدِينَا ونِمْنا في مواضعِنا، ثم انتَبَهَ فصاح فلم يُجِبه أحد، وسَمِعْنا صياحه فتبادَرْنا نسأل عن الغلمان، فإذا مُخارق قد انتبه قبلنا فخرج إلى الشّطّ يَتَنَسَّم الهواءَ، واندَفَع يُغَنِّي، فتلاحق به الغِلمان جميعاً، فجئتُ إلى المُعتَصم فأخبرتُه وقلتُ: مُخارق على الشَّطّ يُغَنِّي والغلمانُ قد اجتَمعُوا عليه، فليس فيهم فَضْلٌ لشيء غير استِماعِه، فقال لي: يابن حَمْدُون، عُذْرٌ والله وأيُّ عُذْر! ثمّ جلس وجلَسْنا بين يديه إلى السَّحر.

وذكر محمد بن الحَسَن الكاتب أنّ أبانَ بن سعِيد حدّثه أن المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهْدِيّ ومُخارق، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إذا تَغَنَّى إبراهيم بِعلمه فَضَل مُخارِقاً، وإذا تَغَنَّى مُخارقٌ بطَبْعه وفَضْل صَوْتِه فَضَل إبراهيم، فقال له: صَدَقْتَ.

[مخارق والأمين، والمأمون]

نَسْختُ من كتاب هارُون بن الزّيات: حدّثني هارُونُ بنُ مُخارق عن أبيه قال:

دعاني محمدٌ الأمينُ يوماً وقد اصطبَح فاقترح عليّ: [البسيط]

اسْتَقْبَلَتْ وَرَقَ الرَّيْحانِ تَقْطِفُهُ وَعَنْبرَ الهِنْدِ والوَرْدِيَّةَ الجُدُدا
أَلَسْتَ تَعْرِفُني في الْحَيِّ جارِيَةً وَلَم أَخُنْكَ وَلَم تَرْفَعْ إليَّ يَدا

فَغَنَّيْتُه إياه، فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثة أرطال وِلاءً، وأمر لي بألف دينار وخَلع عليَّ جُبَّةَ وَشْيٍ كانت عليه مُذْهَبَة، ودُرّاعةً مثلها وعمامة مثلَها تكاد تعشي البصر من كثرة الذَهب، فلمَّا لبِسْتُ ذلك وَرآه عليّ نَدِم، وكان كثيراً ما يفعل ذلك، فقال لبعض الخَدَم: قُل للطبّاخ يأتينا بِمَصْلِيَّة[1] مَعقُودَة الساعة، فأتى بها، فقال لي: كُلْ معي، وكنتُ أعرفَ النَّاس بمذهبه وبكراهته لذلك، فامتنعتُ. فحلَف أن آكلَ معه، فحين أدْخلْتُ يَدي في الغَضارة[2] رفع يَده، ثمّ قال: أُفٍّ نغَّصتَها عَلَيَّ والله وقذَّرْتَها عندي بإدخالك يدك فيها، ثمَّ رَفس القَصعة رفسةً فإذا هي في حِجري، ووَدكُها[3] يَسِيل على الخِلعة حتى نَفَذ إلى جِلدِي، فقُمْتُ مُبادِراً فنَزعتها، وبَعَثتُ بها إلى منزلي وغَيَّرت ثيابي وعُدْتُ وأنا مَغْمُومٌ منها وهو يَضْحك. فلمَّا رَجعتُ إلى منزلي جَمَعتُ كُلَّ صانع حاذِق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخْرُج، ولم أنتفع بها حتى أحرقْتُها فأخذْتُ ذهبها، وضَرب الدَّهرُ بعد ذلك ضَرباته.

ثم دعاني المَأمونُ يوماً، فدخَلتُ إليه وهو جالس، وبين يديه مائدةٌ عليها رغيفان ودجاجتان، فقال لي: تعالَ فكُلْ، فامتنعْتُ، فقال لي: تَعالَ وَيْلك فساعِدْني. فجلستُ فأكلْت معه حتى استَوفَى، ووضع النبيذ ودعا عَلُّوية فجلس، وقال لي: يا مُخارق، أتُغَنِّي: [الطويل]

أقولُ الْتِماسَ العُذْرِ لمَّا ظَلَمْتِني وَحَمَّلْتِني ذَنْباً وما كُنْتُ مُذْنِبا

فقلتُ: نعم يا سيِّدي، قال: غنِّه، فغنيته فعبس في وجهي ثم قال: قبَّحك الله أهكذا يُغنَّى هذا! ثم أقبل على علُّويَةَ فقال: أتُغنِّيه؟ قال، نعم يا سيِّدي، قال: غنِّه، فَغنَّاه، فوالله ما قارَبني فيه، فقال: أحسنْتَ والله، وشرب رطلاً، وأمر له بعشرة آلاف دِرْهم، واستعادَه ثلاثاً، وشرب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كُلِّ عشرةَ

(١) مصلية: شيء مشويّ.
(٢) الغضارة: القصعة الكبيرة.
(٣) الودك: الشحم والدسم.

آلاف دِرْهم، ثم حذَف[١] بإِصْبَعِه وقال: برْقٌ يمانٍ، وكان إذا أراد قَطْع الشرب فعل ذلك، وقمنا فعَلِمْتُ من أين أُتِيتُ.

فلَمَّا كان بعد أيام دَعاني فدخلْتُ إليه وهو جالس في ذلك الموضع بعينه يأكل هناك، فقال لي: تَعَالَ ويْلك فساعدْني، فقلت: الطلاق لي لازم إن فعلتُ، فضحك ثم قال: ويْلك، أترانِي بخِيلاً على الطَّعام! لا والله، ولكنني أَرَدتُ أن أُؤدِّبك، إنَّ السادة لا ينبغي لعبيدها أن تُؤاكلَها، أفهمت؟ فقلتُ: نعم، قال: فتعالَ الآن فكُلْ على الأمان فقلتُ: أكون إذاً أوّل من أضاع تأديبك إياه واستَحقَّ العُقوبة من قريب، فضحك حتى استغرَب[٢]، ثمّ أمر لي بألف دينار، ومضيت إلى حُجْرتي المرْسومة لي للخِدْمة، وأُتِيتُ هناك بطعام فأكلتُ، ووُضِع النَّبِيذ ودعانِي وبِعَلُّويَة، فلمّا جلسنا قال له: يا عليّ، أَتُغَنِّي: [البسيط]

أَلـم تَقُولي: نَعَمْ، قالَتْ: أَرَى وَهَماً ... مِنّي وَهَلْ يُؤخَذُ الإنسانُ بالوَهَم![٣].

فقال: نَعمْ يا سيّدي، فقال: هاته، فغنَّاه، فعَبس في وَجْهه وبَسَر[٤] وقال: قبَّحك الله، أتغني هذا هكذا! ثمّ أقبل عليّ فقال: أَتُغَنِّيه يا مُخَارق؟ فقلتُ: نعم يا سيّدي، وعلمت أنه أراد أن يَستقيد[٥] لي من عَلُّوية ويرفع مني، وإلا فما أتى علُّوية بما يُعاب فيه، فَغَنَّيتُه، فَطرِبَ وشَرِب رطلاً، وأمر لي بعَشرة آلاف دِرْهم، وفعل ذلك ثَلاثَ مرَّات كما فعل به. ثُمَّ أمر بالانصراف فانصرفنا، وما عاودْتُ بعد ذلك مُؤاكلة خَلِيفة إلى وقْتِنا هذا.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[البسيط]

اسْتَقْبَلَتْ ورَقَ الرَّيْحانِ تَقْطُفُهُ ... وَعَنْبَرَ الهِنْدِ وَالوَرْدِيَّةَ الجُدُدَا
أَلَسْتَ تَعْرِفُنِي في الحَيِّ جَارِيَةً ... وَلَمْ أَخُنْكَ ولم تَمْدُد إليَّ يَدَا

(١) حذف: حرك.
(٢) استغرب في الضحك: بالغ بالضحك حتى أصبح ضحكه مستغرباً.
(٣) الوهم: الخطأ.
(٤) بسر: تجهّم، أظهر العبوس.
(٥) يستقيد لي: يأخذ بثاري.

الشعر ـ فيما يُقال ـ لعُمرَ بن أبي ربيعة، والغِناء للغريض خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وأصله يماني، وفيه لابن جامع هزج.

صوت [الطويل]

أقولُ الْتِماسَ العُذْرِ لما ظَلَمْتِني وَحَمَّلْتِني ذَنْباً وما كُنْتُ مُذْنِبا
هَبِيني امْرأً إمّا بَريئاً ظَلَمْتِهِ وإمَّا مُسِيئاً قد أنابَ وأعْتَبا

الشعر للأحوص[1]، والغناء لمالك خفيف رمل بالوسطى عن عَمرو.

صوت [البسيط]

ألم تَقولي: نَعَمْ، قالَتْ: أرَى وَهَماً مِنّي وَهَلْ يُؤخَذُ الإنسانُ بالوَهَم!
قُولِي: نَعمْ، إنَّ «لا» ـ إنْ قُلْتِ ـ قاتلتِي ماذا تُريدينَ مِنْ قَتْلِي بِغَيْرِ دَمِ!

الغناء لسياط خفيف رمل بالبِنصر عن عَمْرو، ولم يقع إليَّ لمن الشِّعر.

قال هارون: وحدَّثني أبو مُعاوية الباهِليُّ قال: حَضَرتُ عَلُّوية ومُخارقاً مُجتمعين في مجلس، فغنّى علوية صوتاً فأحسن فيه وأجادَه، فأعادَهُ مُخارق وبَرَّزَ عليه وزاد، فردَّه علُّويَة وتعمَّل فيه واجتهد فزاد على مُخارِق، فجثا مُخارِق على ركبتيه وغنّاه وصاح فيه حتى اهتزّ منكباه، فما ظَنَّنا إلا أنَّ الأرضَ قد زُلزِلت بنا، وغلب والله ما سمعنا على عُقولنا، ونظرتُ إلى لَوْن عَلُّوية وقد امتُقِع وطار دمُه، فلمَّا فرَغ مُخارق توقّعنا أن يُغَنّي علُّويَة، فما فعل ولا غنَّى بقيةَ يومه. قال: وكان مُخارِق إذا صاح قطع أصحاب النايات.

أخبرني وَسواسةُ بنُ الموصلي، وهو أحمدُ بنُ إسماعيل بن إبراهيم قال: حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق قال: قال لي مُخارق: دعاني يوماً محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن المهديّ، فقال: غنّني يا مُخارق، فَغَنَّيْتُه أصواتاً عديدة، فلم يَطْرب لها وقال: هذا كله مُعاد، فَغَنِّني:

لقد أزْمَعَتْ لِلْبَيْنِ هِندٌ زِيالَها

فقلت: لا والله ما أُحسنه، فقال: غَنِّني:

لا وَالَّذِي نُحِرَتْ لَهُ البُدُنُ

فقلتُ: لا والله ما أُحسِنه، فقال: غَنّني:

يـا دارَ سُـعْـدَى سَـقَـى أَطْـلالَـكِ الـدِّيَـمـا

فقلتُ: لا والله لا أُحسنه، فغضب وقال: ويلك! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تُحسن منها واحداً! فقال له إبراهيمُ بنُ المهديّ: ما ذَنبه؟ إسحاقُ أُستاذُه وعليه يَعْتمد، وهو يُضايقه في صَوت يُعلّمه إياه، فقلتُ: قد والله صدق، ما يُعطِيني شيئاً ولا يُعَلِّمنيه، قال: فما دَوَاؤه؟ فقد والله أعياني، فقال له إبراهيمُ: تُوكِّل به مَنْ يَصُبُّ على رأسه العَذابَ حتى يُعلّمه مائةَ صوت، قال: أمَّا هذا فبَعيد، ولكن اذْهَبْ إليه عني فمُرْه أن يُعلّمك هذه الثلاثة الأصوات، فإن فعل وإلا فصُبَّ السَّوط على رأسه حتى يُعلِّمك.

فدَخلتُ إلى إسحاقَ، فجلست بغير أمْره، وسَلَّمت سلاماً مُنكَراً. ثم أقبلتُ عليه فقلت: يأمُركَ أميرُ المُؤمنين أن تُعلِّمني كذَا وكذَا قال: ما أُحسِنه، فقلت: إني أُنفِّذ فيك ما أمرني به، فقال: تُنفِّذ فيّ ما أُمِرْتَ به، ألا تَستحي وَيْحَكَ مني ومن تربيتي إياك! قلت: فلا بُدّ من أن تُعلّمني ما أمرك به أميرُ المُؤمِنين، قال: فإني لستُ أُحسِنه ولكن فلانة تُحسِنه، هاتُوها. فجاءت وجعلت تُطارحني حتى أخَذتُ الأصوات الثَّلاثة، وجَعل كل مَنْ جاء يومئذ لا يَحجُبُه لِيَروني وجاريتُه تُطارحني.

فلمَّا أخذتُ الأصوات رَجَعتُ إلى محمد وأخبرته الخبر وحضر إسحاقُ، فغَنّيتُه إياها، فطرب، وجعل إبراهيمُ بن المهدِيّ يقول: أحسن والله، أحسن والله، فلما فرغتُ قال إسحاق: لا والله ما أحسن ولا أصاب هو ولا إبراهيم في اسْتحسانه، ولقد جَهَدت الجاريةُ جَهدَها أن يأخذَه عنها فلم يتوجَّه له، ثم اندفع فغنَّاها، فكأني والله كنتُ ألعب عند ما سمعتُ.

ثم أقبل على إبراهيم بنِ المَهدي فقال له: كم أقولُ لك: ليس هذا من عِلْمك ولا مِمّا تحسنه وأنتَ تكابِر وتُدخل نفسك فيما لا تُحسنه! فقال: ألاَ تَرَاه يا أمير المؤمنين يُصيِّرني مُغنِّياً! فقال له إسحاق: ولم تجحد ذلك! أوَ أسرَرت إليَّ منه شيئاً لم تُظْهِرْه للناس وتُعلِّمهم إياه! ومتى صِرْتَ تأنف من هذا وأنت تتبجّح به! فليتك تحْسِنه، والله ما تَفْرُق بين الخطأ والصواب فيه، وإن شئت الآنَ ألقيتُ عليك ثلاثين مسألة من أيّ علم شئت، فإن أجبْتَ في واحدة منهن وإلاّ علِمتُ أنك مُتكلِّف. فقال: يا أمير المؤمنين يَستقبلني بهذا بين يديك! قال: وما هذا مما لا أستقبِلُك به؟ فقال له محمد: نعم اخْتَر ما شئتَ حتى نسألك عنه فقال: إنما يفعل هذا الصبيان،

وانكسر حتى رَحمْتُه، فقلتُ لمحمد: يا أمير المؤمنين لعلك ترى مع هذا القَوْل أنه لا يُحسن، بلى والله إنه ليُحسن كلّ شيء وما يقدر أحدٌ أن يقول هذا غيري، وإنه ليتقدَّم كثيراً من الناس في كل شيء، فجعل محمد يضحك وهو يقول، تَشُجُّه بيدٍ وتَدْهنُه بيَد، وتجرِّحه بيد وتأسوه بيَد!

نسبة هذه الأصوات

صوت

[الطويل]

لَقَدْ أزْمَعَتْ لِلبينِ هِنْدٌ زِيالَها وَزَمُّوا إلى أَرْضِ العِراقِ جِمالَها[1]

فما ظَبْيَةٌ أدْماءُ واضِحَةُ القَرَا تَنُصُّ إلى بَرْدِ الظِّلالِ غَزَالها[2]

تَحُتُّ بقَرْنَيْها بَريرَ أراكَةٍ وَتَعْطُو بِظِلْفَيْها إذا الغُصْنُ طالها[3]

بأحْسَنَ منها مُقْلَةً ومُقَلَّداً وَجِيداً إذا دانَتْ تَنُوطُ شِكالَها[4]

الشِّعرُ لكُثَيِّر، والغِناء لمعبَد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، وفيه لابن سُريج في الثَّالث والثَّاني ثقيل أول بالسّبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق، ولإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، في الثَّاني ثمّ في الثَّالث، وفي كتاب حَكَم: لحكَم فيه خفيف ثقيل، وعن حبش لطُوَيْس فيه رمل بالوُسطى، وذكر أيضاً أن لَحن معبَد ثاني ثَقِيل.

صوت

[الطويل]

يا دارَ سُعدَى سَقَى أطلالَك الدِّيما مُسْقِي الرَّوايا وإن هيَّجتِ لي سَقمَا[5]

دارٌ خَلتْ وعفَتْ منها معالِمُها إلاَّ الثُّمامَ وإلاَّ النُّؤْيَ والحُمَمَا[6]

الغناء لقفا النَّجّار ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وإبراهيم.

---

(١) زمّوا جمالها: أرسلوها متقدمة.
(٢) القَرَا: الظهر. وتنصّ غزالها: تستحثه ليسرع.
(٣) البرير: ثمر الأراك. وتعطو بظلفيها: ترتفع بهما. وطالها: ارتفع عنها.
(٤) تنوط: تعلق. والشكال: وثاق بين اليد والرجل.
(٥) الروايا: الإبل يستقى عليها الماء.
(٦) الثمام: نبت ضعيف. والنؤي: الحفير حول الخيمة لاتقاء السيل. والحمم: جمع حمة، وهو كل ما احترق بالنار.

صوت

لا والـــذي نُــحِـــرَتْ لَــهُ الــبُــدُنُ ... وَلَـــهُ بِـــمَـــكَّـــةَ قُـــبِّـــلَ الـــرُّكُـــنُ
مــا زِلْــتُ يــا سَــكَـنِـي أخــا أرَقٍ ... مُـتَـكَـنِّـفـاً بـي الـهَـمُّ والـحَـزَنُ
أَخْـشَـى عَـلَـيْـكَ وَبَـعْـضُـهُ شَـفَـقٌ ... أَنْ يَـفْـتِـنُـوكَ وأنْـتَ مُـفْـتَـتَـنُ

الغِناء لابْن سُرَيْج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر الهشاميُّ أنه لسليمان الوادي أو له فيه لحن، ونسبه إبراهيم إلى ابن عَبَّاد ولم يُجنِّسه.

[أخباره مع المعتصم]

أخبرني عمّي: حدَّثنا أحمدُ بن أبي طاهر قال: حدَّثني عبدُ الوَهّاب المؤذِّن قال: انحدَرْنا مع المُعتَصم من السِّن[١] ونحن في حَرَّاقته، وحضر وقْتُ الأذان فأذَّنتُ، فلما فرغت من الأذان اندفع مُخارق بعدي فأذّن وهو جاثٍ على ركبتيه، فتمنيتُ والله أن دجلة أهرقتْ لي فغرقتُ فيها.

أخبرني عمّي قال: حدَّثني عبدُ اللّه بنُ عبد اللّه بنِ حَمْدون قال: حدَّثني أبي قال: غَضِب المعتصمُ على مُخارق فأمر به أن يُجعل في المؤذِّنين ويلزَمهم، ففعل ذلك، وأمهلَ حتى علم أنّ المعتصم يشرب وأُذِّنتِ العصرُ، فدخل هو إلى السّتر حيثُ يقِف المؤذِّن للسلام، ثمَّ رفع صوته جُهْدَه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته، الصّلاة يرحمك الله، فبكى حتى جَرتْ دُموعُه، وبكى كلُّ مَنْ حضره، ثمَّ قال: أَدْخِلوه إليَّ، ثم أقبل علينا وقال: سمعتم هكذا قطُّ! هذا الشيطان لا يترك أَحَداً يغضب عليه، فأُمر به فأُدخِل إليه، فقبَّل الأرض بين يديه، فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يدَه فقبَّلها، وأمره بإحضار عودِه فأُحضِر، فأعاده إلى مرتبته.

وَجدتُ في بعضِ الكتب، عن عليِّ بن محمد البسّاميّ، عن جدّه حمدون بن إسماعيل قال: غنّى علّوية يوماً بين يدي إسحاق المَوْصليّ: [الطويل]

هَـجَـرْتُـكِ إشـفـاقـاً عـلـيـكِ مـن الأذى ... وخَـوْفَ الأعـادِي واتّـقـاءَ الـنَّـمـائِـم

---

(١) السنّ: مدينة على دجلة. (معجم البلدان ٣/٢٦٨).

فقال له إسحاقُ: أحسنت يا أبا الحسَن أحسنت، واستعاده ثلاثاً وشرب، فقال له عَلُّوية: يا أُستاذ، أين أنا الآن من صاحبي - يعني مُخارِقاً - مع قولك هذا لي؟ فقال: لا تُرِد أن تَعرِف هذا، قال: بي والله إلى معرفته أعظمُ الحاجة، فقال: إذا غنيتما مَلِكاً اختاره عليك وأعطاه الجائزة دُونك، فضَجِر عَلُّوية وقال لإسحاق: أُفٌّ من رضاك وغَضبِك!

نسبة هذا الصوت

صوت

هـجـرتُـكِ إشـفـاقـاً عَـلَـيْـكِ مـن الأذَى وَخَـوْفَ الأعـادي واتّـقـاءَ الـنـمـائِـم
وإنّـي وَذاكَ الـهـجْـرَ لَـوْ تَـعْـلَـمِـيـنَـهُ كَـسَـالِـيَـةٍ عَـنْ طِـفـلِـهـا وَهْـيَ رائـمُ[1]

الشّعر لهلال بن عمرو الأسَديّ، والغناء لعَلُّوية ثقيل أوّل بالوسطى، عن عمرو.

وقال الجاحظ: قال أبو يعقوب الخُرَيْمِيّ: ما رأيتُ كثلاثة رجال كانوا يأكلون النّاس أكلاً، حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يَذُوب الرَّصاص على النّار: كان هِشامُ بن الكلبيّ علاّمةً نسّابةً وراويةً للمثالب عَيّابة، فإذا رأى الهيثَم بن عَديّ ذاب كما يَذُوبُ الرَّصاص، وكان عليُّ بنُ الهيثم جُونقاً[2] مُفقِعاً[3] نِيّاً صاحب تَقعّر يستولي على كل كلام، لا يَحْفِل بخطيب ولا شاعر، فإذا رأى موسى الضّبيَّ ذاب كما يَذُوب الرَّصاص. وكان عَلُّويه واحدَ الناس في الغناء روايةً وحكاية ودراية وصنعة وجودةَ ضَربٍ وأضرابٍ وحُسْنَ خلق، فإذا رأى مُخارقاً ذاب كما يذُوب الرَّصاص على النار.

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب، عن ابن خُرداذْبَه قال: هَوِيَ مُخارقٌ جارية لأمّ جعفر، فحَجّ في السنة التي حجت فيها أُمُّ جعفر بسبب الجارية، فقال أحمدُ بنُ هشام فيه: [الوافر]

يَـحُـجُّ الـنَّـاسُ مِـنْ بِـرٍّ وتَـقْـوَى وَحَـجُّ أبـي الـمُـهَـنّـا لِـلـتَّـصـابِـي

(١) الرائم: الناقة العاطفة على ولدها.
(٢) جونق: لقب علي بن الهيثم.
(٣) مفقعاً: فقيراً.

قال: وكان المُعْتصِمُ قد وهب دارَ مُخارِق لمَّا قدم بَغْدادَ لِيُونازةَ خَليفةِ الأَفْشين، فقال عيسى بنُ زَينب في ذلك: [الكامل]

يــا دارُ غَــيَّــرَ رَسْــمَــهــا يُــونَــازهْ ... وبَــقِــي مُــخــارِق قــاعِــداً فــي فــازة[1]
لا تَــجْــزَعــنَّ أبــا الــمُــهــنَّــا إنَّــهــا ... دُنْــيــا تُــنــالُ بِــذِلَّــةٍ وعَــزازَهْ

أخبرني إسماعيلُ بنُ يونُس الشّيعيّ قال: حدَّثنا عُمر بنُ شبَّة، وحَدَّثني محمد بن يَحيى الصّوليّ قال: وَجدْتُ بخطِّ عبد اللّه بن الحسين: حدثني الحَسنُ بنُ إبراهيم بنِ رياح، قالا: كان مُخارق يَهوَى جَارية لأم جعفر يقال لها بهَارُ، ويَستُر ذلك عن أمّ جعفر، حتى بلغها ذلك، فأقصَتْه ومنَعته من المرور ببابها، وكان بابِها كلِفاً. قال الصُوليّ في خبره: فلما علم أن الخبر قد بلغ أُمّ جعفر قطعها وَتجافاها؛ إجلالاً لأم جعفر، وطمعاً في السلوّ عنها، وضاق ذَرعُه بذلك، فبينا هو ذاتَ ليلة في زَلاّلٍ، وقد انصرف من دار المَأمون، وأمُّ جعفر تشرب على دجلة، إذ حاذَى دارَها، فرأى الشمع يَزْهَر فيها، فلما صار بمَسْمعٍ منها ومَرْأى انْدَفع فغنَّى:

صوت

[البسيط]

إنْ تَـمْـنَـعـونـي مَـمَـرِّي قُـرْبَ دارِهِـمُ ... فَـسَـوْفَ أنْـظُـرُ مـن بُـعْـدٍ إلـى الـدَّارِ
سِيما الهَوَى شُهِرَتْ حتى عُرِفْتُ بها ... أنِّـي مُـحِـبٌّ ومـا بـالـحُـبِّ مـنْ عـارِ
مـا ضَـرَّ جِيرانَكُمْ ـ واللّهُ يُصلِحُهُمْ ... لَـوْلا شَـقـائـيَ ـ إقْـبـالـي وإدْبـارِي
لا يـقـدِرونَ عـلـى مـنْـعِـي وَلَـوْ جَـهَـدُوا ... إذا مَـرَرْتُ وتَـسـلِـيـمِـي بـإضْـمـارِي

الشعر للعباس بن الأحنَف، والغناء لمخارق رمل بالوسطى.

فقالت أمُّ جعفر: مُخارقٌ والله، رُدُّوه، فصَاحوا بملاَّحه: قَدِّمْ، فَقدَّم، وأمرَه الخَدم بالصُّعود، فصعد، وأمرت لهُ أُمُّ جعْفر بِكُرْسيٍّ وصينيَّة فيها نَبيذ، فشرب، وخَلَعَت عليه، وأمرت الجواري فغنَّين، ثمّ ضَربن عليه فغنّى فكان أوّل ما غنّى:

صوت

[البسيط]

أغِـيـبُ عَـنْـكِ بِـوُدٍّ مـا يُـغَـيِّـرُهُ ... نـأيُ الـمَـحَـلِّ ولا صَـرْفٌ مِـنَ الـزَّمَـنِ

(١) الفازة: مظلة من نسيج.

فإنْ أعِشْ فَلَعَلَّ الدَّهْرَ يَجْمَعُنَا وإنْ أمُتْ فَقَتِيلُ الهَمِّ وَالحَزَنِ
قَدْ حَسَّنَ الله في عَيْنَيَّ ما صَنَعَتْ حتّى أرَى حَسَناً ما لَيْسَ بالحَسَنِ

الشِّعرُ للعَبّاس بن الأحنف، والغِناءُ لمُخارِق رمل.

قال: فاندَفعتْ بَهَارُ فغنَّت كأنها تُباينهُ، وإنما أجابَتْه عن مَعْنَى ما عرَّض لها به: [البسيط]

تَعْتَلُّ بالشُّغْلِ عنا ما تُلِمُّ بنا والشُّغْلُ لِلْقَلْبِ لَيْسَ الشُّغْلُ لِلْبَدَنِ

ففَطِنت أُمُّ جعفر أنها خاطبته بما في نفسها، فضَحِكتْ وقالت: ما سمعنا بأملحَ ممَّا صَنْعتما وقال إسماعيل بن يُونس في خبره: ووَهَبتْها له.

وقال هارون بنُ الزّيات: حدَّثني هارون بن مخارق عن أبيه: أنّ المأمون سأله لما قَدِم مكة عن أحدث صوت صنعه، فغنّاه:

صوت

[الخفيف]

أَقْبَلَتْ تَحْصِبُ الجِمارَ وَأَقْبَلْـ ـتُ لِرَمْيِ الجِمارِ مِنْ عَرَفاتِ
لَيْتَنِي كُنْتُ في الجِمارِ أنا المَحْـ ـصُوبَ مِنْ كَفِّ زَيْنَبٍ حَصَياتِ

الشِّعْر للنُّميريّ، والغناءُ لمخارق خفيف رمَل بالبنصر. قال: فضحك، ثمّ قال: لعَمري إن هذا لأحْدَثُ ما صنعت، ولقد قنِعتَ بيسير، وما أظُنّ بهار كانت تبخل عليك بأنْ تحْصِبك بحصاة كما تحْصب الجِمارَ. واستَعاده الصوتَ مَرَّات.

أخبرَني جَعْفرُ بنُ قُدامة قال: حدَّثني هارونُ بنُ مخارق قال: حدثني أبي قال: كنَّا عند المأمون يوماً، فجاءَه الخَادم الحرَميّ فأسرَّ إليه شيئاً، فوثب فدخل معه، ثمّ أبطأ علينا ساعة وعاوَد وعَيْنُه تذْرِف، فقال لنا: دخلت الساعةَ إلى جارية لي كنت أتحظّاها، فوجَدْتها في المَوْت، فسلَّمتُ عليها فلم تستطع رَدَّ السَّلام إلا إيماءً بإصبعها، فقلتُ هذين البيْتَيْن: [الطويل]

سلامٌ عَلَى مَنْ لَمْ يُطِقْ عِنْدَ بَيْنِهِ سَلاماً، فأوْمَى بالبَنانِ المُخَضَّبِ
فما اسْطَعْتُ تَوْدِيعاً له بِسوى البُكا وذلكَ جهْد المُستهامِ المُعذَّبِ

ثمّ قال: غَنِّ فيها يا مُخارق، ففعلتُ، فما استَعادَني ذلك الغِناء قطّ إلا بكى.

أخبرني الحسين بنُ القاسم الكَوْكبيُّ إجازةً قال: حدَّثني أحمدُ بن أبي العَلاء

قال: حدَّثني أبي قال: حجَّ رجُل مع مخارق، فلما قضَيا الحَجَّ وعادا، قال له الرَّجل في بعض طريقه: بحقِّي عليك غَنِّني صوتاً، فغنّاه: [الطويل]

رَحَلْنا فَشَرَّقْنا وراحُوا فَغَرَّبُوا ... ففاضَتْ لِرَوْعاتِ الفراقِ عُيونُ

فرفع الرجل يدَه إلى السماء وقال: اللهمّ إني أُشهِدُك أنّي قد وَهبْتُ حَجَّتِي له.

وتُوفّي مخارق في أوَّل خلافة المتوكِّل، وقيل: بل في آخر خلافة الواثق، وذكر ابن خُرْدَاذْبَه أن سبب وفاته أنه أكل قِنَّبِيطِيَّةً باردةً فقَتلته من فوره.

صوت

إذا مِتّ فادفِنّي إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ ... تُروِّي مُشاشِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُها
ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاةِ فإنَّني ... أخافُ إذا ما مِتُّ ألاّ أذوقَها

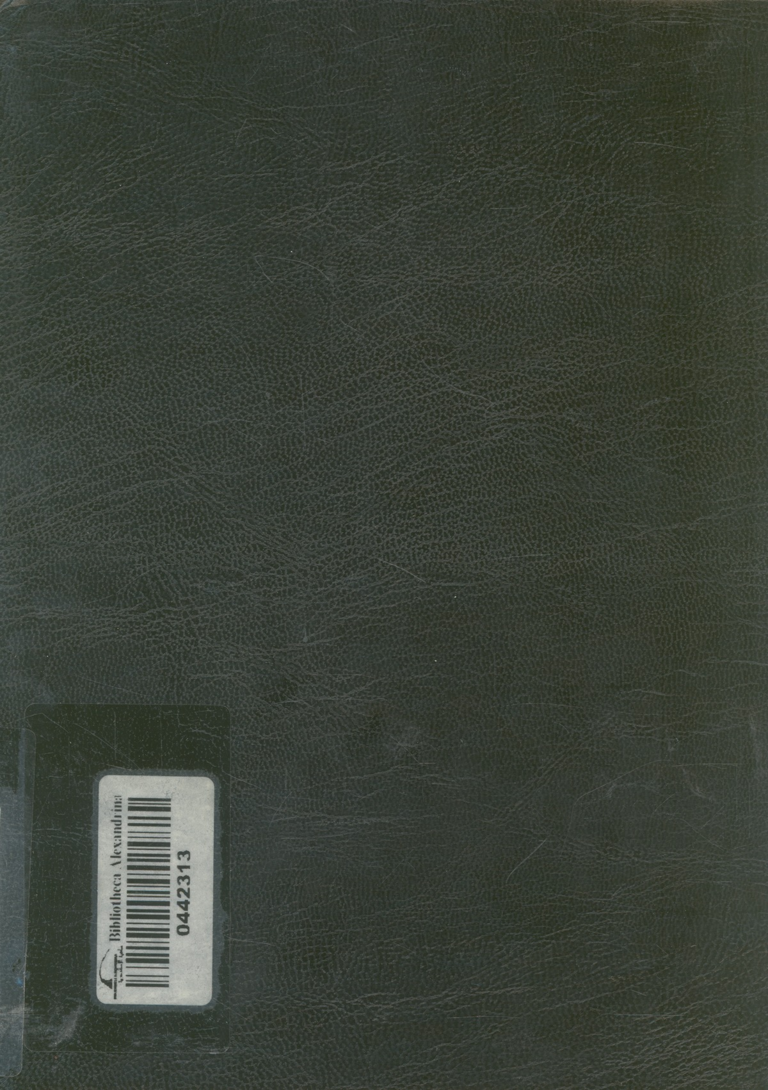
عروضه من الطويل، ويُرْوَى:

إذا رُحْتُ مَدْفوناً فلَسْتُ أذُوقُها

الشعر لأبِي مِحْجَن الثقفيّ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، وفيه لحُنَيْن لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يُجَنِّسْه.

إلى هنا انتهى الجزء الثامن عشر من كتاب الأغاني، ويليه الجزء التاسع عشر، وأوله «ذكر أبي محجن ونسبه».

الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
0442313